

# الإمام الشهيد يحيى حميد الدين

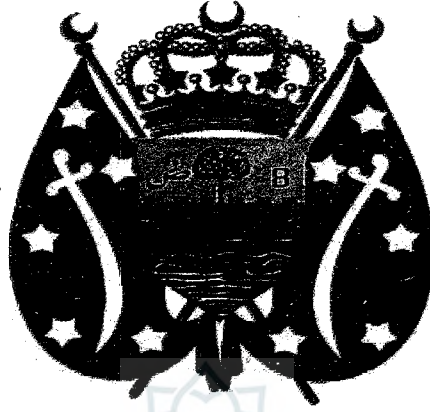


أحمد بن محمد بن الحسين بن يحيى حميد الدين

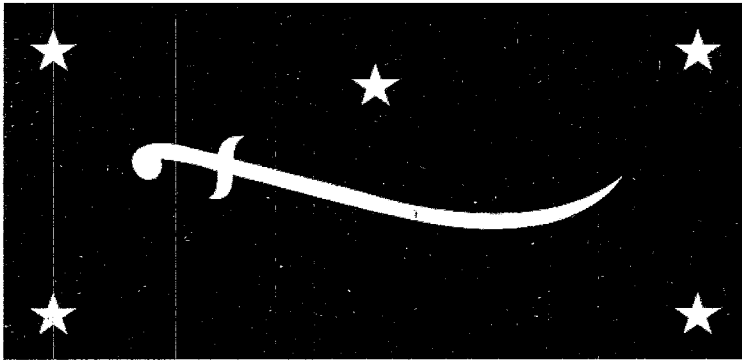
الجزء الأول

تنفيذ المتن والغلاف  
بإدارة الجمع وفصل الألوان  
دار المعارف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



أرادوها نهاية فكانت البداية، ونبقك هاشميون على نهج اسلافنا من أئمة آل البيت  
لا نتغير، نرفض الفسوق وطأطأة الرؤوس، ونحارب الظلم، ونهزج الفساد، وتدعوا للحرية  
والعدالة، رضك من رضك وأبك من أبك.



## الإهداء

إلى روح والدى، بطل المعارك، ورمز المقاومة اليمنية فى التصدى لموجات الغزو الناصرى، وقائد حصار صنعاء، الأمير محمد بن الحسين، الذى دفع بى نحو آفاق العلم والمعرفة، ونفخ فى ذاتى روح الثقة بالنفس، والعزيمة فى مواجهة التحديات، وعلمنى بمواقفه المبدئية الوطنية والسياسية المشرفة معنى العزة والكرامة، والفخر بمآثر الآباء والأجداد.

إلى روح جدى الشهيد، بطل التحرير، والمؤسس لدولة اليمن الحديث، الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، الذى لم يسجل عليه التاريخ ذرة فى التفريط بحقوق الدين والوطن، بأذلا نفسه للدعوة والإعلاء لكلمة الله، مقنيا عمره فى السعى لعزة شعبه اليمنى وكرامته والحرص على سيادته ووحدة اراضيه، رافضا الخنوع والتبعية للقوى الكبرى، ومقما الدروس والعبر لأمة العرب والإسلام عن معنى الشموخ والأنفة، والعزم الذى لا يلين فى مقاومة المخططات البريطانية فى الجزيرة العربية.



## المقدمة

بمجرد أن انتهيت من كتابة هذا المؤلف، حرصت على أن أعرض فصوله على كبار رجال أسرتي للمشورة، إلا أنني تفاجأت بمعارضتهم الشديدة لنشر الكثير من المقاطع فيه، وحجتهم في ذلك أن ليس كل ما يعرف يقال، وأن ما كتبته سوف يؤول تأويلاً سلبياً من البعض، ويفتح أبواباً من سوء الظن لدى البعض الآخر، وأن العوائد من هذا النشر، لن تتعدى تقليب المواجه، ونكس الجراح، وإحياء الخصومات القديمة، التي كانت قد بدأت تأخذ طريقها نحو الاندثار والتلاشي. وأضافوا إلى ذلك قولهم، بأن مكانة الأسرة التاريخية واحترامها لذاتها، يحتم على أفرادها التزام جانب الصمت، والتسامي بمشاعرهم، والسمو فوق جراحاتهم، فالتاريخ لن يظل كما يريد الخصوم، وأنه كفيلاً بالتمييز بين الرجال، ولن يخلد فيه إلا من كان صادقاً مع الله. ومع احترامي الشديد لآراء الشيوخ من رجال أسرتي، إلا أنني أرى أن لكل جيل رأيه واجتهاده، وكما قال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: لا تقسروا أبناءكم على آدابكم، فهم مخلوقون لزمان غير زمانكم، ومن هذا المنطلق، لا أحبذ أن يقعدني تحفظ شيوخ أسرتي عن أداء واجب المنافحة عن جدي، الإمام يحيى وأسلافه من أئمة آل البيت في اليمن، وكشف حقيقة خصومه، بالحجة والدليل والبرهان، لا بالهوى والحمية، لأن الانكفاء تحت وطأة التحفظ في بث الحقائق، لم يخدم أحداً خلال نصف قرن مضى، سوى أولئك الذين تقطر أقلامهم سما على تاريخ الإمام يحيى وأسلافه.

أما الخلود التاريخي، فأرى أنه ليس بالضرورة أن يحالف صاحب الحق دائماً، بل صاحب العرض الجيد، والحضور الفاعل، والتواصل الإيجابي، وفقاً لروح العصر وأدواته. فالمتلقى للمعلومة في اليمن وخارجه - للأسف الشديد - لم يسمع صوتاً، ولم يقرأ حرفاً فيما مضى إلا وهو يصب في جانب الأعداء، الذين حشدوا كافة قواهم السياسية والإعلامية، وإمكانياتهم المالية، لممارسة التجهيل في حق الشعب اليمني، بتزوير تاريخه الحديث والقديم، وإعاقة الفساد فيه، بعد أن أخليت لهم الساحة.

إلا انه ما يبشر بالخير أننا نعيش اليوم فى عصر بدأت فيه مصابيح الحقيقة فى الاشتعال، فهناك عالم جديد قد بدأ يتشكل مع ثورة التقنية المعلوماتية التى يسرت أسباب المعرفة، واعدت مصادر التلقي، بما يحزر الجماهير من تضليل الإعلام المسيس، ومن الوصاية على العقول، إضافة إلى التحولات التى نشهدها اليوم مع ثورات الربيع العربى، التى كشفت دجل الأنظمة العسكرية، وعرت دهانها من المسؤولين، والكتاب، والصحفيين، فالتحول قادم لا محالة، ولن نتفاجأ مع سيادة النقاش الحر، وتحرر العقول من آثار التبعية، أن نجد شخصيات وقد تحولت إلى رمز للوطنية والطهر والفضيلة، بعدما كان ينسب إليها كافة المثالب، و شخصيات أخرى وقد تحولت إلى رمز للخيانة الوطنية، والهدم لكل معانى الخير، بعدما كانت تحظى بالإحترام والتبجيل والتصنيف، بوصفها رمزا للنقاء المطلق. وفى ظل هذه التحولات التى يشهدها عالمنا العربى، فإن أقل ما يمكن أن أقدمه من واجب، هو أن أساهم فى تحرير المفاهيم من سياقات الاعتساف والتزوير لتاريخ الإمام يحيى وأسلافه من الأئمة، بتسليط الضوء على الجوانب المضيئة من سيرتهم جميعا، والكشف عن حقائق مكتومة من مواقف وممارسات أعداء الإمام يحيى، الذين طالما تشدقوا بالطهر والنقاء، ورتلوا على مسامع الناس تراتيل الأخلاق، وألبسوا أنفسهم أثواب الوطنية، وهم أول من أفسدوا البلاد والعباد، وتاجروا بمصير بلادهم، ودمروا مستقبل أبنائهم، والحال الذى وصلت إليه اليمن اليوم من الانهيار الكامل، يقف شاهدا على ما جنته أيادى هؤلاء المدعين للطهر والنقاء والوطنية.

ولست ممن يقطع بالمثل فى هذا الكتاب، بأن الإمام يحيى كان كاملا منزها عن أى خطأ، فالكمال لله الواحد الأحد. والإمام يحيى من المؤكد أن له أخطاء تستحق النقد، لأن الخطأ لا يخلو من أية ممارسة سياسية، ووارد عند كل بنى البشر حكاما ومحكومين، إلا أنه ليس من طلب الحق فأخطأ، كمن طلب الباطل فأصاب، وليس من أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان، كمن أسس بنيانه على شفا جرف هار. فإن كان للإمام يحيى أخطاء، فقد كانت مفروشة بحسن النوايا، وكانت ضئيلة لا تذكر، كحبات الرمل فى جبل أخطاء العسكر، الذين حكموا من بعده، وتسببوا فى دمار اليمن وانهياره الكامل.

ولست أعترض على نقد الإمام يحيى، إن كان هذا النقد قائما على ميزان العدل، وعلى أساس منجزات محيطه وعصره، فإهالة القداسة على الإمام يحيى، أو الدفاع العاطفى عنه،

أو التبرير بالقول: إنه لم يكن بالإمكان أبدع مما كان، ليس في ذهني، بقدر ما يهمني الإنصاف بذكر الإيجابيات والسلبيات، وعدم الإغراق في النقد على حساب الحقيقة.

يبقى كلمة أخيرة، وهي أنه قد يجرح البعض في كتابي هذا، باعتبار أنني حفيد للإمام يحيى، ولكن لحرصى على التجرد، وتجنب الحقائق مظنة الميل والدعاية الكاذبة، فقد اعتمدت في كتابي هذا على مراجع من كتابات خصوم الإمام يحيى، المحسوبين ضده، قبل اعتمادى على مراجع من كتابات محبيه والمحسوبين عليه، إضافة إلى استشهادى بالمراجع المحايدة من كتابات الرحالة العرب والأجانب، الذين زاروا اليمن، وسجلوا ملاحظاتهم، وأخيرا اعتمادى الكبير على أرشيف الوثائق البريطانية، بما فيها من كنوز من المعلومات المطمورة، التي حرص خصوم الإمام يحيى على إبقائها طي الكتمان، ولم يجرؤوا على نشر محتواها، رفعا للحرع عن أنفسهم، لما فيها من إدانات دامغة ضدهم.

آمل من القراء الكرام أن يتقبلوا هذا الكتاب بالرضا والقبول الحسن، ونسأل الله لنا ولكم الهداية والتوفيق، وأن يرزقنا حقا ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.



## توطئة

لا يمكننا قراءة تاريخ الإمام يحيى بمعزل عن قراءة السياق التاريخي، والعصر الذى حكم فيه ١٩٠٤م - ١٩٤٤م. فالنصف الأول من القرن العشرين كان بحق فترة تحولات لم يكن لها نظير فى تاريخ البشرية، بما أحدثه من تلاحق سريع فى إيقاع الحياة، ونقله بشرية نوعية على الصعيد الفكرى و المادى، وفى ظرف زمنى وجيز، مقارنة بركود وبطء دوران عجلة تطور الحضارة الإنسانية فيما سبق من عصور، فخلال ألف عام مما سبق زمان الإمام يحيى، لم تتطور المجتمعات الإنسانية ولم تتسارع فيها المعرفة كما تطورت الحياة وتتسارع العلم خلال خمسين عاما من بداية القرن العشرين.

كل هذه التحولات فى عصر الإمام يحيى خلقت عالما آخر غير معهود، يعيش فى أزمان متداخلة يصعب فهمه واستيعاب متغيراته فى وسط الجزيرة العرب، الغارقة فى أسمال التقاليد البالية، والبعيدة كل البعد عن تفاعلات الفضاء الدولى الحديث، مما أصاب مجتمعاتها بحالة من الفصام والصدمة الحضارية. والمجتمع فى اليمن بطبيعة الحال لم يكن استثناء عن هذا البعد فى قوانين التطور البشرى، حيث لم تتعد نظرتة للكون عن حدود المعرفة التقليدية الموروثة عبر أجيال، بسبب وعورة الجغرافيا، وقرون من العزلة حرمت اليمن من التفاعل الحضارى والتواصل الفكرى مع العالم الخارجى، بسبب الحصار العثمانى الذى فرض التخندق فى الجبال.

وحيث إنه قدر للإمام يحيى أن يحكم فى عصر الانتقال والتحول، وهو من المفاصل الأكثر تعقيدا وخطورة فى تاريخ البشرية، وجدناه مطالبا من أصحاب الفهم المحدود بعد سقوط الدولة العثمانية بقطع قرون من العزلة فى ربع قرن فجأة، وبدون أية مقدمات أو تدرج (من الجمل إلى الطائرة بدون المرور بمرحلة العربة)، بل وجب عليه حرق المراحل بتجاوز خصوصيات الزمان والمكان، وتجاوز الإرث الدينى التقليدى المحافظ، وتجاوز ذهنيات الناس وأفهامهم ونمط تفكيرهم ورواسبهم النفسية والتاريخية التى ترسخت عبر أجيال، كل ذلك بجره قلم ليصل باليمن إلى مستوى دول المشرق العربى ومصر، ولم

يدرك هؤلاء أنه لا يمكن إلحاق اليمن جزافيا بالمدنية والتحضر بين ليلة وضحاها، دون المرور بالقوانين والنواميس التى تحكم مسيرة التاريخ، وتدرج إيقاعها الذى يتطلب حيزا من الزمان لالتقاط الأنفاس، والاستيعاب والتهيئة للتربة والمناخ، حتى تتشكل أجيال من الخبرة، ومن التجربة والخطأ، فمهما حسنت النيات وارتقت المقاصد، فليس بالإمكان تجاوز قوانين التطور الاجتماعى والثقافى، أو القفز عليها بقرار سياسى مهما أوتى الحاكم من قوة، فالتخلف ليس أمر عرضى يمكن معالجته بجرة قلم، بل يحتاج إلى وقت وطفرة ثقافية لتجاوزه، هذه سنة الله قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا، فلكل شىء وقت وميعاد.

أضف إلى ذلك، أن الصورة لن تكتمل فى الأذهان، ما لم ندرك التفاوت فى المراحل الحضارية بين الجزيرة العربية من جهة ومصر ودول المشرق العربى من جهة أخرى، حيث إن الأشقاء خارج جزيرة العرب قد سبقوا اليمن والجزيرة العربية فى الأخذ بأسباب التمدن والتحضر بقرن من الزمان، بسبب حملة نابليون على المشرق عام 1798م، التى صفتت المجتمعات هناك فأيقظتها من سباتها العميق. وبالرغم من السبق الحضارى للأشقاء، إلا أنهم لم يصعدوا السلم من آخره، بل مروا بالكثير من الكبوات والعثرات فى المراحل الأولى من الصدمة فى بداية القرن التاسع عشر، مثلما مر اليمن فى بداية القرن العشرين. ناهيك عن أن اليمن - خلافا للمجتمعات الزراعية والبحرية- يقطنها قبائل شرسة، عصية على التطويع، ذات نزوع دموى، فى ركن قصى من العالم، بالمقارنة مع مصر، حيث ان أرضها موطأ للغزوات منذ فجر التاريخ، ومجتمعها مجتمع فلاحين طوع لمن غلب، أو بلاد الشام، حيث أرضها ساحلية، ومجتمعها موطأ للتبادل الفكرى والحضارى، والانفتاح عبر التاريخ لرياح التغيير.

وهنا يتجلى المأزق التاريخى للإمام يحيى، الذى واجه التحديات والعثرات تحت وقع ضربات الصدمة الحضارية والواقع الجغرافى والظروف الإجتماعية، التى ما زالت ندوبها حتى اليوم تحفر عميقا فى المجتمع، بدليل الكتل العريضة فى اليمن والجزيرة العربية التى ما زالت حتى اللحظة ترفض قيم الحداثة، وترتبط ولاءها ومصيرها بالمعايير والمرجعيات القبلية، وتخضع لمطارق المؤسسات الدينية التقليدية، وتحارب عوامل التجدد

بمناهضتها حقوق الأقليات، والحريات العامة، وقضايا تمكين المرأة، وغيرها من القضايا، حتى وإن خدعتنا اليوم للوهلة الأولى القشرة الخارجية للمظاهر الحداثية في المجتمع اليمني، إلا أنه سرعان ما تتكشف الحقائق عند أول محك يعيد المجتمع إلى أصوله، فما بالك بالعشرينيات، والثلاثينيات، والأربعينيات من القرن الماضي، حيث طلب من الإمام يحيى أن يحسم مسألة الحداثة التي لم تحسم بعد حتى اليوم، وهل كان بالإمكان حسمها قبل بناء العقول.



## الفصل الأول

نسب الإمام يحيى ونشأته وطبيعة بيئته

هو الإمام الشهيد، المتوكل على الله، يحيى بن الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن الحسين ابن الإمام القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد بن أحمد ابن الأمير الحسين الأملحي بن علي بن يحيى بن محمد ابن الإمام يوسف الأشل بن القاسم ابن الإمام الداعي إلى الله يوسف الأكبر ابن الإمام المنصور بالله يحيى ابن الإمام الناصر أحمد ابن الإمام الهادي يحيى بن الحسين ابن الإمام ترجمان الدين القاسم بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم بن الحسن المثني بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب.

ولد بالحيمة في ١٥ ربيع الأول من سنة ١٢٨٦هـ، الموافق يونيو ١٨٦٩م، ونشأ بصنعاء، وتربى تربية إسلامية صرفة في بيت علم ودين تحت رعاية والده الإمام المنصور، الذي حرص على توجيهه في اكتساب الفضائل، وتنشئته تنشئة دينية وحرية تتفق والدور السياسي الذي كان يعده للقيام به، فما إن بلغ السادسة من عمره حتى دفعه إلى مشايخ العصر، فحفظ القرآن وختمه، وظل والده يحبب إليه الاشتغال بالعلم حتى أجاد فنونه، فداوم على حضور حلقات الدرس في صنعاء، وفي جبل الأنوم، والمدان، وشهارة<sup>(١)</sup>، بالإضافة إلى حضور دروس والده، حتى إذا كانت سنة ١٣١٠هـ، الموافق ١٨٩٢م استأذن والده في الطلوع إلى هجرة علمان ومعمرة للدراسة والقراءة على أكابر علماء عصره<sup>(٢)</sup>، حتى نال الإجازة بالتدريس، وهي الطريقة التي كانت متبعة في العصور الإسلامية القديمة، وما يزال بعض علماء الدين الإسلامي يسير عليها، ولم تحل المهام التي كان كلف بها الإمام يحيى من قبل والده، أو حتى عندما بويع بالإمامة، دون اشتغاله بالتدريس والإفادة<sup>(٣)</sup>.

نخلص من هذا بأن الإمام يحيى قد أعد إعدادا علميا مميزا لأكثر من ثلاثين عاما قبل تبوؤه منصب الإمامة<sup>(٤)</sup>. وقد انصبت اهتماماته على دراسة القرآن وحفظه، والتعمق في أصول الدين، وأصول الفقه، وعلم الكلام والمنطق والحديث، وفنون اللغة العربية من نحو، وصرف، ومعان، وبيان، وبلاغة<sup>(٥)</sup>. أما عن إبداعه في الشعر، وجزالة اللغة، وتملكه لخاصية البيان، فشعره مبذول في معظم مؤلفات العصر، وتحتاج إلى جهود الأدباء لجمعه<sup>(٦)</sup>.

يقول أمين الريحاني في كتابه (ملوك العرب): إنك لا تجد في ملوك العرب من هو أعلم من الإمام يحيى في الأصول الثلاثة: الدين، والفقه، واللغة، ولا من هو أكبر اجتهادا وأعز مادة منه. وله ذوق في الشعر والأدب، فيقضى بعض أوقاته في المطالعة، بل هو الشاعر الوحيد في حكام العرب جميعا<sup>(٧)</sup>.



أما عبدالحى الكتانى، صاحب كتاب (فهرس الفهارس)، الذى ذاع صيته بين العلماء، فقد ذكر أن الإمام يحيى كان خاتمة ملوك الإسلام الذين أجازوا وأجازوا<sup>(٨)</sup>. وبالإجمال، فالإمام يحيى يعد جديرا بأن يحظى بلقب العلامة والفقيه، فقد بلغ درجة جعلته يجيز عددا من العلماء فى مختلف العالم الإسلامى. فعالمية الإمام تبدو واضحة من خلال وثيقتين ما زالتا محفوظتين فى مكتبة الجامع الكبير فى صنعاء، وهما:

أولا: وثيقة إجازة الإمام يحيى إلى عبد المعطى السقا، أحد علماء الأزهر الشريف، الذى كان قد نشر الإرشادات السنوية فى الأحكام الفقهية فى مجلدين بين عام ١٩٠٣م وعام ١٩١٢م، وقد كتب إلى الإمام يحيى طالبا إجازة مروياته من العلوم الإسلامية لأخذ العلم عن أربابه، فأجازة الإمام يحيى بكتاب الإجازة الذى أرسله له فى شوال ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م<sup>(٩)</sup>. ثانيا: وثيقة اختيارات الإمام يحيى فى المعاملات. فالاختيارات فى الفقه والأحكام مسألة معروفة عند الأئمة الزيدية، وتتطلب اجتهادا يقوم على حل بعض المشكلات الصعبة فى المعاملات والأحوال الشخصية، ويبدو أن سوء الأوضاع القضائية فى اليمن إبان العهد العثمانى، وتسלט المشايخ على الرعايا، واللجوء إلى الأعراف والتقاليد عند أبناء القبائل لحل مشاكلهم، بما كان يخالف الشريعة الإسلامية، مثل المبالغة فى تقدير الدية، أو عدم توريث النساء مقابل إعطائهن ما عرف بالزيارة والعيارة، وغيرها من الأمور، كانت دوافع أوجبت الاختيارات، فعمد الإمام يحيى إلى حكامه فالزمهم أن تكون أحكامهم القضائية بموجبها<sup>(١٠)</sup>.

والملاحظ أن هذه الاختيارات تفيد بفتح ذهن الإمام يحيى على مشاكل الرعية، وحلها بطريقة شرعية مدنية معاصرة، وتظهر مدى قدرته على الاجتهاد، وتضلعه فى دراسة المذاهب الإسلامية، دون الانغلاق على مذهب واحد، حيث إن مذهب الإمام يحيى الراجح، هو التيسير على عباد الله ورعاية مصالحهم<sup>(١١)</sup>، وعلى هذا كانت اختياراته اختيارات جمهور المسلمين، وخروجا على المذهب الزيدى، وضيق المذاهب إلى رحابة الإسلام<sup>(١٢)</sup>.

ومما يجدر الإشارة إليه، أن كثيرا من هذه الاختيارات لم يكن من السهل هضمها فى المجتمع اليمنى، لاصطدامها بكثير من القيم والأعراف التقليدية، على سبيل المثال وليس الحصر، مسألة الكفاءة فى النسب، حيث كان من اختيارات الإمام يحيى فى هذه المسألة، أن « الكفاءة غير معتبرة مع بلوغ المرأة ورضاها ».

وقد تجلى ذلك واضحا في قضية عقد نكاح الشريفة فاطمة بنت هادى المطري، والذي اعترض عليه سادات غيل، حيث استندوا في دعواهم على ما جاء في الوايل شرح الأئمة للمذهب الزيدي في سياق الأنساب، إلا أن الحكم الشرعي صدر بصحة زواجها عام ١٣٧٥هـ، استنادا إلى اختيارات الإمام يحيى، ويظهر أن الإمام يحيى قصد من ذلك الاختيار، حل مشكلة العنوسة، ومنع الأولياء من تهديد الزوج بدعوى فسخ النكاح لعدم الكفاءة، لا بتزازه، أو لعدم تعطيل حظ الفتاة في الزواج إن لم ترض الزواج على هوى الأولياء<sup>(١٣)</sup>.

أما عن تنشئة الإمام يحيى الحربية، فقد بدأت بعد أن هاجر مع أبيه من صنعاء إلى جبل الأنوم، عندما بويع أبوه الإمام المنصور بالإمامة، حيث بدأ طورا جديدا من أطوار حياته، وهو يشاهد من كذب مجريات الأمور، ويشارك أباه في الأحداث مشاركة فعلية إيجابية، وعمره لا يتجاوز الواحد والعشرين. وفي هذا السياق، يقول المؤرخ الجرافى فى (المقتطف من تاريخ اليمن): قام سيف الإسلام يحيى ببعض الجهود الضخمة فى الاتصال بالقبائل، وتنظيمها، وتجهيز الجيوش منهم، للزحف على البلاد التى تحت يد الأتراك، وقد تلقاه الأهالى بالطاعة والترحيب<sup>(١٤)</sup>. ولقد عهد إليه بتقوية الحصون، والإشراف على توفير الإمدادات والمؤن، وقيادة الكثير من المعارك فى مواجهة الأتراك، مثل معارك القاهرة، والشاهل، وقشلة العساكر<sup>(١٥)</sup>.

### بيئة الإمام يحيى:

لقد كانت البيئة التى نشأ فيها الإمام يحيى امتدادا للبيئة التى نشأ فيها أسلافه من الأئمة، والبعيدة كل البعد عن قيم الحضارة الغربية، والعلوم العصرية، والحدثة بما فيها من تلاقح للثقافات وتبادل للمعارف. فالطبيعة الجغرافية للهضبة الشمالية فى اليمن، إضافة إلى ظروف الحصار العثمانى الذى فرض التخندق فى الجبال لقرون طويلة، أفرز واقعا يبرز تحت وطأة الارتياح من الغريب، خلافا لما هو حاصل فى المناطق المنخفضة من اليمن، وخاصة مدينة عدن وما يتبعها من المحميات.

فالقطاع الشمالى من اليمن كان منكفئا على الموروث الدينى التقليدى، وتراث التصورات القديمة التى ترسخت عبر تراكمات وأجيال متعددة. والنسيج الثقافى، والفكرى، والاجتماعى المحافظ، كان المتحكم فى سير المجتمع وحركته فى تلك المرحلة، مما جعل

الإمام محكوماً في توجهاته الفكرية والسياسية بسقف الرؤية الدينية لمجتمعه، والتي غلبت ما عداها من رؤى، استناداً إلى ظروف البيئة ومعطيات الواقع المعاش.

لم يكن المجتمع اليمنى يشعر بأى انتماء وطنى أو قومى بقدر ما كانت تغطي عليه المشاعر الدينية، فمن النادر أن نسمع من كان يتكلم عن العرب أو العروبة فى ذلك الزمان، فقط كلمة الإسلام والمسلمين هى الشائعة على كل لسان، إضافة إلى ذلك، فإن المجتمع كان يشعر بأن الإسلام الصحيح هو الإسلام السائد فى اليمن فقط، أما الإسلام لدى باقى الشعوب العربية، فكان ينظر إليه بعين الريبة والكثير من الشكوك<sup>(١٧)</sup>.

لقد كانت ذهنيات العامة وأفهامها فى عموم مناطق اليمن فى تلك المرحلة تعج بالخرافات والأساطير والتحجر، شأنهم فى ذلك شأن كل المجتمعات العربية التقليدية، سواء فى الجزيرة العربية أو خارجها. وعلى سبيل المثال، كانت النساء فى الأرياف إذا تعذر عليهن الوضع، يذهب أهلهن إلى بعض الفقهاء والمتدينين ليصنع لهن رقية تعلق إلى فخذهن، حتى يضعن المولود<sup>(١٧)</sup>.

كان الناس يدعون ويتوسلون بالموتى، ويتكلمون بأقوال توابيت أولياء الله المقبورين لعلاج من يصاب بالرمم<sup>(١٨)</sup>. كانت النظرة إلى المخالفين فى العقيدة من يهود ونصارى تتسم بالاشمئزاز والاحتقار، إلى درجة مساواتهم بالخنازير<sup>(١٩)</sup>، وكان مجرد ارتداء الزى الأوروبى من بنطال وربطة عنق، يعد عملاً فاسداً فاجراً أمام القبائل<sup>(٢٠)</sup>.

وحسبنا أن نستشهد فى هذا المقام بما ذكره أحد رواد المعارضة، المطالبين بالإنفتاح والإصلاح فى عهد الإمام يحيى، وهو أحمد محمد نعمان، حيث كتب فى مذكراته عن مطلع الثلاثينيات: كيف كانت نظرتة مشمئزة تجاه أحد المدرسين اليمنيين العائدين من عدن إلى شمال الوطن، معداً إياه فاسقاً يجب طرده من البلاد، لمجرد أنه كان يعزف على العود، وزاد على ذلك بأن اتهمه بالكفر والزندقة لقوله بكروية الأرض، لأن ذلك يتعارض مع قول الله تعالى: « والأرض بسطها للأنام ». وكيف أنه أوصى بطرده من المدرسة، لأنه يعلم الطلاب الرياضة البدنية، بدلاً من أن يدخلهم المساجد ليعلمهم العبادة<sup>(٢١)</sup>.

فإذا كانت هذه هى عقلية قطب من أقطاب المعارضة المطالبين بالإنفتاح والإصلاح فى الثلاثينيات من القرن الماضى، وهو الذى نشأ فى المناطق المنخفضة المحاذية لعدن، والتي تتسم بالانفتاح النسبى، مقارنة بالهضبة الشمالية التى نشأ فيها الإمام يحيى، فكيف يمكن

أن نتصور عقلية العامة من الناس في بيئة الإمام يحيى داخل شمال اليمن؟! أما خارج اليمن، فيكفي أن تستشهد بالحوار الذى أجراه أمين الريحاني فى مطلع العشرينيات مع أحد اليمنيين فى مدينة نيويورك، وهو من رواد المهاجرين الأوائل المنفتحين على الحضارة الغربية، مقارنة بمواطنيه فى اليمن، كيف أنه قال لأمين الريحاني بأننا - نحن اليمنيين - نذبج الأجنبي المتواجد فى بلادنا، ونظرتنا للمسيحي العربى كالأفرنجى الأجنبي نذبجهم سواء<sup>(٣٣)</sup>.

أما عن الجانب الاجتماعى فى اليمن، فمثلت العصبية القبلية ظاهرة بارزة غالبا ما طغت على ما سواها من الظواهر، وكثيرا ما أدت إلى نشوب الحروب والمنازعات<sup>(٣٤)</sup>. وظلت الروابط والمكونات القبلية تشكل بنيانا اجتماعيا، وثقافيا، وسياسيا، واقتصاديا متماسكا قويا<sup>(٣٥)</sup> وظل العرف القبلى والنظم القبلية المتوارثة هى المسيطرة على التنظيم الاجتماعى، والتى استطاعت أن تطبع المجتمع القبلى كله بجميع قبائله بطابع موحد<sup>(٣٦)</sup> يغلب عليه الحروب والمنازعات وأعمال السلب والنهب بين الوحدات القبلية المختلفة، بالإضافة إلى ترسيخ قوة بعض التقاليد والنظم الأخرى، مثل الأخذ بالثأر، والحرص على امتلاك السلاح، والتدريب على استخدامه<sup>(٣٧)</sup>.

ومما لا شك فيه، أن ظروف البيئة والمناخ، وكذلك العزلة السياسية والحضارية التى عاشتها القبائل اليمنية عبر قرون، قد أدت دورا مهما فى تثبيت هذا النمط من الحياة القبلية الاجتماعية<sup>(٣٨)</sup>.

أما عن الجانب السياسى، فلا شك أن ما واجهته الدول التى حكمت اليمن عبر مراحل تاريخية متعددة من مقاومة ومعارضة شديدة من قبل القبائل التى كانت ترفض السياسة الهادفة إلى توحيد اليمن، والقضاء على استقلال الجماعات القبلية، والحد من نفوذها<sup>(٣٩)</sup>، وما واجهته كذلك من حملات غزو واحتلال أجنبي كان يغذى الصراعات الطائفية، والسياسية، والقبلية، كان له أكبر الأثر فى عدم الاستقرار، والتدهور والاضطراب السياسى، وانتشار القوضى والحروب، وفقدان الأمن، ولا يمكن أن نتغافل أيضا عن المنازعات المحلية، سواء بين الأئمة أنفسهم أو بين الدويلات اليمنية القحطانية نفسها، أو بين الأئمة وحكام الدويلات اليمنية القحطانية. وجميع هذه التراكمات أدت بالقبيلة إلى الاحتفاظ بنظامها، واستمراريتها، وروحها القتالية، والتى بدورها أهلتها لأن تؤدى دورا مؤثرا فى الحياة السياسية<sup>(٤٠)</sup>.

أما عن الجانب الاقتصادي، فإن عملية الإنتاج، سواء الزراعي، أو الحيواني، أو الحرفي، كان يتحكم فيها المفاهيم والقيم والمعايير الثقافية القبلية، وليس متطلبات السوق، أو الربح والاستثمار، كما ظل رجل القبيلة هو الآخر يرفض قيم السوق وسلوكه، وهذا الرفض يرجع في الأصل إلى طبيعة النظرة التي من خلالها تتحدد القيم والمفاهيم للأعمال المهنية والحرفية التي تقوم بها الفئات الوضيعة، حسب اعتقاد رجل القبيلة، ومنها مهنة البيع والشراء.

وقد امتد هذا الرفض والاحتقار إلى المحاصيل الزراعية التي ينتجها الفرد أيضا، حيث كان يعاب على رجل القبيلة القيام بزراعتها أو بيعها، ولذلك ارتبطت زراعة الخضراوات وبيعها في الأسواق بفئة معينة يطلق على الفرد من أعضائها كلمة قشام<sup>(٣٠)</sup>.

وعموما، فإن ظاهرة احتقار الأعمال الحرفية والمهنية لم تكن مقصورة على المجتمع القبلي اليمني، بل نجدها منتشرة في كثير من المجتمعات القبلية والبدوية، وخاصة في الجزيرة العربية<sup>(٣١)</sup>، حيث يرى رجال القبائل أن حياة الرجولة والبطولة والشجاعة تتمثل في حالات الغزو والحرب فقط<sup>(٣٢)</sup>، لذلك لم يكن غريبا أن نجد أرزاق القبائل اليمنية تنحصر في رماحهم، ومعاشهم بأيدي غيرهم، وهم يتخذون حرفة القتال وسيلة من وسائل الكسب.

بعد أن استعرضنا هذه المنظومة من الحقائق المتراكمة عبر التاريخ، التي لم يكن الإمام مسؤولا عن تأسيسها، ولا تحمل وزرها، هل ندرك حجم التركة الثقيلة الملقاة على عاتق الإمام يحيى، بوصف أن عهده كان العتبة الفاصلة ما بين العصور القديمة والعصور الحديثة، بما لم تعرف اليمن فيما روى عن تاريخها مثيلا. والسؤال الذي يطرح نفسه: هل كان يقابل هذه الحقائق هامشا من الوسائل المتاحة تمكن الإمام يحيى من تجاوز هذه العتبة في فترة قياسية؟ وهل كانت العلة في شخص الإمام يحيى وطبيعته أم في خصوصية الزمان والمكان الذي تواجد فيه بما فيه من خطورة وتعقيد يستعصى على الحل السريع؟ واضح لكل ذى عقل أن تبسيط هذا المشهد على نحو يعد أنه بقرار سياسى يمكن قلب ثقافة وذهنية ونمط تفكير مجتمع ١٨٠ درجة بين ليلة وضحاها، لأمر لا يخلو من الجهالة والشطط.

## المراجع

- ١ - (سيرة الإمام يحيى حميد الدين، القاضي عبد الكريم بن أحمد المطهر، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد عيسى صالحية، الجزء الأول، الطبعة الأولى، ص ١٢).
- ٢ - (المصدر نفسه، ص ٢١).
- ٣ - (المصدر نفسه، ص ٣١).
- ٤ - (المصدر نفسه، ص ١٠٨).
- ٥ - (المصدر نفسه، ص ٢٦).
- ٦ - (المصدر نفسه، ص ٢٨).
- ٧ - (ملوك العرب، أمين الريحاني، الجزء الأول، ص ١٧٨، غير مذكور رقم الطبعة او تاريخها).
- ٨ - (سيرة الإمام يحيى حميد الدين، القاضي عبد الكريم بن أحمد المطهر، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد عيسى صالحية، الجزء الأول ٤٩، ص، الطبعة الأولى).
- ٩ - (المصدر نفسه، ص ٣٢).
- ١٠ - (المصدر نفسه، ص ٥٨ - ٥٩).
- ١١ - (المصدر نفسه، ص ٧٣).
- ١٢ - (المصدر نفسه، ص ٦٣).
- ١٣ - (المصدر نفسه، ص ٦١).
- ١٤ - (تكوين اليمن الحديث، سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص ٦٦ - ٦٧).
- ١٥ - (سيرة الإمام يحيى حميد الدين، القاضي عبد الكريم بن أحمد المطهر، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد عيسى صالحية، الجزء الأول، ص ٧٦ - ٧٧، الطبعة الأولى).
- ١٦ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ٣٥).
- ١٧ - (مذكرات أحمد محمد نعمان، الطبعة الأولى، ص ١٤).
- ١٨ - (المصدر نفسه، ص ٣٠).
- ١٩ - (ملوك العرب، أمين الريحاني، ص ١٨٧، مصدر سابق).

- ٢٠ - (تكوين اليمن، د. سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص ١٦١).
- ٢١ - (مذكرات أحمد محمد نعمان، الطبعة الأولى، ص ٣٢).
- ٢٢ - (ملوك العرب، أمين الريحاني، ص ٧٨، مصدر سابق).
- ٢٣ - (البنية القبلية في اليمن بين الاستمرار والتغيير، الدكتور فضل علي أحمد أبو غانم، الطبعة الثانية، ص ٩٠).
- ٢٤ - (المصدر نفسه، ص ١٩٨).
- ٢٥ - (المصدر نفسه، ص ١١٥).
- ٢٦ - (المصدر نفسه، ص ١١٠).
- ٢٧ - (المصدر نفسه، ص ٤٣).
- ٢٨ - (المصدر نفسه، ص ٧).
- ٢٩ - (المصدر نفسه، ص ٦٩).
- ٣٠ - (المصدر نفسه، ص ١٨٣).
- ٣١ - (المصدر نفسه، ص ٥٤).
- ٣٢ - (المصدر نفسه، ص ٥٥).



**الفصل الثاني**  
**مدرسة الإمام يحيى الفكرية**



بعد أن استعرضنا نشأة الإمام يحيى وطبيعة البيئة التي عاش فيها، لا يمكننا إغفال المدرسة الفكرية التي ينتمي إليها، والتي تعد نقطة الارتكاز في انطلاقته لتأسيس الدولة اليمنية الموحدة في العصر الحديث، باعتبار أن هذه المدرسة شكلت الشوكة والعصبية والتنظيم القوى الوحيد، الذي مكن الإمام يحيى من مواجهة العثمانيين والإنكليز لانتزاع الاستقلال ومحاربة التبعية.

ينتمي الإمام يحيى إلى مدرسة الإمام زيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضوان الله عليهم - المسماة بالمدرسة الزيدية، التي من سماتها الانفتاح على جميع المذاهب الإسلامية المعتبرة، والتشبع بروح التسامح والقبول لكل آرائها، ما دام لها ملتصقا من هدى النبي، أى كان طريقه دون تعصب، أو جمود، أو انغلاق، بالإضافة إلى التجديد المستمر دون التقييد باجتهد فرد من أئمة هذه المدرسة أو علمائها. وللعلم، فإن نسبة الزيدى إلى الزيدية، تعنى النسبة إلى الفكر الزيدى ككل، وهى نسبة انتماء واعتزاز، وليس نسبة مذهبية إلى الإمام زيد بن علي، كنسبة الشافعى أو الحنفى مثلا إلى الأئمة الشافعى وأبى حنيفة، والسبب فى ذلك، الآتى:

• لأن هذه النسبة لكلمة الزيدية لم يطلقها الإمام زيد على أتباعه، ولا أطلقها فى البداية أتباعه على أنفسهم، وإنما أطلقها حكام بنى أمية على كل ثائر عليهم من أهل البيت النبوى الشريف، بعد ثورة الإمام زيد بن علي، ولكن الزيدية الطائفة قبلتها، ورضيت بها، لأنها أصبحت شعار حرية، وعزة، وكرامة، وجهاد، وتضحية فى سبيل الله، والمستضعفين من عباد الله، ثم صارت لديهم اسما لأئمة أهل البيت ومن تابعهم فى الاعتقاد المذكور سابقا.

• لأن الزيدية لا يرون أن الإمام زيد بن علي أولى بالتقليد من غيره من أئمة آل البيت، ولذا فالزيدية لا ينتسبون نسبة مذهبية إلى واحد من أئمة آل البيت بعينه منهم، وإنما يتمسكون بمذهب آل البيت النبوى الشريف عموما، للأحاديث الواردة فى ذلك، كحديث التمسك بالثقيلين، المروى فى صحيح مسلم وغيره.

• لأن من قواعد الزيدية، حرية البحث الدينى فى المسائل وأحكامها، وعدم الاعتراض على أى من المجتهدين فى العمل، بما أدى إليه اجتهاده، فكل مجتهد مصيب بشرط أن يصدر عن عارف بعلوم الاجتهاد، وألا يخرق الإجماع فى المسائل التى قد أجمعت الأمة عليها.

• لأن المذهب الزيدى يحرم الجمود على التقليد لكل متمكن من أخذ الحكم من كتاب الله وسنة رسوله، أو غيرهما من الأدلة الشرعية، ولا يبيحه فى الفروع إلا لغير المتمكن من الاجتهاد، لقوله تعالى: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون).

وبذلك نخلص إلى أن الزيدية ليسوا مقلدين للإمام زيد، ولا مرتبطين باجتهاداته حرفياً، لا يخرجون عن قوله فى شىء، وأن الفقه الزيدى ليس كله فقه الإمام زيد، بل هو خلاصة اجتهادات ودراسات واسعة وعميقة فى كل مجالات الفقه الإسلامى، وجهود مضنية استمرت فى البحث والتنقيب والتصفية لأكثر من ألف عام، وقد قام بتلك الأبحاث والدراسات أئمة أعلام من أهل البيت، كالإمام الهادى، والناصر، والقاسم الرسى، وأحمد بن يحيى المرتضى، ويحيى بن حمزة، وغيرهم، ممن جاؤوا من بعد الإمام زيد، وعلماء أعلام من خارج آل البيت، كان لثمرة أفعالهم واجتهاداتهم فضل كبير فى إثراء المذهب الزيدى، كالعلامة حسن الشيبى، صاحب مؤلف المعتمد، وابن حريوه مؤلف العدة، وزيد الغرسى، صاحب المؤلف آية التمام على أصول الأحكام، وأحمد العنسى صاحب التاج المذهب، وابن هبران صاحب الدرر، إضافة إلى الإمام الشوكانى، صاحب كتاب نيل الأوطار، والعلامة صالح بن المهدي المقبلى<sup>(١)</sup>.

ولتجاوز التقليد لاجتهادات الإمام زيد، اتجه فقهاء الزيدية إلى جمع كل آراء أئمة الزيدية ونقلها إلى الأخلاف، لتكون مادة للدراسة والبناء والتخريج فيها، واستنباط العلل التى بنيت عليها الأقيسة، وتكوين القواعد الفقهية التى يمكن أن تطبق لاستخراج أحكام الحوادث المختلفة، ولم تمنعهم تلك الدراسة من الاجتهاد فى دائرة المذهب، بل لم تمنعهم من الاختيار من المذاهب الأربعة وغيرها، وبالتالي أطلق اسم الزيدية فى عرف أهل المذهب على أئمة أهل البيت النبوى الشريف، ومن تابعهم فى العدل والتوحيد، ومن يقولون بتفضيل الإمام على - كرم الله وجهه - وأولويته بالإمامة مع عدم تقديسه، كما فعل الغلاة من الشيعة، وعدم الطعن فى إمامة الشيوخين أبى بكر وعمر، حيث إنه من المبادئ الأساسية للمذهب جواز إمامة المفضل مع وجود الأفضل، استناداً لما قاله الإمام زيد بن على من أن الخلافة فوضت إلى أبى بكر لمصلحة رأوها، وقاعدة دينية راعوها من تسكين ثائرة الفتنة، وتطبيب قلوب العامة، فإن عهد الحروب التى جرت فى أيام النبوة كان قريباً، وسيف أمير المؤمنين - عليه السلام - لم يجف بعد، والضغائن فى صدور القوم من

طلب الثأر كما هي، فما كانت القلوب تميل إلى على بن أبي طالب كل الميل، ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد، وكانت المصلحة أن يكون القيام بهذا الشأن لمن عرف باللين، والتودد، والتقدم في السن.

وخلاصة القول في هذه المسألة، أن الزيدية تقبل القيادة الصالحة التي ترتضيها الغالبية من الأمة، وإن ترجح لديهم أفضلية على بن أبي طالب وذريته من أهل البيت، ولكنهم لا يفرضون هذا الإيمان على أحد، ولا يعادون من خالفهم، ولا يفسقون، ولا يضللون، ففي رأيهم أن أهل السنة إن كانوا يؤمنون بحصر الإمامة في قريش، فإن الزيدية يؤمنون بحصر الإمامة في أهل البيت.

وتعد الزيدية من أكثر المذاهب الإسلامية اعتدالا، حيث نجد فيها قابلية للتعاطي المتسامح مع المختلف فكريا ومذهبيا. فالزيدية أبعد ما تكون عن داء الانغلاق والعصبية الذي ابتليت به بعض المذاهب الإسلامية، فهم يؤمنون بالحوار والنقاش الحر، ويقارعون الحجة بالحجة، ولا يؤمنون بأحادية الفكر، ولا بالإقصاء، أو الإلغاء، أو التهميش، أو التضليل، أو التبديع، أو التفسيق لمخالفهم، بل إن الزيدية تعد أن كل مجتهد مصيب في المسائل الخلافية، وخاصة الفرعية منها، فالحق مشترك بين الجميع، ولذلك فإن على أتباع الزيدية - كما تنص قواعد المذهب - أن يعتقدوا صحة فعل المخالف لفعالهم، حتى وإن كان هذا الفعل يتناقض مع اجتهاد الزيدية، ففعل المخالف المجتهد صحيح ما دام يعتقد صحته، وفعل الزيدى صحيح ما دام يعتقد صحته، وبهذا نستطيع القول بأن المذهب الزيدى لا يعرف القطعية في الرأي، كما عرفت بعض المذاهب والتيارات الأخرى. والدعوى بأن ما نقول، هو وحده الإسلام الصحيح، والمخالف لنا مبتدع، دعوى لا تعرفها الزيدية، وأستشهد في هذا السياق بأحد أعلام الزيدية البارزين، وهو الإمام يحيى بن حمزة، حيث نجد في كتابه (الانتصار على علماء الأمصار) ما يشير إلى تصويب الآراء في المسائل الخلافية والأنظار الاجتهادية، حيث يقول: «إن الأمة انقسمت إلى فريقين حيال المسائل الخلافية التي لم يرد فيها دلالة قاطعة، الفريق الأول يقول بأن الواقعة ليس فيها حق معين، وأن الآراء كلها حق وصواب، والفريق الآخر يقول: إن في الواقعة حكما لله - تعالى - معينا، وما عداه في الأقوال فهو باطل، والذي نرتضيه هو ما قاله أصحابنا والمعتزلة، وذهب إليه محققوا الأشعرية والفقهاء، وهو أن الواقعة ليس فيها حكم معين لله،

وإنما يكون على نظر المجتهد ورأيه، فإذا نزلت به الحادثة، وأعمل فيها نظره، وأتعب فيها فكره، وسأل من الله - تعالى - توفيقا وتسديدا لإصابة الحق، وكان جامعا لعلوم الاجتهاد، محرزا لها على شروطها المعتبرة، فإنه متى أدى نظره إلى حكم من الأحكام من تحليل، أو تحريم، أو غيرها من سائر الأحكام الشرعية، فإن حاله يكون حقا وصوابا عند الله تعالى»<sup>(١)</sup>.

أما إذا اطلعنا على منهج الزيدية في العرض، فسوف ندرك سماحتهم تجاه الخصوم، إذ تعرض كتبهم مختلف الآراء على السواء في نزاهة وموضوعية، ثم يرجح المفكر ما يراه، لا شطط، ولا إسفاف، ولا ارتداء زى كهنوت، وإصدار أحكام التكفير على المخالفين، وأدعو القراء إلى تصفح كتاب (متن الأزهار في فقه الأئمة الأطهار)، لمؤلفه الإمام أحمد بن يحيى المرتضى، الذي يعد خلاصة الفقه الزيدي الموثق لهذه الحقيقة، بل إن الزيدية في جوهرها لا تعترف بالمذهبية، ولا يوجد لها صياغة نهائية في مجال الفكر والمذهب، فهي تحتوى على تنوع وأفق مشترك مع الكثير من المذاهب، فنجد في الزيدية مثلا تيار ذات نفس إمامي اثني عشرى يسمى بالجارودية، وإن كان قد تلاشى واطمحل تاريخيا، ولم يعد له اعتبار لدى الزيدية المعاصرة، إلا أنه قد انبعث من جديد في منطقة صعدة، كردة فعل على الاستفزازات السلفية التكفيرية.

ونجد في الزيدية كذلك تيارا آخر ذات نفس سلفي سني يتمثل في مؤلفات كثير من العلماء الزيود، الذين مالوا باجتهاداتهم نحو المدرسة السنية، وتركوا فيها أثرا كبيرا، مثل الإمام الشوكاني، الذي غزت مؤلفاته في السنة وأصول الفقه، وكان أهم كتبه التي ارتكز فيها على الفقه السني كتاب نيل الأوطار والسييل الجرار، إضافة إلى العلامة محمد بن إبراهيم الوزير، صاحب كتاب الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم، وكتاب إيثار الحق على الخلق، وكتاب العواصم والقواصم، إضافة إلى العلامة صالح بن المهدي القبلي، صاحب المؤلف العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ، وكتاب الاتحاد في الرد على الكشاف، والعلامة محمد بن إسماعيل الأمير، صاحب كتاب سبيل السلام، إضافة إلى الحسن بن أحمد الجلال، المتأثر بمدرسة أهل الحديث، والجامع للكثير من التصانيف والمؤلفات التي نحى بها نحو مدرسة أهل السنة.

ونجد في الزيدية أيضا تيارات أخرى، جمعت في جوهرها ما بين التشيع والتسنن، ومنهم السليمانية، الذين يرون أن عليا بن أبي طالب أولى بالخلافة من غيره من الصحابة، دون الطعن في خلافة أبي بكر وعمر، أما رأيهم في عثمان، فيرون أنه قد أحدث في النصف الثاني من خلافته بما لا يليق بسيرة الصحابة الكرام، وبالتالي فهم يطعنون في النصف الثاني من خلافته، ويتبرؤون من أعماله خلال هذه الفترة.

وأخيرا، فهناك تيار يطلق عليه بالبتيرية أو ما يسمى بالصالحية، وهم الغالبية العظمى من الزيود الذين سادوا في اليمن، ويصنفون على أنهم الأساس والواجهة الرئيسية المعبرة عن المذهب الزيدي هناك، وهم أيضا يرون أن عليا بن أبي طالب أولى بالإمامة من أبي بكر وعمر، لكنه سلم الأمر لهم راضيا، وفوض الأمر إليهم طائعا، وترك حقه راغبا، وبالتالي فالبتيرية يتولون الشيخين ويتبرؤون ممن اعتدى على مقامهما، انطلاقا من تجويزهم لخلافة الفضول مع وجود الأفضل. أما موقفهم من عثمان وإن انتقدوا أخطاءه، ولكنهم لم يصدروا حكما عليه بحق أو باطل، بل توقفوا في أمره، موكلينه إلى الله، كونه من العشرة المبشرين بالجنة.

ولعل هذا ما يفسر التنوع والثراء، والتعدد في الآراء والاجتهادات لدى الزيدية، دون إنكار من أحد على الآخر، فباب الاجتهاد مفتوح على مصراعيه، ولم ينقل إلينا المؤرخون أنه قد حصل بين هذه التيارات الزيدية المتنوعة شيئا من الخلافات أو الاصطدامات التي تجعلنا نقول بافتراقهم، سوى الخلافات الداخلية التي لا تخرج أحدا من إطار المظلة الزيدية.

وهذه المعطيات الأنفة الذكر، جعلت كثيرا من العلماء والطوائف المختلفة، سواء من السنة أو الشيعة يشككون في استقلالية المذهب الزيدي، ويدعون أنه الأقرب إليهم، والأكثر انسجاما معهم، فالجماعات السننية تدعى أن الزيدية منهم وفيهم، والجماعات الشيعية تدعى هي الأخرى كذلك، وكل يدعى وصلا بليلي، وليلي لا تقر لهم بذاكا. ففي مجال العقيدة والأصول، صنف الزيود من قبل الكثيرين على أنهم امتداد للمعتزلة، وفي مجال الفقه والفروع صنفوا على أنهم من الحنفية، وفي مجال السياسة صنفوا على أنهم من الشيعة، وهكذا دواليك.

أما الزيود فيقولون: إن كل من دان بمبادئهم في أصول الدين، فله أن يكون بالنسبة للفروع والمسائل الفقهية ما يشاء، فليكن شافعيًا، أو حنفيًا، أو مالكيًا، أو حنبلية، أو مجتهدًا إذا كان يملك وسائل الاجتهاد، وبالتالي فإن زيدي المذهب ليس بالضرورة أن يتقيد

بكل أقوال فقهاء الزيدية في كل المسائل الفقهية، لذلك ربما جاز لنا القول: إن إطلاق صفة الفكر على الزيدية يعد أكثر دقة من صفة المذهب؛ لأنه لم ينظم تعاليم فقهية نهائية وقاطعة، مثل كثير من المذاهب والفرق الإسلامية، بل وضع عددا من القواعد الفقهية الأساسية، فاتحا الباب على مصراعيه أمام حركة الاجتهاد والتجديد المستمر، بالإضافة إلى اهتمامه الملحوظ والبارز بدائرة المصالح المرسلة في التشريع الإسلامي، الذى يعنى بالشؤون الحياتية للإنسان والمجتمع فى الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، وبحثه لعدد من القضايا الفلسفية التى ما تزال مدار بحث وخلاف، كمنظرية المعرفة، وتأكيد على دور العقل الإنسانى، واعتباره المركز الأمثل للإيمان، لذا لم يكن مستغربا أن نجد اليمن فى ظل حكم الأئمة الزيديين تعيش فى سلم وأمن اجتماعى فى ظل هذه التعددية الفكرية، بعيدا عن أى وباء مذهبي، فالعلاقة بين الزيود والشوافع اتسمت بالتواد والتراحم، والحب والألفة، والاحترام المتبادل منذ دخول المذهبين إلى اليمن فى وقت متقارب فى القرن الثالث للهجرة، فما كان يلفت النظر فى اليمن حتى فترة قصيرة ماضية، أن التعايش المذهبي بين السنة والشيعة فى اليمن، كان يمثل دون مبالغة أرقى أشكال التعايش فى العالم الإسلامى، يفصح عن ذلك تتلمذ الطلبة من الزيود والشوافع عند مشايخ الفريقين، والتزاوج بين أتباع المذهبين، والمناشط التجارية المشتركة، وغياب العناوين المذهبية فى المساجد والجوامع، وصلاة اليمنيين خلف أى إمام دون أن يسألوا عن مذهب، وإن كان حصل حروبا أو صراعات ما خلال حقبة الأئمة، فدافعها كان سياسيا بحتا، وصراعا على السلطة، كما هو حاصل عند باقى بنى البشر، وليس صراعا مذهبيا أو عنصريا، كما ابتليت به اليمن منذ قدوم الفكر التكفيرى من الخارج، بل نجد الزيود فى اليمن يعدون كل أهل السنة إخوانهم، يحبونهم، ويحترمونهم، ويجلون علمائهم، بالرغم من اختلافهم الفكرى والمذهبى، بل أكثر من ذلك، نجد أن التقارب والألفة بين الشوافع والزيود بلغت حدا، إلى درجة مشاركة الشوافع فى اختيار الأئمة الزيديين من بين المرشحين للإمامة، حيث تجرى مناظرة فقهية وفكرية يتولاها فقهاء وعلماء من المذهبين الزيدى والشافعى<sup>(٣)</sup>.

أما عن سماحة أئمة الزيدية مع مخالفيهم فى الفكر والعقيدة المذهبية، فتتجلى أسمى معانيها فى عهد الدولة القاسمية فى اليمن، التى ظهر فيها بعض المجتهدين المخالفين لفكر الدولة الرسمى والتيار التشيعى الغالب على المجتمع، كما حصل بين الإمام المتوكل

على الله إسماعيل والعلامة الحسن بن الجلال، الذى نحت مؤلفاته واجتهاداته نحو مدرسة أهل السنة، وألف كتاب براءة الذمة فى نصيحة الأئمة، معترضاً فيه على بعض توجهات الإمام السياسية مع قبائل بلاد يافع والمشرق، ومع ذلك لم نجد فى موقف الإمام المتوكل ما يشير إلى الاستعداد وإثارة الحفيظة لديه، بل استمر الإمام المتوكل فى ود العلامة ابن الجلال واحترامه، ومنع الأذى عنه من قبل العامة<sup>(٤)</sup>.

وكما حصل من حماية الإمام المنصور بن على بن المهدي عباس، وابنه الإمام المتوكل أحمد بن المنصور، وحفيده الإمام المهدي عبد الله بن المتوكل للعلامة الشوكاني من هجمات بعض الغلاة من الشيعة، الذين أرادوا التعرض له بالسوء، لاجتهاداته السنية الخارجة عن المؤلف فى المجتمع اليمنى آنذاك، ولم يكتف هؤلاء الأئمة بحمايته، بل ولوه رئاسة القضاء لثلاثة عهود، واستوزروه مستشاراً للدولة، بالرغم من نفسه السنى<sup>(٥)</sup>. ولم يمنع تسنن الشوكاني من نشر فكره وانبعائه على يد الأئمة الزيديين.

وموقف آخر يستشهد به، هو تولية الإمام المنصور الحسين بن القاسم للعلامة محمد بن إسماعيل الأمير منصب الخطابة فى الجامع الكبير فى صنعاء، بالرغم من اعتراض العامة واحتشادهم للثورة بسبب اجتهادات ابن الأمير التى مالت نحو مدرسة أهل السنة، إلا أن الإمام المنصور لم تأخذه الطائفية، ولا داء العصبية، بل أصر على موقفه فى تولية ابن الأمير وحمايته<sup>(٦)</sup>. وموقف آخر يوضح رحابة صدر الأئمة عند مجادلتهم لخصومهم من المفكرين، هو ما حصل من الشاعر والعلامة المعروف نشوان الحميرى، الذى تعدى حدود اللياقة والأدب فى الجدل والخصومة مع الأئمة، إلى درجة أن بدأ ينشد أقذع الأشعار فيهم، وبالرغم من ذلك تجاهلوه، ولم يتعرضوا له بالأذى والسوء<sup>(٧)</sup>.

وفى العصر الحديث نستطيع أن نستشهد بمواقف الإمام يحيى حميد الدين فى نشره كتب أهل السنة، وأمره بإرادة رسمية ثانياً أولاده محمد البدر بالإشراف شخصياً على طبع هذه الكتب، التى كانت تتعارض مع النفس التشيعى السائد فى المجتمع<sup>(٨)</sup>، إلى درجة أن اتهم غلاة الشيعة الإمام يحيى بأنه معنق لمذهب أهل السنة خفية<sup>(٩)</sup>، إضافة إلى مواقف ابنه الإمام أحمد، الذى أبدى تعاطفاً مع أهل السنة، فكف عنهم الشغب الذى كانوا يتعرضون له من قبل بعض الشيعة المتزمتين، إلى درجة أن أمر الإمام أحمد بسجن البعض من الزيود الذين تعرضوا بالأذى للشيخ أحمد بن سلامة، وهو أحد علماء السنة الشافعيين<sup>(١٠)</sup>، فهل هناك إخاء وسماحة مع المخالف أكثر من ذلك؟!

وبهذا نفهم أن الفكر الزيدى لا يحمل ضغينة تجاه أحد من مخالفيه، ولم يواجه الزيدون في اليمن أية مشكلة مع إخوانهم السنة عبر تاريخهم الطويل في اليمن لأكثر من ألف ومائة عام، من التعايش والتراحم والتناغم الجميل تحت ظل الأئمة الزيديين، سوى مشكلة وحيدة برزت مؤخرا في الثلاثين سنة الأخيرة، مع قدوم الفكر السلفى التكفيرى المتشبهت بالنظرة الأحادية، والمتشعب بمقولات الكراهية والعداء للمختلف، الذى فتح له الرئيس السابق على عبد الله صالح أبواب اليمن على مصراعيها. هذه المشكلة هى نفسها التى يواجهها العالم اليوم وكافة المجتمعات الإسلامية مع السلفيين التكفيريين، الذين شوهوا سمعة الإسلام، وقتلوا سماحته، وصيروه مشكلة عالمية، باختزالهم للدين بالحرب على الآخر، واستباحة دمه، وباحثقارهم للعقل، وبأخذهم للنصوص الدينية دون روحها ومقاصدها وسياقها الذى جاءت فيه، ومما زاد فى حدة المشكلة، الرغبة الملحة لهؤلاء التكفيريين فى فرض نموذجهم المتطرف، وقناعاتهم المتخلفة بالقهر والإخضاع القسرى للمجتمعات، دون أن يؤمنوا بمبدأ التعايش ولا المشاركة، ولا بقيم التسامح والقبول للآخر، ولا بالحقوق المتساوية بين المسلمين، إلى درجة أنهم يحرمون فى عقائدهم مجرد المجالسة، أو المصافحة، أو السلام، أو حتى التبسم فى وجه من يخالفهم فى العقيدة أو المذهب، معتبرين أنه ليس فى الدنيا متمسكا بالإسلام الصحيح غيرهم، فهم - حسب زعمهم - الطائفة الوحيدة المنصورة والناجية من النار، وغيرهم من المسلمين مبتدعة وعلى ضلالة، بل وصل بهم الأمر إلى درجة وضع كل فئات المسلمين فى خندق الأعداء، وإخراج أكثر أهل القبلة عن دائرة الإسلام، لمجرد الخصومة الفكرية معهم.

فالشيعية فى نظرهم كفار، والأشاعرة كفار، والصوفية كفار، والأباضية كفار، وكل من كان خارجا عن خطهم ومذهبهم، ليس بمسلم. ولم تبدأ الفتن المذهبية فى اليمن إلا مع قدوم هؤلاء إلى البلاد بتشجيع من السلطة، فأشعلوا الحرائق بفكرهم المولع بالكراهية والتصنيف، ونشروا الرعب بشرعنة ثقافة الموت، واستباحة الدماء والاستهانة بالأرواح، وأذاقوا المواطنين الويل منذ مطلع الثمانينيات من القرن الماضى، بتحويلهم المجتمع فى اليمن إلى ساحة احتراب وبؤر متخندقة تترىص بعضها بعضا، وبقلبهم للمساجد إلى منظمات حزبية تكفيرية، وبجعلهم من المعاهد العلمية الدينية الخاصة بهم مصانع لتفريخ الانتحاريين، تبرمج العقول بالتطرف، وبمفاهيم ضيقة عقيمة طاردة للتفكير العقلانى،



ومعادية لقيم التسامح والوسطية. وما تحول اليمن إلى ملاذ آمن لتنظيم القاعدة، وبروز ما يسمى بالظاهرة الحوثية التي ظهرت كردة فعل طبيعية على التطرف السلفي، إلا جانب من علة التكفيريين الفكرية، وإفراز طبيعي من إفرازات دخولهم مع أمراضهم إلى اليمن، مما يشقى بخطرهم على السلم والأمن الاجتماعى، ليس فى اليمن فحسب، بل على الإنسانية جمعاء.

والسؤال المنطقي الذي يطرح نفسه: هل من قبيل المصادفة أن نجد أن الخراب يحل أينما حل هؤلاء، الذين أصبحوا مصدر الشرور فى العالم، أم أن السبب الحقيقي وراء ذلك، هو الخلل البنىوى العضوى فى طبيعة تركيبية ذلك الفكر المؤصل للإرهاب والمهم للتوحش ولأيديولوجيا العنف، والغير القابل للاندماج مع معطيات العصر او مع احد من البشر؟ فإضافة إلى ما حل بشمال اليمن من دمار وخراب بعد قدومهم اليه، لننظر إلى ما حل بجنوب اليمن الذى كان نموذجا للتحضر والمدنية ومثالا لدولة المؤسسات الراسخة، كيف انقلبت الأمور رأسا على عقب بعد دخول التكفيريين، ليتحول الجنوب إلى اقطاعات طالبانية وامارات قاعدية متخلفة يديرها الارهابيون وشذاذ الأفاق، ولننظر إلى ما حل بمصر المعروفة بالوسطية والاعتدال والعيش المشترك بين كافة الطوائف طيلة قرون، كيف استبدلت قيم التسامح والمحبة، بثقافة التحريض المذهبى والتكفير والرفض للآخر، بعد ان وصلت عدوى السلفيين التكفيريين إلى مصر، إلى درجة قتل المخالفين مذهبيا وسحلهم فى الشوارع كما حصل لشيخ الطائفة الشيعية حسن شحادة وجماعته، وحصل من اعتداء على ممتلكات الأقباط وحرق لكنائسهم، ولننظر إلى ما حل بمجتمعات المغرب العربى المحسوبة على المذهب المالكي المتسامح المعروف بالقبول للآخر، كيف بدأت راية التكفير والإقصاء والدموية ترفرف فى الجزائر وليبيا وتونس، بعد ان دخل هؤلاء التكفيريون بأموالهم وافكارهم الظلامية إلى هناك، لتتحول الأمور باتجاه القتل والارهاب واستباحة الدماء، اما باقى بلدان العالم الاسلامى فحسبنا أن نجد أن جميع التنظيمات الإرهابية فيها قد خرجت من عباءة هؤلاء التكفيريين، الذين دخلوا فى حالة احتراب مع كل الحكومات العربية والإسلامية، بل مع حكومات العالم برمته، فلننظر إلى هوية تنظيم القاعدة فى القضاء الدولى، ومنظمة داعش فى العراق وجبهة النصرة فى بلاد الشام، وفتح الإسلام فى لبنان، وأنصار الشريعة فى اليمن، وبوكو حرام فى نيجيريا، وطالبان فى أفغانستان، وجماعة أبى

سياف في القلبين، والشباب المسلم في الصومال، وأنصار الدين في شمال مالي، إضافة إلى التنظيمات السلفية الجهادية في تونس، والجزائر، والمغرب، وغزة، ومصر، حيث بدؤوا ينادون بهدم الأهرامات والآثار الفرعونية، وفرض الجزية على الأقباط، ناهيك عن الأعمال القذرة لهؤلاء، كتفخيخ مؤخراتهم بهدف الوصول إلى غرماهم، كما فعلوا عند محاولتهم اغتيال وزير الداخلية السعودي الأمير محمد بن نايف، والأعمال البربرية التي اشتهروا بها كهدمهم للآثار التاريخية، وتفجيرهم لقبور الأنبياء كما حدث لقبر النبي يونس والنبي شيت ونبشهم لقبور الصحابة ورموز الفكر، وآخرها قبر الصحابي حجر بن عدى وقبر المؤرخ ابن الأثير، وحرقتهم للمكتبات، وآخرها المكتبة التاريخية في شمال مالي، بما فيها من نفائس تراثية وألوف من المخطوطات والوثائق القيمة، ومكتبة السائح في مدينة طرابلس اللبنانية والتي تضم عشرات الآلاف من الكتب والمخطوطات النادرة، ونحرمهم للرقاب، وقطعهم للرؤوس بالسواطير، وتمثيلهم بالجنث أمام الكاميرات وسط تكبيرات الله أكبر، وخطفهم للرهائن المدنيين بما في ذلك الراهبات العابدات المسلمات والطالبات البرينات كما حدث في منطقة معلولا في سوريا وكما حدث في نيجيريا حيث ارادوا بيعهن كسبايا في سوق النخاسة، وتهجيرهم لأهل الذمة من ديارهم كما حدث للنصارى في الموصل وغيرها من المناطق، وارتكابهم للتفجيرات الانتحارية الدموية التي لم تسلم منها حتى الطائرات المدنية، ولا الوسائل اللوجستية من قطارات وباصات، ولا مجالس العزاء، ولا أضرحة الأولياء، ولا دور العبادة ولا المستشفيات، حتى مدارس الأطفال والمناسبات التي يفترض فيها الفرح والسرور كحفلات الزواج واحتفالات المولد النبوي الشريف قلبوها مآتم بالعمليات الانتحارية كما حصل في باكستان واليمن والاردن.

وحتى الخيرون من الغربيين المتطوعين في الوكالات الدولية الطبية الانسانية، والمؤسسات الخيرية لخدمة بلادنا، والناشطون في تأييد قضايانا في المحافل الدولية، لم يسلموا من أذى هؤلاء التكفيريين، ومقتل الأطباء الأمريكيين في مستشفى جبلة، الذين كانوا يعالجون الفقراء والمساكين بالمجان في اليمن، وتصفية الممرضات والأطباء الأجانب الذين قاموا بعمل آلاف العمليات للمرضى اليمنيين في مستشفى العرضى في وسط العاصمة صنعاء، وشنق الناشط الإيطالي فيتوريو أريغوني، الذى أعدمه السلفيين التكفيريين في غزة وهو يشارك في فك الحصار عن الفلسطينيين بنقل الإمدادات الطبية، وغير ذلك، تعد من

القصص المحزنة التي تقف شاهدا على وحشية هؤلاء السلفيين التكفيريين، التي بلغت حد الفجيرة والخطر على أمن الإنسانية. وحتى السلفيين التكفيريين انفسهم عندما لم يجدوا من يوجهوا اليهم غريزتهم فى القتل والأذى والتكفير، تحولوا نحو بعضهم البعض قتلا وتكفيرا وتفجيرا، كالنار تأكل بعضها بعضا، كما حدث فى افغانستان بين الفصائل السلفية الجهادية المتناحرة، وفى سوريا بين داعش وجبهة النصرة، وفى الجزائر بين الجماعة السلفية للدعوة والقتال وجماعة الجيا السلفية المسلحة. اما عن امتداداتهم الفكرية الهمجية خارج نطاق عالنا الإسلامى، واثرها فى نشر عدوى الغلظة والتوحش والإرهاب عند باقى ابناء البشر، فحسبنا ان نستشهد بتحول الكثير من المسيحيين من حالة البشر الرحماء الأسوياء، إلى حالة الوحوش الكاسرة المتعطشة للدماء، بعد اعتناقهم للإسلام بنسخته التكفيرية على يد بعض الدعاة السلفيين، وهناك العشرات من النماذج ذات الصلة التى يمكن الاستشهاد بها، كنموذج مايكل اديبولاجو البريطانى من اصل نيجيرى، الذى قام بقطع رأس جندى بريطانى فى احد شوارع لندن امام المارة دون ان يرف له جفن، متوعدا بالمزيد من قطع الرؤوس وهو يحمل ساطورا فى يده، متوهما انه يجاهد فى سبيل الله . ونموذج ريتشارد ريد البريطانى من اصل جمايكي الذى حاول تفجير طائرة مدنية بمتفجرات اخفاها فى كعب حذائه اثناء سفره فى رحلة بين باريس وميامى بدعوى الجهاد فى سبيل الله، وغير ذلك من القصص المحزنة التى ليس هنا المقام للتفصيل فيها، فهل هذا هو النموذج الذى نريده ان يسود بيننا ليمثلنا كمسلمين بين شعوب الأرض.

والسؤال الأخير الخطير الذى يجدر بنا طرحه، للتدليل على خطر هؤلاء التكفيريين على الإسلام، وضررهم على أهل السنة، الذين يدعون تمثيلهم، هو: هل من قبيل المصادفة أن ينجح الفرس فى زرع الفكرة فى عقول المفكرين الغربيين ومراكز البحوث والدراسات الاستراتيجية العالمية والدوائر الأمنية فى أكثر أصقاع الأرض، بأن أهل السنة لا سقف للتعقل عندهم، ولا يمكن ضبط إيقاع الصراع معهم، ولا إمكانية لاندماجهم مع أحد من البشر، لأنهم أهل غلظة وتوحش، لا يؤمن لهم جانب، مما أدى إلى محاصرة أهل السنة فى الأرض، والتضييق على مؤسساتهم الدعوية، والتجفيف لمنايع تمويلهم الخيرية، ومقابل ذلك إعطاء الضوء الأخضر للفرس للعلو والتمدد فى منطقتنا العربية والإسلامية؟ فهل كان بالإمكان أن تنجح هذه المخططات الجهنمية، لولا حماقات السلفيين التكفيريين

وممارساتهم الخرقاء، التي عززت من دعاوى الفرس، وأوصلت الدول الكبرى إلى القناعة التامة بوجود محاصرة أهل السنة؟ فمتى نعى التبعات الكارثية للفكر السلفي التكفيرى، الذى أصبح يشكل أكبر خطر على الإسلام، بعد ان قدم ما عجز عنه أشرس أعداء المسلمين، بل أصبح يحمل من الضرر والنكبة على أهل السنة بالذات أكبر من ضرر الروافض انفسهم، بعد أن تسبب فى جعل محاربة الإسلام السنى مسألة ذات شعبية عالمية؟

ولنا عبرة فى تسلسل الأحداث فى سوريا، حيث حرم المظلومين من أهل السنة من السلاح للدفاع عن أنفسهم أمام القوات الحكومية، بذريعة الخطر الذى يشكله السلفيون التكفيريون فى جبهة النصرة ومنظمة داعش، وهل هناك عاقل ينسى التساؤل الذى طرحه الرئيس الروسى فلاديمير بوتين حيال مسألة تسليح أهل السنة، عندما قال: هل من الحكمة أن نسلح أناس يأكلون أعضاء بشرية؟ ونصيحتى لإخوانى العقلاء والمستنيرين من السلفيين، إن كان فى قلوبهم ذرة من غيرة على السلفية، وإن كانوا حقاً حريصين على مستقبل الفكر السلفى وقابليته للحياة، أن يربأوا بأنفسهم عن هؤلاء التكفيريين بالمبادرة إلى تجديد الخطاب الدينى، وهذا لن يتأتى إلا بتجاوز القراءة القديمة المتحجرة للدين، التى جعلتنا موضع سخرية الأمم، والتحرر من أسر التقديس لآراء المتقدمين والتقليد للمشائخ المعاصرين المتحجرين أصحاب الفتاوى المضحكة، على غرار فتوى تحريم قيادة المرأة للسيارة، وفتوى هدم الحرم المكى لمنع الاختلاط، وغيرها من الفتاوى البليدة، التى شكلت من اسلامنا نكتة يتداولها العالم الخارجى، والأهم التصحيح لمقاصد بعض العقائد التى روجها التكفيريون، إلى أن وقرت فى أذهان العامة والمريدين بطريقة خاطئة، كعقيدة الولاء والبراء، وفقه الجهاد، ومسألة التترس، ومصطلح الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، وأحكام دار الكفر ودار الإسلام، وما إلى ذلك من المبادئ والأفكار المؤصلة للقتل والإرهاب والتى دفعت بصغار السن والجهلة إلى ارتكاب الحماقات والجرائم باسم الإسلام، وإن لم يبادر عقلاء ومستنيرو السلفية إلى الاستجابة لمنطق العصر بالتطوير والتجديد واعادة النظر فى الموروث الفقهي والعقدى بالتأويل العقلانى للنصوص الدينية، بدلا من الركون إلى القوالب الجامدة التى ورثوها عن الأسلاف، فليبشروا بسحق عجلة التاريخ التى لن تستثنيهم.

ويحضرنى فى هذا السياق مقالا تنويريا جريئا مفعما بالصدق والمسؤولية والشجاعة الأدبية، كتبه فى جريدة «الجزيرة» السعودية تحت عنوان (السلفية على فراش الموت) الدكتور حمزة بن محمد السالم وهو أحد المثقفين السلفيين السعوديين المستنيرين، والواقع انه ما كتب هذا المقال فى جريدة رسمية سعودية تصدر من العاصمة الرياض، الا غيرة على

الدين والوطن واعترافا منه وامثاله من المثقفين السعوديين المستنيرين بالحقيقة الجارحة التي يرفض الكثير من المؤدلجين الاعتراف بها، واهم ما ورد في مقاله هو ان الفكر السلفي قد وصل إلى مرحلة متأخرة من شدة المرض لأنه فكرا جامدا ومتخلفا تخلفا شديدا عن مواكبة جميع مظاهر التطور الإنساني، وان السلفية اليوم في موقع اتهام من جماهير المسلمين وغيرهم من امم الأرض، وان المعطيات والحوادث المتغيرة التي تدور حول السلفية اليوم كافية للإطاحة بها، لأن ابنائها قد ظلموها بعدم تجديدها ورعايتها حتى تسلط عليها التآكل في اصلها وفرعها، وبقيت أغصانا مجردة من الورق والثمار تنتظر من يأتيها فيدفعها فيسقطها في أودية النسيان، الا ان يسخر الله لها من ابنائها من يعتنى بها ويصبر على أذى تنظيف ما لحق بها من أذى وضرر، ويحض الدكتور السالم مواطنيه في هذا المقال على مواجهة الواقع لكي لا يتفاجأوا بالحقيقة المؤلمة، ويختتم الدكتور السالم مقاله بالقول ان السلفية قد أصبحت اليوم عبئا على الدولة السعودية المتطلعة لنهضة شعبها وبناء النموذج الحضارى القائم على الموازنة ما بين الأصالة والمعاصرة.

وعودة إلى موضوع الزيدية، فمن السمات التي تميزهم عن غيرهم من تيارات ومذاهب التكفير الطاردة للعقل، الاستنارة في التفكير، بفضل التأثر بالفكر المعتزلي المتحرر والمتقدم، والذي حصن الزيدية من داء التطرف والجمود والتحجر، الذي خيم على كثير من المذاهب فى عصور الانحطاط، إلا أن الزيدية وإن تأثروا بالمعتزلة، وتوافقوا معهم فى كثير من الجوانب، مثل نفيهم تشبيه الله من كل وجه، إلا أن ذلك لا يعد دليلا على التوحد مع المعتزلة فى كل شىء، لأنه لو عد التوافق فى جوانب ما دليلا على التوحد، لما تميزت فيما بينها كل المذاهب الإسلامية المعروفة، التي توافقت فى كثير من المسائل، وبالأخص المسائل الفقهية، إضافة إلى أن الزيدية تختلف عن المعتزلة فى كثير من المسائل، وأهمها مسألة الإمامة، التي لا يعدونها كالمعتزلة من المسائل العامة، بقدر ما يعدونها مسألة أصولية من أركان الدين.

وأهم ما تتفق فيه الزيدية مع المعتزلة، النزعة العقلية التي تؤكد على قيمة العقل، وتوجب إحلاله مكانا عاليا بالقياس إلى النقل، لمعرفة الحكم فى أية مسألة أصولية أو فروعية، ما لم يصطدم بنص قطعي، وهو الذى أفاض على الزيدية الخصوبة والطاقة الإبداعية، والقدرة على الإحياء والتجديد ومسائيرة العصور. فالدليل عندهم عقلى ونقلى،

وبالعقل فقط يدركون كيف فهم الحق وإثبات الحجة من كتاب الله وسنة نبيه، وبالعقل يدركون أن القرآن كلام الله بما فيه من إعجاز، وبدون العقل تنعدم حجة الله على العباد. أما الدليل النقلى، الذى هو الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، فهم لا يقيمون تعارضا بينه وبين الدليل العقلي، حيث يقومون بتأويل ظاهر النص بما يتفق مع معطيات العقل وحججه، وبالتالي فإن الزيدية لا ترتبط بحرفية النص، ولا تعتمد على ترديد مدونات السلف كالبيغاء، بدون تبصر فى المعانى والمقاصد وإعمال للعقل، فأقوال علماء السلف لا تنزلها الزيدية منزلة النصوص الشرعية التى لا تقبل الرد أو النقد، فالاجتهاد وارد وإن خالف السلف، وهذا فى حد ذاته يؤهل الزيدية إلى استيعاب كل تحديات العصر أكثر من غيرهم، وخاصة تلك المذاهب التى ما زالت تعيش خارج العصر والتاريخ، تتمحور حول ذاتها، وتكرس اجتهادات الأموات على حساب عقول الأحياء، وتصر على احتكار الحقيقة، وتخلع على نفسها العصمة، وتمنح نفسها دور الوصاية وحصريّة الفتوى، وترفض التعددية، وتعطل العقل ونمو الوعى، وتكبل الطاقات الإبداعية، وتحارب المنطق والنقاش الحر، وتفر من المناظرات العلنية.

وأكاد أجزم أنه لولا تلك المذاهب والتيارات الطاردة للعقل، التى سادت فى منطقتنا لقرون متعددة، لما وصلت أمة الإسلام إلى ما نحن فيه من حالة تخلف وانحطاط، وفى هذا السياق يمكننا أن نستشهد بالعصر الذهبى للخلافة الإسلامية فى عهد الخليفة العباسى المأمون، للتدليل على أهمية الفكر المعتزلى فى استنفار العقول، وتحسينها من داء الجمود والتخلف، ودفع النفوس إلى آفاق العلم والحضارة، فهل هو من قبيل المصادفة أن يكون عهد المأمون مصنفا لدى المؤرخين بأعظم فترة تاريخية مشرقة للعرب والمسلمين فى مجال العلم والاختراعات، والحراك الفكرى والترجمة، أم أنه كان لاعتناق المأمون فكر المعتزلة أكبر الأثر فى تحول الدولة العباسية فى عهده إلى مصدر إشعاع فكرى وحضارى؟ وهل من قبيل المصادفة أن نجد هامات فكرية وثقافية تاريخية كبيرة يشار إليها بالبنان، وقد اعتنقت الفكر الزيدى الاعتزالى منهجا لا اسما، كالمسعودى، وأبى الفرج الأصفهانى، وابن الرومى، والخوارزمى، والهمدانى، والكندى، وابن رشد، والجاحظ، وابن سينا، والفارابى، والماوردى، وغيرهم ممن لا يتسع المجال لذكرهم جميعا؟ أما فى عصرنا الحديث، فهل هو من قبيل المصادفة أن يستأثر فكر الاعتزال باهتمام المفكرين والباحثين

من كل الجنسيات في العالم وانبهارهم، خاصة مراكز البحوث والدراسات الاستراتيجية في الغرب، التي أولت هذا الفكر أهمية خاصة، كما لم تول أي تيار فكري إسلامي آخر، أم أن القيمة الجوهرية لفكر الاعتزال هو الذي دفعهم إلى هذا الاهتمام؟

ويمكننا الاستشهاد كذلك بتحول الكثير من قادة الفكر الإسلامي المعاصرين إلى العقيدة الزيدية الاعتزالية منهجا لا اسما في كثير من مسائل الأصول والفروع، بإيثارهم الاجتهاد، ونبذ التقليد، وعدم حصر الفكر الإسلامي في المذاهب الأربعة، بينما كان محرما قبل ذلك عندهم<sup>(١)</sup>، ومنهم على سبيل المثال وليس الحصر، السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار، والشيخ جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده، والداعية الفلسطينية المعاصر الدكتور عدنان إبراهيم، والشيخ العراقي أحمد الكبيسي، والمفكر السعودي الحر الأستاذ حسن بن فرحان المالكي، والأساتذة المفكرون المصريون: محمد عمارة، ومحمد أبو زهرة، وغيرهم وغيرهم ممن يحقد عليهم المتحجرون والمتخلفون، الذين يحاربون المنهج العقلي، ويهدفون إلى قتل الإبداع والتجديد، ودفن المواهب، فما أحوجنا اليوم في عالمنا الإسلامي إلى انتفاضة عقلية على صعيد الفكر، لتستنير الأذهان، ولتحرر النفوس من قيود التخلف التي وضعها سدنة الجهل، لإحباط طموحات العقل البشري.

أما ما يميز الزيدية عن باقي طوائف الشيعة، فعدم إيمانهم بعصمة الأئمة من آل البيت، وإن كانوا يؤمنون بعصمة أهل الكساء من الكباثر، وهم: علي، وفاطمة، والحسن، والحسين، بسبب دعوة الرسول لهم بعد أن أدخلهم في كساء، وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، طهرهم من الرجس تطهيرا». كذلك لا تؤمن الزيدية بسلسلة الاثنا عشر أماما، ويحرم الزيود التعرض بالسوء لعائشة عليها السلام زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يجيزون التطاول على مقام الصحابة الأطهار من الأنصار والمهاجرين عليهم السلام جميعا بل يحبونهم، ويجلونهم بدون مبالغة في إعطائهم أكثر من حقهم الشرعي، وفي حدود أنهم بشر، عرضة للخطأ والنقد، وفي حدود أن الصحابة لا يستوون في الفضل، فمنهم السابقون بالخيرات ممن انفق وقاتل من قبل الفتح، ومنهم الظالم لنفسه، ككثير من الطلقاء الذين لم يحسن إسلامهم بعد وفاة الرسول، وتسببوا في فتن ورزايا ما تزال تجرجر أذيالها حتى اليوم، فلزيدية بوقف واضح وصريح بلا موارد من هؤلاء، يتعلق بعدم كتمان أخطائهم وتجاوزاتهم، أو تزوير تاريخهم، أو تجهيل الناس بأعمالهم، بل تحرص الزيدية على توضيح ما حصل منهم بدون زيادة

أو نقصان أو شتم، وذلك من باب عدم الباس بالباطل، وكل هذه المعطيات جعلت مسائل الخلاف بين علماء الزيدية وأهل السنة يسيرة، إذا ما قورنت بمسائل الخلاف بين بعض المذاهب الأخرى.

أما في جانب علاقة الحكام بالمحكومين، فالملاحظ أن المذهب الزيدى يختلف عن مذهب أهل السنة والجماعة في أنه لا يضمن المشروعية على حكم التغلب الذي يعده غير شرعى، ولا يرضى بظلم الجبايرة والظلمة من الحكام، مثل تراث أهل السنة الذى أسرف علماءه فى الدعوة إلى الصبر على الحاكم الظالم، ولو أخذ مالك وجلد ظهره، إلى درجة أن أصبحت هذه الأدبيات بضاعة رائجة لدى الطغاة والظلمة من الحكام، يستخدمونها بانتهازية مطلقة بلا ضوابط، لتثبيت سلطانهم وجبروتهم، كما فعل القذافى فى ليبيا، وعلى صالح فى اليمن، وغيرهم، بدعوى الخوف على البلاد من الفتنة والانقسام، ويا ليت شعرى، ماذا كان مصير الشعوب العربية فى تونس، ومصر، وليبيا، واليمن، وسوريا لو اتبعت الجماهير أدبيات طأطأة الرؤوس للحكام الظالمين، فهل كان من الممكن التخلص من ابن على فى تونس، ومبارك فى مصر، والقذافى فى ليبيا، وعلى صالح فى اليمن، والأسد فى سوريا؟!!

وفى جانب الفقه، نلاحظ أن الزيدية ينتهجون نهج القرآن الكريم والسنة النبوية عن طرائقها الصحيحة، ويعملون فى الحديث النبوى بالرواية الصحيحة، فكلها سواء عندهم ما هو عن طريق مؤلفاتهم أو مؤلفات غيرهم، بشرط ألا يصادم الحديث نصوص صريحة فى كتاب الله، لذلك نجدهم يقرؤون كتب كبار المؤلفين الذين جمعوا الأحاديث النبوية، مثل الروض النضير، والمنهاج الجلى، والأحكام، ورسائل العدل والتوحيد، وصحاح البخارى، ومسلم، وسنن الترمذى، وأبى داود، وابن ماجه، والنسائى، والبيهقى، والمستدرک، وموطأ مالك، ومسند أحمد بن حنبل<sup>(١٢)</sup>.

ولا يفوتنا أخيراً، أن نتحدث عن الأهم، وهو منهج الزيدية فى أصول الدين، الذى نستطيع أن نلخصه فى المباحث الرئيسة التالية:

العدل: المقصود به أن الله لا يفعل إلا الصلاح والخير، فهو عادل فى ثوابه وعقابه، ولا يخلق أفعال عباده ولا يجبرهم على فعل شىء رغما عنهم، بل إن الإنسان حر فى اتباع طريق الخير أو الشر، وبناء على اختياره سيحاسب، إذ لا معنى للتكليف الشرعى والثواب والعقاب، ما دام فعل المرء خلقاً من الله.



التوحيد: والمقصود به التنزيه المطلق بأن الله واحد أحد، لا شريك له، وليس كمثلته شىء، فلا تشبيه له بأحد من المخلوقات، ولا تجسيم له، بل إنه منزّه عن أن يكون مثل الأجسام أو الموجودات الحسية. والزيدية لا ينكرون صفات الله، ولكنهم لا يقبلون الآيات التي تفيد التشبيه على ظاهرها، بل يقومون بتأويلها بقولهم: ان الله - عز جلاله - أجل وأعظم من أن يحتاج إلى يد يعمل بها، أو رجل يمشى بها، أو ساق يعرف بها عند كشفها، وأن ما جاء في كتاب الله من كلمة اليد، والعين، وأمثالها، إنما هو مجاز يعبر عن المعنى لا الأعضاء الجارحة.

• الوعد والوعيد: والمقصود به أن الثواب والعقاب مستحقان عبر إنفاذ الوعد في الآخرة للمؤمن التقى بالجنة والثواب، وإنفاذ الوعيد للكافر وللفاسق بالنار والعذاب المؤبد، إن لم يتب قبل الموت.

• المنزلة بين المنزلتين: مسألة المنزلة بين المنزلتين، هي فرع من أصل الوعد والوعيد، وتوضح حكم الفاسق مرتكب الكبيرة لدى الزيدية، حيث يعدونه أنه ليس بالمؤمن، وليس بالكافر، بل إنه في منزلة بين هاتين المنزلتين، ويظل على هذه الحال حتى يتوب، فإن مات مصرا على فسقه ولم يتب، كان من المخلدين في عذاب جهنم.

• الإمامة: والمقصود بها الرياسة العامة باستحقاق شرعى، وهى من أكبر مسائل الدين لدى الزيدية، ويقولون بوجود قيامها، لأن من استحقاقاتها القيام بالشرائع، وإقامة الحدود، ودفع التظالم، وإعلان الجهاد، والحفظ لبيضة الإسلام. وقد ذهب البعض من الجهلة إلى القول بأن مسألة الإمامة فى الزيدية تشكل مأزقا حضاريا لهذا المذهب فى عالم اليوم، باعتبار أن الزيود يحصرونها فى أبناء البطنين الحسن والحسين، وذهب البعض الآخر من اصحاب الأجنداث السياسية إلى ما هو ابعد من مجرد رشق الزيود بالمأزق الحضارى، بقولهم ان الزيود قد جعلوا من الامامة اصلا من اصول الدين وحق الهى محصورا فى العنصر الهاشمى، إلا أن ذلك كلام فلسفى عقيم لا يعبر عن الحقيقة أبدا بقدر ما يعبر عن المزايدات والأجنداث السياسية الهادفة إلى تشويه سمعة الزيدية والهاشميين وتراثهم الفكرى، فالزيدية وإن عدوا أن الإمامة أصل من أصول الدين، إلا أنهم لا يقولون بحصرها حصرا قسريا مطلقا فى ذرية الرسول، كما ادعى البعض، بل إن المسألة لا تخرج عن إطار التفضيل والترجيح لهم لتولى هذا المنصب، انطلاقا من مذهب جمهور العلماء

والمحدثين السنة، الذين حصروا الخلافة في قريش، ومن هذا الباب، فإن الزيدية تقول: إن آل البيت أولى وأفضل من في قريش.

ومقابل هذا التفضيل والترجيح لذرية الرسول ﷺ فإن المذهب الزيدى لا ينكر على من تولى الإمامة من غير ذرية الرسول، إن اقتضت مصلحة الأمة ذلك، بدليل أن الزيدية يتولون الخلفاء أبا بكر وعمر وعثمان، ولا يتبرؤون من إمامتهم، وبدليل أن الإمام يحيى حميد الدين رأس المدرسة الزيدية في العصر الحديث اعترف بخلافة السلطان العثماني فى اتفاقية دعان فى عام ١٩١١م، كما سأفصل ذلك لاحقاً، وبهذا نفهم بأن عدم الأخذ بأفضلية الإمامة فى ذرية الرسول، لا يخرج الزيدى عن زيديته، ولا يخرج المذهب الزيدى عن أصوله، فالمسألة برمتها اجتهادية قد تناسب عصراً أو ظرفاً معيناً، وقد لا تناسب عصراً أو ظرفاً آخر، فظروف الأُمس الذى تداول فيه أئمة اليمن الإمامة لأكثر من ألف ومائة عام، حتى أصبح ذلك من الأعراف الملزمة بتقادم الزمن، كانت منسجمة مع المناخ الثقافى، ولون الزمان السياسى الذى سادت فيه الشرعية التقليدية القائمة على حديث الرسول ﷺ أن الأئمة من قريش، إلا أنه مع تقنين الفقه السياسى فى عصرنا الحالى، فإن الظرف قد اختلف بانتقال الدولة من مرحلة الشرعية التقليدية القائمة على قواعد القبيلة، إلى مرحلة الشرعية الدستورية القائمة على قواعد القانون، بما يستنفذ الغرض من حصر الإمامة، سواء فى قريش أو فى أئمة آل البيت، وبما يفقد هذا الاجتهاد شروطه زمانياً ومكانياً، وهام علماء الزيدية المعاصرون قد أدركوا أن نظرية أبناء البطنين، لم يعد بالإمكان إنزالها على واقعنا اليوم، لأنه لم يعد لها مكاناً فى فقهنا المعاصر، فأصدروا بياناً فى يوم ١٦ ربيع الثانى من عام ١٤١٣م، الموافق ١٢ / ١١ / ١٩٩٠م، ينص على أن الولاية العامة حقٌ لكل مسلم كفاء تختاره الأمة، ووقع عنهم: العلامة أحمد بن محمد بن على الشامى، أمين عام حزب الحق، والعلامة محمد بن محمد المنصور، والعلامة حمود بن عباس المؤيد، نائب مفتى الجمهورية يومها، والعلامة قاسم بن محمد الكبسى، الأمين العام المساعد لحزب الحق، وقد نشرته آنذاك عدد من الصحف اليمنىة، ومن بينها صحيفة (الأمة)، الناطقة باسم حزب الحق، فى العدد<sup>(٢٦)</sup>، والصادر بتاريخ يوم الخميس ١٩ ربيع الثانى / ١٥ / ١٠ / ١٩٩٢م.

وما ذلك البيان الذى صدر، وما سبقه من اعتراف للزيدود عبر التاريخ بولاية الخلفاء الراشدين والخليفة العثمانى، إلا دليلاً على أن الزيدية وثيقة الصلة بالواقع، وتحترم

العقل، ولا تغلق باب الاجتهاد، وفيها من سمات التفتح والحيوية والعمق التاريخي والمخزون الفكري، ما يمكنها من الإحياء والتجديد والتصحيح مع الزمن، بما يساعدها على إيجاد الحلول العصرية لكل المسائل، بما فيها مسألة الإمامة.

• الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وهو فرع من أصل الإمامة، يوضح موقف الزيدية من أصحاب الكبائر والمظالم، سواء أكانوا حكاما أم محكومين، حيث تقول الزيدية بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الإمكان، والقدرة باللسان واليد، كيف قدروا على ذلك، فهم يرون قتال حكام الجور والفسق، ووجوب الخروج عليهم عند القدرة على ذلك، وغلبة الظن بحصول الغلبة وإزالة المنكر.

### من أعلام الأئمة المؤسسين للمذهب الزيدي، الذين اشتهروا في ميدان الفكر والسياسة خارج اليمن:

بعد أن قمنا باستعراض موجز لأهم المبادئ التي ارتكزت عليها الزيدية كمذهب، فمن المحتم علينا استعراض نبذة موجزة عن أهم أعلام المذهب الزيدي، من المؤسسين الذين حملوا هذا الفكر على أكتافهم، وتحملوا الشدة والبلاء في سبيل الدعوة إليه، وأولهم:

#### الإمام زيد بن علي:

صاحب المذهب، وقد ولد في سنة ٨٠هـ في المدينة، ونشأ هو وأخوه الأكبر محمد الباقر في حجر والدهما زين العابدين، الذي بقى وحيدا من ذرية الحسين بعد مذبحة كربلاء. وقد تلقى زيد بن علي العلم عن أبيه وأخيه محمد الباقر، الذي خلف أباه في إمامة العلم والفقهاء والحديث<sup>(١٣)</sup>. وكان حريصا أن يأخذ العلم أيضا من آخرين، كسعيد بن جبير، وحلقات زيد بن أسلم<sup>(١٤)</sup>، ولم يكتف بما تلقاه في المدينة، بل خرج منها إلى العراق، وهناك في البصرة التقى بعلمائها وبالفرق المختلفة، ومنها فرقة المعتزلة، التي كان له مع كبيرها واصل بن عطاء لقاء مذاكرة علمية، وليس لقاء تلقى علم<sup>(١٥)</sup>. ولعل تواصل الإمام زيد مع واصل بن عطاء، إضافة إلى التوافق في مسائل كثيرة من أصول الدين بين الفريقين، كان السبب في الفهم المغلوط للبعض من نسبة الزيدية إلى المعتزلة في أصول الدين والتوحيد<sup>(١٦)</sup>. ذكرت كتب التاريخ، ومنها مقاتل الطالبين للأصفهاني، أن أهل الكوفة حملوا الإمام زيد على الخروج على هشام بن عبد الملك، عندما هم بالرجوع إلى المدينة، وقالوا له: أين

تخرج عنا ومعك ١٠٠ ألف سيف من أهل الكوفة والبصرة وخراسان يضربون بنى أمية بها دونك؟ فأبى عليهم، فما زالوا يناشدونه حتى بايعوه على كتاب الله، وسنة رسوله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، وقسم الفيء بين أهله بالسواء، ورد المظالم، ونصر أهل الحق<sup>(١٧)</sup>. وعندما تهيأت الأسباب لخروجه على هشام بن عبد الملك، قال فيه أبو حنيفة بأنه قد ضاهى خروجه رسول الله يوم بدر<sup>(١٨)</sup>، وما أن جد الجد حتى أخذ مبايعيه يتناقشون ويتجادلون وأثاروا عجاجة، فقالوا له: ما قولك في أبي بكر وعمر؟ فقال: غفر الله لهما، ما سمعت أحدا من أهلى تبرأ منهما، وأنا لا أقول فيهما إلا خيرا. فقالوا: فلم تطالب إذا بدم أهل البيت؟ فقال: إن أشد ما أقول فيمن ذكرتم أنا كنا أحق الناس بهذا الأمر، ولكن القوم استأثروا علينا به، ودفعونا عنه، ولم يبلغ ذلك عندنا كفرا، فقد ولوا وعدلوا، وعملوا بالكتاب والسنة. قالوا: فلم تقاتل إذا؟ قال: هؤلاء ليسوا كأولئك، إن هؤلاء ظلموا الناس، وظلموا أنفسهم، وإنى أدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه، وإحياء السنن، وإماتة البدع، فإن تسمعوا يكن خيرا لكم ولي، وإن تابوا فليست عليكم بوكيل، فرفضوه وانصرفوا، ونقضوا بيعته<sup>(١٩)</sup>، وقالوا: جعفر الصادق إمامنا بعد أبيه محمد الباقر، فسماهم الإمام زيد بالرافضة<sup>(٢٠)</sup>، ولم يبق مع الإمام زيد فى أرض المعركة بعد هذا الموقف مع الروافض سوى ٢١٨ رجلا، وقيل نحو ٤٠٠ مما تسبب فى ترجيح كفة بنى أمية واستشهاد الإمام زيد فى الميدان، للدفاع عن الحق عام ١٢٢هـ فى عهد الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك<sup>(٢١)</sup>، وقد بعث برأسه إلى هشام بن عبد الملك، وصلب جسمه، إلى أن أمر هشام بإحراقه وذروه فى الرياح<sup>(٢٢)</sup>.

### الإمام يحيى بن زيد بن على:

بعد استشهاد الإمام زيد بن على، تسلم الراية من بعده ابنه يحيى، الذى سار إلى خراسان، ولكنه لم يسلم من ملاحقة الأمويين، بعد أن بلغهم أن الناس بدؤوا يجتمعون له ويسألونه أن يخرج معهم لقتال بنى أمية. وبعد أن توفى هشام بن عبد الملك تولى الخلافة من بعده الوليد بن يزيد بن عبد الملك، المشهور بالفسق والفجور وتمزيق القرآن، فأمر عامله فى خراسان نصر بن سيار بأن يقاتل الإمام يحيى بن زيد حتى يظفر به، فحشد له نصر بن سيار عشرة آلاف مقاتل فى معركة بالجوزجان، فاستشهد يحيى بن زيد فى هذه المعركة عام ١٢٥هـ، وصلب جسده واحتز رأسه، وبعث إلى الوليد بن يزيد، وقد ظل جسده مصلوبا

حتى ظهر أبو مسلم الخراساني، واستولى على خراسان، فأنزله وصلى عليه ودفنه، وأخذ أبو مسلم ديوان بني أمية، وعرف منه أسماء من حضر قتل يحيى، فمن كان حيا قتله، ومن كان ميتا خلفه في أهله بسوء<sup>(٢٣)</sup>.

### الإمامان محمد بن عبد الله النفس الزكية، وأخوه إبراهيم:

هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، كان من أفضل أهل بيته في الشجاعة، وأكبر أهل زمانه في علمه وفقهه بالدين، وشاع ذلك له في العامة، وبإيعه أكاير الرجال من بني هاشم جميعا، سواء من بني العباس أو آل أبي طالب<sup>(٢٤)</sup>. ويعد من أعلام الزيدية في الفكر والسياسة فقد كان له ولأخيه إبراهيم آراء فقهية واضحة في المذهب الزيدي دونت وأخذ بها، ولها موضع من الإفتاء والاتباع<sup>(٢٥)</sup>.

أما في السياسة، فقد ذكر الشهرستاني، والطبري، وابن كثير، وابن خلدون، وغيرهم، أنه بعد مقتل الإمام زيد بن علي فر ابنه يحيى وجملة خواصه إلى خراسان، وخرج في أيام الوليد بن يزيد في جوزجان سنة ١٢٥هـ طالبا الثأر لأبيه، فقتل في المعركة، وأوصى إلى محمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية. ولما آل الأمر إلى الدولة العباسية، خرج محمد النفس الزكية بالمدينة داعيا لنفسه بالإمامة في عام ١٤٥هـ<sup>(٢٦)</sup>، وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة، فقد جاء في مقاتل الطالبين، أن أبا جعفر المنصور وأبا العباس السفاح كانا قد بايعا بالإمامة النفس الزكية في اجتماع لبني هاشم عقب مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك الأموي، قبل سقوط الدولة الأموية، ولذلك ما كان تقدم النفس الزكية وأخوه إبراهيم للدعوة إلى الإمامة إلا على اعتقاد أن للنفس الزكية في عنق أبي جعفر بيعة<sup>(٢٧)</sup>، فلم يكن غريبا إذا أن نجد أبا جعفر ما إن استخلف بالحكم، لم يكن همه إلا الظفر بمحمد النفس الزكية، والجد في طلبه<sup>(٢٨)</sup> وطلب كل من له علم بنكته لبيعتة لمحمد بن عبد الله<sup>(٢٩)</sup>، فما إن رفعت راية النفس الزكية، حتى هبت إليها الجماهير في الحجاز، واليمن، والعراق، كما أعلن تأييدها رجال العلم والدين. وقد ذكر ابن الجوزي وغيره، أن الأئمة المتبوعين في المذاهب الإسلامية بايع كل واحد منهم لإمام من أئمة آل البيت النبوي الشريف، حيث بايع الإمام مالك محمد النفس الزكية، وبايع الإمام أبو حنيفة بعد مقتل النفس الزكية أخاه إبراهيم بن عبد الله، وبايع الإمام الشافعي لأخيها يحيى بن عبد الله<sup>(٣٠)</sup>.

أما الإمام أحمد بن حنبل، فقد روى في مسنده الكثير من الأحاديث في فضائل آل البيت<sup>(٣١)</sup>. وقد أودى هؤلاء العلماء الأفاضل أشد الأذى، لمواقفهم المؤيدة لأئمة أهل البيت،

فبعدهما أفتى الإمام مالك في المدينة بعدم صحة بيععة المنصور، لكونها أخذت بالإكراه، سجنه أبو جعفر المنصور وجلده<sup>(٣٣)</sup>، أما أبو حنيفة فقد سجنه العباسيون إلى ان مات في السجن<sup>(٣٣)</sup>، وابتلى الشافعي بالسجن في عهد الرشيد، بعد أن اتهمه بمشايعة الزعماء العلويين في اليمن، ممن كان يريد الانتقاص على دولة بنى العباس<sup>(٣٤)</sup>.

وقد استشهد محمد بن عبد الله النفس الزكية في المدينة، وحمل الراية من بعده أخوه إبراهيم، الذي كان جاريا على شاكلة أخيه في الدين والعلم والشجاعة، فدعا إلى نفسه بالإمامة في البصرة، وبايعه الناس<sup>(٣٥)</sup> وسير إبراهيم دعواته وقواته إلى بلاد فارس، بعد أن عظمت عساكره، فسقطت في يده، وتوالت انتصاراته، فشملت واسط والمدائن<sup>(٣٦)</sup>. وخرج الإمام إبراهيم إلى الكوفة يريد قتال أبا جعفر المنصور، الذي كان متمكزا فيها، وقد تمكن من دخول ضواحيها مع قواته، فوجل أبو جعفر من تقدم إبراهيم وجيوشه، فأمر بإعداد الإبل والدواب على جميع أبواب الكوفة ليهرب عليها كما اكدت على ذلك الكثير من الروايات التاريخية، إلا أن القدر كان إلى جانب أبي جعفر المنصور، حيث أصاب الإمام إبراهيم سهم طائش أسقطه شهيدا، مما خذل قواته، وساعد أبا جعفر المنصور على تشتيتها<sup>(٣٧)</sup>.

### الإمام الحسين بن علي الملقب بالفخى:

هو الحسين بن علي بن الحسن الثالث بن الحسن الرضا بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، ولد عام ١٢٨هـ، واستشهد أبوه في سجون بنى العباس في عهد أبي جعفر المنصور<sup>(٣٨)</sup>. وبعد وفاة أبي جعفر المنصور مال ابنه الخليفة المهدي إلى التهذئة مع رموز آل البيت، وأطلق الكثير منهم من السجون، إلا أنه بعد وفاته وتولى أخيه الهادي الخلافة في عام ١٦٩هـ، خالف سياسة أخيه المهدي، واستأنف سياسة البطش والتنكيل، سائرا على خطى أبيه أبي جعفر المنصور، فأمر واليه على المدينة بالتشديد على رموز آل البيت وأتباعهم، والإفراط في التحامل عليهم<sup>(٣٩)</sup> فحبسهم الوالي، وضر بهم بالسياط، وأمر أن يدار بهم في المدينة مكشوفى الظهور زيادة في الإهانة<sup>(٤٠)</sup>، مما دفع أتباع آل البيت إلى التشاور، فاستقر رأيهم على الثورة على العباسيين، واستنهاض الإمام الحسين بن علي بن الحسن لمبايعته بالخلافة، ففجر الإمام الحسين الثورة على الخليفة الهادي العباسي، واستولى على المدينة المنورة، فعلم الخليفة الهادي بذلك، فأرسل جيوشه بقيادة موسى بن

عيسى، وكانت المعركة في مكان قرب منى يسمى فح، وهو المكان الذى نسب اسمه إليه، وقاتل فيه مع أصحابه حتى استشهد<sup>(٤١)</sup>.

وقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني في كتابه مقاتل الطالبیین حديثا عن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، يقول بأن الرسول ﷺ انتهى إلى موضع يطلق عليه فح، فصلى بأصحابه صلاة، ثم قال: يقتل هاهنا رجل من أهل بيتي في عصابة من المؤمنين، ينزل لهم بأكفان وحنوط من الجنة، تسبق أرواحهم أجسادهم إلى الجنة<sup>(٤٢)</sup>.

### الإمام إدريس بن عبد الله :

هو إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وهو شقيق الإمام محمد بن عبد الله النفس الزكية، الذى ثار على الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور. وأول ما عرف عنه أنه كان مع ثورة الإمام الحسين بن علي الفخى أيام ثورته على الهادى العباسى سنة ١٦٩هـ، ثم بعد استشهاد الإمام حسين الفخى تفرق من بقى من أتباعه وأهل بيته فى الآفاق، ومنهم إدريس الذى هرب إلى المغرب<sup>(٤٣)</sup>، وبدأ دعوته هناك، فأجابه أهل المغرب، فاغتم هارون الرشيد لذلك، فأرسل إليه سليمان بن جرير الجزري، وهو من متكلمى الزيدية ووعده بكل ما يحب، على أن يحتال على الإمام إدريس حتى يقتله بالسم، فورد سليمان بن جرير إلى المغرب، وأقام لدى الإمام إدريس متوسما بمذهبه الزيدي، وأنس به الإمام واجتباها، بعد أن وجده يجلس فى مجالس البربر يحتج للزيدية، ويدعو إلى أهل البيت، إلى أن ارتقب الفرصة ففس السم للإمام إدريس، وهرب راجعا إلى الرشيد<sup>(٤٤)</sup>.

والإمام إدريس هو أول من دخل المغرب من الطالبیین، ومن نسله الباقين الآن هناك أشرف المغرب. وبعد موته عام ١٧٧هـ كان ابنه إدريس بن إدريس حملا فى بطن أمه، وأمّه أم ولد بربرية، فوضعت المغاربة التاج على بطنها، فولدته بعد أربعة أشهر، وقد تسلم ابنه الأمر بعد أن عاش فى كنف أخواله من البربر، وقرر تأسيس عاصمة له، وشرع فى إنشاء مدينة فاس عام ١٩٢هـ، حيث أصبحت هذه المدينة مركزا من أكبر مراكز الإسلام علميا، ودينيا، وتجاريا، وصناعيا. إلا أن وجود الزيدية هناك قد انتهى بانتهاء دولة الأدارسة فى بلاد المغرب، والتي استمرت قرنين من الزمان تقريبا، حتى عهد الحسن بن قاسم<sup>(٤٥)</sup>، ولم تعمر طويلا، لعدم وجود حركة علمية بينهم تغذى وجودهم الفكرى، إضافة إلى كثرة خصومهم هناك<sup>(٤٦)</sup>.

## الإمام محمد بن إبراهيم بن إسماعيل الملقب طباطبا:

هو محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. كانت دعوته قد بدأت تظهر داعيا إلى الرضا من آل محمد، فخرج بالكوفة عام ١٩٩هـ في عهد الخليفة العباسي المأمون، وكثر أتباعه، فبايعه الناس بالخلافة، فأرسل العباسيون له جيشا لمحاربتة، إلا أنه غلبهم، مما ساعد على تمدد دعوته، حتى شملت الكثير من البلاد على يد قائد جيوشه أبي السرايا بن منصور الشيباني، الذي سير الجيوش إلى البصرة ونواحيها، وامتلك الأهواز وواوسط، ودخل مكة بعد أن سيطر على الحجاز، وأذعن له أهل اليمن، إلا أن الإمام محمد بن إبراهيم توفي على فراشه من مرض ألم به. وكان خليفته الإمام محمد بن محمد بن يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الذي حمل الراية من بعده، وبدأ يعين العمال والولاة، وينظم شؤون الخراج في الولايات التي تم السيطرة عليها، وبدأ أهل الشام والجزيرة بالكتابة إليه، ينتظرون منه أن يوجه إليهم رسولا ليسمعوا له ويطيعوا، فقويت شوكة الدعوة، مما أشعر العباسيين بالخطر<sup>(٤٧)</sup>، فسير الخليفة المأمون الجيوش تلو الجيوش لوأد الدعوة، حتى بلغ مجموع قتلى الجيوش العباسية في المعارك مائتا ألف<sup>(٤٨)</sup>. وكان القائد والقائم على شؤون الجيوش العباسية، الوزير الحسن بن سهل، الذي تمكن أخيرا من كسر قوات الإمام محمد بن محمد بن يحيى بن زيد، بعد أن ظفر بأبي السرايا وأعدمه بضرب عنقه. أما الإمام محمد بن محمد بن يحيى بن زيد، فقد حمل إلى خراسان ليمثل أمام الخليفة المأمون العباسي، الذي دس له السم في معتقله<sup>(٤٩)</sup>.

## الإمام علي الرضا:

هو علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق، ولد في المدينة المنورة عام ١٥٣هـ، وبها نشأ ودرس حتى أصبح أعلم من في عصره. وبالرغم من أن فرقة الاثنا عشرية يعدونه الإمام الثامن من أئمتهم، إلا أن الزيدية تعده من علمائها وأئمتها الأجلاء. طلبه المأمون العباسي، وعهد إليه بالخلافة بعده، وزوجه ابنته، وضرب اسمه على الدينار والدرهم، وغير من أجله الزي العباسي من السواد إلى الخضرة، شعار أهل البيت، إلا أن



المأمون تغيير عليه، ففس له السم، فمات في عام ٢٠٣هـ، ودفن في طوس. خلف الكثير من المؤلفات، مثل صحيفة علي بن موسى الرضا في الحديث والفقه، وجواب مسائل علل الأحكام، والرسالة الذهبية، وفقه الرضا<sup>(٥٠)</sup>.

### الإمام الناصر الأطروش:

هو أبو محمد الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، المؤسس للدولة الزيدية في خراسان. ولد سنة ٢٣٠هـ، وتوفي سنة ٣٠٤هـ، وقد عاصر الإمام الهادي مؤسس الدولة الزيدية في اليمن، وعمل كل واحد منهما في ميدانه، حيث يعرف الناصر بأنه محيي الإمامة الزيدية من الركود، بعد توالي اضطهادها من العباسيين، واستشهاد الكثير من رجال آل البيت على أيديهم. هاجر الناصر إلى بلاد الديلم والجيل، بسبب تتبع المتوكل العباسي له ولكل آل البيت، حيث عرف عنه مناصبته آل البيت العداء.

وقد قال الشهر ستاني في الملل والنحل عن الإمام الناصر الأطروش التالي: «لم ينتظم أمر الزيدية، حتى ظهر بخراسان ناصر الأطروش، فطلب مكانه ليقتل، فاختمى واعتزل إلى بلاد الديلم والجيل، وهم لم ينحلوا بدين الإسلام، فدعا الناس دعوة إلى الإسلام على مذهب زيد بن علي، فداناو بذلك، ونشأوا عليه، وبقيت الزيدية في تلك البلاد ظاهرين، وكان يخرج واحد بعد واحد من الأئمة ويلي أمرهم».

وفي الواقع، فقد تضافر هو والهادي مؤسس الدولة الزيدية في اليمن على إحياء المذهب قويا له أنصار وأتباع، وإن اختلف ميدان العمل لكل واحد منهما، وكلا الإمامين كان فقيها عالما، فلم يكونا فقط صاحبا إمامة سياسية، وباجتماعهما يتكون مزيج كامل، فكلاهما يتم الآخر. وقد ورث من جاء بعدهما تلك التركة المثرية من الفقه وعلم آل البيت وعلم السنة، ووصل المذهب الزيدي بمذاهب أهل الأمصار، ولذا لم يكن ثمة من لمع نجمه مثلهما، وذلك لأن لهذين الإمامين فضل إحياء المذهب الزيدي أو بعثه من الركود، وإعطائه قوة في السياسة والعلم، ومن جاء بعدهما وجد السبيل معيدا<sup>(٥١)</sup>.

### الأخوان الهارونيان:

هما الإمام المؤيد ب الله أحمد بن الحسين، وأخوه يحيى بن الحسين بن هارون بن الحسين بن محمد بن هارون بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وكلاهما كان إماما، وتولى منصب إمامة الزيدية بطبرستان (شمال إيران

على بحر قزوين). وقد ولد أولهما سنة ٣٣٣هـ، ويوبع بالخلافة سنة ٣٨٠هـ، وتوفى يوم عرفات سنة ٤١١هـ، وقد بوع أخوه يحيى عقب وفاته. كان المؤيد فقيها وعالما فى النحو واللغة، جامعا للحديث، فاجتمع له الفقه والحديث، مع علم آل البيت، ﷺ أجمعين. أما أخوه يحيى، فقد كان مع علمه باللغة فقيها له تخريجات، واختيارات، وتوجيهات فى المذهب الزيدى، ويلاحظ أن استنباطاته كانت بأرض طبرستان، حيث كان المذهب الحنفى يجاوره فى تلك البلاد، بالإضافة إلى أنه كان قد تلقى المجموع الكبير فى الفقه الزيدى عن تلاميذ على بن محمد بن الحسن النخعى المتوفى سنة ٣٢٤هـ، الذى كان يعد شيخ الحنفية فى عصره، وذكر الذهبى على أنه فى طبقاتهم<sup>(٥٢)</sup>.

ولذا فإننا نجد التلاقى والعلاقة الوثيقة بين المذهب الحنفى والمذهب الزيدى قد وجد فى أمرين:

أولهما: فى لقاء الإمام أبى حنيفة بالإمام زيد بن على وأخذه منه.

وثانيهما: عندما تلاقى المذهبان فى بلاد ما وراء النهر، حيث نشطت الدعاية للمذهب الزيدى فى القرن الثالث الهجرى ويظهر أن المقاربة كانت كبيرة فى الأقيسة بين المذهبين، حتى إن الإمام يحيى بن الحسين الهارونى عد كل مسألة لم ينص عليها المذهب الزيدى، فمذهبه فى هذه المسألة مذهب أبى حنيفة فى أشباهها، إلا أن التقارب مع الحنفية فى أحكام المعاملات، لا يعنى الاتحاد، بل تقارب فى كثير من الحلول الجزئية<sup>(٥٣)</sup>.

لقد قام الإمامان الهارونيان بجمع المذهب من أحاديث وفقه للأئمة الذين سبقوهم، مثل فقه الإمام الهادى، وفقه الإمام الناصر، وفقه الإمام القاسم الرسى، جد الهادى، ونقلوا ذلك إلى الأخلاف من بعدهم. وقد كان هذان الأخوان طريق السند لمن جاء بعدهما من رواة الفقه الزيدى وناقليه<sup>(٥٤)</sup>، حيث إن المذهب الزيدى كان قد تفرق أئتمته فى الأقاليم الإسلامية، وبرز فى كل أرض اجتهادات واستنباطات.

## الأئمة الدعاء:

مما يجدر الإشارة إليه أنه إضافة إلى الأئمة الأعلام فى المذهب الزيدى، الذين ذكرتهم آنفا خارج اليمن، كان هناك الكثير غيرهم، إلا أنه غلب عليهم صفة الدعوة والاحتساب خارج نطاق السياسة والحكم، ومنهم:

## أحمد بن عيسى بن زيد:

وهو حفيد الإمام زيد بن علي، ولد عام ١٥٨هـ، وقد نشأ في العراق زاهدا متعبدا، وهو عالم، فقيه، مجاهد، مقاتل، وكان منصرفا إلى الاجتهاد الفقهي والفتيا، وكانت إقامته في العراق سببا في أن يأخذ بالفقه التقديرى، وهو الأمر الذى اشتهر به فقهاء العراق المتأثرين بالفقه الحنفي، وقد أضاف هذا النوع من الفقه إلى ما ورثه عن جده وآل بيته من فقه قويم. ولكثرة اشتغاله بالأقيسة الفقهية والاجتهاد بالرأى، مع علم السنة وآثار أهل البيت. تلقب بـفقيه آل البيت، وقد صنف كتابا في الفقه سماه من نقلوه عنه (الأمالي). وقد اختص هذا الكتاب من بين الكتب التى كتبها جيله، بأنه قد قورنت فيه الفروع الفقهية بالأدلة ووجه استنباطها من النصوص.

أما عن جهاده فى سبيل ما يعتقد، فقد خرج بشيعة على الدولة العباسية، فسجنه الرشيد<sup>(٥٥)</sup>، إلا أنه تمكن من الهرب، ولم يزل مستترا، والرشيد يجد فى البحث عنه بوضع الرصد فى كل موضع، وتفتيش كل دار، متهما صاحبها بالتشيع، ولم يزل على ذلك، حتى بلغ الرشيد مكان اختفائه فى البصرة، فبعث ببعض رجاله للقبض عليه، ولكنه تمكن من الإفلات ثانية، بعد أن هربه بعض شيعة، الذين كان مصيرهم القتل بأمر الرشيد<sup>(٥٦)</sup>. وطال اختفاء أحمد بن عيسى، إلى أن تولى المأمون الخلافة، وعرف مكانه، ولم يمسه بسوء، لما كان فى المأمون من عدم ميل إلى إراقة الدماء العلوية. وانصرف بعد ذلك أحمد بن عيسى إلى العلم والعبادة، فكان ذلك الإنتاج الفقهي، وآراؤه مدونة ومنثورة ضمن الفروع فى المذهب الزيدى<sup>(٥٧)</sup>.

## عبد الله بن الحسن بن الحسن:

هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، كان شيخ بنى هاشم، والمقدم فيهم: فضلا، وعلمًا وكرما، وبلغ به الفضل أن قال فيه الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز، عندما أدناه منه: إنه يرجو فى قربه شفاعة الرسول محمد. وهو والد كل من محمد النفس الزكية، وأخيه إبراهيم، اللذين فجرى الثورة على حكم بنى العباس فى عهد أبى جعفر المنصور، واستشهدا فى كل من البصرة وطيبة. حبسه أبو جعفر المنصور مع جماعة من أهل بيته فى المدينة خلال ثورة

ولديه محمد وإبراهيم<sup>(٥٨)</sup>، حيث كان أبو جعفر المنصور يرهبه، لما علمه من مراسلة الكثيرين له بتولى الخلافة قبل تولى العباسيين.

ومما زاد من حساسية أبي جعفر المنصور تجاهه، ما قام به أبو سلمة الخلال من محاولات لإزاحة أمر الخلافة عن بنى العباس لصالح الإمام عبد الله بن الحسن والإمام جعفر الصادق، حيث حبس أبو سلمة الخلال كبار رجال العباسيين، ومنهم أبو العباس السفاح، وأبو جعفر المنصور عند قدومهما إلى الكوفة لتأسيس الدولة العباسية، متوسما في ذلك تولى الإمام عبد الله بن الحسن، أو الإمام جعفر الصادق الخلافة<sup>(٥٩)</sup>، إلا أن أبا سلمة الخلال فشل في مسعاه، وتسبب في إلقاء أبي جعفر المنصور القبض على عبد الله بن الحسن مع أهله وحبسهم في سرداب تحت الأرض، إلى أن ماتوا جميعا<sup>(٦٠)</sup>. وأثناء حبس الإمام عبد الله بن الحسن، بعث أبو جعفر المنصور برأس ولده محمد النفس الزكية إليه، بعد فشل ثورته، زيادة في القهر والإذلال، فلم يزد ذلك إلا ثباتا واحتسابا، حتى استشهد وهو في محبسه<sup>(٦١)</sup>.

#### القاسم بن إبراهيم الرسي:

وهو القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ولد في عام ١٧٠هـ في ديار قريبة من المدينة المنورة<sup>(٦٢)</sup>. نشأ في أحضان الفضيلة والعلم، حتى فاق أقرانه، وصار من علماء الإسلام ذى الشأن، وكبير طائفة قومه في الحجاز، وهو أحد الدعاة لبيعة أخيه محمد بن إبراهيم طباطبا في عهد المأمون العباسي، وهو جد الإمام الهادي مؤسس دولة الأئمة الزيدية في اليمن.

وعندما اشتد العباسيون في طلبه بسبب الدعوة لأخيه في مصر، تخفى لمدة عشر سنوات، إلى أن نهض بأمر الإمامة بعد وفاة أخيه<sup>(٦٣)</sup>، ودعا إلى نفسه بمصر، فبايعه الكثير في مكة، والمدينة، والكوفة، وبلاد فارس، فوجه العباسيون الجيوش ثانية في طلبه في عهد المعتصم، فهرب وظل متنقلا بين السودان، ومصر، والعراق، وخراسان، والحجاز<sup>(٦٤)</sup>. لم تساعده الظروف على الصمود في وجه العباسيين، فأبحر إلى حى من البدو في منطقة قريبة من المدينة تسمى الرس، وعاش هناك متحملا للتغرب والشدة، ومتفرغا للعلم، إلى أن توفي في عام ٢٤٦هـ، وإليه ينسب أئمة اليمن. من أهم مؤلفاته: الاحتجاج في الإمام والإمامة، والأصول الخمسة، وأصول العدل والتوحيد، ونفى الجبر والتشبيه،

والإمامة والرد على الروافض من أصحاب الغلو، والرد على المجبرة، والفرائض والسنن،  
والكامل المنير في الرد على الخوارج<sup>(٦٥)</sup>.

واكتفى اختصاراً بذكر هذه النماذج الزيدية من الأئمة الدعاة، والمنتمية إلى بيئات  
وأوطان مختلفة، والمجتمعة على مذهب الإمام زيد بن علي، مع العلم أنني لم أذكر تراجم  
جميع الأئمة الذين فاق عددهم العشرات، لضيق المقام، وإلا فهي مبنوثة في كتب الزيدية  
التاريخية وغيرهم، ككتاب هداية الراغبين إلى مذهب العترة الطاهرين، للهادي بن إبراهيم  
الوزير الحسني، وكتاب التحف شرح الزلف، للسيد مجد الدين بن محمد المؤيدي، وكتاب  
أئمة أهل البيت خارج اليمن، لعباس بن محمد زيد الحسني، وكتاب أعلام المؤلفين  
الزيدية، لعبد السلام بن عباس الوجيه.



## المراجع

- ١ - (اليمن الجمهورى، عبد الله البردونى، الطبعة الأولى، ص ٤١٩).
- ٢ - (الانتصار على علماء الأمصار، الإمام يحيى بن حمزة، الطبعة الثانية، ص ١٦٤ - ١٦٥).
- ٣ - (القبيلة والدولة فى اليمن، الدكتور فضل على أبوغانم، غير مذكور رقم الطبعة أو تاريخها، ص ١٠١).
- ٤ - (أعلام المؤلفين الزيدية، عبد السلام بن عباس الوجيه، الطبعة الأولى، ص ٣٠٠).
- ٥ - (كواكب يمنية فى سماء الإسلام، عبدالرحمن بعكر، الطبعة الأولى، ص ٦٠٨).
- ٦ - (الإمامة وخطرها على وحدة اليمن، منشور محمد محمود الزبيرى، ص ٢٧ - ٣١).
- ٧ - (اليمن الجمهورى، عبد الله البردونى، الطبعة الأولى، ص ٢٣).
- ٨ - (الثقافة والثورة فى اليمن، عبد الله البردونى، طبعة عام ١٩٩١م، ص ١١٤).
- ٩ - (أحداث ثورة ١٩٥٥م، محمد على الأكوع، الطبعة الأولى، ص ٢٣).
- ١٠ - (الثقافة والثورة فى اليمن، عبد الله البردونى، طبعة ١٩٩١م، ص ٣٩٦).
- ١١ - (من هم الزيدية، يحيى الفضيل، الطبعة الرابعة، ص ٦٩).
- ١٢ - (المصدر نفسه، ص ١٦).
- ١٣ - (الإمام زيد، محمد أبو زهرة، طبعة عام ١٩٩٧م، ص ٣٥ - ٣٦).
- ١٤ - (المصدر نفسه، ص ٣٥).
- ١٥ - (المصدر نفسه، ص ٤١ - ٤٠).
- ١٦ - (الزيدية نظرية وتطبيق، على عبد الكريم الفضيل، الطبعة الأولى، ص ١٩).
- ١٧ - (مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهانى، الطبعة الثالثة، ص ١٣١).
- ١٨ - (الإمام زيد، محمد أبو زهرة، طبعة عام ١٩٧٧، ص ٣).
- ١٩ - (المصدر نفسه، ص ٥٩).
- ٢٠ - (الكامل فى التاريخ، لابن الأثير، المجلد الرابع، الطبعة الرابعة، ص ٤٥٢).
- ٢١ - (الإمام زيد، محمد أبو زهرة، مرجع سابق، ص ٥٩ - ٦٠).

- ٢٢ - (مروج الذهب للمسعودى، الطبعة الأولى، الجزء الثالث، ص ١٧١).
- ٢٣ - (مقاتل الطالبيين، لأبى الفرج الأصفهاني، ص ١٤٦ - ١٥٠).
- ٢٤ - (المصدر نفسه، ص ٢٠٧).
- ٢٥ - (الإمام زيد، محمد أبو زهرة، ص ٤٨٢، طبعة عام ١٩٧٤م).
- ٢٦ - (مروج الذهب للمسعودى، الجزء الثالث، ص ٢٤٥).
- ٢٧ - (الإمام زيد، محمد أبو زهرة، ص ١٩٣ - ١٩٤).
- ٢٨ - (مقاتل الطالبيين، لأبى الفرج الأصفهاني، ص ١٨٨).
- ٢٩ - (الزيدية نظرية وتطبيق، على بن عبد الكريم الفضيل، ص ١٣٧).
- ٣٠ - (التحفة شرح الزلف، مجدالدين بن محمد المؤيدى، الطبعة الأولى، ص ٦٥).
- ٣١ - (من هم الزيدية، يحيى الفضيل، ص ١٠٧).
- ٣٢ - (الزيدية نظرية وتطبيق، على بن عبد الكريم الفضيل، ص ١٣٧).
- ٣٣ - (الإمام زيد، محمد أبو زهرة، ص ٤٨١).
- ٣٤ - (من هم الزيدية، يحيى الفضيل، ص ١٠٧).
- ٣٥ - (مقاتل الطالبيين، لأبى الفرج الأصفهاني، ص ٢٧٥).
- ٣٦ - (الكامل فى التاريخ، لابن الأثير، الطبعة الرابعة، المجلد الخامس، ص ١٧٠ - ١٧١).
- ٣٧ - (المصدر نفسه، ص ١٧٤).
- ٣٨ - (التحفة شرح الزلف، مجدالدين بن محمد المؤيدى، ص ٣٢).
- ٣٩ - (الزيدية نظرية وتطبيق، على بن عبد الكريم الفضيل، ص ١٣٨).
- ٤٠ - (مقاتل الطالبيين، لأبى الفرج الأصفهاني، ص ٣٧٢).
- ٤١ - (الزيدية نظرية وتطبيق، على بن عبد الكريم الفضيل، ص ١٣٨).
- ٤٢ - (مقاتل الطالبيين، لأبى الفرج الأصفهاني، ص ٣٦٦).
- ٤٣ - (الزيدية نظرية وتطبيق، يحيى بن عبد الكريم الفضيل، ص ١٣٩).
- ٤٤ - (مقاتل الطالبيين، لأبى الفرج الأصفهاني، ص ٤٠٧).
- ٤٥ - (كتاب الأعلام، خير الدين الزركلى، ١ / ٢٧٩).
- ٤٦ - (الزيدية قراءة فى مشروع، عبد الله محمد إسماعيل حميد الدين، الطبعة الأولى، ص ١٤٨).

- ٤٧ - مقاتل الطالبين، لأبي الفرج الأصفهاني، ص ٤٢٨ - ٤٣٦).
- ٤٨ - (التحفة شرح الزلف، مجد الدين بن محمد المؤيدي، ص ٤٨).
- ٤٩ - (مقاتل الطالبين، لأبي الفرج الأصفهاني، ص ٤٤٥ - ٤٤٦).
- ٥٠ - (أعلام المؤلفين الزيدية، عبد السلام بن عباس الوجيه، الطبعة الأولى، ص ٧٢٣).
- ٥١ - (الإمام زيد، محمد أبو زهرة، ص ٤٨٦ - ٤٨٧).
- ٥٢ - (المصدر نفسه، ص ٤٩٠ - ٤٩٢).
- ٥٣ - (المصدر نفسه، ص ٤٩٤).
- ٥٤ - (المصدر نفسه، ص ٤٩١).
- ٥٥ - (المصدر نفسه، ص ٤٨٢ - ٤٨٣).
- ٥٦ - (مقاتل الطالبين، لأبي الفرج الأصفهاني، ص ٤٩٣ - ٤٩٦).
- ٥٧ - (المصدر نفسه، ص ٤٨٣).
- ٥٨ - (مقاتل الطالبين، لأبي الفرج الأصفهاني، ص ١٦٦ - ١٧١).
- ٥٩ - (مروج الذهب للمسعودي، الطبعة الأولى، الجزء الثالث، ص ٢١٢).
- ٦٠ - (المصدر نفسه، ص ٢٤٨).
- ٦١ - (الزيدية نظرية وتطبيق، علي عبد الكريم الفضيل، ص ١٣٧).
- ٦٢ - (الإمام زيد، محمد أبو زهرة، ص ٤٨٤).
- ٦٣ - (أعلام المؤلفين الزيدية، عبد السلام بن عباس الوجيه، ص ٧٥٩ - ٧٦٠).
- ٦٤ - (نقحات من اليمن، أحمد محمد الشامي، ص ٣٣٧ - ٣٣٨).
- ٦٥ - (أعلام المؤلفين الزيدية، عبد السلام بن عباس الوجيه، ص ٧٥٩ - ٧٦٠).



الفصل الثالث  
الجدور التاريخية لدولة الأئمة  
الزيدية في اليمن

لم يترك أعلام أهل البيت ورموزه ديارهم في الحجاز طواعية، بل تحت ضغط الاضطهاد الأموي والعباسي، الذي اضطهرهم إلى الانتشار في الأقاليم البعيدة عن مركز الخلافة الأموية والعباسية. فمنذ تحكم الأمويين واستئثارهم بالحكم، وصبهم البلاء على الهاشميين وعلى كل من شايعهم من الأنصار، سواء في اليمن أو المدينة المنورة، ومرارة الاضطهاد والتشريد تزداد لهيبا، مما كان له أثره على زيادة تلاحم اليمانيين والهاشميين، بسبب الحرمان الذي اشتركوا فيه.

أما في العهد العباسي، وفي وصف لأحوال الاضطهاد والتشريد، فقد كتب أحد أعلام الهاشميين رسالة وجهها إلى هارون الرشيد، وهو الإمام يحيى بن عبد الله، حيث قال له: قابلتنا أنت وأخوك الجبار الفظ الغليظ العنيد (يقصد موسى الهادي) بأضعاف فتنته، واحتذاء سيرته قتلا، وعذابا، وتشريدا، وتطييدا، حتى لفظتنا الأرض، خوفا منكما، وتأبدا بالفلوات هربا عنكما، فأنست بنا الوحوش وأنسنا بها، وألفتنا البهائم وألفناها<sup>(١)</sup>. وكما حدثنا التاريخ من أن المذاهب الاجتماعية، أو السياسية، أو الدينية المضطهدة تلجأ دائما إلى التحصن فوق الجبال، فنجد هذه الحقيقة تكرر نفسها في بقاع كثيرة من العالم العربي، فيوجد العلويون مثلا فوق جبل العلويين، والدروز مثلا فوق جبل الدروز، والموارنة فوق جبل لبنان، واليمن بدورها بما فيها من جبال وعرة شكلت موطننا مناسباً للاحتباء من البطش العباسي، مما شجع الكثيرين من رجال آل البيت للهجرة إليها واتخاذها موطناً، إلا أن ذلك لم يشكل ظاهرة إلا بعد تأسيس أول دولة زيدية أقامها الإمام الهادي يحيى بن الحسين، تسلسل على أثرها الأئمة المجتهدون من آل البيت في تزعم هذه الدولة حتى عام ١٩٦٢م.

ولا يكتمل الحديث عن الدولة الهاشمية الزيدية في اليمن، ما لم نفرد مساحة كافية للحديث عن أهم الأئمة الذين حكموا هذه الدولة، التي استمرت إلى فترة تعدت ألف ومائة عام، ولكن قبل أن نبدأ بالحديث عن هؤلاء الأئمة، نود الإشارة ابتداءً بأن أكثرهم كانوا من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب، لأن آل الحسن وجدوا في المذهب الزيدي متسعا لهم ولنشاطهم في العلم والإمامة، بعد أن قصر المذهب الجعفري الإمامة في ذرية الحسين بن علي بن أبي طالب<sup>(٢)</sup>، لذلك فقد ظهر في اليمن ٦٦ إماماً من ذرية الحسن، واثنان فقط من ذرية الحسين<sup>(٣)</sup>.

لقد كان قطب دائرة آل البيت فى الحجاز فى القرن الثالث الهجرى متمثلا فى الإمام الهادى يحيى بن الحسين القاسم الرسى، الذى كان مرجعا فى الدين لكل الطوائف الإسلامية والأمصار المختلفة، وكان حينذاك فى المدينة المنورة قائما، هاديا، مرشدا، يدعو لله<sup>(٤)</sup>، لذلك لا بد من إفراده وأبنائه بدراسة خاصة فى الإمامة موجزة؛ لأنه المؤسس هو وأبناؤه لدولة الإمامة الزيدية الهاشمية القرشية فى اليمن، ولأنه الجد المباشر للإمام يحيى حميد الدين، ولعظم الأئمة الذين حكموا اليمن.

### الإمام الهادى يحيى بن الحسين:

هو الإمام الهادى إلى الحق، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب، المؤسس لأول دولة زيدية تقوم على أرض اليمن. كانت اليمن قبل مجيء الإمام الهادى قد انفصلت عن الحكم العباسى، بعد أن بلغ عدد عمالها ما يزيد عن أربعين عاملا<sup>(٥)</sup>، ولم يبق من مظاهر سلطة العباسيين فى اليمن إلا السكة والخطبة، التى كان يقيمها ابن زياد آخر العمال قبل استقلاله عنهم<sup>(٦)</sup>. ومما زاد الأمر سوءا، تغلب قادة الجند والموالى على البلاد، كبنى نجاح فى تهامة، وبنى يعفر فى صنعاء، وبنى معن فى عدن، وآخرين تغلبوا على النواحي والحصون، مما مزق اليمن شر ممزق، وعم الخراب البلاد، وفسدت أحواله، وكثر النزاع، لعدم وجود عصبية كبرى تجمع الناس حولها على الصراط المستقيم<sup>(٧)</sup>.

وفى ظل هذه الأوضاع، ذهب الإمام الهادى إلى اليمن فى سنة ٢٨٠هـ، فوجد فيها أرضا خصبة للدعوة، فبذر فيها البذر الطيب النقى من الآراء الفقهية العميقة، ومن العقيدة الدينية القويمة الخالصة من كل زيغ. وقد أوجد له أتباعا بهذه الرحلة المباركة فى أرض اليمن، إلا أنه عاد إلى الحجاز، ولم يكن فى هذه الرحلة قد دعا إلى إمامته بعد.

عاد الهادى إلى الحجاز بعد أن تعلقته به القلوب، ووجد الراشدون من أهل اليمن أنه مع توالى الحروب والفتن والصراعات بين القبائل، فإنه يستحسن أن يلتفتوا حول شخصية محايدة من خارج النطاق القبلى، يكون لها مكانة روحية ودينية، يمكن من خلالها القيام بأعمال التحكيم بين الناس، وإصلاح أحوالهم وشؤونهم، وفض المنازعات<sup>(٨)</sup>، فما وجدوا شخصية تستطيع أن تجمع شمل اليمنيين، لإطفاء الفتن بينهم سوى شخصية الإمام الهادى، خاصة مع وجود البدع والضلالات التى بدأت تتغلغل مع قدوم مذهب القرامطة،

بقيادة على بن الفضل وابن حوشب، اللذين كانا السبب في تمدد المذهب الإسماعيلي في اليمن، مع وجود الفراغ السياسي، والفوضى التي ضربت أطناها على أرض اليمن. ولذلك ذهب إلى الإمام الهادي في الحجاز وفد يمني من كبار المشايخ والأقباال، يدعو إلى العودة لوضع حد للاقتتال بين القبائل، وقد سبقت كتبهم إليه لدعوته للحضور، فأجاب الإمام الهادي داعيهم، ووصل إلى اليمن في اليوم السادس من صفر عام ٢٨٤هـ إلى صعدة، وعندما وقف يدعو إلى بيعته عاهدتهم العهد التالي بقوله:

«أيها الناس، إنى أشرت لكم أربعاً على نفسى، الحكم بكتاب الله وسنة نبيه، والأثرة لكم على نفسى فيما جعله بينى وبينكم، أوثركم فلا أتفضل عليكم، وأقدمكم عند العطاء، وأتقدم عليكم عند لقاء عدوى وعدوكم، وأشرت لنفسى عليكم اثنتين: النصيحة لله - سبحانه وتعالى - فى السر والعلانية، والطاعة لأمرى على كل حالاتكم ما أطعت الله، فإن خالفت، فلا طاعة لى عليكم، وإن ملت وعدلت عن كتاب الله وسنة نبيه، فلا حجة لى عليكم، فهذه سببلى أدعو الله على بصيرة أنا ومن تبعنى»<sup>(٩)</sup>.

ومن هذا البيان الذى قدم بيعته، يتبين أن أعظم مقاصده كان جمع شمل المسلمين على كتاب الله وسنة نبيه تحت حكم الشريعة، وإصلاح الأمور بين القبائل، التى نخرت المنازعات والحروب فى جسدها. وبعد أن استقر فى صعدة، اتجه إلى أمرين: أولهما: جمع اليمن وما جاورها على حكم واحد، والقضاء على التفرق، وقد جاهد فى ذلك جهادا شديدا، وحارب المبتدعين وأهل الأهواء، حتى استقر لحكمه أكثر اليمن. ثانيهما: توزيع العدالة الحقيقية بين ربوع اليمن، ليكون الاطمئنان والاستقرار، فلا يطمئن الناس إلا إلى حكم عادل يشعرون فيه بالعدالة، وعلى رأسها العدالة الاجتماعية، ولذلك نظم بيت المال، وجمع الزكوات والجزية، ووزعها بين أهلها وسار فى تنظيم بيت المال إلى أقصى مداه<sup>(١٠)</sup>.

ولسيرته العطرة وللإطمئنان إلى حكمه العادل، سار جند اليمن وراءه طائعين لا كارهين فى الجهاد، لجمع الكلمة فى البلاد كلها، ومنذ أن لمع اسم الإمام الهادى، كان بنو يعفر من أشد المعارضين له، والمقاومين لحركته، حيث خاض معهم العديد من الحروب<sup>(١١)</sup>، حتى كانت سنة ٢٩٣هـ، إذ عظم أمر القرامطة، الذين انتحلوا آراء بعض غلاة الشيعة، وتاخموا حدود اليمن، وانتقصوا أطرافها، فخرج الإمام الهادى لجهادهم، متفرغا لذلك،

نظرا لعظم خطرهم على الإسلام، ومكث في ذلك خمس سنوات، وقد أصيب بجراح في هذا الجهاد، ومات راضيا مرضيا في ختام سنة ٢٩٨هـ، ولم يترك ناحية من نواحي الجهاد لم يسر فيها، بما في ذلك المعرفة والاجتهاد، الذي رفعه إلى مرتبة الأئمة أصحاب المذاهب، وقد قام بالأمر بعده أولاده المرتضى والناصر<sup>(١٢)</sup>.

وهنا نلاحظ أنه في أوائل القرن الرابع، دخل الفقه الزيدي مرحلة أخرى باستقرار أوضاع الزيدية نسبيا، نتيجة قيام دولتين زيديتين غير دولة الأدارسة الزيدية في المغرب التي لم تعمّر طويلا. وأولى هذه الدول الزيدية، كانت دولة الإمام الناصر الأطروش، التي أقامها في بلاد الديلم والجيل (وهي المنطقة ما بين جنوب روسيا وشمال إيران)، وتعاقب عليها خلفاؤه. والثانية في بلاد اليمن، التي أقامها الإمام الهادي، وتعاقب عليها خلفاؤه حتى عام ١٩٦٢م. وبالتالي قام في كل واحدة من هذه الدول إمام معترف بإمامته، وذلك تطبيقا للمذهب الزيدي، الذي يجوز إقامة إمامين في قطرين متباعدين، وبالرغم من التباعد ما بين الديلم وجيلان وبين اليمن، فقد كانت الاتصالات العلمية قائمة بالمراسلات والكتب ومدارستها<sup>(١٣)</sup>. ومما يجدر الإشارة إليه، أن شهرة الإمام الهادي لم تكن لتأسيسه الدولة الزيدية في اليمن فحسب، بل تعدت ذلك لعلمه وفقهه، ولمحاربته التمدد القرمطي، الذي تلبس بلبوس التشيع بقيادة أصحاب علي بن الفضل. وقد ترك الإمام الهادي كتبا كثيرة في الفقه والحديث، ومنها كتاب الأحكام الذي سلك فيه مسلك الإمام مالك في الموطأ، وكتاب المنتخب والفنون في الفقه. ولقد فرغ العلماء على نصوصه كثيرا من مسائل الفقه، وخرجوا منها التخاريج المبنية على القواعد الفقهية<sup>(١٤)</sup>.

وقد وافق الهادي الإمام زيد في كثير من مسائل الفقه، وخالفه في كثير. وقد قلده في اجتهاده كثير من أهل اليمن، حيث إنهم يعتمدون على مؤلفاته، وقام أولاده ومن عاصروهم من علماء المذهب الزيدي بخدمة مذهبه، واستخرجوا من نصوصه علل الأحكام وقواعدها، وخرجوا عليها تخريجات مذهبه<sup>(١٥)</sup>.

## أبناء الإمام الهادى

أولاً: الإمام المرتضى محمد بن الهادى:

بعد وفاة الإمام الهادى فى عام ٢٩٨هـ، قام بالأمر بعد وفاته ولده الأكبر محمد، الملقب بالإمام المرتضى<sup>(١٦)</sup>، وقد حكم بلاد همدان ونجران وخولان، وسير جنوده لقتال القرامطة فى مناطق عديدة، ولكنه تنازل عن الولاية وتركها لأخيه أحمد، وانصرف للعلم انصرافاً مطلقاً. كان عالماً بالفقه وأصول الدين، وقد ألف فى الفقه كتباً كثيرة، منها: كتاب الإيضاح، أوضح فيه المذهب الزيدى، وآراء أبيه الهادى، واختياراته واجتهاده هو، ومنها كتاب الأصول فى العدل والتوحيد، وكتاب الإرادة، وكتاب المشيئة، وكتاب التوبة وتفسير القرآن، والرد على الروافض، والرد على القرامطة، والرسائل السبع<sup>(١٧)</sup>، وكتاب النوازل، وهو تفصيل لفتاوى وأحكام واقعات، وله مؤلفات مختلفة فى علم الكلام.

وقد كان مع هذا العلم زاهداً فى الدنيا، ولعل هذا هو السبب الذى جعله يعتزل الإمامة قبل وفاته فى عام ٣١٠هـ، ليتولاها من بعده أخوه أحمد الملقب بالناصر<sup>(١٨)</sup>.

ثانياً: الإمام الناصر أحمد بن الهادى:

أحمد بن الهادى، الملقب بالإمام الناصر، تنازل له أخوه الإمام المرتضى عن الإمامة فى عام ٣٠١هـ<sup>(١٩)</sup>. وتنبع شهرته فى حمله العبء بعد والده فى محاربة القرامطة، الذين بزغ نجمهم فى تلك الفترة، وقد كانت له معهم وقائع وحروب كثيرة استمرت أكثر من ٢٧ عاماً<sup>(٢٠)</sup> أشهرها واقعة نغاش، التى قصمت ظهر القرامطة فى اليمن، وشتت شملهم، ولم تبق لهم شأناً. وقد سار الإمام الناصر بعد هذه الواقعة إلى عدن ابين لتتبع أثرهم<sup>(٢١)</sup>. وإلى جانب كونه سياسياً وقائداً ومحارباً، فقد كان عالماً، فقيهاً، وعابداً، حيث قام بنشر كتب أبيه وعلمه، وقد نشره أولاده من بعده، ونقلوه إلى بلاد الديلم والجيل وخراسان، وسائر عراق العجم، وقد توفى الإمام الناصر عام ٣٢٢هـ<sup>(٢٢)</sup>.

والآن بعد أن أفردنا مساحة للحديث عن الإمام المؤسس للزيدية فى اليمن، الهادى يحيى بن الحسين وأبنائه، يجدر بنا أن نفرد مساحة للحديث عن أهم الأئمة الذين تعاقبوا على حكم اليمن، وللعلم فإن معظمهم كانوا من ذرية الإمام الهادى، ومنهم:

## الإمام أحمد بن سليمان:

هو الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان بن محمد الحسنى، تولى الإمامة فى عام ٥٣٢هـ<sup>(٢٣)</sup>، وينتهى نسبه إلى الإمام الهادى، كان مولده فى عام ٥٠٠هـ، ووفاته فى عام ٥٦٦هـ. كان عالماً، مجتهداً، مجاهداً، مجدداً، برز فى شتى العلوم، وقل أن يوجد له نظير فى العلم والجهاد.

قام بإحياء الدعوة إلى الله، وإلى الجهاد فى سبيله، وخاصة مع تحكم فرقة الباطنية فى اليمن، حيث خاض معهم حروباً لا هوادة فيها، لاستئصال شأفتهم، بعد أن بايعه خلق كثير، وتمكن من حكم صنعاء، وزبيد، وصعدة، وخطب له فى الحجاز وبلغت دعوته الجيل والديلم<sup>(٢٤)</sup>. وله الكثير من المؤلفات التى بلغت الآفاق، ومنها:

- أصول الأحكام فى الحلال والحرام.
- حقائق المعرفة.
- الحكمة الدرية والدلالة النورية.
- الزاهر فى أصول الفقه.
- منهاج المتقين.
- الرسالة الصادقة فى تبیین ارتداد الفرقة المارقة<sup>(٢٥)</sup>.

## الإمام المهدي، أحمد بن الحسين، الملقب بأبى طير:

ولد سنة ٦١٢هـ بالكون من بلاد الظاهر، كان من أعلم أهل زمانه، تولى الإمامة فى عام ٦٤٦هـ، وبلغت دعوته الحجاز، وجيلان، وبلاد الديلم، ونواحى العراق، ودخل فى صراع طويل مع دولة القرامطة ودولة بنى الرسول فى اليمن<sup>(٢٦)</sup>، الذين أعانوا عليه منافسيه من أبناء عمومته من الحمزات الهاشميين، إلى أن استشهد فى سنة ٦٥٦هـ<sup>(٢٧)</sup>. له الكثير من المؤلفات، منها:

- بغية المرتاد.
- حليفة القرآن فى نكت أحكام أهل الزمان.
- المفيد الجامع لما نظمت غرائب الشرائع.
- الرسالة الزاجرة<sup>(٢٨)</sup>.

## الإمام يحيى بن حمزة:

ولد بصنعاء في شهر صفر سنة ٦٦٩هـ، واشتغل بالمعارف الإسلامية منذ صغره، وصحب الإمام المتوكل على الله المطهر بن يحيى في حروبه، ودعا لنفسه بالإمامة بعد وفاة المهدي بن المطهر عام ٧٢٩هـ، وتلقب بالإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة. وقد كانت له وقائع وحروب كثيرة مع الدولة الرسولية، التي اعتنق رموزها الإسماعيلية كمذهب وفكر لدولتهم. انصرف إلى التأليف، وتقريب الشقة بين طوائف المسلمين، بعد أن عارضه أكثر من إمام في عهده، واتسم فكره بالاعتدال والإنصاف، والحمل على السلامة لكل طوائف المسلمين، وله الكثير من المؤلفات، منها:

- الانتصار الجامع لمذاهب علماء الأمصار، وهي موسوعة كبرى في الفقه المقارن.
- أطواق الحمامة في حمل الصحابة على السلامة.
- الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام.
- إكليل التاج وجوهرة الوهاج الانتصار الجامع لمذاهب علماء الأمصار.
- التحقيق في الإكفار والتفسيق.
- تصفية القلوب من درن الأوزار والذنوب<sup>(٢٩)</sup>.

## الإمام المهدي، أحمد بن يحيى المرتضى:

ولد في رجب ٧٧٥هـ، وتوفي أبواه في طفولته، فاحتضنته شقيقته الفقيهة الشريفة دهماء بنت يحيى، وأشرف على تربيته أخواله، وبعد أن اشتد عوده وتبحر في مجال العلوم، نهض للقيام بالإمامة في عام ٧٩٣هـ، بعد أن أجمع عليه أهل الحل والعقد عقب وفاة الإمام صلاح الدين، إلا أن ابن الإمام المتوفى صلاح الدين نازعه في الإمامة، وتمكن من الانتصار عليه، ومن ثم سجنه في صنعاء، فاشتغل بالتأليف والتدريس في سجنه. كان أحد عظماء الإسلام، ومن أفضل أئمة العترة الكرام: عالما، فقيها، مجتهدا، شامخا، متمكنا في شتى الفنون، وقد أثرى المكتبة الإسلامية بمؤلفاته الشهيرة الخالدة، التي ما زالت عمدة للمذهب الزيدي، ومرجعا للفقه الموسوعي، ومن أهم مؤلفاته:



- متن الازهار فى فقه الأئمة الأطهار.
- البحر الزخار.
- الغيث المدرار.
- الأنوار فى صحيح الآثار.
- الجواهر المنتقاة من كتب الرواة.
- القلائد فى تصحيح العقائد.
- رياضة الأفهام فى علم الكلام.
- الجواهر والدرر فى سيرة سيد البشر<sup>(٣٠)</sup>.

### الإمام المتوكل، يحيى شرف الدين:

ولد عام ٨٧٧هـ فى كوكبان، وقرأ العلم على جماعة من العلماء، فظهرت نجابته، وبرع فى العلوم العقلية والنقلية، حتى صنف بأحد أعلام الفكر الإسلامى . دعا لنفسه عام ٩١٢هـ، ودانت له صنعاء، وصعدة، وتعز، وحراز، وتغلب على أكثر مناطق شمال اليمن، واستقر فى كوكبان<sup>(٣١)</sup>. خاض حروبا شرسة مع الدولة الطاهرية فى اليمن، ثم مع الجراكسة الذين قدموا إلى اليمن فى عهده، إلا أنه تمكن من كسر شوكتهم جميعا، حتى ملك البلاد، وأخضع العباد، ودخل الجميع تحت طاعته، حتى دخول العثمانيين إلى اليمن، الذين كانت الحرب سجالا بينهم وبين الإمام شرف الدين وابنه المطهر، المشهور بالجبروت والقسوة على الخصوم<sup>(٣٢)</sup> مما حداه للتبرؤ من أعمال ابنه قائلا: اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع المطهر<sup>(٣٣)</sup>. وانزوى فى كوكبان حتى وفاته فى عام ٩٦٥هـ. ولم تشغله شؤون الحكم عن البحث والتأليف، حيث له الكثير من المؤلفات، نجل أهمها فى التالى:

- الإثمار فى فقه الأئمة الأطهار.
- الرسالة المانعة من استعمال المحرمات الجامعة.
- الادخار - الرسالة الساعية للفضائل.
- الجوابات والرسائل.
- الوصية.
- الدررة المنيرة فى الغرائب من فقه السيرة<sup>(٣٤)</sup>.

## الإمام الحسن بن داوود:

هو الإمام الناصر لدين الله، الحسن بن علي بن داوود، من ذرية الإمام الهادي، ولد ونشأ في مدينة صعدة، وأخذ عن علمائها، حتى فاق الأقران، وعنه أخذ أكبر علماء عصره، كالإمام القاسم بن محمد. كانت دعوته سنة ٩٨٦هـ في قرية الهجر بالأهنوم، فبايعه العلماء، ونفذت دعوته إلى معظم شمال اليمن، عدا صنعاء التي كان يحتلها الأتراك. حدثت معارك وأحداث كثيرة بينه وبين الأتراك، حتى تمكن سنان باشا من أسره عام ٩٩٣هـ ونفيه إلى القسطنطينية، إلى أن مات هناك عام ١٠٢٤هـ وهو سجين. له الكثير من المؤلفات، منها:

- أسنى العقائد في أشرف المطالب. - شرح الموشح. - الفتاوى.
- الانتصار إلى هداية الأفكار<sup>(٣٥)</sup>.

## الإمام المهدي، المعروف بصاحب المواهب:

ولد في جمادى الآخرة من عام ١٠٤٧هـ، وأخذ العلم عن شيوخ عصره، ولقب بصاحب المواهب، نسبة إلى قرية المواهب، التي بناها في ذمار، وجعلها عاصمة حكمه. عرف عنه الشجاعة، والإقدام، والحنكة السياسية، ودعا إلى نفسه بالإمامة عام ١٠٩٧م، بعد وفاة الإمام المؤيد بالله محمد بن الإمام المتوكل إسماعيل. كان حاد الطبع مما أدخله في تنازع مع أبناء عمومته من آل القاسم، إلا أنه تغلب عليهم جميعاً وأودعهم السجون. وقد كثرت حوادث التنازع، ولم تهدأ الثورات والفتن في عهده، وأشهرها فتنة الساحر المحطوري، الذي كثر أتباعه، وتسببوا في سفك الدماء وانتهاك الحرمات، فأرسل إليه الإمام المهدي جيشاً قضى عليه وعلى أتباعه. ومن أهم مؤلفاته:

- الرسالة الغراء.
- الشمس المنيرة لتنوير البصيرة<sup>(٣٦)</sup>.

## الإمام محمد بن عبد الله الوزير:

من أئمة الزيدية في القرن الثالث عشر الهجري مولده في وادي السر، وأخذ العلم عن

علماء عصره، حتى فاق أقرانه. دعا إلى نفسه بالإمامة عام ١٢٦٩م، بتكليف من أعيان زمانه، بعد وفاة الإمام المنصور أحمد بن هاشم، ثم توجه إلى صنعاء لإصلاحها، إلا أنه اضطر إلى الخروج منها ثانية إلى قريته في وادي السر عام ١٢٧١م، بعد أن واجه الكثير من الحوادث على أيدي منافسيه وخصومه، وبقي في قريته عاكفا على العلم والتدريس، حتى وفاته عام ١٣٠٧م. وبالرغم من أنه لم يحكم سوى فترة سنتين، إلا أن أهميته تكمن في مؤلفاته التي أثرت المكتبة الإسلامية، ومنها:

• إيضاح البراهين والدلائل على ما أشكل من المسائل.  
• فرائد الدال.

• الدرارى المشرقة والشهب المحرقة.

• صوارم الحق الباترة.

• الرسائل الشمسية<sup>(٣٧)</sup>.

وأكتفى بذكر هؤلاء الأئمة، والشاهد هنا أننا لسنا في مقام التفصيل أو التبحر في تاريخ سلسلة الأئمة، لما قد يتطلبه الأمر من مصنقات ومجلدات لا يسعنا المقام لتدوينها، لذلك اكتفيت بذكر من برز منهم: قياديا، وسياسيا، وعلميا في مجال الفكر والبحث والتأليف. وقد استمر الأئمة، ومعظمهم من ذرية الإمام الهادي في حمل الأمانة، وتحكيم الشريعة تحت حكم إسلامي صرف على مذهب الإمام زيد بن علي، وراعوا أن يحتفظوا بأنفسهم بعيدا عن تيارات الخلاف والنزاع القبلي، فظلوا بمنأى عن الخصومات والعداوات القبلية، حتى أصبحوا القوة الفاعلة التي يحتكم إليها في المجتمع اليمني<sup>(٣٨)</sup>.

وقد خلفوا ثروة علمية، وتراثا عريقا، وعلما نافعا موفور الثمرات، وكان لكل منهم مقامه في مجال الدعوة، والفكر، والعلم، والاجتهاد، والناحية الإدارية والسياسية والعسكرية، والقُدوة الحسنة، سوى القلة ممن شذ منهم بالتطرف والحدية في التعامل مع الخصوم، مثل الإمام عبد الله بن حمزة صاحب المطرفية، الذي اكتملت فيه جوانب القيادة السياسية، وفاق مجتهدى عصره علما، وفكرا، وأدبا، وبلاغة وفصاحة، وقام بالإمامة بتكليف من علماء عصره، وخاض المعارك العنيفة، بوصفه بطل تحرير لطراد الأيوبيين من اليمن، إلا أنه تطرف فكريا وسياسيا مع فرقة المطرفية، الذين تحالفوا مع الأكراد، فقام باستحلال دمائهم، وسبى نسائهم، مع أنهم يمنيون مسلمون، ومن طائفته الزيدية نفسها، مما سود كل إيجابياته المشرقة.

وكذلك الإمام المطهر شرف الدين، الذى برز عسكريا وسياسيا، وحارب الأتراك بلا هوادة، لطردهم من اليمن، إلا أن فتكه لخصومه بمذابح دموية غير مبررة شان كل إنجازاته العسكرية والقيادية، خاصة المذبحة التى ارتكبها فى صنعاء حال عودته إليها من مذبح منتصرا ومعه ١٥٠٠ أسير، يحمل كل واحد منهم رأسا مقطوعا بين يديه، وبجانب كل أسير حارس موكل به، وعندما وصل بهم إلى أمام قصر أبيه الإمام شرف الدين، أمر كل حارس أن يضرب أسيره، فكان أن يسقط رأسين معا، ولم يستطع والده الإمام يحيى شرف الدين السيطرة على أعصابه من بشاعة المنظر، فقال: اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع المطهر<sup>(٣٩)</sup>. وقد حملة هذا التصرف من ولده إلى التخلّى عن الإمامة، ومغادرة صنعاء قهرا<sup>(٤٠)</sup>.

والحقيقة أن شأن هؤلاء المتطرفين من الأئمة لا يخرج عن شأن غيرهم من الحكام المتطرفين فى أى دولة قامت عبر التاريخ، فيالعقل يستحيل أن يحكم اليمن ٦٨ أماما عبر أكثر من ألف ومائة عام، ولا يكون من بينهم متطرفون أو منحرفون عن جادة السبيل. وبالمنطق يستحيل ألا يأتى على دولة الأئمة ما أتى على غيرها من الدول التى عمرت طويلا، ومرت بأدوار مختلفة من ازدهار، وتخلف، وسعادة، وشقاء، ونهضة، وجمود، إلا أنه - للأسف الشديد - وجدنا الخطاب الإعلامى للجمهورية اليمنية منذ قيام ثورة ٢٦ سبتمبر، انطلاقا من الرغبة فى تشويه كل ما يمت بصلة للأئمة، ولتبرير شرعية قيام النظام الجمهورى على أنقاض حكم الأئمة، وجدنا هذا الإعلام يختزل تاريخ الأئمة الهاشميين برمته فى صورة الإمامين: عبد الله بن حمزة، والمطهر شرف الدين، ويتجاهل كافة النماذج المشرقة من الأئمة، الذين لم ترق للقائمين على السلطة سيرتهم فى الوسطية والتسامح والاعتدال، كالإمام المؤسس الهادى يحيى بن الحسين وابنيه، الإمامين: المرتضى وأخيه الناصر، والإمام المهدي أحمد بن الحسين، والإمام يحيى بن حمزة، والإمام أحمد بن يحيى المرتضى، والإمام القاسم بن محمد وابنيه الإمامين: المؤيد، وإسماعيل، والإمام محمد بن عبد الله الوزير، وغيرهم، وغيرهم مما لا يتسع المجال لذكرهم جميعا.

وفى محاولة لقطع صلة الشعب اليمنى بماضيه المجيد، وفصله عن تراثه وموروثه الثقافى العريق، وجدنا السلطة العسكرية فى اليمن تقوم بدعم وتمويل بعض الكتاب العنصريين كالمؤرخ اسماعيل الأكوع ومن لف لفه من الكتاب الطائفين الحاقدين، الذين كرسوا بكتاباتهم البعد العنصرى والطائفى فى البلاد، ونشطوا فى تجريم الأئمة الهاشميين

وشيطنتهم فى اليمن، موجهين إليهم أصابع الاتهام، بأنهم السبب فى مآسى الحروب والصراعات التى ابتلى بها اليمن عبر ألف سنة، وكان وقودها الضحايا اليمنيين الأبرياء حسب زعمهم، ولكأن اليمن كانت قبل مجىء الأئمة تنعم بالأمن والاستقرار والسلم الاجتماعى، إلى أن أتى الأئمة الوحوش ببلاتهم، لينقضوا على الشعب اليمنى لالتهامه، والسؤال المنطقى الذى يطرح نفسه: إذا كان الأئمة بهذه الصورة من السوء، كما صورهم اعلام العسكر، فلماذا تكبد اليمنىون عناء إحضارهم إلى اليمن، عندما ذهب وفد من كبار مشايخهم وأقيالهم إلى الحجاز لمناشدة الإمام الهادى يحيى بن الحسين مؤسس دولة الأئمة الزيدية للحضور إلى اليمن، لفض الحروب وإطفاء الفتنة، والفصل فى المنازعات التى أهلكت اليمنىين لقرون عديدة؟ وهل يستطيع كائن من كان أن يجحد مفاخر الأئمة فى الوقوف بالمرصاد للعقائد الفاسدة التى بدأت تلوث اليمن، كالعقيدة الباطنية، التى لولا الحروب الشعواء التى شنها الأئمة ضد دعواتها فى اليمن، إلى أن اقتلعوها من البلاد لما قامت للدين قائمة؟ وماذا عن حقيقة رفع الأئمة للواء الدعوة، وسعيهم لأن تكون كلمة الله هى العليا، بفرضهم للشريعة الإسلامية، وبمحاربتهم لحكم الطاغوت المتمثل فى الأعراف القبلىة المخالفة للشريعة الإسلامية، مثل منع توريث النساء، ومضاعفة ديوات المتنفذين من أبناء القبائل، وغير ذلك من البدع والضلالات التى كانت شائعة فى اليمن؟.

وماذا عن حقيقة سجل الأئمة النظيف من جراحات الفرقة الطائفية، التى لم تبتل بها اليمن إلا منذ تولى العسكر السلطة فى اليمن بعد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر، حيث حافظ الأئمة عبر تاريخهم الطويل على نسيج المجتمع اليمنى من التفسخ، بتأسيهم للقيم الراشدة فى العدل، والتسامح، والحرية الفكرية، وبتركهم أثرا جميلا فى التعايش والتناغم بين السنة والشيعه عبر ألف ومائة عام من حكمهم، الذى لم يعرف فيه إقصاء، أو مصادرة، أو عصبية تجاه أحد من أهل السنة، بدليل ما وثقه الكثير من الكتاب والمفكرين اليمنىين كالكتاب والمفكر والمؤرخ اليمنى حسين بن عبد الله العمري، الذى تقلب فى الكثير من المناصب البارزة فى العهد الجمهورى، حيث سلط الضوء فى مؤلفه (يمانيات فى التاريخ والثقافة والسياسة) على المناظرات والنقاشات الحرة التى كانت تعقد فى حلقات الدرس فى عهد الأئمة دون خوف أو جزع بين كافة العلماء: سنة وشيعه، فى جو من الإخاء، والترفع عن الصغائر، دونما تكفير أو تشهير لأحد؟

وماذا عن النهضة الفكرية والثقافية التي انبعثت في ظل دولة الأئمة، الذين حولوا اليمن إلى منارة للإشعاع الفكرى، وورثوا لليمنيين وللعالم الإسلامى دوحة من العلوم وافرة الأثمار، وأثقلوا المكتبات الإسلامية بالألوف من المجلدات والمخطوطات، التي أشعلت ديمومة الثورة الفكرية، فى الوقت الذى كان العالم الإسلامى قاطبة يعيش فى فترة أقل ما توصف بها أنها غير مثمرة، بسبب إغلاق باب الاجتهاد، وتعطيل دور العقل، والاكتفاء باستحضار مدونات السلف وترديدها؟ وماذا عن شهادة شيخ الإسلام العلامة الشوكانى فى كتابه البدر الطالع عن العصور الذهبية لعهد الأئمة، حيث وصف عهد الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام القاسم بن محمد بقوله: «لم ير الناس أحسن من دولته فى الأمن والدعة والخصب والبركة، وما زالت الرعايا معه فى نعمة، والبلاد جميعها مجبورة كثيرة الخيرات، وكثرة أموال الرعايا، وكل أحد آمن على ما فى يده، لعلمه بأن الإمام سيمنعه عدله أن يتعرض لشيء؟».

وماذا عن لم الأئمة لشتات كل قبائل اليمن المتناحرة على اختلاف تشكيلاتهم تحت راية واحدة، ولولا ذلك لما نشأ الحس بوحدة الشعب اليمنى؟ وماذا عن صفات الأئمة فى الزهد، والتواضع، والترفع عن حياة القصور، وملذات الترف التى تقلب فيها باقى حكام اليمن، ناهيك عن الدور المشرف الذى أداه الأئمة عبر تاريخهم الطويل فى تحطيم موجات الغزو الأجنبى من الأكراد الأيوبيين، إلى الجراكسة المماليك، إلى العثمانيين، وانتهاء بالغزو المصرى الناصرى؟.

ومقابل كل تلك المفاخر المحسوبة على الأئمة، يحق لنا أن نتساءل عن الفواجع التى زخر بها تاريخ اليمن فى ظل باقى الحكام الذين سادوا من غير الأئمة، ابتداء من التتابعة، الذين قال الله عنهم فى سورة الدخان: إنه أهلكهم لأنهم كانوا قوما مجرمين، ومرورا بقوم عاد، الذين أخبرنا الله فى سورة الشعراء عن بطشهم وتجبرهم فى الأرض، إلى أن أهلكهم بريح صرصر عاتية، وأهل سبأ الذين حدثنا الله فى سورة سبأ عن اعراضهم واتباعهم للشيطان إلى أن أرسل إليهم سيل العرم عقابا لهم، وأصحاب الأخدود وملكهم المجرم ذى النواس الحميري، الذين توعدهم الله فى سورة البروج على جرائمهم، وانتهاء بجرائم الإبادة التى ارتكبتها السفاحون من حكام اليمن بعد الإسلام، كبسر بن أرطأة، وإلى معاوية بن أبى سفيان، الذى قتل الآلاف من أهل اليمن وسبى الآلاف من نساءه المسلمات

وذبح بيديه طفلين أمام أمهما. وكمعن بن زائدة الشيباني، والى أبى جعفر المنصور، الذى استباح فى يوم واحد أرواح الآلاف من أهل حضرموت، وكإبراهيم بن موسى، والى المأمون العباسى، الذى لقب بالجزار، لكثرة الدماء التى سفكها بين أهل اليمن، وكعلى بن الفضل القرمطى، الذى قتل آلاف اليمنيين وسبى أربعة آلاف امرأة مسلمة فى اليمن، وغيرهم، وغيرهم، ممن لا يتسع المجال للتفصيل فى جرائمهم.

وماذا عن الدماء التى أريققت فى حروب وصراعات كل الممالك اليمنية التى عاصرت الأئمة، كدولة بنى زياد، وبنى نجاح، وبنى طاهر، واليعفرين، والرسلين، والصليحيون، والتى شهد بها ووثقها الكثير من الخصوم التاريخيون للإمام يحيى، كمحمد عبد الله الفسيل، الذى أكد فى كتابه (كيف نفهم القضية اليمنية نحو النور)، بأن التناحر شمل اليمن من أقصاه إلى أقصاه، وأن كل الدول التى حكمت اليمن دخلت - بلا استثناء - فى صراع عنيف وحروب دامية تتنازع مع غيرها من الدول، فى محاولة لانتزاع السلطة، وابتلاع غيرها من الدول؟

وماذا عن حروب وصراعات الجمهورية اليمنية منذ قيام ثورة ٢٦ سبتمبر إلى اليوم، والتى ذهب ضحيتها مئات الآلاف من الضحايا الأبرياء، وآخرها الحروب العنيفة فى منطقة صعدة وجنوب اليمن؟

وماذا عن صرخة الناشطة الحقوقية اليمنية، رئيسة منتدى الشقائق العربى لحقوق الإنسان، المناضلة أمل الباشا، الصرخة التى أطلقتها فى مؤتمر الحوار الوطنى فى صنعاء، والتى شاهدها مئات الآلاف من اليمنيين فى شبكة اليوتيوب، وهى تصدح بالقول: إن الجرائم والانتهاكات التى ارتكبت فى خلال أربعين عاما من العهد الجمهورى لم يرتكب مثلها فى عهد الإمامة كلها؟

فهل نغض الطرف عن كل تلك الحقائق، ونعلق كافة المآسى والمصائب على مشجب الأئمة الهاشميين، وكأنهم فضيلة خاصة من البشر؟

ومما زاد الطين بلة فى التجنى على الهاشميين، دخول مراكز قوى سلفية متنفذة من خارج اليمن على الخط فى تشويه صورة الأئمة وتاريخهم، ومحاولة إماتة ذكهم، ودفن تراثهم الفكرى الزيدى، متكئين على أرتال من الأموال المتدفقة، ومستغلين حالة الفقر والعوز والفوضى، وانعدام الشعور بالمسؤولية التاريخية لدى العسكر شبه الأميين، القائمين على

السلطة في اليمن، وبدلاً من أن تستجيب هذه القوى السلفية إلى نداء العقل، في محاولة خلق تفاهم مشترك مع الزيود، وتسعى إلى استقطابهم واستيعابهم، باعتبار أنهم الأكثر سماحة، والأكثر اعتدالاً، والأقرب لأهل السنة، مقارنة بباقي الطوائف الشيعية، وجدناهم باسم الدين والدعوة إلى الله يتسللون إلى اليمن منذ مطلع الثمانينيات في القرن الماضي لتأسيس قواعد وخمائر تابعة لهم، لتمارس دوراً استفزازياً أشبه ما يكون بالدور الاستفزازي الذي يمارسه اليوم متطرفي الشيعة في حق أهل السنة في لبنان وسوريا والعراق، بل فاق هؤلاء السلفيون متطرفي الشيعة في الحرفية المتناهية في الاستفزاز الصادم للزيود والهاشميين، إلى درجة أن سعوا بما يملكونه من أموال لإفراغ اليمن من هويته الفكرية، بالإستيلاء على الكثير من المخطوطات التاريخية لمؤلفات أئمة آل البيت في اليمن، وباقتحام المساجد الزيدية بقوة السلاح لفرض خطبائهم السلفيين على المنابر، وباستدراج بعض الرموز القبلية الفاسدة بقوة المال لإشراكهم في شحنهم الطائفي وحرابهم المذهبية ضد الزيود والهاشميين في اليمن، وباختراق وزارة التربية والتعليم اليمنية وكافة المؤسسات الدينية من إرشاد ووقف ومعاهد، بالرشاوى والمخصصات المالية الواردة من الخارج بهدف صبغ المناهج التعليمية ومراكز الإفتاء بأيدولوجيتهم الإقصائية المحاربة لدراسة آل البيت، وبلغت قمة استفزازاتهم بأن استزرعوا بؤرة طائفية في عقر دار الزيدية في منطقة صعدة، متمثلة في افتتاح مركز دماج السلفي، ليقوم بتنفيذ أجنداث وخطط منهجية معدة مسبقاً، قوامها التضليل، والتبديع، والتسفيه للزيود وأئمتهم في عقر دارهم، بل بلغ الأمر لدى القائمين على مركز دماج السلفي، مثل مقبل الوادعي المؤسس لهذا المركز، أن قاموا بتكفير الزيود والزيدية، بوصفهم مشركين بالله - حسب زعمهم - وتحويل المركز إلى بيئة حاضنة للإرهاب باستقطاب الآلاف من المسلحين الأجانب، من المغرب العربي حتى اندونيسيا في جنوب شرق آسيا، لحشو عقولهم بالتطرف والكراهية لباقي طوائف المسلمين تحت ذريعة تلقي العلم الشرعي، أما يحيى الحجوري الذي استلم إدارة مركز دماج بعد وفاة مقبل الوادعي، فلقد فاق سلفه بأن حول المركز إلى غرفة عمليات لشن الحروب الطائفية والدعوة إلى ذبح الزيود والهاشميين تحت ذريعة أنهم صفويون روافض، بالتنسيق مع الكثير من القنوات التكفيرية كقناة وصال الفضائية التي تحولت إلى بوقا اعلاميا للتحريض الطائفي والنصرة ليحيى الحجوري ومركزه التكفيرى في دماج، وبدأت تدعو صراحة لطرده الشيعة



الزيود واستئصالهم من جزيرة العرب، مما أدى إلى إخراج الوحش الطائفي من قمقه، وتمدد الإرهاب والتكفير في عموم مناطق اليمن بصورة غير مسبوقه، وتسبب في ضياع ثمرة ألف ومائة عام من جهود الأئمة في ترسيخ قيم الاعتدال والمحبة والتسامح بين أطراف المجتمع اليمني، ولنا عبرة في احداث مستشفى العرضى فى مجمع وزارة الدفاع اليمنية\*، الذى حصلت فيه مجزرة بربرية ارتكبها جماعات من المسلحين التكفيريين الأجانب المستوطنين فى اليمن كثمرة للتحريض الطائفي، راح ضحيتها ٥٦ ضحية من أطباء ومرضى وزوار وعاملين دون استثناء لطفل او امرأة او شيخ عجوز.

الا ان دماء الشهداء فى مستشفى العرضى لم تذهب هدرا، فلقد اخرج الله من باطن هذه الجريمة الشنعاء، خيرا كبيرا ونصرا عظيما للمؤمنين، بأن كشف حقيقة هذا الفكر التكفيرى المنحرف الوافد من الخارج امام اليمنيين على اختلاف مشاربهم، مما كان له اثر ولا شك فى حشد كافة الشرفاء فى اليمن من قبيلتى حاشد وبكيل لتدمير قواعد هذا الفكر الظلامى واصحابه المسلحين الأجانب، واستئصال شأفة مناصريه المحليين من اصحاب اللحى التجارية وتجار الحروب من القوى التقليدية الظلامية، التى منيت بهزائم متتالية فى كل مناطق احتشادهم فى حرض والجوف وحجة وارحب وكتاف وعمران ودنان وخيوان والخمرى وغيرها من مناطق الشمال، إلى ان تم طرد الحجورى من صعدة ومركز دماج الذى اغلق ابوابه فى وجه المسلحين الأجانب بعد أكثر من ثلاثين عام من تأسيسه على يد مقبل الوادعى.

وبمجرد طرد يحيى الحجورى وجماعته الأجنبية المسلحة من منطقة صعدة، بدأ التكفيريون بالتباكى عليهم، مشبهين خروج الرسول واصحابه من مكة على ايدى كفار قريش، وانبرت الأبواق الاعلامية التابعة لهم باتهام الزيود والهاشميين باتباع سياسة التطهير الطائفي والتهجير العرقى الذى سوف ينسف اسس التعايش المشترك، ويهدد بتهتك النسيج الاجتماعى فى اليمن ليمهد إلى تقسيم البلاد على اسس طائفية حسب زعمهم، الا انهم بحملاتهم التضليلية تلك فى المنافحة عن حق التكفيريين والمسلحين

\* من المؤسف ان مجزرة المستشفى حدثت بمجرد أن أطلق مذيع قناة وصال الفضائية تهديداته الصريحة بضرب المستشفى فى صنعاء تحت ذرائع شتى، وهى موثقة بالصوت والصورة، ومن المفجع ان المجزرة وثقتها كاميرات المستشفى بالصوت والصورة أيضا، وبالرغم من كل تلك الأدلة الدامغة، ما زالت قناة وصال الفضائية تمارس دورها المشبوه فى بث الكراهية بين المسلمين والتحريض على الإرهاب والتأجيج للفتن تحت غطاء الدعوة إلى الله.

الأجانب فى التواجد فى منطقة صعدة، ظهوروا كمن ینافح عن حق الشیعة الروافض فى التواجد فى مینة بريدة وسط نجد للذعوة إلى مذهبهم، فهل یقبل السلفیون بذلك، وهل یتسامحون مع من یقوم باستقطاب شیعة العالم الاسلامی لتوطنهم فى مناطقهم التاریخیة وتسلیحهم لإثارة الفتنة الطائفیة ولتسفیة السلفیین وتضلیلهم وتكفیرهم فى عقر دارهم، فإن قبلوا بذلك فلا مانع من عودة الحجورى وجماعته إلى صعدة لاعادة افتتاح مركز دماج لیعاود نشاطاته.

أما عن رأى الشخصی فأرى ان طرد التكفیریین\* من صعدة، بل من كل مناطق الیمن، میرا أخلاقیا وشرعیاً ووطنیا، لتطهیر البلاد من شرورهم ونفسهم الطائفی النشاز الذی دنس ارض الیمن، وشق صف الیمنیین الذین تعایشوا طیلة الف ومائة عام فى سلام ومحبة وتواد دون ان یشهد تاریخهم اى فتنة طائفیة أو فرقة مذهبیة قبل زراعة مقبل الوادعی ومركزه التكفیری فى دماج فى مطلع الثمانینات.

والآن بعد أن وضحت الصورة بجلاء عن الأسباب الحقیقیة التی دفعت الإعلام الرسمى فى الیمن وغيره من الجهات الخارجیة المؤدلجة إلى تشویبه تاریخ الأئمة، بالمسخ، والتحریف، والتحامل علیهم عبر أكثر من نصف قرن منذ قیام ثورة ٢٦ سبتمبر إلى ما قبل ثورات الربیع العربی، أسوق للقارئ بیانا یوضح التسلسل الزمنى للأئمة الذین حکموا الیمن عبر أكثر من ألف ومائة عام:

---

\* للإنصاف ینبغى التمییز هنا ما بین السلفیین التكفیریین، الذین دنسوا الیمن عبر أكثر من ثلاثین عاما بمشاریعهم الطائفیة المریضة، كالشیخ مقبل الوادعی وخیلفته الحجورى، وبین السلفیین المستنیرین الذین خرجوا على الأسس التی یرتكز علیها الفكر السلفی التقلیدى، وإن كانوا الیوم قلة لتغلب تیار الإقصاء والتكفیر والتزمت الدینی على ما سواه عند مشائخ السلفیة، إلا أنهم الرواد الذین سنتشلون السلفیة من كبوتها.

م	الإمام	مدة الحكم
١	الهادى يحيى بن الحسين	٢٩٨-٢٨٤
٢	المرتضى محمد بن الهادى	٣٠١-٢٩٨
٣	الناصر أحمد بن الهادى	٣٢٥-٣٠١
٤	المنصور يحيى بن الناصر	٣٦٦-٣٢٥
٥	يوسف الداعى	٤٠٣-٣٦٦
٦	المنصور القاسم العيائى	٣٩٣-٣٨٩
٧	المهدى الحسين بن القاسم	٤٠٣-٣٩٣
٨	أبو هاشم الحسن بن عبد الرحمن	٤٣١-٤٢٦
٩	أبو الفتح الديلمى	٤٤٤-٤٣٧
١٠	المتوكل أحمد بن سليمان	٥٦٦-٥٣٢
١١	المنصور عبد الله بن حمزة	٦١٤-٥٨٣
١٢	المعتضد يحيى بن المحسن	٦٣٦-٦١٤
١٣	المهدى أحمد بن الحسين	٦٥٦-٦٤٦
١٤	يحيى بن محمد السراجى	٦٦٠-٦٥٦
١٥	المنصور الحسن بن بدر الدين	٦٧٠-٦٦١
١٦	المهدى إبراهيم بن تاج الدين	٦٧٤-٦٧٠
١٧	المتوكل المطهر بن يحيى	٦٩٧-٦٧٦
١٨	المهدى محمد بن المطهر	٧٢٨-٦٩٧
١٩	المؤيد يحيى بن حمزة	٧٤٩-٧٢٩
٢٠	الواثق المطهر بن محمد	٧٥٠-٧٣٠
٢١	المهدى على بن صلاح	٧٣٠-٧٣٠
٢٢	الداعى أحمد بن على الفتحى	٧٥٠-٧٣٠
٢٣	المهدى على بن محمد	٧٧٣-٧٥٠
٢٤	الناصر صلاح الدين بن المهدى	٧٩٣-٧٧٣

٨٤٠-٧٩٣	المنصور على بن صلاح الدين	٢٥
٧٩٣-٧٩٣	المهدى أحمد بن يحيى المرتضى	٢٦
٨٣٠-٧٩٦	الهادى على بن المؤيد	٢٧
٨٧٩-٨٤٠	المتوكل المطهر بن محمد الحمزى	٢٨
٨٤٩-٨٤٠	المهدى صلاح بن علي	٢٩
٨٦٦-٨٤٠	المنصور الناصر بن محمد	٣٠
٩٠٨-٨٦٦	المؤيد محمد بن الناصر	٣١
٩٠٠-٨٧٩	الهادى عز الدين بن الحسن	٣٢
٩٢٩-٩٠٠	الناصر الحسن بن عز الدين	٣٣
٩١٠-٨٨٠	محمد بن على الوشلى	٣٤
٩٦٥-٩١٢	المتوكل يحيى شرف الدين	٣٥
٩٨٠-٩٦٥	المطهر بن شرف الدين	٣٦
٩٩٣-٩٨٦	الحسن بن على بن داوود	٣٧
-١٠٠٦ ١٠٢٩	القاسم بن محمد	٣٨
-١٢٠٩ ١٠٥٤	المؤيد محمد بن القاسم	٣٩
-١٠٥٤ ١٠٨٧	المتوكل إسماعيل بن القاسم	٤٠
-١٠٨٧ ١٠٩٢	المهدى أحمد بن الحسن	٤١
-١٠٩٢ ١٠٩٧	المؤيد محمد بن المتوكل	٤٢
-١٠٩٨ ١١٣٠	المهدى محمد أحمد بن الحسن بن القاسم	٤٣
-١١٢٧ ١١٣١	المنصور الحسين بن القاسم	٤٤
-١١٢٨ ١١٣٩	المتوكل القاسم بن حسين	٤٥
-١١٣٥ ١١٣٥	الناصر محمد بن اسحاق	٤٦

-١١٣٩ ١١٦١	المنصور الحسين بن القاسم	٤٧
-١١٦١ ١١٨٩	المهدي عباس بن الحسين	٤٨
-١١٨٩ ١٢٢٤	المنصور على بن المهدي	٤٩
-١٢٢٤ ١٢٣١	المتوكل أحمد بن المنصور	٥٠
-١٢٣١ ١٢٥١	المهدي عبد الله بن المتوكل	٥١
-١٢٤٧ ١٢٤٧	الهادي أحمد بن علي السراجي	٥٢
-١٢٥١ ١٢٥٢	المنصور علي بن المهدي	٥٣
-١٢٥٢ ١٢٥٦	الناصر عبد الله بن الحسن المهدي	٥٤
-١٢٥٦ ١٢٥٩	الهادي محمد بن المتوكل أحمد	٥٥
-١٢٦٠ ١٢٦٥	المتوكل محمد بن يحيى بن المنصور	٥٦
-١١٣٥ ١١٣٥	الناصر محمد بن اسحاق	٥٧
-١٢٦٤ ١٢٦٥	المنصور أحمد بن هاشم	٥٨
-١٢٦٦ ١٢٦٦	المؤيد العباس بن عبد الرحمن	٥٩
-١٢٦٧ ١٢٦٨	الهادي غالب بن المتوكل محمد	٦٠
-١٢٦٩ ١٢٠٧	المنصور محمد بن عبد الله الوزير	٦١
-١٢٧١ ١٢٩٥	المتوكل المحسن بن احمد	٦٢
-١٢٧٩ ١٢٧٥	المنصور حسين بن محمد بن الهادي	٦٣
-١٢٩٦ ١٣٠٧	الهادي شرف الدين بن محمد	٦٤

١٣٠٧- ١٣٢٢	المنصور محمد بن يحيى حميد الدين	٦٥
١٣٢٢- ١٣٦٧	المتوكل يحيى بن محمد حميد الدين	٦٦
١٣٦٧- ١٣٨٢	الناصر احمد بن يحيى حميد الدين	٦٧
١٣٨٢ (١٣٨٢- <sup>(١)</sup> )	البدري محمد بن احمد حميد الدين	٦٨

حتى وصل الحكم إلى الإمام محمد البدر، وهو آخر الأئمة الذين حكموا اليمن من السلالة الهاشمية، حيث قامت في عهده ثورة ٢٦ سبتمبر من عام ١٩٦٢م على ظهر الدبابات المصرية التي أطاحت بالنظام الإمامي.

ومما سبق، يتضح لنا أن تبوؤ الإمام يحيى حميد الدين لمنصب الإمامة في اليمن، لم يكن تطفلاً على الريادة، بل كان ثمرة جهاد واجتهاد سلسلة من جهاذة علماء أهل البيت ومحبيهم من الفقهاء والرجال الأفاضل في اليمن وخارجه، فالإمام يحيى كان وريثاً لفكر عريق، وتراث أصيل تضرب جذوره في أعماق التاريخ، وبنية تنظيمية عمرها أكثر من ألف ومائة عام، أيدتها وشدت من أزرها القبائل اليمنية، التي غلب عليها الانتصار للبيت الهاشمي، لما رأوا فيهم ما أثار تقديرهم من زهد، وتقوى، وعدل ومظهر للحكم الإسلامي. والحقيقة أن التعلق بالبيت الهاشمي في اليمن لم يكن بالأمر المستحدث منذ قدوم الإمام الهادي إلى اليمن، بل كان له من الجذور والتراكمات التاريخية، ابتداءً من مجيء الإمام علي بن أبي طالب إلى اليمن بكتاب رسول الله إلى صنعاء، واجتماعه بقبائل اليمن الذين أعلنوا إسلامهم على يديه في يوم واحد<sup>(٤٧)</sup>. ومن بعد ذلك تعزز التعلق بآل البيت في عهد الحروب بين الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومعوية بن أبي سفيان، حين بعث معاوية جيشاً بقيادة بسر بن أرطاة إلى اليمن، للقضاء على عبيد الله بن العباس، عامل الإمام علي بن أبي طالب في اليمن، فقام بسر بقتل عبدالرحمن وقتل أبناء عبيد الله بن العباس وهو غائب، ولم يكونوا قد بلغوا الحلم بعد، وقتل خلقاً كثيراً من أنصار الإمام علي بن أبي طالب في اليمن. وقد استنكر الناس قتل الطفيلين عبد الرحمن وقتم، وقالوا لبسر: قتلت الرجال، فعلام تقتل هذين الطفيلين؟ والله ما كانوا يقتلون في الجاهلية ولا في الإسلام، والله يا ابن أرطاة، إن سلطاناً لا يقوم إلا بقتل الصبي الصغير، والشيوخ الكبير، ونزع الرحمة، وعقوق الأرحام، لسلطان سوء<sup>(٤٨)</sup>.

كل هذه التراكمات ولدت التعاطف مع البيت الهاشمي وجذرتة، يتجلى ذلك واضحا فى حرب صفين والجمال فى أيام الفتنة الكبرى، حيث انحاز الهمدانيون إلى الإمام على بن أبى طالب، ومنهم القادة العظام، مثل الأشتر النخعي، ومنهم الصحابة الأبرار، مثل عمار بن ياسر العنسي. وقد ظل اليمينيون معروفين بولائهم لذرية الإمام على ومساندتهم لهم حتى اليوم رغم انف الحاقدين، بدليل الفشل الذريع الذى منيت به كافة المشاريع والمخططات الجهنمية التى نسجت باحكام عبر أكثر من خمسين عاما فى الغرف المغلقة، منذ قيام ثورة ٢٦ سبتمبر بهدف قطع صلة الشعب اليمنى بماضيه الهاشمى المجيد، وآخرها الحروب العبثية فى منطقة صعدة وغيرها من مناطق اليمن، وما ذلك الفشل الا بسبب تمسك اهل اليمن بالأصول من ذرية الرسول، ولفظهم للطرائق المستحدثين الذين لم تبنى لهم قواعد فى اليمن خلال السنوات الثلاثين الأخيرة انطلاقا من جذور او قبول او شعبية بين اليمنيين، بقدر ما بنيت بالرشاوى وتدفق الأموال القذرة الواردة من الخارج. وكما علمنا التاريخ وعصارة التجربة الإنسانية، فان من يراهن على الخارج وامواله على حساب الداخل ورجاله، فانه اول من يخسر وآخر من يستفيد فلا عجب اذن أن يقول ابن عباس للحسين قيل استشهاده فى كربلاء: «أرى يا ابن أختى أن تقر فى مكة، حتى يأتى الناس إليك، وإذا لم يكن لك مناص من الخروج، فاذهب ومن معك من المقاتلين تاركا أهلك بمكة، وإذا أردت أحسن الأمور قصدا، فلترحل إلى اليمن، حيث شيعة أبيك<sup>(٤٤)</sup>». ويقول الإمام على قولته المشهورة فى قبائل اليمن الناصرة : لو كنت بوابا على باب الجنة، لقلت لهمدان: ادخلوا بسلام».

وفى نهاية هذا الفصل، لا يفوتنا التنويه بفضل الكثير من فقهاء الأسر القحطانية، التى كان لها من المواقف ما ثبت جذور الهاشميين فى اليمن، وكان لها من المكانة العلمية والريادة الفكرية ما بعث الفكر الزيدى عبر الآفاق، فالأئمة الذين حكموا اليمن وإن رجحوا شروط الإمامة فى ذرية آل البيت إلى أن أصبح ذلك من الأعراف الملزمة، إلا أنهم حرصوا على أن تكون الوزارة والقيادات المحلية لإمارات الحروب، وسادات التصالح من المنتمين للأسر القحطانية ذات المكانة الفقهية<sup>(٤٥)</sup>. ومن أهم هذه الأسر آل الجرافى، وآل الإريانى، وآل العمرى، وآل الأكوع، وآل الحجرى، وآل الناشرى، وآل العرشى، وآل الشماحى، وآل الوجيه، وغيرهم ممن لا يتسع المجال للإسهاب بالكتابة عنهم، ولمن يريد التوسع فيهم يمكنه اقتناء كتاب كواكب يمنية فى سماء الإسلام، لعبدالرحمن العسكر، أو أعلام المؤلفين الزيدية، لعبد السلام بن عباس الوجيه، ففيهما ما يغنى عن البيان.

وإضافة إلى هذه الأسر، فهناك بعض الأفراد القحطانيين المصنفين بالشخصيات العلمية الفقيهة، التي شكلت رافدا لا يستهان به في بعث التراث الزيدى، وإثرائه بمؤلفاتهم المطولة، وبآرائهم الجديدة التي بلغت آفاق العالم الإسلامي، ومن هؤلاء على سبيل المثال وليس الحصر:

**محمد بهران: ٩٥٧هـ:**

هو محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بهران، كان مولده ونشأته في صعدة، التي أخذ من علمائها. وقد أكثر من الترحال بين المدن اليمينية طلبا للعلم، حتى برع وتفرد برئاسة العلم في عصره. اتصل بالإمام يحيى شرف الدين، وأصبح من خاصته، وتفرد للعلم والتدريس والتأليف، حتى توفي في صعدة عام ٩٥٧هـ، ومن أهم مؤلفاته:

ابتسام البرق، وبداية المهتدى وهداية المبتدى، وبهجة الجمال ومحجة الكمال، والبغية الوافية في التصريف، وتحفة الطالب في النحو، وتفتيح القلوب والأبصار، والتكميل الشاف في كشف معاني الكشاف، والمختصر الشافي في علم العروض والقوافي<sup>(٤٦)</sup>.

**المظهر الجرموزى ١٠٠٣م - ١٠٧٦هـ:**

كان فقيها، عالما، وأديبا احتل مكانة كبرى في عهد الدولة القاسمية، لسابقته في الجهاد مع الإمام القاسم بن محمد وولديه المؤيد والمتوكل ضد الأتراك، ويعود له الفضل في جمع سير الأئمة المؤسسين للدولة القاسمية. تولى منطقة عتمة، ولازم الإمام القاسم بن محمد وولديه المؤيد والمتوكل. له الكثير من المؤلفات، منها: تحفة الأسماع والأبصار، والجوهرة المنيرة والدرة المضيئة في السيرة القاسمية، وعقد الجواهر البهية<sup>(٤٧)</sup>.

**أحمد بن أبي الرجال ١٠٢٩ - ١٠٩٢هـ:**

من العلماء الكبار والمؤرخين المشهورين، أخذ العلم عن أعيان علماء عصره، ومنهم الإمام المتوكل على الله إسماعيل وأخوه المؤيد محمد بن القاسم. وقد قلده الإمام المتوكل إسماعيل منصب خطيب صنعاء طوال فترة حكمه لأكثر من ثلاثين عاما، ومن أهم مؤلفاته: كتابه الشهير مطلع البدور، ومجمع البحور، وكتاب تيسير الإعلام بتراجم تراجمة التفسير الأعلام، وكتاب الدر النظيم بشرح العقيدة الصحيحة، وكتاب تيسير الشريعة لوراد الشريعة<sup>(٤٨)</sup>.



## صالح بن مهدي المقبلي ١٠٤٧هـ - ١١٠٨هـ:

كان يحفظ الأمهات الست متونا وأسانيد عن ظهر قلب، وبرع في جميع علوم الكتاب والسنة، واللغة العربية، والمعاني والبيان، وله الكثير من المؤلفات، مثل كتاب المنار والعلم الشامخ، ونجاح الطالب على مختصر ابن حاجب، والإتحاف لطلبة الكاشف والأرواح، والنوافخ والأبحاث المسددة، إلا أنه كان فيه حدة على من خالفه كائنا من كان، أوجبت المنافرة بينه وبين الكثير من العلماء والفرق في اليمن، مثل المعتزلة، والأشعرية، والصوفية، ولم يكن يبالي إذا تمسك بالدليل، مما جعله يهاجر إلى مكة، التي لم يسلم فيها كذلك من الإنكار عليه، إلى درجة أن اتهمه علماء مكة بالزندقة، واستعدوا عليه السلطة هناك. إلا أنه في الجملة لا يستغنى عن علمه ومؤلفاته التي أثرت الساحة الفكرية<sup>(٤٩)</sup>، فمن أهم مؤلفاته: العلم الشامخ في إثبات الحق على الإباء، والأبحاث المسددة في فنون متعددة، والإتحاف لطلبة الكشاف<sup>(٥٠)</sup>.

## الحسن الشيبلي ١١٠٧ م - ١١٦٩هـ:

كان فقيها، محققا، تولى القضاء فترة من الزمان في مدينة تعز، ثم انتهت إليه رئاسة علم الفقه الزيدي الهاديوي، بعد أن عكف على التدريس ونشر العلم بمدينة ذمار. وقد تخرج على يديه مشاهير العلماء، وانتشر صيته في البلاد، وله هوامش على شرح الأزهار، وبيان ابن المظفر في غاية التحقيق لمذهب الهاديوية، واعتنى بتذهيب نسخة شرحه، فصارت المعتمد والمرجع للطلبة والعلماء في البلاد اليمنية، ومن أهم مؤلفاته: المعتمد، وحاشية بيان ابن المظفر، وحاشية شرح الأزهار، وحاشية في بيان تحقيق النصاب<sup>(٥١)</sup>.

## محمد بن علي الشوكاني ١١٧٣ م - ١٢٥٠هـ:

شب متفتح الذهن، شغوفًا بالتاريخ والأدب، مطبوعًا على البحث والاستقصاء وحرية الفكر. حفظ القرآن والحديث وأهم متون اللغة بعلمه الخمسة وهو في العشرين من عمره، فأصبح مؤهلاً للفتوى باعتراف شيوخه. وقد ولاه الإمام المنصور علي بن الحسين منصب القضاء العام وهو ابن السادسة والثلاثين، واستمر على القضاء لثلاثة عهود، فبعد الإمام المنصور علي بن المهدي، وولاه ابنه الإمام المتوكل أحمد، ثم ولاه حفيده الإمام المهدي عبد الله، وجمع إلى القضاء العام مستشار الإمام، فكان مرجع الدولة في كبار الأمور، وتم له

خلال عهده تعزيز المدرسة الاجتهادية فى اليمن، بعد أن كان قد استحكم التقليد، مما عرضه لهجمات الغلاة من الشيعة الزيدية، شأنه فى ذلك شأن كل مصلح يأتي بالجديد. ومن مؤلفاته: شرح المنتقى، وحاشية شفاء الأورام، والدرر البهية، وقد جمع من رسائله ثلاث مجلدات كبار سميت بالفتح الربانى فى فتاوى الشوكانى<sup>(٥٢)</sup>.

أحمد بن عبد الله الجندارى ١٢٧٩م - ١٣١٠هـ:

كان إماما متبحرا فى علم أصول الدين، وانتهت إليه رياسة المعرفة فى علوم الحديث، مع اليد الطولى فى علم التفسير. كان من مشايخ الإمام يحيى حميد الدين، الذى درس على يديه كثيرا وتأثر به، ومن أشهر مؤلفاته فى أصول الدين: حاشية العقد الثمين فى معرفة رب العالمين، وسمط الجمان شرح الرسالة الناصحة للإخوان، ونور الصباح على الإيضاح. أما مؤلفاته فى علم الحديث والرجال، فهى: البرق للموع فى الجمع بين احاديث الأماليين والمجموع، ورحيق الأزهار فى تراجم رجال شرح الأزهار، واتحاف الإخوان بذكر الدعاة من قرناء القرآن<sup>(٥٣)</sup>.

ونظرا لضيق المقام فلقد اكتفيت بهذه الشخصيات المذكورة آنفا من الفقهاء القحطانيين، على سبيل المثال وليس الحصر. ولمن يريد التوسع سوف يجد أسماء المآت من غيرهم مبنوثة فى كثير من المراجع ومنها ما قد سبق ان أشرت إليها.

## المراجع

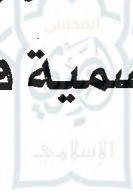
- ١ - (الزيدية قراءة فى المشروع وبحث فى المكونات، عبد الله محمد حميد الدين، الطبعة الأولى، ص ١١٩).
- ٢ - (الإمام زيد، محمد أبو زهرة، طبعة عام ١٩٧٤م، ص ٤٩٤).
- ٣ - (اليمن عبر التاريخ، أحمد حسين شرف الدين، الطبعة الثالثة، ص ٢٤٥).
- ٤ - (الإمام زيد، محمد أبو زهرة، مرجع سابق، ص ٤٩٥ - ٤٩٦).
- ٥ - (اليمن عبر التاريخ، أحمد حسين شرف الدين، الطبعة الثالثة، ص ١٨٧).
- ٦ - (المصدر نفسه، ص ٢٤٥).
- ٧ - (المصدر نفسه، ص ١٨٩).
- ٨ - (البنية القبيلية فى اليمن، الدكتور فضل على أبو غانم، الطبعة الثانية، ص ٣٢٧).
- ٩ - (الإمام زيد، محمد أبو زهرة، ص ٤٩٧، مرجع سابق).
- ١٠ - (المصدر نفسه، ص ٤٩٨).
- ١١ - (اليمن عبر التاريخ، أحمد حسين شرف الدين، الطبعة الثالثة، ص ١٩٠).
- ١٢ - (الإمام زيد، محمد أبو زهرة، مرجع سابق، ص ٥٠٠).
- ١٣ - (المصدر نفسه، ٥٠٠ - ٥٠١).
- ١٤ - (المقتطف من تاريخ اليمن، عبد الله عبد الكريم الجرافى، الطبعة الثانية، ص ١٦٨).
- ١٥ - (الإمام زيد، محمد أبو زهرة، مرجع سابق، ص ٥٠١).
- ١٦ - (اليمن عبر التاريخ، أحمد حسين شرف الدين، الطبعة الثالثة، ص ٢٥٣).
- ١٧ - (أعلام المؤلفين الزيدية، عبدالسلام بن عباس الوجيه، الطبعة الأولى، ص ١٠١٣).
- ١٨ - (الإمام زيد، محمد أبو زهرة، مرجع سابق، ص ٤٨٨).
- ١٩ - (اليمن عبر التاريخ، أحمد حسين شرف الدين، مرجع سابق، ص ٢٥٣).
- ٢٠ - (الإمام زيد، محمد أبو زهرة، مرجع سابق، ص ٥٠٠).
- ٢١ - (المقتطف من تاريخ اليمن، عبد الله بن عبد الكريم الجرافى، مرجع سابق، ص ١٧٠).

- ٢٢ - (الإمام زيد، محمد أبو زهرة، مرجع سابق، ص ٤٨٨).
- ٢٣ - (اليمن عبر التاريخ، أحمد حسين شرف الدين، مرجع سابق، ص ٢٥٤).
- ٢٤ - (تاريخ اليمن للواسعي، عبد الواسع بن يحيى الواسعي، الطبعة الثانية، ص ١٨٨).
- ٢٥ - (أعلام المؤلفين الزيدية، عبدالسلام بن عباس الوجيه، مرجع سابق، ص ١١٤).
- ٢٦ - (المصدر نفسه، ص ٩٦).
- ٢٧ - (تاريخ اليمن، عبد الواسع بن يحيى الواسعي، الطبعة الثالثة، ص ١٩٧).
- ٢٨ - (أعلام المؤلفين الزيدية، عبد السلام بن عباس الوجيه، مرجع سابق، ص ٩٧).
- ٢٩ - (المصدر نفسه، ص ١١٢٤).
- ٣٠ - (المصدر نفسه، ص ٢٠٦).
- ٣١ - (المصدر نفسه، ص ١١٣٤).
- ٣٢ - (تاريخ اليمن للواسعي، عبدالواسع بن يحيى الواسعي، ص ٢١٥ - ٢١٨، الطبعة الثالثة).
- ٣٣ - (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، دكتور عبد العزيز قائد المسعودي، الطبعة الأولى، ص ١٢٣).
- ٣٤ - (أعلام المؤلفين الزيدية، عبد السلام بن عباس الوجيه، مرجع سابق، ص ١١٣٥).
- ٣٥ - (المصدر نفسه، ص ٣٣٤).
- ٣٦ - (المصدر نفسه، ص ٨٤٠).
- ٣٧ - (المصدر نفس، ص ٩٣٢).
- ٣٨ - (البنية القبلية في اليمن، الدكتور فضل علي أبو غانم، الطبعة الثانية، ص ٣٢٧).
- ٣٩ - (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، دكتور عبدالعزيز قائد المسعودي، الطبعة الأولى، ص ١٢٣).
- ٤٠ - (اليمن عبر التاريخ، أحمد حسين شرف الدين، مرجع سابق، ص ٢٤٩).
- ٤١ - (المصدر نفسه، ص ٢٥٣).
- ٤٢ - (من هم الزيدية، يحيى الفضيل، الطبعة الرابعة، ص ٦٨).
- ٤٣ - (الكامل في التاريخ، لابن الأثير، المجلد الثالث، الطبعة الرابعة، ص ٢٥١).
- ٤٤ - (اليمن الجمهوري، عبد الله البردوني، الطبعة الأولى، ص ١٧).

- ٤٥ - (المصدر نفسه، ص ٣١).
- ٤٦ - (أعلام المؤلفين الزيدية، عبد السلام بن عباس الوجيه، مرجع سابق، ص ١٠١٩).
- ٤٧ - (المصدر نفسه، ص ١٠٣٥).
- ٤٨ - (المصدر نفسه، ص ١١٨).
- ٤٩ - (كواكب يمنية فى سماء الإسلام، عبد الرحمن بعكر، الطبعة الأولى، ص ٤٧٧).
- ٥٠ - (أعلام المؤلفين الزيدية، عبد السلام بن عباس الوجيه، مرجع سابق، ص ٤٩٢).
- ٥١ - (المصدر نفسه، ص ٢٩٥).
- ٥٢ - (كواكب يمنية فى سماء الإسلام، عبد الرحمن بعكر، مرجع سابق، ص ٦٠٧).
- ٦١٤ -
- ٥٣ - (أعلام المؤلفين الزيدية، عبد السلام بن عباس الوجيه، ص ١٣٤).



## الفصل الرابع الدولة القاسمية في اليمن



ينظر المؤرخون إلى دولة الإمام يحيى حميد الدين المسماة بالملكة المتوكلية اليمنية، ليس بوصفها كيانا سياسيا مستقلا قائما بذاته، بل بوصفها دولة لها امتداد طبيعي مكمل لدولة الأئمة الزيديين وكيانهم السياسى، الذى تأسس فى اليمن عام ٢٨٤هـ على يد الإمام الهادى يحيى بن الحسين، من ذرية الإمام على بن أبى طالب وفاطمة الزهراء، وبالتالي فإن الكثير من المؤرخين صنفوا كيان هذه الدولة كأقدم كيان سياسى عمرا لما يربو عن ١١٠٠ عام حتى سقوطه فى عام ١٩٦٢ ميلادى<sup>(١)</sup>.

أما الدولة القاسمية التى أسسها جد الإمام يحيى المباشر، الإمام القاسم بن محمد فى القرن السادس عشر الميلادى، فقد كانت الحلقة المكملة والامتداد الطبيعى الأقرب فى هذه السلسلة من الحلقات التى استمرت حتى قيام ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢م<sup>(٢)</sup>، إلا أن ما يميزها تمكنها من إطفاء طموح كل العناصر المنافسة، سواء من أبناء العمومة الهاشميين، أو غيرهم من الأمراء القحطانيين الطامحين، والسبب فى ذلك تحلى أئمتها ابتداء من المؤسس، وانتهاء بذريته بمقامات أكسبت الدعوة الزيدية مكانة إلى مكانتها، يتجلى ذلك واضحا فى أن معظم أئمة اليمن منذ عهد الإمام القاسم بن محمد حتى العصر الحديث فى القرن العشرين، باستثناء فترات قصيرة متقطعة، كانوا من سلالة الإمام القاسم بن محمد، بما فى ذلك الإمام يحيى حميد الدين. وهذا الاتصال التسلسلى للدولتين المتوكلية والقاسمية يلزمنا أن نفرد مساحة كافية للتحديث عن الدولة القاسمية، وذلك فى سياق التعريف بالجذور التاريخية لدولة الإمام يحيى حميد الدين المسماة بالملكة المتوكلية اليمنية.

ترجع أهمية الدولة القاسمية فى تاريخ اليمن إلى عدة عوامل، منها ما كان لها من دور عظيم فى مقاومة موجات الغزو الأجنبى وتحطيمه، موجة إثر موجة، ليس دفاعا عن النفس فحسب، وإنما استنقاذا لليمن كلها، وحماية لها من الوقوع تحت سيطرة الدول الطامعة والغاشمة<sup>(٣)</sup>. وإزاء ضراوة المقاومة ومواقف التحدى المصيرى الذى جوبهت به هذه الدولة طيلة تاريخها، تمكننا من تحويل ضعفها إلى قوة خارقة، حيث حررت نفسها واليمن كله فى القرن السابع عشر الميلادى من الاحتلال التركى، وهو ما لم تستطع كل طوائف وشعوب العالم العربى والإسلامى عمله، وحولت اليمن خلال فترة الاحتلال التركى الثانية بعد منتصف القرن التاسع عشر، وإلى نهاية الحرب العالمية الأولى إلى مقبرة للأتراك<sup>(٤)</sup>.

هذا بالإضافة إلى أنها خلقت وحدة سياسية وبشرية مترابطة فى اليمن بحدودها الطبيعية تحت لواء الأئمة الزيدية، فدولة الأئمة الزيدية قبل مجيء الإمام القاسم بن محمد، وإن تميزت بفك الارتباط السياسى والاستقلال عن الخارج، خلافا لغيرها من الدول

القحطانية التي كانت مسيرة من الخارج، مثل دولة بنى زياد، ودولة بنى يعفر، ودولة بنى نجاح، الذين حكموا باسم العباسيين، ودولة القرامطة، ودولة الصليحيين، ودولة بنى حاتم الذين حكموا باسم الفاطميين<sup>(٦)</sup>، ودولة بنى الرسول، الذين حكموا باسم الأيوبيين<sup>(٧)</sup>، إلا أن دولة الأئمة كانت بين تمدد وانكماش منذ قدوم الإمام الهادي إلى اليمن، بسبب الاضطراب العنيف والحروب الدامية بين كافة الإمارات والدويلات المتعددة، وكل منها يحاول ابتلاع الأخرى<sup>(٨)</sup>، ولم يستتب الأمر كلياً لأي طرف في الاضطراب، ولا استقرت الأحوال في اليمن، إلى أن تم تأسيس الدولة القاسمية في عام ١٥٩٥م، التي كانت أول من استقل بحكم اليمن كاملاً<sup>(٩)</sup>.

ولقد استتب الأمر لهذه الدولة قرابة أربع قرون تحت سلطة مركزية تمكنت من القضاء على كل خصومها ومنافسيها السياسيين، سواء من الأمراء القحطانيين، أو الهاشميين، أو الدعاة القرامطة الذين بدؤوا بالانتشار في اليمن منذ أيام دعواتهم الأوائل: علي بن الفضل وابن الحوشب، حتى ظهور الإمام يحيى حميد الدين، وهو حفيد المؤسس الإمام القاسم بن محمد، الذي سار على نهج أسلافه في محاربة القرامطة والأتراك، ومن ثم الإنكليز المحتلين لنصف اليمن. أما عن ذرية الإمام يحيى، فقد أدى أبناؤه وأحفاده من بعده دوراً تاريخياً سياسياً، وثقافياً، وعسكرياً في إذكاء روح المقاومة المسلحة ضد بريطانيا، وتحطيم موجات الغزو الخارجي المتمثل في التدخل المصري الناصري في اليمن.

أما العامل الآخر المتمثل في أهمية هذه الدولة، فيتجلى في النهضة الفكرية التي انبعثت في ظلها. ففي الوقت الذي كان العالم الإسلامي قاطبة يعيش في فترة أقل ما توصف بها أنها غير مثمرة في القرن السابع عشر والثامن عشر، كانت هذه الفترة فترة ازدهار من أزهى عصور اليمن الإسلامي ثقافة وفكراً، فاشتهرت فيها مجموعة كبيرة من الأسماء الكبيرة لعلماء وأدباء، ولعت فيها أسماء كثيرة من الشعراء، فكان شاعر اليمن الهبل تجديداً فنياً لعصر المتنبي، وكانت مؤلفات الشوكاني، وابن الأمير، والمقبلي، والجلال منارات مضيئة وسط محيط عربي وإسلامي دامس<sup>(١٠)</sup>. وقد أثار هذا النشاط الفكري والأدبي إعجاب الكثير من المفكرين والأدباء المعاصرين من أمثال صادق الرافعي، وأحمد أمين، وطه حسين<sup>(١١)</sup>، وغيرهم ممن انبهر بسبيل المؤلفات الفكرية التي أثمرت المكتبة الإسلامية.

وبعد أن تم تقديم هذه النبذة الموجزة عن الدولة القاسمية، سوف نبدأ بالتعريف لمؤسس هذه الدولة التي انطلقت في القرن السادس عشر ميلادياً.



## الإمام المؤسس القاسم بن محمد:

تنسب الدولة القاسمية إلى مؤسسها الإمام القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد بن أحمد ابن الأمير الحسين الأملحي بن علي بن يحيى بن محمد ابن الإمام يوسف الأشل بن القاسم ابن الإمام الداعي إلى الله يوسف الأكبر ابن الإمام المنصور بالله يحيى ابن الإمام الناصر أحمد ابن الإمام الهادي يحيى بن الحسين ابن الإمام ترجمان الدين القاسم بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم بن الحسن المثني بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب.

ولد في ١٢ صفر سنة ٩٦٧هـ، الموافق عام ١٥٥٩م بالشاهل من بلاد الشرف، ونشأ في بيئة صلاح وتقوى، وأخذ العلم عن كبار علماء عصره، وتفتح ذهنه على وقع الحروب المستعرة بين الإمام المطهر شرف الدين والعثمانيين، ورأى في أبيه مثال المجاهد الذي وقف محاربا للدفاع عن مذهبه في صفوف إمام اليمن في ذلك الحين<sup>(١١)</sup>.

بعد وفاة الإمام المطهر شرف الدين ضعف شأن المقاومة اليمنية تجاه الأتراك، لعدم وجود شخصية قوية تستطيع مواجهة الحكم العثماني، وبسبب انقسام أولاد الإمام المطهر وتفرق كلمتهم، فمنهم من مال إلى العثمانيين، ومنهم من حارب أخاه، مما مهد الطريق إلى دعوة الإمام الحسن بن علي بن داوود، الذي بدأ بمناوشة العثمانيين، فسلطوا عليه أبناء عمومته من ذرية الإمام المطهر شرف الدين، الذين خاضوا معه حروبا شعواء، كان يزيد العثمانيون من سعيرها بضرب الزعماء الزيديين بعضهم ببعض، مما سهل القضاء عليهم جميعا، وسوقهم أسرى إلى الاستانة. ويروى أن الإمام القاسم بن محمد كان يومئذ في صحبة الإمام الحسن بن داوود وهو يساق إلى ميناء المخا، تمهيدا لترحيله إلى الاستانة، فمنع القائد العسكري التركي الكخيا سنان القاسم بن محمد من صعود السفينة للسير مع الراحلين، مما اضطر القاسم بن محمد إلى الرجوع لصنعاء، والجلوس في مسجد داوود للقراءة والدرس تمهيدا لظهوره<sup>(١٢)</sup>.

يتضح من هذا العرض، أن القضاء على أولاد الإمام المطهر شرف الدين والإمام حسن داوود، ونفيعهم إلى الأستانة، كان إرهابا لدعوة الإمام القاسم بن محمد، وإخلاء للطريق أمام دعوته التي كان لا بد أن تقوم في فترة خلا اليمن فيها من الأئمة، ناهيك عن زخم العقيدة الزيدية التي تحتم ظهور إمام في مثل هذه الظروف، لذلك لم يكن غريبا أن يظهر الإمام القاسم بن محمد ويعلن إمامته<sup>(١٣)</sup>.

أظهر القاسم بن محمد دعوته من جبل قارة في منطقة صعدة في ٦ صفر سنة ١٠٠٦ هـ، الموافق ١٥٩٧ م، وقد اعتمد في بث دعوته على أمرين، أولهما: الطواف لسنوات في الأقاليم الشمالية حاثا الأهالي على الانضمام إليه، وعندما يشتد العثمانيون في طلبه يختفى مع رجال من خاصته في الفلوات والكهوف، فلا يجد هو وأصحابه ما يأكلون سوى من نبات الأرض. أما الأمر الآخر الذي اعتمد عليه في بث دعوته، فالخطابات، والرسائل، والكتب الكثيرة التي كان يرسلها إلى الأفراد والجماعات. وقد وجدت دعوة الإمام القاسم استجابة كبيرة لدى القبائل اليمينية، التي رأت فيه تعبيراً عن تدمرها من بطش وسوء تصرف الولاة والجنود العثمانيين، الذين اعتمدوا على الشدة والقسوة في تعاملهم مع اليمينيين، وإرهاق القبائل بجباية الخراج والضرائب التي كانت ترسل إلى إستانبول، ويشير إلى ذلك الجرموزي، وهو كاتب سيرة الإمام بقوله: «أما المال، فلهم في أخذه سطوة، فقد يعذبون أهله العذاب العظيم، مثل ضرب السياط قليلاً وكثيراً، وقد يجلدون بعضهم حتى يموت مع المشاهدة والكي بالنار، وغير ذلك»<sup>(٤)</sup>.

كان العثمانيون قد بدؤوا يشعرون بخطورة دعوة الإمام القاسم بن محمد، وزاد من خطر هذه الدعوة دخول الكثير من القبائل في طاعة الإمام، وإظهار الدعاء له في المساجد بعد أن بدأ صيت دعوته يتمدد، فأخذ العثمانيون يجتهدون في بذل الأموال لمطاردته، وشن الحروب عليه بالتحالف مع بعض الأمراء اليمينيين من ذرية الإمام السابق المطهر بن شرف الدين، مثل محمد بن شمس الدين صاحب كوكبان، وعبد الرحيم بن عبد الرحمن حاكم حجة، من أجل القبض عليه<sup>(٥)</sup>. وزاد العثمانيون على ذلك بأن شنوا حرباً نفسية لإرهاب من يفكر في الارتباط بالإمام القاسم، ومن ذلك سلخهم جلود دعائه ورساله إلى القبائل وهم أحياء، كما فعلوا بالسيد عامر بن علي، وهو عم الإمام القاسم، وكما حدث مع العياني والحماطي، ورغم تلك الممارسات الإرهابية، إلا أنها لم تثن الإمام عن دعوته، بل زادت ثوره وعزماً على مواجهة العثمانيين<sup>(٦)</sup>، فخاض معهم الكثير من الحروب والمعارك، إلى أن نجح في بسط سيطرته على الحصون والأقاليم الممتدة من صعدة شمالاً إلى صنعاء جنوباً، ما عدا هاتين المدينتين اللتين تعرضتا للحصار أكثر من مرة<sup>(٧)</sup>. وهذه النجاحات التي حققها الإمام القاسم أثارت زعر الوالي العثماني حسن باشا، الذي سارع بطلب النجدة من مصر وإستانبول، فأرسلت السلطنة العثمانية إلى واليها في مصر بتجهيز الإمدادات اللازمة لإرسالها إلى اليمن على وجه السرعة<sup>(٨)</sup>.

بعد وصول الإمدادات العثمانية إلى اليمن، تقاعست بعض القبائل عن مناصرة الإمام القاسم، خوفاً من بطش العثمانيين، بالرغم من أن هذه القبائل كانت من أهل السبق والمحبة له، ومما زاد الموقف تعقيداً لدى الإمام القاسم، انقلاب بعض القادة والأمراء الزيديين الذين كان قد سبق له تطويعهم لنشر دعوته، مما اضطر الإمام تحت ضغط الظروف القاهرة إلى الانسحاب من كل الحصون والأقاليم، التي كان قد بسط سيطرته عليها خلال خمس سنوات من جهاده للعثمانيين<sup>(١٩)</sup>، واختار التحصن في منطقة شهارة، لموقعها الحصين على قمة جبل، ولتوفر المياه فيها<sup>(٢٠)</sup>، ولكن العثمانيين لم يتركوه لشأنه، بل شددوا عليه الحصار والهجمات، إلى أن اضطر إلى الانسحاب من شهارة نحو منطقة برط<sup>(٢١)</sup>.

وقد ظل متحصناً في برط لمدة سنتين، يجمع الأعوان حوله، ويتأهب لبدء الحرب على العثمانيين من جديد، وفي خلال هذه المدة خطرت على والي اليمن العثماني الجديد سنان باشا فكرة إغراء الإمام القاسم بإقطاعه أرضاً مع كفايته هو وأولاده مقابل أن يترك المقاومة، إلا أن الإمام رفض ذلك، فأمر والي اليمن العثماني باستئناف القتال، فشنت الهجمات من جديد على منطقة برط، واشتد الحصار عليها إلى أن اضطر الإمام القاسم للانسحاب منها<sup>(٢٢)</sup>، والانتقال إلى منطقة وادعة، التي اتخذها مركزاً له ينطلق منها لشن الغارات على العثمانيين. وبالرغم من محاولات العثمانيين الحثيثة لاقتحام منطقة وادعة، إلا أنهم لم يتمكنوا من ذلك، بسبب أن شوكة الإمام القاسم كانت قد بدأت تتعاضد من جديد، ونفوذها بدأ يتمدد لتقادم جهاده خلال سنوات طويلة من الحروب، ولانسلاخ الكثير من قبائل اليمن عن سلطة العثمانيين بسبب مظالمهم، وخاصة القادة الزيديين الذين كانوا يمثلون سلطة العثمانيين في الأقاليم<sup>(٢٣)</sup>.

وانطلاقاً من منطقة وادعة بدأ الإمام القاسم يستعيد معظم المناطق التي كان العثمانيون قد انتزعوها منه، وخاصة أكثر البلاد الشمالية، بما فيها حصن شهارة التي كان لها منزلة عظيمة لدى الإمام القاسم<sup>(٢٤)</sup>.

وبعد أن أضعفت الحروب القوات العثمانية في اليمن، ويئسوا من القضاء على الإمام القاسم بن محمد، لم يشأ والي اليمن العثماني أن يخرج من اليمن بعد انتهاء ولايته والفتنة في أثره، وخشى من وثوب الإمام القاسم على صنعاء أثناء تغيير الولاية، فأرسل إلى الإمام القاسم بن محمد طالبا الصلح لمدة سنة، على أن يكون للإمام ما تحت يده من البلاد

المفتوحة، ومعنى عقد الصلح هذا أنه اعتراف صريح من الدولة العثمانية بسيادة الإمام القاسم، وفعلا عقد الصلح في عام ١٠١٥هـ، الموافق ١٦٠٧م<sup>(٢٥)</sup>.

وبعد أن تولى الوالى الجديد جعفر باشا خلفا لسنان باشا جدد الصلح عام ١٠١٦هـ، الموافق ١٦٠٨م لمدة ١٠ سنوات أخرى<sup>(٢٦)</sup>، مما أدى إلى تثبيت أقدام الإمام القاسم فى المنطقة الشمالية، وهذا بدوره شكل بداية تأسيس الدولة القاسمية.

والحقيقة أن كلا من العثمانيين والإمام القاسم كان فى حاجة إلى هذا الصلح، لتنظيم شؤونهما داخل أقاليمهما، فالعثمانيون أرادوا تهدئة الأحوال مع الأئمة سادة الشمال، للتفرغ إلى حل مشاكلهم فى باقى أقاليم اليمن، أما الإمام فكان فى حاجة إلى تثبيت أقدامه، وتأسيس البذرة الأولى لدولته القاسمية، ودعم سيادته فى البلاد، والتفرغ إلى إقامة الشرع، والقضاء على البدع والخرافات. وبذلك الصلح المعقود استقرت الأحوال، ولم يحدث أية منافرة بين الجانبين، حتى نقض الصلح عام ١٠٢١هـ، الموافق ١٦١٣م<sup>(٢٧)</sup>، وكان السبب فى نقض الصلح، عزل الأستانة للوالى جعفر باشا، وتعيين إبراهيم باشا بديلا له، مما ولد الشعور لدى الإمام بالخوف من استيلاء الوالى الجديد على ما تحت يده من البلاد، وعدم اعترافه بحق إمامته، فتثور عليه البلاد، وتراجع عن مناصرته القبائل، إضافة إلى أن الإمام شعر أن الفرصة مواتية لتوسيع نفوذه، وبسط سيطرته على حساب العثمانيين، بعدما لمس حالة التمرد التى حدثت بين صفوف الجند العثماني عند تعيين الوالى الجديد، الذى تسبب فى انقسامات بينهم، مما أدى بدوره إلى انسحاب الكثير من الحاميات العثمانية من الأقاليم الشمالية لقمع حالات التمرد، مما شجع الإمام إلى دفع قواته نحو تلك المناطق الخالية من الجنود العثمانيين، إلا أن جعفر باشا ما لبث أن عاد إلى ولايته بعد وفاة إبراهيم باشا، الذى لم يستمر فى ولاية اليمن أكثر من شهرين. وما إن استلم جعفر باشا مسؤولياته حتى حشد عشرة آلاف مقاتل لاستعادة المناطق التى استولى عليها الإمام القاسم، فاشتدت الحرب بينه وبين الإمام القاسم<sup>(٢٨)</sup>، واستمرت لسنوات وهى سجال بين الطرفين، فكلما سد العثمانيون ثغرا انفتح عليهم آخر، حتى وصل الخبر بعزل جعفر باشا ثانية من ولاية اليمن فى عام ١٦١٦م، فسعى حينذاك إلى عقد صلح آخر مع الإمام القاسم لمدة سنة، على أن يترك للإمام القاسم ما تحت يده من البلاد<sup>(٢٩)</sup>.

ولما استقر الوالى الجديد محمد باشا، وبعد انقضاء مدة الصلح، شرع فى شن حروب جديدة استمرت ثلاث سنوات تحت شتى الذرائع، إلا أنه لم يتمكن من إطفاء جذوة مقاومة الإمام القاسم، فأدرك بعدها أنه لا مفر من الصلح، بعد أن تمكن الإمام القاسم من بسط سيطرته على أغلب المناطق الجبلية، فتم إبرام صلح على شاكلة الصلح الذى أبرمه سلفه جعفر باشا، ولكن لمدة ١٠ سنوات بدلا من سنة، وعقدت اتفاقية الصلح فى جمادى الأولى عام ١٠٢٨هـ، الموافق ١٦١٩م، على أن يكون للإمام ما تحت يده من البلاد<sup>(٣١)</sup>.

والحقيقة أن الصلح كان فى مصلحة الطرفين، حيث إن البلاد كان قد عمها القحط وانقطاع الأمطار، إضافة إلى أن الإمام القاسم بدأ يستشعر دنو أجله، وخاف أن يترك البلاد على هذه الحال وهى مشتتة بالحروب، وقد عمها الجوع والوهن، فيقضى على أولاده ودولته التى أسسها، كما قضى على أولاد الإمام المطهر شرف الدين من قبل. أما العثمانيون، فكما ذكرنا سابقا، فقد عمت الاضطرابات جنودهم الذين تضجروا من طول فترة القتال مع شح المؤن، وطلبوا رفع مرتباتهم، وهموا بقتل الوالى العثمانى<sup>(٣٢)</sup>.

وبعد سنة من توقيع الصلح مع محمد باشا توفى الإمام القاسم بن محمد عام ١٠٢٩هـ، الموافق ١٦٢٠م، وقد وضع الأسس الأولى للدولة القاسمية الزيدية التى نجحت فى عهد أبنائه فى إخراج العثمانيين للمرة الأولى من اليمن عام ١٦٣٥<sup>(٣٣)</sup>.

ومما هو جدير بالذكر، أنه بالرغم من بروز شخصية الإمام القاسم بن محمد فى مجال القيادة والسياسة والتأسيس للدولة القاسمية، إلا أنه بلغ الغاية وفاق الأقران فى مجال العلم والتأليف، وجدد فى مناهج الفكر وأساليب الدعوة بما سطره من مؤلفات فى شتى جوانب الفقه وفنون الأدب والشعر، ومن أهم مؤلفاته: كتاب الأساس لعقائد الأكياس، وكتاب الاعتصام بحبل الله المتين، وكتاب الإرشاد إلى سبيل الرشاد، وكتاب مرقاة الوصول إلى علم الأصول، وفتاوى الجوابات المختارة، والمنقذ من الضلال فى عقيدة الآل، وغيرها من المؤلفات التى لا يتسع المجال لذكرها<sup>(٣٤)</sup>.

### الإمام المؤيد محمد بن القاسم:

تولى القيادة عام ١٠٢٩هـ، الموافق عام ١٦٢٠م بعد وفاة أبيه الإمام القاسم بن محمد<sup>(٣٤)</sup>، حيث أجمع العلماء على مبايعته، نظرا لكفائه واستكمال له لشروط الإمامة، إضافة إلى شجاعته فى القتال، وبطولاته التى كانت مضرب الأمثال فى مواجهة العثمانيين فى عهد

أبيه، ناهيك عن زهده في كل مباحج الحياة، وانصرافه إلى البحث والتأليف بما جعله موسوعة علمية أهله للاشتغال بالقضاء ردحا من الزمان<sup>(٣٥)</sup>، إضافة إلى التأليف للكتب الفقهية، مثل كتاب أسانيد المؤيد، والمجموع المؤيدي، وتصفية النفوس عن الرذائل، والفتاوى الفقهية، وغيرها مما لو جمعت لكونت ثروة علمية عظيمة<sup>(٣٦)</sup>.

وتنبع أهمية الإمام المؤيد في أنه يعد المؤسس الحقيقي للسيادة والوحدة اليمنية تحت حكومة واحدة مستقلة، بعد أن كانت اليمن عبر تاريخها متنازعة السيادة بين الكثير من الدول، فقد بدأ أبوه الإمام القاسم بمهمة إخراج العثمانيين من اليمن، ولكن يد المنون لم تمهله لإكمالها، فأخذ الرسالة من بعده المؤيد محمد بن القاسم، الذي كرس جل حياته لتحقيق هذا الهدف حتى أخرج العثمانيين تماما من البلاد، وبسط سلطان الدولة القاسمية على كافة أرجاء اليمن<sup>(٣٧)</sup>.

كذلك تبرز أهميته في كونه أول من كون علاقات سياسية، وتجارية، وثقافية خارجية لكيان اليمن السياسي المستقل، يتجلى ذلك في تبادل الوفود السياسية والتجارية بينه وبين ملوك المغرب، والهند، والحبشة، بالإضافة إلى أشرف الحجاز الذين اعترفوا جميعاً بسيادته على اليمن<sup>(٣٨)</sup>.

أرسل بعد تقلده الإمامة بكتاب إلى الوالي العثماني محمد باشا، يخبره بأنه باق على الصلح الذي عقده العثمانيون مع والده القاسم بن محمد، والواقع أن الإمام المؤيد أراد دوام الصلح، ليكون بمثابة هدنة تتيح له أن يرسى قواعد الحكم في البلاد، ويقوى قبضته عليها، ويقضى على الفتن، ويوحد البلاد تحت قيادته، حتى يستطيع بعد ذلك أن يضرب ضربته في إخراج اليمن نهائيا من تحت الحكم العثماني<sup>(٣٩)</sup>. كان من شأن دوام الصلح أن تميز بداية عهده بالهدوء والاستقرار لمدة ثماني سنوات، إذ لم تتجدد الحروب إلا في عام ١٠٣٦هـ، الموافق ١٦٢٦م، حيث نقض الإمام المؤيد الصلح قبل استكمال مدته بسنتين، وكان السبب في نقض الصلح، هو أن الوالي العثماني الجديد حيدر باشا كان قد قتل في صنعاء أحد الفقهاء من كبار أتباع الإمام المؤيد، بدعوى أنه كان يدعو الأهالي إلى مبايعة الإمام المؤيد<sup>(٤٠)</sup>، والحقيقة أن الإمام المؤيد كان يعد العدة لمثل هذا اليوم بتخزين السلاح والذخيرة والأموال، استعدادا للمعركة الفاصلة مع العثمانيين<sup>(٤١)</sup>.

وعندما نشبت الحرب بين الطرفين تساقطت الحصون والمدن اليمينية المتبقية فى حوزة العثمانيين الواحدة تلو الأخرى فى يد الإمام المؤيد وقواته ، ولم يبق لدى العثمانيين سوى صنعاء ، التى كانت المعقل الأكبر لهم ، فقام الإمام المؤيد بحصارها من كل الجهات ، وتضييق الخناق عليها ، وقد حاول حيدر باشا فك الحصار بإرسال الغارات على القوات المحاصرة ، وخوض بعض المعارك والمناوشات ، إلا أنه فشل فى تحقيق هدفه ، ومما زاد فى تثبيط عزائم حيدر باشا ، هرب بعض القادة العثمانيين من صنعاء بعد أن ضاقت بهم المعيشة فيها بسبب الحصار ، وكان انضمام قادة آخرين إلى قوات الإمام المؤيد ضربة أخرى قوية لعنويات حيدر باشا ، حيث تفاجأ بانضمام الأمير سنبل ، والأمير عبد الرب ، وهما من أشهر القادة العثمانيين فى اليمن<sup>(٤٢)</sup> ، ولم يبق حيلة فى يد حيدر باشا سوى وصول النجدة العثمانية التى كان قد سبق له أن طلبها من مصر ، إلا أن تأخر وصول إمدادات النجدة ، جعل حيدر باشا يشعر أنه لا جدوى من المقاومة فى ظل افتقاده للإمكانات ، وبسط الإمام المؤيد سلطته على كل ربوع اليمن ، مما أجبره على تسليم صنعاء وطلب الأمان . وبعد أن سقطت صنعاء وصلت نجدة من القوات العثمانية المتمركزة فى مصر بقيادة قانصوة باشا إلى المخا ، ولكنها تأخرت عن الوصول فى الوقت المناسب<sup>(٤٣)</sup> ، فحاول قانصو باشا استرجاع ما ضاع من المدن والحصون ، إلا أن الإمام المؤيد أمر قواته بالتحرك لملاقاة جيش قانصوة باشا فى تهامة ، واشتبك الطرفان فى معركة كان النصر فيها إلى جانب قوات الإمام المؤيد ، مما اضطر قانصوة باشا إلى طلب هدنة لمدة عام كامل ، ليتسنى له إعداد العدة من جديد للقيام بضربة قاضية<sup>(٤٤)</sup> ، ولم ينته أمد الهدنة إلا وقد عزز قانصوة باشا قواته المتواجدة فى تهامة بالرجال والسلاح ، فشن الهجوم على الكثير من الحاميات الإمامية المحاذية للقوات العثمانية ، ثم هاجم مدينة عدن وجيزان فى محاولة لاستردادهما ، إلا أن الإمام المؤيد كان له بالمرصاد ، حيث ألحق بقواته هزائم متكررة ، إلى أن اضطرت هذه القوات إلى الانسحاب إلى مدينة زبيد والتمركز فيها ، واشتدت الحالة سوءاً بين العثمانيين بعد أن حاصر الإمام المؤيد مدينة زبيد . ومما زاد الطين بلة ، ثورة الكثير من الجند العثماني على قانصوة باشا وهو متمركز فى زبيد بسبب ظروف الحصار التى زاد من أواره قسوة وفضاظة قانصوة باشا مع الجنود ، وبلغت أزمة قانصوة باشا منتهاها عندما حاول بعض جنده قتله ، فاضطر إلى الهرب من زبيد ، مستجيراً بالأمر الحسن شقيق الإمام المؤيد ،

وكعادة أبناء الإمام القاسم في مثل هذه الحالة، فقد أجاره وبقي في ضيافته قرابة شهر، ثم جهزه بما يلزم من أموال وخيول وزاد وأوصله إلى جيزان، ليواصل سيره إلى مصر. ومن تبقى من الجند العثماني المتواجدين في زبيد، فقد دخلوا في طاعة الإمام، أما من تبقى من القادة، فانسحبوا إلى المخا، ووجدوا أنه من الصعب البقاء فيها وقد دان كامل اليمن لسلطة الإمام المؤيد، فأرأوا أنه من الأصوب تسليمها إلى الإمام، والانسحاب إلى مصر. ويتسليم مدينة المخا تكون سائر بلاد اليمن الشمالي وأجزاء من اليمن الجنوبي، قد دخلت تحت حكم آل القاسم، وتوحدت البلاد لأول مرة تحت لواء الإمام المؤيد في عام ١٠٤٥ هـ، الموافق ١٦٣٦م بعد عشر سنوات من الحروب بين الطرفين، وبذلك أصبحت اليمن أول ولاية تنسلخ وتستقل عن جسم الدولة العثمانية، التي كانت أقوى دولة على وجه الأرض في ذلك الوقت، وقد حكمت غالب أجزاء العالم الإسلامي<sup>(٤٥)</sup>. ودخلت اليمن مرحلة تاريخية جديدة من السيادة، بإرساء قواعد الدولة القاسمية التي استمرت ٤ قرون تحت زعامة الأئمة من ذرية الإمام القاسم بن محمد، الذين كان لهم الفضل بريادة الإمام المؤيد محمد بن الإمام القاسم بن محمد، ومن بعده أخوه الإمام المتوكل على الله إسماعيل بجمع اليمن بأسره موحدًا ومستقلًا بحدوده الطبيعية.

### الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم:

تولى الإمامة في عام ١٠٥٤هـ، الموافق ١٦٤٤م بعد وفاة أخيه المؤيد، وقد كان عصره أزهى عصور الأئمة في اليمن، حيث اتسعت فتوحاته بمؤازرة قبائل همدان، وقيادة رموز الأسرة القاسمية، كالأمير محمد بن الحسن بن القاسم، والأمير أحمد بن الحسن بن القاسم، فدخلت جميع أجزاء اليمن الشمالي والجنوبي تحت قيادته، واستقرت الوحدة اليمنية الكبرى في عهده بعد أن فتح لحج، وعدن، والبيضاء، ويافع، وأبين، وحضرموت، وظفار<sup>(٤٦)</sup>، ووصل حكمه إلى عسير قريبًا من مكة.

وقد ازدهرت في عصره العلوم، وعكف العلماء على التأليف ونشر العلم تحت رعايته وتشجيعه، لما كان يتمتع به من علم وفقه واجتهاد<sup>(٤٧)</sup>. وله الكثير من المؤلفات، ومنها العقيدة الصحيحة، والدين الصحيح، والبراهين الصحيحة في شرح العقيدة الصحيحة، والمسائل المرتضاه فيما يعتمده القضاء، وشفاء الصدور من داء البهت والزور، والوصية المتوكلية، وغيرها من الكتب والمؤلفات<sup>(٤٨)</sup>. وبعد وفاته في عام ١٠٨٧هـ، الموافق ١٦٧٦م



تولى الإمامة من بعده ابن أخيه أحمد بن الحسن بن القاسم، وتلقب بالمهدى الذى حكم حتى عام ١٠٩٢هـ، الموافق ١٦٨١م، حيث توفى وخلفه فى الحكم ابن عمه المؤيد محمد بن المتوكل بن إسماعيل<sup>(٤٩)</sup>.

وبهذا اكتفى بالأئمة الذين ذكرتهم آنفاً من ذرية الإمام المؤسس القاسم بن محمد، الذين تعاقبوا على حكم اليمن، مع العلم أنه تعاقب بعد هؤلاء غيرهم من ذرية الإمام القاسم بن محمد لفترة تعدت أكثر من ثلاثة قرون متصلة، عدا فترات متقطعة لا تتعدى الأربعين عاماً، إلى أن وصل الحكم إلى الإمام يحيى حميد الدين، إلا أن المجال لا يتسع للحديث عن كل سلسلة أئمة آل القاسم، لضيق المقام هنا، باعتبار أن المعنى بالدراسة فى هذا الكتاب هو الإمام يحيى حميد الدين، حفيد الإمام المؤسس القاسم بن محمد، حيث قام هذا الحفيد بحمل الإرث التاريخى لأسلافه من آل القاسم، وبعث ذكرهم وتراثهم الفكرى والجهادى من جديد فى بداية القرن العشرين، حيث قاد لواء تحرير اليمن من الأتراك، ومحاربة الإنكليز لتحقيق وحدة اليمن فى العصر الحديث.



## المراجع

- ١ - (اليمن تاريخه السياسي منذ استقلاله في القرن الثالث، أمين سعيد، غير مذكور رقم الطبعة ولا تاريخها، ص٧).
- ٢ - (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، دكتور عبد العزيز قائد المسعودي، الطبعة الأولى، ص٣٥).
- ٣ - (الثورة في الجنوب والانتكاسة في الشمال، الدكتور محمد علي الشهاري، الطبعة الأولى، ص٢٤).
- ٤ - (المصدر نفسه، ص ٥٩).
- ٥ - (القبيلة والدولة في اليمن، دكتور فضل علي أبو غانم، ص٧٦).
- ٦ - (المقتطف من تاريخ اليمن، عبد الله بن عبد الكريم الجرافي، الطبعة الثانية، ص١٣٣).
- ٧ - (كيف نفهم القضية اليمنية نحو النور، محمد عبد الله الفسيل، الطبعة الأولى، ص ٨٠).
- ٨ - (البنية القبلية في اليمن، الدكتور فضل علي أحمد أبو غانم، الطبعة الثانية، ص٣٢٧).
- ٩ - (محاولة لفهم المشكله اليمنية، زيد الوزير، غير مذكور رقم الطبعة، ص٨٤).
- ١٠ - (الشعر المعاصر في اليمن، الدكتور عبد العزيز المقالح، الطبعة الثانية، ص١٥).
- ١١ - (العثمانيون والإمام القاسم بن محمد، أميرة علي المداح، الطبعة الأولى، ص٤١).
- ١٢ - (المصدر نفسه، ٣٠ - ٣٥).
- ١٣ - (المصدر نفسه، ص٣٧).
- ١٤ - (المصدر نفسه، ص ٤٦ - ٤٨).
- ١٥ - (نفس المصدر ص ٥٠ - ٥٣).
- ١٦ - (المصدر نفسه، ص٥٩).
- ١٧ - (المصدر نفسه، ص٥٦).

- ١٨ - (المصدر نفسه، ص ٦٠).
- ١٩ - (المصدر نفسه، ص ٧٠).
- ٢٠ - (المصدر نفسه، ص ٦٤ - ٦٥).
- ٢١ - (المصدر نفسه، ص ٦٧).
- ٢٢ - (المصدر نفسه، ص ٧٣ - ٧٦).
- ٢٣ - (نفس المصدر - ص ٨٠ - ٨٢).
- ٢٤ - (المصدر نفسه، ص ٨٦ - ٨٨).
- ٢٥ - (المصدر نفسه، ص ٩٠ - ٩١).
- ٢٦ - (المصدر نفسه، ص ١٠٢).
- ٢٧ - (المصدر نفسه، ص ١٠٤ - ١٠٥).
- ٢٨ - (المصدر نفسه، ص ١١٣ - ١١٧).
- ٢٩ - (المصدر نفسه، ص ١٢٢ - ١٢٣).
- ٣٠ - (المصدر نفسه، ص ١٢٧ - ١٢٩).
- ٣١ - (المصدر نفسه، ص ١٣٠ - ١٣٢).
- ٣٢ - (المصدر نفسه، ص ١٣٤).
- ٣٣ - (إعلام المؤلفين الزيدية، عبد السلام بن عباس الوجيه، الطبعة الأولى، ص ٧٧٨).
- ٣٤ - (الإمام المؤيد محمد بن القاسم في اليمن، حياة محمد البسام، الطبعة الأولى، ص ٢٢).
- ٣٥ - (المصدر نفسه، ص ٢٦ - ٢٨).
- ٣٦ - (المصدر نفسه، ص ١٣٩).
- ٣٧ - (المصدر نفسه، ص ٦).
- ٣٨ - (المصدر نفسه، ص ١٣٣).
- ٣٩ - (المصدر نفسه، ص ٢٩ - ٣٠).
- ٤٠ - (العثمانيون والإمام القاسم بن محمد، أميرة علي المداح، ص ١٣٦ - ١٣٧).
- ٤١ - (الإمام المؤيد محمد بن القاسم في اليمن، حياة محمد البسام، ص ٦٧).
- ٤٢ - (المصدر نفسه، ص ٧٦ - ٨٠).

- ٤٣ - (المصدر نفسه، ٨٦ - ٨٧).
- ٤٤ - (المصدر نفسه، ص ٨٩ - ٩٢).
- ٤٥ - (المصدر نفسه، ص ٩٧ - ٩٩).
- ٤٦ - (المقتطف من تاريخ اليمن، عبد الله بن عبد الكريم الجرافى، الطبعة الثانية، ص ٢٢٥ - ٢٣٠).
- ٤٧ - (أعلام المؤلفين الزيدية، عبد السلام بن عباس الوجيه، الطبعة الأولى، ص ٢٥١).
- ٤٨ - (المصدر نفسه، ص ٢٥٢).
- ٤٩ - (المقتطف من تاريخ اليمن، عبد الله بن عبد الكريم الجرافى، ص ٢٣٥ - ٢٣٩).



# الفصل الخامس بيعة الإمام يحيى



ظل اليمن مائتين وعشرين عاما محتفظا بسيادته بعد أن أجلى الإمام المؤيد محمد بن القاسم العثمانيين عن البلاد عام ١٦٣٦م، إلى أن عادوا مرة أخرى لاحتلال اليمن عام ١٨٤٩م فى عهد السلطان العثمانى عبد المجيد بن محمود<sup>(١)</sup>، كردة فعل على احتلال الإنكليز لعدن عام ١٨٢٩م، مما مزق أوصال اليمن ثانية بين ثلاث قوى رئيسة، هى الأئمة فى الهضبة الشمالية، والعثمانيون فى صنعاء، وتعز وتهامة والإنكليز فى جنوب اليمن.

كان من شأن تلك الظروف، التمهيد لثورة عارمة قادها الإمام المنصور محمد حميد الدين والد الإمام يحيى عام ١٨٩٠م، حيث ألف جيشا قبائليا لقتال القائد التركى أحمد فيضى، واستمرت المقاومة والحروب سجالا بين الطرفين، إلى أن توفى الإمام المنصور بالسودة عام ١٩٠٤م<sup>(٢)</sup>.

وبعد وفاة الإمام المنصور خلا منصب الإمامة، فكتب يحيى حميد الدين نجل الإمام المنصور إلى العلماء من ذوى الحل والعقد يستدعيهم فحضروا، ونعى إليهم والده، وسلم لهم مفاتيح المخازن وبيت المال من أسلحة ونقود ومؤون وغيرها، وطلب إليهم أن يختاروا من يقوم بالأمر من بعده<sup>(٣)</sup>.

وقد دار النقاش بين العلماء إلى أن قرروا ترشيح الإمام يحيى ضمن مجموعة من المرشحين، الذين كانوا الأكثر تأهيلا لتولى منصب الإمامة، ومن أهم هؤلاء المرشحين إضافة للإمام يحيى، كان هناك سيف الإسلام محمد بن الإمام الهادى شرف الدين، والسيد الحسن بن يحيى الضحيانى، وسيف الإسلام محمد بن محسن المتوكل<sup>(٤)</sup>، وبعد سلسلة من المناظرات بين المرشحين والمداورات بين العلماء، اتفقت كلمة أهل الحل والعقد على ألا يقوم مقام الإمام المنصور أحد مثل ولده، لتفوقه على أقرانه سياسة وثقافة، فبايعوه بالإمامة<sup>(٥)</sup>. وقد انعقدت البيعة الأولى له على يد ٢٤ عالما من أكبر علماء البلاد<sup>(٦)</sup>، وتلقب بالمتوكل على الله، ووصلت بعد ذلك كتب البيعة ووفود القبائل لأداء حق البيعة العامة من مختلف مناطق اليمن، وخاصة من الجناحين الكبيرين حاشد وبكيل على مختلف طبقاتهم<sup>(٧)</sup>.

ومما هو جدير بالذكر فى مسألة الإمامة الزيدية فى اليمن، أنه وإن ورد فى تاريخ الأئمة أن إماما قد خلف أبيه أو أخيه، سواء فى دولة الإمام يحيى، أو أجداده من آل القاسم، أو غيرهم من أئمة اليمن، إلا أنه ليس لهذا اعتبار، بل إن الاعتبار فى توفر

شروط الاجتهاد والأهلية. فالخلافة في الحكم لم تكن وراثية مسلما بها قائمة على آلية تسلسلية أسرية، كنظام انتقال السلطة في البروتوكولات الملكية، بل قام الأمر على شروط قاسية جدا في الشخص الذي يتم انتخابه ليستوفي شروط الإمامة الزيدية في الحكم، وهي أن يكون مكلفا، ذكرا، حرا، مجتهدا، علويا، فاطميا، عدلا، سخيا، ورعا، سليم العقل، سليم الحواس، سليم الأطراف، صاحب رأى وتدبير، مقداما، فارسا. وفي هذا السياق، يقول المؤرخ المصرى المتخصص فى تاريخ اليمن، الدكتور سيد مصطفى سالم فى مؤلفه (وثائق يمنية): إن حصول الإمام يحيى على الإمامة لم يكن أمرا سهلا، بل ظهر له عدة منافسين، إذ لم يكن يكفى لترشيحه للإمامة أن يكون ابن إمام سابق، بل كان من الضروري أن يكون مستوفيا للشروط الأربعة عشر الواجب توافرها لمن يرشح نفسه للإمامة حسب المذهب الزيدى<sup>(٨)</sup>.

وإضافة إلى شهادة الدكتور سيد مصطفى سالم، أسوق للقارئ شواهد أخرى تدلل على أن شرط الأهلية وليس الوراثة، كان الأساس الذى تم بموجبه تولى الإمام يحيى وأجداده للإمامة فى اليمن، ومنها:

• إن كثيرا من العلماء فى اليمن كان قد توقف عن بيعه الإمام يحيى حتى يثبت أهليته للإمامة بالمناظرة والتحكيم بينه وبين مخالفه فى الترشح حسن بن يحيى الضحيانى، وهو أحد العلماء البارزين الطامحين لتولى منصب الإمامة، والذى كان قد سبق له فى عهد الإمام المتوفى المنصور أن رفع رأسه للخلافة، ثم تاب عنها<sup>(٩)</sup>، ولم يبايع العلماء الإمام يحيى لمجرد أنه كان ابن الإمام المنصور، ولكن لأن المرشح الضحيانى لم يلب الحضور للمناظرة والتحكيم، بالإضافة إلى أنه كان قد اتصل بالمكارمة الباطنية والأتراك لدعم موقفه، مما خلق التوجس منه فأسقط العلماء دعوته للأسباب الآتية الذكر، وقاموا بمبايعة الإمام يحيى بالإمامة<sup>(١٠)</sup>.

• إن الإمامة كانت قد خرجت من آل القاسم لحيز من الزمان، وهم أجداد الإمام يحيى من أسرته المباشرة، ابتداء من عام ١٨٥٣م، عندما عدت فى آل القاسم الشخصية التى تلبى شروط الإمامة، فتولى الإمامة غيرهم من البيوتات الهاشمية التى لا تمت بصلة لآل القاسم، ابتداء من الإمام محمد بن عبد الله الوزير<sup>(١١)</sup> ومرورا بغيره من الأئمة من ذرية الإمام الهادى، إلى أن عاد الإمام المنصور والد الإمام يحيى فى عام ١٨٩٠م، الذى رفع من جديد

راية الزعامة لآل القاسم بحقها، لكفاءته التي بموجبها انتخبه العلماء إماما على اليمن<sup>(١٢)</sup>.  
• التقرير الاستخباري الذي رفعه المخبر السياسي للإنكليز فضل الدين، الذي كان  
وكيل بريطانيا السياسي في تهامة، ومستشارا لدى الإدريسي في مدينة الحديدة إلى عام  
١٩٢٤م، حيث أكد في تقريره على أن الإمام يحيى انتخب انتخابا بعد وفاة أبيه، ولم  
يرث الحكم وراثته<sup>(١٣)</sup>.

وبالرغم من التزام الإمام يحيى بمبدأ الإمامة الشرعية، وعدم مخالفته لقواعد المذهب  
الزيدي، الذي يمنع توريث الإمامة، إلا أننا وجدنا اتهامات أطلقها البعض من المتشجنين  
تحت وطأة الخصومة السياسية، بأن الإمام يحيى قد حول الإمامة الشرعية إلى ملك وراثي  
له ولذريته من بعده، وكانت ذريعة هؤلاء أن الإمام يحيى أطلق على الدولة اليمنية مسمى  
المملكة المتوكلية اليمنية، وتلقب بلقب ملك اليمن في المعاهدات الدولية التي أبرمها مع  
العالم الخارجي، ولم يستوعب هؤلاء المتشجنون حقيقة المتغيرات الدولية التي استوعبها  
الإمام يحيى، عندما أدرك أن الطريق الوحيد لانتزاع اعتراف العالم بكيونونة دولته ووحدة  
شعبه، يكون بإرساء نظام سياسي يتواءم مع الواقع الدولي الجديد، ينقل الدولة نقلة نوعية  
كبرى من الدولة التقليدية المتخلفة، إلى مستوى الدولة الحديثة في تجلياتها المختلفة، مما  
جعله يسمى الدولة شكليا بالمملكة المتوكلية اليمنية، لمخاطبة العالم بما يفهمونه، وخاصة  
عند توقيع أول اتفاقية دولية مع الغرب، متمثلة في المعاهدة الإيطالية اليمنية في عام  
١٩٢٦م، والتي كانت أول اتفاقية تطلق عليه لقب ملك في الفضاء الدولي، بدلا من إمام،  
فتقافة الحكم ونظريته الزيدية لم يعد بالإمكان إبقاؤها راکدة في القرن العشرين بدون  
تجديد أو تطوير، خاصة بعد أن أصبح العالم يحتكم إلى قواعد ومفاهيم متماثلة وموحدة فيما  
يخص العلاقات الدولية، ولم يعد من المقبول الاعتصام بخصوصية مطلقة، مثل نظام الإمامة  
الخارج عن نطاق الجمهورية أو الملكية.



## سيوف الإسلام أبناء الإمام يحيى



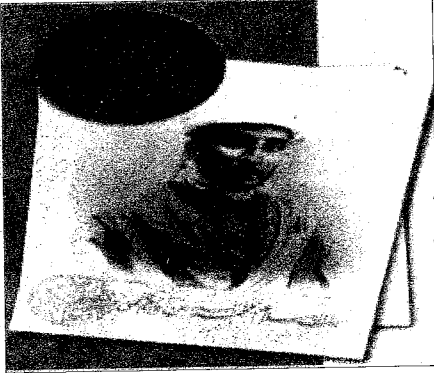
سيف الإسلام يحيى، ولد في عام ١٩٢٢م، مثل اليمن في كثير من البعثات الرسمية، وتوفي في أسيرة أثناء تلقيه للعلاج في عام ١٩٥٠م



سيف الإسلام القاسم، ولد في عام ١٩١٢م، تولى وزارة المواصلات والاتصالات، وتوفي في القاهرة في عام ١٩٥٨م، أثناء إجرائه عملية جراحية



سيف الإسلام المطهر، في عام ١٩١٣م، تفرغ للعلم الشرعي، ولم يتولى أى منصب رسمي، وتوفي في عام ١٩٥٢م في صنعاء على إثر مرض عضال



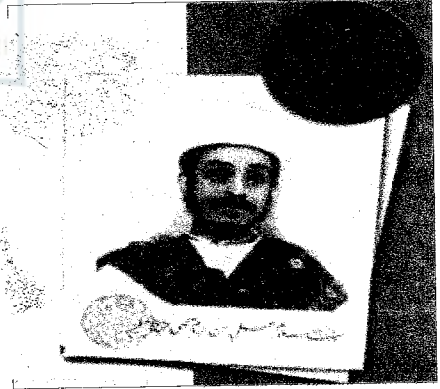
سف الإسلام محمد، ولد في عام ١٨٩٨م، تولى إمارة الحديدة ومثل اليمن في الكثير من البعثات الدبلوماسية، غرق شهيدا في مدينة الحديدة عام ١٩٣١م أثناء محاولة انقاذ رفيقا له

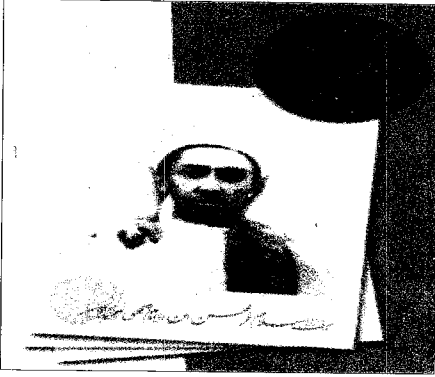


سيف الإسلام إبراهيم، ولد في عام ١٩١٤ ولم يتولى أى منصب رسمي، واشترك في انقلاب عام ١٩٤٨م، توفي في سجن أخيه الإمام أحمد عقب فشل الانقلاب



سيف الإسلام علي، ولد في عام ١٩٠٨م، كان من كبار الأدباء في اليمن وله دواوين شعرية، وأخوه سيف الإسلام إسماعيل ولد في عام ١٩١٦م وعمل في السلك الدبلوماسي، وقد أستشهدا معا في عام ١٩٦٢م، حيث أعدمهما الضباط القائمون على انقلاب ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢م





سيف الإسلام الحسين، ولد عام ١٩٠٨م، كان من أبرز علماء اليمن، تولى إمارة الحديدة، وكان مبعوثاً لأبيه للكثير من المؤتمرات الدولية، وأخوه سيف الإسلام المحسن، ولد في عام ١٩٢٣م، واشتهر بالزهد والبعد عن الولاية متفرغاً للعلم، وقد استشهدا معا في انقلاب عام ١٩٤٨م بإطلاق نار الانقلابيين



سيف الإسلام عبد الله، ولد في عام ١٩١٢م، وأخوه سيف الإسلام العباس، ولد في عام ١٩٢١م، وقد استشهدا معا في عام ١٩٥٥م على إثر انقلابهما على أخيهما الإمام أحمد، في محاولة منهما لتطوير صيغة الحكم، والدفع بالبلاد إلى أفاق حضارية حارقة للمراحل، على غرار تجربة كل من الملك فيصل بن عبد العزيز في المملكة العربية السعودية عام ١٩٦٤م، والساطان قابوس في سلطنة عمان عام ٧٠م



سيف الإسلام الحسن، ولد في عام ١٩٠٦م، كان من المؤسسين للدولة، تولى الكثير من المسؤوليات البارزة، واخوه سيف الإسلام عبد الرحمن، ولد في عام ١٩٣٧م، وعمل في السلك الدبلوماسي، وهما آخر من بقي حيا من ابناء الإمام يحيى بعد انقلاب سبتمبر، حيث توفي سيف الإسلام الحسن في مدينة جدة في عام ٢٠٠٣م، وما زال اخوه سيف الإسلام حيا يرزق يسكن في مدينة الرياض

ورب قائل يتسائل: لماذا لم يتبن الإمام يحيى النظام الجمهورى بدلا من تبنيه للملكية؟ والجواب على ذلك، أن النظام الجمهورى كان ما يزال خارجا عن المألوف في العالم الإسلامى، ولم تتبلور فكرته بعد في ذلك الزمان، بدليل تنصيب العلماء في إيران الضابط رضا بهلوى أمبرطورا عند انقلابه على حكم الأسرة الملكية القاجارية في عشرينيات القرن الماضي، فلماذا لم ينصبوه رئيسا للجمهورية؟! أما النظام الملكى الذى تبناه الإمام يحيى، فكان نظاما ملكيا غير مكتمل الأركان، بل مجرد شكل ناقص للملكية دون مضمون وراثى للحكم، بدليل أن الإمام يحيى رفض أن يولى ابنه الأكبر وليا للعهد<sup>(١٤)</sup>، وترك الأمر من بعده شورى بين المسلمين، بغرض المحافظة على نسق الخلافة الشرعية، إضافة إلى دليل آخر يتعلق بتسمية الإمام يحيى لأبنائه رسميا بلقب سيوف الإسلام، بدلا من أمراء، مثلهم مثل غيرهم من المجاهدين ورفاق السلاح الذين شاركوا الإمام يحيى فى تأسيس الدولة، وكانوا يلقبون رسميا بسيوف الإسلام، وإن حصل أن أطلق عليهم البعض بلقب أمير، فإن ذلك كان لا يعدو نوعا من أدبيات الكياسة والمجاملة.

وللتدليل على حكمة الإمام يحيى فى تبنيه للملكية كنظام شكلى، يعزز من كيان الدولة اليمنية ووحدة شعبها، أورد تعليقات الخارجية البريطانية، التى أبدت انزعاج الحكومة البريطانية من الذبول الخطيرة المترتبة من تلقب الإمام يحيى بلقب ملك، بما يحمل هذا

اللقب من معان ومضامين وحدوية غزيرة، خلافا للقب إمام الذى لم يكن بالضرورة يشكل صلة التحام مع كافة المكونات فى المجتمع اليمنى. لقد عدت الإدارة البريطانية أن تلقب الإمام يحيى بلقب ملك، يحوى أبعادا سياسية وجغرافية تعطى الإمام يحيى سنداً وطنياً قويا لبسط سلطته الوحدوية على كافة أراضى اليمن، بما فى ذلك عدن ومحميات الجنوب، مما يجرد بريطانيا من سلاحها المذهبي، ودعاؤها فى اقتصار شرعية الإمام وسلطته على طائفته الزيدية فقط دون باقى الطوائف فى اليمن<sup>(١٥)</sup>.

ولطالما كانت بريطانيا تسيء استخدام لقب إمام فى مكاتبتها الرسمية، للرد على الدعاوى التاريخية التى كان يطلقها الإمام يحيى فى مطالبته بالجنوب اليمنى المحتل، ومن ذلك اعتبار الإنكليز أن لقب إمام لا يعطى حق الإرث فى حكم اليمن، بل يقتصر على دعاوى دينية لا أساس لها فى عصر الفصل بين السلطة الزمنية والدينية، وفى هذا السياق ردوا على الإمام يحيى بقولهم: إن أجداد الإمام يحيى من ذرية الإمام القاسم بن محمد، وإن حكموا جنوب اليمن فى فترة من الفترات الزمنية السابقة، إلا أن ذلك لا يعطى حقا أبديا ولا مبررا شرعيا للإمام يحيى فى مطالبته بالمحميات الجنوبية، واستشهدت بريطانيا بنظام تعاقب السلطة فى الإمامة الزيدية، المستند إلى انتخاب أى فرد من السلالة الهاشمية، بما فى ذلك من هم خارج اليمن، مما يضعف من حجة الإمام يحيى ودعاويه الوطنية، ويفند اعتباره الوريث الشرعى لحكم اليمن<sup>(١٦)</sup>.

أما إذا سلطنا الضوء على ما أورده صحافة الإخوان المسلمين عما كان سائدا فى الأذهان عن الشرعية التى استندت عليها إمامة اليمن فى الحكم، فسنفهم حقيقة السلاح الذى كانت تشهره بريطانيا فى وجه الإمام يحيى، لمحاربة دعاويه الوطنية فى الجنوب المحتل، فقد صرحت صحيفة الإخوان المسلمين من إن إمامة اليمن تشترط من حيث النسب شرطا واحدا، هو أن يكون الإمام شريفا هاشميا من أتباع مذهب الإمام زيد بن علي، سواء كان هذا الشريف الزيدى يمينا، أو مصريا، أو صينيا، أو من جنوب أفريقيا، وليس فى المذهب الزيدى ولاية عهد، لأن الشروط الأخرى التى تشترط فيمن ينتخب إماما قد تتوفر أكثر فى شخص آخر عندما يحين الانتخاب<sup>(١٧)</sup>.

ومما سبق، نخلص أن الإمام يحيى كان يهدف من وراء اتخاذ شكل النظام الملكى لحكمه إلى تأسيس مفهوم جديد للدولة، قائم على عقد اجتماعى جديد، يصهر كافة

مكونات وأطياف المجتمع اليمني في بوتقة دولة يمنية موحدة، ويجسد سيادة وطنية متكاملة على امتداد أراضي الوطن، وهذا ما لم يكن بالإمكان تحقيقه، لو أن الإمام يحيى اعتمد بخصوصية النظام الإمامي، الذي فقد شروطه الزمانية والمكانية، وغير معترف به على مستوى العلاقات الدولية. وعموماً، فهناك شواهد أخرى أكثر قوة مما ذكرته آنفاً تدل على أن الإمام يحيى لم يتبنى الملكية كطريقة يورث فيها الحكم لذريته، بقدر ما تبناها شكلاً لتعزيز كيان الدولة ووحدها، هذه الشواهد أجمالها في الآتي:

• إن شهية قتلة الإمام يحيى من آل الوزير ما كان لها أن تنفتح، ولا لرؤوسهم أن تتطلع نحو إغراءات السلطة، لولا أنهم شعروا بأن الفرصة سانحة بسبب عدم حسم الإمام يحيى مسألة خلافته، ورفضه تعيين ابنه سيف الإسلام أحمد رسمياً لولاية العهد، فهذا هو أمير لواء تعز علي بن عبد الله الوزير، يعبر لصالح جعفر وكيل بريطانيا التجارية في الحديدة، والمترجم الرسمي للوفود البريطانية الواصلة إلى شمال اليمن، يعبر عن توقعه حدوث اضطرابات وقلق بعد وفاة الإمام بسبب الصراع حول السلطة<sup>(١٨)</sup>، وها هي شهادات أخرى لخصوم آخرين اشتركوا في انقلاب عام ٤٨، الذي أودى بحياة الإمام يحيى، يؤكدون حقيقة رفض الإمام يحيى لولاية العهد، ومنهم محمد محمود الزبيري، الذي صرح في حوار مع محرر (جريدة المصري) زهير عسيان في عدد ٨ مارس ١٩٤٨م، بأن الإمام أحمد لم يبايع بولاية عهد في حياة والده<sup>(١٩)</sup>، إضافة إلى شهادة أحمد محمد الشامي الذي أكد في كتابه رياح التغيير في اليمن على أن الإمام يحيى لم يرشح ابنه سيف الإسلام أحمد للإمامة، ولا اعترف بولاية العهد له<sup>(٢٠)</sup>.

• النصيحة التي وجهها الملك عبد العزيز للإمام يحيى بتولية أحد أبنائه لولاية العهد؛ خوفاً من الفراغ السياسي الذي يمكن أن يحدث بعد وفاته، فما المتبرر لهذه النصيحة، لو أن أمر ولاية العهد كان محسوماً<sup>(٢١)</sup>.

• سعى مجموعة من علماء اليمن، الذين ارتأوا أن المصلحة العامة تحتم مبايعة الابن الأكبر للإمام يحيى سيف الإسلام أحمد بولاية العهد، درءاً للفتنة، ورغبة في استقرار البلاد، إلا أن الإمام يحيى لم يستجب لمساعدهم، وكان رده السكوت السلبي، لتشيته بالنظرية الزيدية الراضية لتوريث الإمامة<sup>(٢٢)</sup>. والواضح أن عدم استجابة الإمام إلى هذا المسعى، يكمن في عدم الرغبة في إعطاء ذريعة لخصومه للخروج عليه، بسبب إعلانه الرسمي لولاية عهد ابنه، التي تعد مخالفة علنية وصريحة لنظرية الإمامة الزيدية، وهما

لأركانها، ولعل سكوت الإمام يحيى السلبى، كان اقتداءً بمقولة جده على بن أبى طالب عليه السلام الذى قال: «لا آمركم ولا أنهاكم»، عندما استشير فى إمامة ابنه الحسن.

• رغم أن سطوة سيف الإسلام أحمد فرضت على العامة تلقيبه بولى العهد، إلا أن الإمام يحيى كان يرفض إضفاء أية صفة رسمية على ولده<sup>(٢٣)</sup>، ولم يوافق على إصدار أى مرسوم إمامى بتسمية ابنه أحمد بولى العهد، بل كان يخاطبه رسمياً بلقب سيف الإسلام أحمد، مثله مثل باقى إخوته<sup>(٢٤)</sup>.

• شهادة القنصل الأمريكى فى عدن، الذى قال بأنه لا يوجد جدل أو شك فى أن الإمام يحيى كان يفضل ابنه أحمد، إلا أنه لم يقرر فى أى وقت من الأوقات أن يعينه رسمياً كولى للعهد، بل إنه كان يحذف كلمة ولى العهد من كل المحررات الرسمية<sup>(٢٥)</sup>.

• انتقاد المجاهد التونسى عبد العزيز الثعالبي للإمام يحيى بعد زيارته لليمن، لعدم بته فى نظام وراثة الحكم بقوله: إن فى اليمن رؤوساً متلعة للفئنة ستظهر بعد موت الإمام يحيى، وستعمل على نشر الفوضى، مما يتعين على الإمام أن يتدارك الأمر بالبت فى نظام الوراثة بشأن الخلف، وقوله: لو ترك هذا الأمر للصدف أو لاختيار ورثاء الفقهاء ومشايخ الزيدية، فإنه سيجعل البلاد فى حالة انقسام وتنازع بين الرؤوس وأصحاب الكلمة النافذة<sup>(٢٦)</sup>، وهذا دليل على أن الإمام يحيى لم يعين له خلفاً فى الحكم.

نخلص مما سبق، أن وراثة الحكم فى عهد الإمام يحيى كان أولاً وأخيراً بيد أهل الحل والعقد فى اليمن، الذين كان لهم الكلمة الفصل فى انتخاب هذا المرشح أو ذاك، ولم يتحول الأمر إلى ملك يتوارث إلا فى عهد الإمام أحمد بن الإمام يحيى حميد الدين، الذى وصل إلى الحكم بعد مقتل أبيه، تحت شعار ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً.

وكما قال مؤرخ اليمن وشاعرها عبد الله البردوني: «منذ لحظة استشهاد الإمام يحيى انتهت الإمامة الشرعية، وذهبت معانيها، ولم يبق منها إلا اسمها». وتحول الحكم إلى ملكية وراثية، إلى درجة احتفال الإمام أحمد سنوياً بعيد الجلوس الملكى الذى اسماه بعيد النصر<sup>(٢٧)</sup>، وأخذة البيعة لابنه محمد البدر عنوة، بإصدار مرسوم ملكى يعلنه فيه ولياً للعهد بصفة رسمية، قطعت الطريق على الآخرين فى التطلع نحو السلطة، وحصرت الإمامة فى ذرية الإمام أحمد<sup>(٢٨)</sup>.





الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين أول إمام فى تاريخ اليمن يحول الإمامة  
رسميا إلى ملك يتوراث





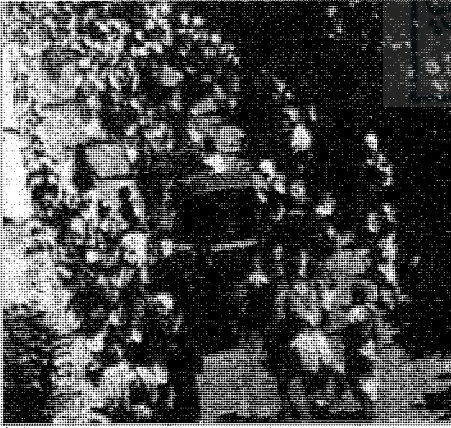


صور للإمام أحمد مع نجله وولى عهدہ الأمير محمد البدر





الصورة الوحيدة للإمام يحيى، وقد التقطها أحد المبعوثين الفرنسيين خلسة من أحد كوات المنازل، بينما كان الإمام يحيى متوجها إلى المسجد في موكب صلاة الجمعة



صورة التقطها المبعوث الفرنسي من الخلف لوكب الإمام المتوجه لصلاة الجمعة



رجال اليمن وقد اصطفوا لاستقبال الإمام يحيى في موكب صلاة الجمعة، الذى كان تقليدا يمثل رمزية دينية وقيمة معنوية إسلامية فى ذهاب الإمام لأداء الصلاة الجامعة مع رعيته وهو راكب فى عربة تجرها الخيول، وغير يوم الجمعة كان الإمام يحيى يسير وحيدا فى سيارته بدون حراسات أو مواكب

وفى نهاية هذا الفصل، أرى أنه من المناسب أن اشير إلى أنه بالرغم من أن تولى الإمام يحيى للإمامة، قد تم بموجببيعة شاملة، قائمة على اختيار حر لا شبهة فيه ولا إكراه، وبالرغم من أن كافة علماء الأمة الإسلامية ورجالها ومفكريها، قد اعترفوا بإمامة الإمام يحيى الشرعية، التى امتدت لأكثر من ٤٤ عاما، إلا أننا وجدنا الشريحة نفسها من المتشنعين الذين اتهموا الإمام يحيى بتوريث الحكم لذريته، لم يكتفوا بتلك التهمة، بل زادوا على ذلك بالطعن فى بيعته، وعدم الاعتراف بشرعيته، والقدرح فى ذمة العلماء الذين عقدوا له البيعة، مروجين المقولة فى كتبهم من أن بيعة الإمام يحيى ما تمت إلا بقهر القبيلة وقوة العشيرة، ويقصدون بذلك زورا وبهتانا من أن الشيخ ناصر بن مبخوت الأحمر، شيخ مشايخ قبائل حاشد كان قد ضرب طوقا من الحصار على أهل الحل والعقد عند اجتماعهم لانتخاب إمام من بين المرشحين، ومنعهم من الخروج، قائلا لهم: يا سادة، يا فقهاء، ما معنا غير سيدي يحيى ابن الإمام المنصور، ولا خروج من مكانكم إلا بعد مبايعتكم له بالإمامة.

وقد صادفت هذه الرواية هوى فى نفس الحفيد الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر، رئيس مجلس النواب اليمنى السابق فى الجمهورية اليمنية، لأنه وجد فيها هالة من البرستيج، سوف تحيط بمشيخة أسرته، خاصة أن بعض الصحف العربية كانت قد بدأت تضى عليه الهيلمان، مجاملة بلقب صانع الرؤساء فى اليمن، فأحب أن يوسع الشيخ الأحمر من دائرة هذا الهيلمان، ليشمل جده بلقب صانع الأئمة، وليته اكتفى بإيراد هذه الرواية فى مذكراته قبل وفاته، بل أضاف أن جده الشيخ ناصر، كان قد هدد العلماء من أهل الحل والعقد بالعصا إن لم ينتخبوا الإمام يحيى.

إلا أن رواية قهر القبيلة فى انتخاب الإمام يحيى لا تصمد أمام التحليل العلمى، إضافة إلى أن هذه الرواية لم تظهر على الساحة، ولا فى بطون الكتب إلا فى مطلع السبعينيات من القرن الماضى، أى بعد عقدين ونيف من وفاة الإمام يحيى، حين زوجها أبناء على بن عبد الله الوزير، كما هو دأبهم دائما فى التنفيس عن عقدة خلع الإمام يحيى لأبيهم عن ولاية تعز، بعد تكشف اتصالاته المشبوهة مع الإنكليزى، كما سأوثق ذلك لاحقا فى فصول قادمة، إضافة إلى عقدهم فى إقامة الإمام أحمد حد القصاص الشرعى على أبيهم، لاشترائه فى مؤامرة اغتيال أبيه الإمام يحيى. ولم نسمع بهذه الرواية من غيرهم قبل ذلك، فلو كانت هذه الرواية صحيحة، لسمعتها أولا فى زمان الإمام يحيى من المرشحين الآخرين المنافسين له لتولى منصب الإمامة، خاصة الحسن بن يحيى الضحيانى، الذى كان من المرشحين الأوفر حظا للوصول إلى منصب الإمامة، ومن أبرز المعارضين الذين ادعوا الإمامة، وخاضوا غمار المواجهة العنيفة فى سبيلها لعدة سنوات ضد الإمام يحيى. وقطعا لن يفوت الضحيانى ولا غيره من المنافسين فرصة ذهبية كهذه الرواية، للتشكيك فى شرعية الإمام يحيى، والتعريض به أمام الناس، لو أنها كانت صادقة، إلا أنه لا الضحيانى ولا غيره من المنافسين للإمام يحيى قالوا بهذه الرواية طوال حياتهم، الأمر الذى ينفيها. والأمر الآخر الذى يجب أن نضعه فى الحسبان، ونحن نحلل هذه التهمة تحليلا علميا، أنه لو أن الشيخ ناصر بن مبخوت الأحمر فعلا كان قد هدد العلماء لفرض مرشحه، لما فعل ذلك إلا لصالح من هو أقرب الناس إليه، وهو صهره محمد بن الإمام المتوكل المحسن بن أحمد، الذى كان أحد المرشحين لتولى منصب الإمامة، كما أشرت إلى ذلك سابقا، فلا يحتكم فى العقل أن يصطف الشيخ الأحمر مع الإمام يحيى، الذى لا يمت له بصلة قرابة أو عشرة، ويتجاهل نسيبه القريب إليه.

وأخيراً، لا يفوتنا ذكر أن العلماء من أهل الحل والعقد الذين اجتمعوا لانتخاب الإمام يحيى، لم يكونوا من الذلة ولا من القلة، لأن يخضعوا لتهديد الشيخ ناصر بن مبخوت الأحمر، لأنهم قوم حرب وبطولة لا يقنع لهم بالسنان، وفي المقابل فإن الشيخ ناصر بن مبخوت الأحمر وإن كان يتسم بالثقل القبلي، إلا أنه لم يكن يمتلك تلك القوة الفاعلة، ولا الجرأة الخارقة للتداول على مقامات العلماء بتلك الصورة الفجة التي ذكرها حفيده في مذكراته، بدليل أنه لم يحرك ساكناً عندما توتر الموقف بينه وبين الإمام يحيى، الذي بدأ يجرده من المدافع الثقيلة، ويقلص من نفوذه بين القبائل<sup>(٢٩)</sup>، ناهيك عن أن ابنه ناصر بن ناصر الأحمر، الذي ورث المشيخة بعد وفاة أبيه، هرب إلى الحجاز فارا بجلده بعد أن جرد عليه الإمام يحيى حملة عسكرية لإرجاعه إلى بيت الطاعة، مما اضطره إلى البقاء في مكة إلى يوم وفاته، دون أن يملك الجرأة للعودة إلى اليمن\*.

ولم ترجح كفة المشايخ من آل الأحمر في التداول على هيبة الدولة إلا مع صعود حكم العسكر في اليمن بعد ثورة ٢٦ سبتمبر، التي ابتذلت معنى الدولة بتفريغها من مضمونها، وتحويل مؤسساتها إلى مجرد هياكل لا حول لها ولا قوة، تخضع لإرادة المتنفذين من أبناء المشايخ، خاصة في عهد علي صالح، الذي حول مناطق اليمن إلى إقطاعيات مشيخية لا تبالها سلطة صنعاء، خلافاً لما كان عليه الحال في عهد الأئمة يحيى وأحمد، الذين ضبطا البلاد بيد من حديد، وطوعا كافة قبائل اليمن للخضوع لسلطة الدولة المركزية والسير على الصراط المستقيم، قاطعين الطريق على أي متسلط مشيخي أو غيره، يفكر مجرد تفكير في أن يتخطى الحدود، وفي هذا الصدد يقول الدكتور فضل على أحمد أبو غانم، وهو أحد الكتاب الأكاديميين المعروفين في اليمن: «نجد الوضع بعد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر، التي أعلنت النظام الجمهوري يعيد النفوذ والسلطة القبلية التي كان الإمام قد سلبه منها»<sup>(٣١)</sup>.

\* استمر تداول المتنفذين من أبناء المشايخ وخاصة مشايخ آل الأحمر لأكثر من خمسين عاماً إلى أن تسبب الحوثيون في سقوطهم النهائي بعد أن اخترقوا جماعاتهم القبلية ودمروا حصونهم وقضوا على هيمنتهم المركزية للدولة، الأمر الذي حولهم إلى مواطنين عاديين لا حول لهم ولا قوة.



## المراجع

- ١ - (اليمن عبر التاريخ، أحمد حسين شرف الدين، الطبعة الثالثة، ص ٢٦٩).
- ٢ - (المصدر نفسه، ص ٢٧٠).
- ٣ - (سيرة يحيى حميد الدين المسماة كتيبة الحكمة من سيرة إمام الأمة، عبد الكريم بن أحمد مطهر، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد عيسى صالحية، المجلد الأول، الطبعة الأولى، ص ٨٧).
- ٤ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤٣٧).
- ٥ - (اليمن الجمهورى، عبد الله البردونى، الطبعة الأولى، ص ٣٤).
- ٦ - (المصدر نفسه، ص ٣٤٣).
- ٧ - (سيرة يحيى بن محمد حميد الدين المسماة كتيبة الحكمة من سيرة إمام الأمة، عبد الكريم بن أحمد مطهر، المجلد الأول، ص ٩٦).
- ٨ - (وثائق يمنية، الدكتور سيد مصطفى سالم، طبعة عام ١٩٨٢م، ص ١٨٩).
- ٩ - (سيرة يحيى حميد الدين المسماة كتيبة الحكمة من سيرة إمام الأمة، عبد الكريم بن أحمد مطهر، المجلد الأول، ص ١٠١ - ١٠٢).
- ١٠ - (المصدر نفسه، ص ١٢٠ - ١٢٤).
- ١١ - (اليمن عبر التاريخ، أحمد حسين شرف الدين، الطبعة الثالثة، ص ٢٤٩).
- ١٢ - (المصدر نفسه، ص ٢٦٢).
- ١٣ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٣٧٢).
- ١٤ - (رياح التغيير فى اليمن، أحمد الشامى، الطبعة الأولى، ص ٢١٨).
- ١٥ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٤٩).
- ١٦ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٣٧٠).
- ١٧ - (مصراع الابتسامة، حميد أحمد شحرة، الطبعة الأولى، ص ١٧٨).
- ١٨ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ١٠٩).
- ١٩ - (ثورة ٤٨ الميلاد، والمسيرة، والمؤثرات، إعداد مركز الدراسات والبحوث اليمنى، الطبعة الأولى، ص ٥٠٤).
- ٢٠ - (رياح التغيير فى اليمن، أحمد محمد الشامى، ص ٢١٨).

- ٢١ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ٣١١).
- ٢٢ - (رياح التغيير في اليمن، أحمد محمد الشامي، ص ٢١٨).
- ٢٣ - (أحداث ثورة ١٩٥٥م، العميد محمد علي الأكوع، الطبعة الأولى، ص ٢٣٠).
- ٢٤ - (الحسين بن الإمام يحيى حميد الدين، الدكتور محمد عيسى صالحية، طبعة عام ٢٠٠٩م، ص ١٩٣).
- ٢٥ - (انقلاب عام ١٩٥٥ في اليمن، حيدر علي ناجي العزى، طبعة عام ٢٠٠٤م، ص ٤٣).
- ٢٦ - (الرحلة اليمنية، عبد العزيز الثعالبي، الطبعة الأولى، ص ١٤٩).
- ٢٧ - (قضايا يمنية، عبد الله البردوني، غير مذكور رقم الطبعة ولا سنة الطبعة، ص ٢٦٥).
- ٢٨ - (انقلاب عام ١٩٥٥م في اليمن، حيدر علي ناجي العزى، ص ٤٥).
- ٢٩ - (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، الدكتور عبد العزيز قائد المسعودي، الطبعة الأولى، ص ١٣٨).
- ٣٠ - (المصدر نفسه، ص ١٤٢).
- ٣١ - (البنية القبلية في اليمن، الدكتور فضل علي أحمد أبو غانم، الطبعة الثانية، ص ١٣٨).

## الفصل السادس

# حروب الإمام يحيى مع الأتراك





لا يمكن إنكار الدور العظيم الذى قامت به الدولة العثمانية فى حماية الثغور الإسلامية، وخاصة فى البحر الأحمر، حيث صدت محاولات الغزو البرتغالى ابتداء من القرن الخامس عشر، حتى النصف الأول من القرن السادس عشر، للدخول إلى أراضى الحرمين الشريفين واليمن، بإحكامها غلق البحر الأحمر فى وجه السفن الأوروبية عامة، مما حوله إلى بحيرة إسلامية بحتة.

إلا أن أى نظام يخرج عن ميدانه الحيوى، لا بد أن يتعرض للفساد والإفساد، فالدولة العثمانية حينما اتسعت فتوحاتها، بأسطة سلطتها من المجر غربا إلى حدود فارس شرقا، ومن شمالى البحر الأسود إلى جنوب الجزيرة العربية، وبالرغم من بلوغها شأوا بعيدا فى قوتها العسكرية والإدارية، إلا أن الفساد والخلل بدأ يتسرب إليها ابتداء من أطرافها وجهاتها النائية، وكان ذلك يختفى أو يتلاشى تبعا للقرب أو البعد عن مجال الدولة الحيوى ومركزها الرئيس.

أما فى المراحل المتأخرة، فقد بدأ الخلل يتطرق إلى عمق الدولة، ومن بينها النظام العسكري، المتمثل فى الجيش وفرق الانكشارية، التى كانت أساس قوة الدولة وعظمتها، حيث أصبح الانتماء إلى هذه الفرق امتيازاً وراثياً دون اعتبار للكفاءة العسكرية، وقد انعكس ذلك الخلل على أكثر البلاد التابعة للدولة العثمانية، خاصة اليمن، إذ كان يغلب على الحملات العسكرية الذاهبة إلى هناك العنصر غير النظامي، حيث كانت الدولة العثمانية ترسل عسكريا ملققا من مصر وغيرها من الولايات، يغلب عليهم صفة الأساكفة، والصناع، وقطاع الطرق، والفلاحين غير النظاميين، لأن الجنود العثمانيين تقاعسوا عن الاشتراك فى الحروب، لانغماسهم فى الملذات والراحة والدعة. وزاد من هذه المساوئ، وضاعف من أضرارها أن الدولة عدت اليمن منغى للمجرمين والعصاة، حيث كانت ترسل هذه الفئات، لتخلص منها وتأديبها، مع حرمانهم من ضروريات الحياة، ولذلك كثيرا ما كانوا يركنون إلى كسر قيم الشريعة من قتل، ونهب، وسلب، وابتزاز، للحصول على هذه الضروريات، ناهيك عن اعتماد الكثير من الولاة فى اليمن على الهدايا والرشاوى لرجال الدولة فى الاستانة، حتى يصلون إلى مناصبهم، مما جعل هذه الوظيفة يتولاها غير مستحقيها من السفهاء، ممن كانوا يسعون إليها، لما تدره عليهم من دخل<sup>(١)</sup>.

والمؤرخ الجرموزى فى مخطوطته التى ألفت فى القرن السادس عشر، وعنونت بالجوهرة المضيئة، يوضح الأسباب التى دعت أسلاف الإمام يحيى، ومنهم الإمام المؤيد محمد بن القاسم إلى الخروج على طاعة الدولة العثمانية، ومن هذه الأسباب فساد بشوات آل عثمان فى اليمن، وخروجهم عن أمور الدين وتعاليم الإسلام، وإباحيتهم فى كثير من الأمور غير المشروعة، مثل شرب الخمر وبيعه فى الأسواق مجاهرة، وقتلهم الأبرياء بغير وجه حق، خاصة العلماء والفقهاء<sup>(١)</sup>.

وإن كانت هذه هى الحال فى اليمن فى عام ١٦٢٦م، فى عهد الإمام المؤيد محمد بن القاسم، عندما كانت الدولة العثمانية ما زالت فى أوجها، فكيف يمكن أن نتصور الحال عند الرمق الأخير للدولة العثمانية فى بداية القرن العشرين، بالتزامن مع تولى الإمام يحيى. ولتكوين صورة واضحة عن تلك الحال قبل سقوط الدولة العثمانية، أسوق للقارئ كتابا مؤرخا للإمام يحيى، بتاريخ ١٨ شعبان ١٣٢٥هـ، الموافق أكتوبر ١٩٠٧م، موجهها إلى وفد من كبار علماء مكة الذين وصلوا إلى اليمن بطلب من السلطان العثمانى عبد الحميد، لاستطلاع الأحوال، وإصلاح ذات البين، والحث على الاتفاق بعد أن أنهكت الحروب فى اليمن العثمانيين، وقد وضع فيه الإمام موقفه من الدولة العثمانية عامة، ومن ولاتها فى اليمن.

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبينيته للناس ولا تكتمونه، والصلاة والسلام على القائل: من كتم علما ألجمه الله بلجام من نار، وعلى آله المطهرين من الأرجاس، المصطفين على كافة الناس، وعلى صحابته الراشدين أولى العفة والعزيمة فى الدين، أما بعد.

فإنه وصل إلينا كتاب جليل من علماء مهابط التنزيل، ومعارض ميكائيل وجبرائيل، السيد الجليل عبد الله بن عباس، ورفقائه العلماء التسعة الأكياس، أفرغ الله عليهم سحائب الرضوان والتسليم، وأوضح بحميد سعيهم الصراط المستقيم، وصرف عنهم كل شيطان رجيم، ونزههم عن خدمة ضمير كل جبار أثيم، ووقفهم إلى مطابقة مراده ومراد سلطان الإسلام، وحامى حمى الدين القويم، متضمنا للنصيحة، معرفا بما دهم الإسلام من

تكالب ذوى الملل القبيحة، ملوحا بما لم يكن من مواد، ومن حاد الله ورسوله، ومعرفا بما هو المعروف من حق وقدرة سلطان الإسلام، أيد الله به الدين، ونصره على الكفرة والمشركين، فنقول:

الحمد لله الذى قيض لنا من يفهم الخطاب، ويعرف الخطأ من الصواب، ويدرك مدارك الأحكام، ويحكم الشرع الذى ارتضاه لنا العلام. وها نحن نقدم نفثة مصدور، وزفرة محرور. اعلموا - حماكم الله - أن الله - والله الحمد- اختار لنا ديننا قويمًا هو أشرف الأديان، فبعث الله أفضل الرسل سيد ولد عدنان، وأكمل له ذلك الدين، فقال: (اليوم أكملت لكم دينكم)، ثم قبض الله رسوله إليه، وقد أوضح المنهج، وأزال العوج عن خير القرون. فما زال الإسلام ينمو ويرتفع، والضلال ينقص ويتضع. وكان كلما حدثت بدعة أزيلت، أو مظلمة ارتفعت، حتى تولى ذو الملك العضوض، فتناقص ذلك التمام، وتكاثر الفساد من عام لعام، واختلف على الدين الولاة، ومدت إلى جانب أعناقها لابتلاع الإسلام العداة، ولملت نيران الشر، وظهر الفحشاء والمنكر، وكان من مغلوب وغالب، ومطلوب وطالب، ومكن الله الدولة العثمانية من الحماية للدين، وحفظ حوزته من الكفرة المعتدين.

وكانت بلاد اليمن بيد أسلافنا من آل الأكرمين من المائة الثالثة إلى التاريخ، ولم ينفك قائم الحق عنها، إما متوليا لجميعها أو بعضها، كما هو معروف فى تواريخ اليمن. وكانت المعارك مستمرة بين أسلافنا ومن ناوهم، لرغبة أهل اليمن فى ولاية ساداتهم وأولاد نبيهم ﷺ، واعتقاد وجوب توليهم ونصرتهم، وكما يعرفونه من أحوالهم، وألا إرادة لهم غير الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وإقامة الشريعة، وتعديل المائل، وإرشاد الجاهل، وتقريب المؤمنين، وإبعاد الظالمين. ثم لما توجه أحمد مختار باشا من الحضرة السلطانية إلى اليمن، وكان قائما ذلك الوقت الإمام محسن بن أحمد، وكان بينه وبين المأمورين ملاحم.

ثم بعث الإمام شرف الدين، وما زال ظلم المأمورين يتضاعف من عام إلى عام، وتنوعهم فى المعاصى وارتكاب الشبهوات ظاهرا بلا حياء ولا احتشام. ولما ظهر شىء أو زاد كثرت البغضاء فى قلوب أهل اليمن للمأمورين، فالإيمان يمان، والحكمة يمانية، حتى قام والدنا ﷺ وقد ضرب ضلال المأمورين بجرانه. وتطاردت أفراس شهواتهم فى حلبة الفجور وميدانه، فكانت بينه وبين المأمورين ما كان، حتى مضى لسبيله ولحق بحزب جده الأمين وجيله. فانتصبنا لذلك المقام حين نفر أهل اليمن من مأمورى السلطنة على الدوام، ولم نقم

والله لدرهم ولا دينار، ولا لطلب علو ولا فخار، ولكنه أكرهنا على ذلك قوله تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)، ونحوها من صرائح الكتاب والسنة.

ثم كان بين أهل اليمن والمأمورين ما كان، وكان منا غاية الإحسان لاتباع سلطان الإسلام، كما قد عرفه ممن له بما كان أى إمام. وعقد الصلح بيننا وبين المأمورين، مؤكدا بذمة الله وذمة رسوله، مع إغفال النظر عن إمكان الغدر وخفر الذمم، فلم يرغمنا إلا محررات من الحاج فيضى باشا مشعرا بما تقشعر منه الجلود من نقضه تلك العقود، وخفره لتلك الذمم والعهود. فراجعناه، ونصحناه، وأعلمناه بما فى خفر ذمة الله من التعرض للوبال والاستعجال للنكال، فما زاده إلا شدة وثقة بما كانت فى يده غير الله من العدد والعدة، وكان ما كان من إخراب الدور، وسفك الدماء، وذهاب الأموال، ولم يكن منا إلا مجرد الدفاع المأمور به شرعا، ثم أردنا لسكون الانشغال بما أماته المأمورون من إحياء العلم الشريف، وإقامة شريعة الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم الناس معالم الدين، وإرسال المعلمين إلى القرى لتعليم أهلها الصلوات، فلم يشعروا إلا تجاوز يوسف باشا الحدود، وتبنييد الأبناد، وتجنيد الجنود وإدخاله إلى طرف بلاد حاشد والى ما هو بأيدينا، فلم يسعنا السكون، فكان ما كان.

نعم والمأمورون لم يزالوا يثيرون غضب السلطان على أهل اليمن، ويستنجدون منه الأجناد المترادفة، والأموال المتكاثرة، ويشيرون باستئصال أهل البيت النبوى والدين المصطفوي، وينسبوننا عندهم إلى الخوارج والرافضة، وربما يخرجوننا عن دائرة الملة المحمدية، ولا والله ما لنا مذهب غير ما كان عليه خير القرون والسلف الصالحون، وإنا لنبرأ إلى الله من الخوارج، والروافض، وأهل البدع المحدثه، والمأمورون يعرفون ذلك منا، لكنه حداهم على ذلك ما جبلوا عليه من حب جمع الأموال، والتسلق لأخذها من غير الوجه الحلال، ولم يتم ذلك إلا باستمرار القتال والتنقل من حال إلى حال، فتراهم يحسبون على الأموال الميرية ما يأخذونه على الأهالى بيد العدوان، ويضاعفون أجر الحيوانات على أنهم كثيرا ما يغتصبونها، ولا يعطون أهلها شيئا، وهم مع ذلك على اللذات والشهوات عاكفون، وعلى التفنن فى الفجور يتنافس منهم المتنافسون، فتكبرهم المساجد والجوامع، ويجحدهم شهر الصوم، الذى هو لكل خير جامع. وتعرفهم الكؤوس والأقداح، وتصافيهم أرباب

القُدوح الملاح، وكل هذا بين واضح سترونه عيانا إن لم يضرب عنكم الحجاب، وتوصد الأبواب. ومع ذلك تراهم يصادقون لرابطة عداوتنا كل ضال، حتى إنهم ليقربون الباطنية الكفرة، ويعطونهم كثيرا من الأموال. ولا وايم الله، ما هذا دينونتهم الجامعة غير عداوتهم آل محمد، مع أن مصادقتهم لمثل الباطنية فيما يزيدنا إلى الناس حبا، ويزيدهم إلى الناس كراهة وبغضا، واسألوا أهل الإنصاف عن جميع ما حررناه.

ولقد أكثر المأمورون على سلطان الإسلام تزويدات الكلام، حتى خيلوا إليه أن محاربتنا أقدم من محاربة الكفار الطغام، وشغلوه بمحاربة آل النبي المختار. وفي خلال المدة السابقة، أرسل سلطان الإسلام - أيد الله به شريعة سيد الأنام - هيئة بعد هيئة، ومفتشين بعد مفتشين، وكلما خرج أحد منهم تلقاه المأمورون بالإحسان، وأدخلوا عليه من يتكلم بمراءهم، وحالبوا بينه وبين ما هو مأمور بإمضائه. وسيكون ذلك أو نوع منه معكم أو قد كان، حتى لقد أرسلنا كتبنا عديدة إلى الباب العالي من طرق شتى، لم يعد لنا جواب لاحتفال المأمورين بردها عن ذلك الباب.

أما الأحكام الشرعية فما كأنهم أمروا بغير هدمها، ومحو اسمها، وطمس رسمها. فإنا لله وإنا إليه راجعون. عودا على بدء، النصيحة مقبولة إن شاء الله تعالى غير إنا نحب أن نطلعوا على ما دار بيننا وبين الوالي أحمد فيضى، ومن كاتب إلينا من المأمورين، لتعرفوا مسلكنا في الإنصاف. وبعدنا عن الميل والاعتساف، وستعرفون حقيقة الحال، وها نحن ننشدكم الله والإسلام، وهل تجدون ناسخا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ أم هل تجدون من محرم للدفاع على الأموال، والأعراض، والنفوس، والبنات والبنين؟ أم هل من مانع لقتال من أضع أركان الإسلام؟ أم هل من تثريب على من اقتفى الأثر بآيات قرناء القرآن والحجة على الأمة في كل عصر وأوان، الذين أوجب الله محبتهم على كل بنى الإنسان؟ أم هل من ناسخ لآيات (ومن لم يحكم بما أنزل الله)، وإنا نحذركم من دسائس المأمورين، فإن لهم طرقا إلى جلب أمثالكم إلى اتباع مقاصدهم، كما انتخبوا لخدمة أفكارهم أناسا من أهل اليمن، وجعلوا لهم آلهة في كل مكان، حتى بلغ بهم الحال إلى أن أرسلوهم للوفادة للباب العالي، للتعبير عنهم بما علموهم كما يفعلونه، إذا وصل مثل حضراتكم أو مفتش، فهم يمرون عليه في كل يوم بأماكن الأمراء، ويدلسون بأقوال، لا يعباون ولا يباليون بظهور الكذب فيها والافتراء، ثم ابحثوا عن العلة الباعثة، فإن من عرف الداء عرف الدواء.

وإننا نمد إلى الله أكف الابتهاال أن يجعل على أيديكم جبر كسر اليمن الميمون، وأن يقذف في قلب سلطان الإسلام الرأفة والرحمة باستدراك حشاشة أهله فهم مؤمنون.

### وشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حرر في ١٨ شعبان سنة ١٣٢٥هـ<sup>(٣)</sup>

نفهم من كتاب الإمام يحيى هذا، أنه لم يكن خروجه ولا خروج والده من قبله على العثمانيين قائما على التنكر لسيادة الدولة العثمانية في ريادة العالم الإسلامي، ولا الجحود لدور العثمانيين في المحافظة على الثغور الإسلامية في مواجهة الغرب الصليبي، ولا الشعور بالنفور منهم، باعتبارهم أجنب يحكمون اليمن، بقدر ما كان بسبب إهمال سلاطين آل عثمان لولاية اليمن، وعدم اختيارهم الولاة المناسبين لها، مما أعطى الخروج على سلطتهم صفة الاضطرار، وليس التمرد على الدولة العثمانية لذاتها، التي ارتبط بها اليمن بعلاقة روحية عقائدية، بوصفهم خدام الحرمين الشريفين، وإنما الرغبة في إصلاح ما أفسده هؤلاء الحكام، فلا يجوز مقابلة سفه الولاة العثمانيين وظلمهم بالسكوت، لأن ذلك يتعارض مع مبادئ المذهب الزيدى، الذى يفرض الخروج على الظلمة المنتهكين لحدود الله .

فانتشار الأمن، وإقامة الحدود أمانة فى عنق الإمام يحيى، وإعلاء كلمة الحق واجب، والسكوت عن الدعوة إلى الله لا يجوز، ومما يدل على صحة هذا الرأي، اشتعال جبهات القتال فى عهد الإمام يحيى حين تولية الفاسدين من الولاة العثمانيين، أصحاب الشدة والغطرسة والظلم والتجبر، أمثال كل من أحمد فيضى باشا عام ١٩٠٥م<sup>(٤)</sup>، ومحمد على باشا عام ١٩١٠م<sup>(٥)</sup>. وصلاح الأحوال وهدوء جبهات القتال عند تولية أصحاب اللين والرفق والديانة من الولاة، أمثال حسن تحسين باشا عام ١٩٠٨م، وعزت باشا عام ١٩١١م<sup>(٦)</sup>.

### حروب المواجهة بين الإمام يحيى والأتراك:

لم يحدث أى تغيير فى طبيعة العلاقة بين العثمانيين والإمام يحيى حين توليه السلطة خلفا لأبيه عام ١٩٠٤م، بل استمر الموقف العدائى وما نتج عنه من مواجهات وحروب أدت إلى تساقط المدن اليمانية بيد الإمام يحيى، الواحدة تلو الأخرى، إلى أن تمكن الإمام من حصار العاصمة صنعاء، حتى سقطت فى يده، وكان دخوله إليها رسميا فى ٢١ أبريل

عام ١٩٠٥م، وعندئذ أعلنت أكثر البلاد الطاعة، ولم يبق بأيدي الأتراك سوى مدينتي تعز، وإب، وبلاد حراز، والتهائم<sup>(٧)</sup>.

ويمكن إجمال الولاة والقادة العثمانيين الذين كان لهم الدور الحاسم في تسيير الأحداث في اليمن بعد سقوط صنعاء في يد الإمام يحيى في الآتي:

### أحمد فيضي باشا ١٩٠٥م - ١٩٠٨م:

بعد سقوط العاصمة صنعاء في يد الإمام يحيى، أرسلت الدولة العثمانية قوة هائلة من الجنود كاملة العدد والعدة، بقيادة أحمد فيضي باشا، المشهور بشدته ومهارته الحربية، وقسوته في التعامل مع الخصوم. وبمجرد وصوله انضمت إليه قوات أخرى متمركزة في منطقة حراز، فاتجهت هذه القوات الكبيرة إلى صنعاء، وهزمت القبائل اليمنية التي قابلتها، فاضطر الإمام يحيى للانسحاب وإخلاء صنعاء، خوفاً على أهلها بعد أن كانت في قبضته لعدة أشهر، وانتقل إلى الجبال في بلاد حاشد، للتحصن بها، فدخل الأتراك العاصمة صنعاء ثانية في أول سبتمبر من عام ١٩٠٥م نفسه<sup>(٨)</sup>، وتمكن أحمد فيضي باشا من الاستيلاء على جميع البلاد التي كان الإمام يحيى قد أدخلها في طاعته، منها شبام، وكوكبان، وعمران، وحجة، وغيرها من البلدان.

ولقد اغتر الوالي أحمد فيضي بما ناله من النصر، وبدخوله صنعاء، فعزم على الزحف على شهارة، معقل الإمام يحيى، ومنطلق دعوته الجهادية، في محاولة منه للقضاء التام على دعوة الإمام، واسترداد جميع ما وقع في يده من المدافع والأسلحة والأسرى، فخرج أحمد فيضي من صنعاء في قوة كبيرة مسلحة بالمدافع والأسلحة الحديثة، ودخل بلاد حاشد إلى أن وصل مشارف شهارة، التي وقعت فيها معارك حامية الوطيس انهزم فيها فيضي باشا شر هزيمة، بعد أن تفاجأ بخروج القبائل من الكهوف والجبال، والثبات في القتال، إلى أن طاردوا الأتراك الذين فروا إلى الأودية، تاركين وراءهم الكثير من المدافع والأسلحة، وآلات الحرب التي غنمتها القبائل المقاتلة<sup>(٩)</sup>، فاضطر فيضي باشا إلى الانسحاب بدون تحقيق شيء يذكر. وعند عودته إلى صنعاء قابله الإمام بقوة أخرى، فعرج فيضي باشا إلى عمران، ووصل إليها بعد خسائر فادحة، بعد أن فقد أكثر من نصف جيشه، ولكنه قام بمجهودات مضاعفة حتى استطاع أن يرجع إلى صنعاء<sup>(١٠)</sup>.

بعد ذلك استمرت وفود المفاوضات حيناً والمناوشات حيناً آخر بين الطرفين في خولان، والبيضاء، وسنحان، ورجام، وذمار، وحجة، وأنس، وغيرها من المناطق بدون أى حسم للموقف، والإمام ما يزال فى معقله فى شهارة ومناطق الهضبة الشمالية، فأرسل السلطان عبد الحميد وفداً من علماء مكة إلى الإمام يحيى فى منتصف عام ١٩٠٧م، لإصلاح ذات البين<sup>(١١)</sup>، إلا أن الوفد لم ينجح فى مساعيه فى حل القضية اليمينية، واستمرت الأوضاع مجمدة على ما هى عليه، إلى أن تم عزل فيضى باشا، الذى كان يعتقد بقدرته على حسم الموقف الحربى لصالحه<sup>(١٢)</sup>.

### حسن تحسين باشا ١٩٠٨م - ١٩١٠م:

فى عام ١٩٠٨م أدركت الدولة العثمانية احتياج اليمن إلى تهدئة عامة، فقامت بعزل فيضى باشا، لعدم تمكنه من القيام بالدور المطلوب فى حسم الموقف<sup>(١٣)</sup>، وعين بدلاً منه حسن تحسين باشا، الذى صلحت فى أيامه أحوال اليمن بهدوء نسبي، وسكنت الفتن إلى أجل، ولم يتعرض الإمام وشييعته وأعدائه للأذى، وحصل بين الوالى الجديد والإمام صلح ضمنى، على ألا يعتدى أحد على الآخر من جهته.

ونجح تحسين باشا بحكمته وديانته من القيام بالدور المطلوب منه، فاعترف بالوضع الخاص للإمام داخل الولاية، وهياً لوفدين من كبار السادة والعلماء والأعيان من خاصة الإمام للسفر إلى إستانبول، لمقابلة السلطان عبد الحميد، لعرض قضية اليمن عليه مباشرة، ولكن لم تستمر هذه الحالة الهادئة طويلاً، حيث عزل حسن تحسين من الولاية. وقد حزن أهل اليمن عموماً لعزله، إلى درجة أن توجه وفد إلى الاستانة للمطالبة بإرجاعه إلى منصبه فى اليمن<sup>(١٤)</sup>.

### محمد على باشا ١٩١٠م - ١٩١٢م

بعد عزل حسن تحسين باشا عام ١٩١٠م عين محمد على باشا، وهو من رجال حزب الاتحاد والترقي، المؤمنين بسياسة التتريك وتطبيق المركزية الشديدة، وقد مال إلى العنف منذ وصوله، سائراً على خطى سلفه أحمد فيضى فى اتباع سياسة الشدة والقسوة فى قمع كل اضطراب، دون محاولة الوصول إلى اتفاق يرضى الطرفين، وهنا تجددت الثورات والحروب فى اليمن<sup>(١٥)</sup>، وازداد السخط إلى درجة تمكن الإمام من تجنيد خمسين ألف مقاتل، لحصار مدينة صنعاء من يناير إلى أبريل فى عام ١٩١١م<sup>(١٦)</sup>، فصممت الدولة العثمانية على إرسال حملة أخرى لفك هذا الحصار.



## عزت باشا ١٩١١م :

عين عزت باشا رئيس أركان حرب الجيش قائداً للحملة الجديدة على اليمن، ل فك حصار قوات الإمام للوالى محمد على باشا فى العاصمة صنعاء، وقد فوض سلطات واسعة منحها له الباب العالى. وعند وصوله إلى الحديدية زحف بقواته قاصدا صنعاء، وسط حروب ومناوشات عديدة حتى نهاية مارس. وفى ٥ أبريل ١٩١١م تمكن من فك حصار صنعاء، بعد أن انسحبت قوات الإمام إلى معاقلها فى الهضبة الشمالية من اليمن، ريثما ينجلى الموقف<sup>(١٧)</sup>.

وبالرغم من دخول عزت باشا صنعاء، إلا أنه اشتهر بحسن سيرته فى البلاد، ورجاحة عقله، وطلاقة لسانه، مما ساعده فى التقرب من الإمام يحيى، وإجراء اتصالات شخصية معه، باذلا مجهودا كبيرا فى إقناع الإمام بأن القتال إذا استمر بينه وبين الدولة، فإن الأجنب سوف يستولون على هذه البلاد<sup>(١٨)</sup>، بالإضافة إلى أنه استعان بوساطة شريف مكة الحسين بن علي، لحث الإمام على وحدة الصف الإسلامى، فى ظل ظروف المواجهة مع الغرب<sup>(١٩)</sup>، وقد استجاب الإمام يحيى لعروض الاتفاق المقدمة من عزت باشا، خاصة بعد أن اعترف عزت باشا بالوضع الخاص للإمام يحيى وحقوقه فى ظل الدولة العثمانية، مما ساعد على التوصل إلى صلح دائم بين الطرفين عقد فى عام ١٩١١م تحت مسمى اتفاقية دعان، التى انتهت حروب الإمام نهائيا مع الدولة العثمانية. وقد أشار أمين الريحانى فى كتابه (ملوك العرب) إلى هذا الصلح بقوله: «فعدت معاهدات سنة ١٩١١م مدة عشر سنين، وكان من شروطها أن يعترف الإمام بالسيادة التركية، وتقبل الدولة ألا يكون فى البلاد غير المحاكم الشرعية التى يعين الإمام قضاتها»<sup>(٢٠)</sup>.

## محمود نديم بك ١٩١٢م - ١٩١٨م:

بعد أن صادقت الدولة العثمانية على توقيع الصلح الذى أنجزه عزت باشا، قامت بعزل الوالى محمد على باشا، لكونه مصدرا للاضطراب، وعينت بدلا منه محمود نديم بك فى عام ١٩١٢م، والذى كان قد أدى دورا كبيرا فى إتمام عقد الاتفاق بين الإمام يحيى والعثمانيين<sup>(٢١)</sup>. وعلى الرغم من وجود حامية تركية مؤلفة من فرقتين تحت إمرة محمود نديم<sup>(٢٢)</sup>، إلا أن حالة السلم والهدوء والتعاون كانت هى السائدة بين الطرفين، حيث وزع الإمام بعد تصديق

الاتفاقية منشورا على جميع القبائل الموالية له، يحذرهم من الخروج على الدولة العثمانية، والتعدى على الجنود النظامية، والانصراف عن مناوأة الدولة إلى الاهتمام بزراعة الأرض. فكان من ذلك أن الجندى النظامى أصبح يروح ويغدو بسلاحه الكامل فى أنحاء اليمن دون أن يعارضه معارض<sup>(٢٣)</sup>. وقد استمر الوضع على ما هو عليه، حتى قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، حيث بدأ فصل جديد فى التعاون التركى اليمنى، حتى انسحاب الأتراك نهائيا من اليمن.

نخلص من ذلك، أن الإمام يحيى بعد أن وقع اتفاقية دعان مع العثمانيين، ظل على عهده ووفائه، ولم يمد يد الغدر، مستجيبا لإغراءات الدول الكبرى، خاصة بريطانيا التى كانت تضغط على الإمام يحيى لإدخاله فى حظيرتها، كما أدخلت الكثير من الزعامات العربية، التى قامت بطعن تركيا فى الظهر، بل أوقف الإمام يحيى من عملياته الحربية تجاه الأتراك، وعزز من تضامنه معهم، وأكد على ولائه لهم، خاصة فى الظروف العصيبة التى كانوا فيها أحوج ما يكونون للتضامن. وبالعودة إلى الوثائق العثمانية، نجد البرقيات التى عبر فيها الإمام عن روح التضامن الإسلامى مع العثمانيين فى سياق مواجهتهم مع إيطاليا إبان احتلالها لطرابلس الغرب، ومنها برقية بعثها الإمام فى ١٢ أكتوبر عام ١٩١١م إلى السلطان العثمانى محمد رشاد، وجاء فيها: بلغنى أن بعض الأجانب يتجاوزون على طرابلس الغرب والحديدة (يقصد بالأجانب الإنكليز والطلينان)، فأنا على أهبة الإقدام بمائة ألف فدائى مبارز حتى يمن الله بإعلاء كلمة الله<sup>(٢٤)</sup>.

وقد رد السلطان محمد رشاد على برقية الإمام يحيى بتاريخ ١٠ تشرين الثانى ببرقية جوابية، جاء فيها: إن ما أبدىتموه فى برقيتكم من الهمة والإقدام، قد أيد خالص ثقتى بكم. دولتنا متشبثة بأسباب دفع الغوائل، وأبين لكم انى سررت من نواياكم التى تستحق الذكر، ومن الله التوفيق<sup>(٢٥)</sup>. كما تلقى الإمام يحيى برقية أخرى من الصدر الأعظم سعيد باشا، جاء فيها:

إلى حضرة الإمام يحيى باليمن.

تلغراف سيادتكم الوارد قد تلى بمجلس النظار، وما أظهرتموه من الحمية الممتازة وغيرتكم الدينية، قد استوجبا كمال السرور، وتعلمكم بأن الدولة العلية بعناية البارى - تعالى - قد اتخذت الأسباب اللازمة لدفع الغائلة. أما إحساساتكم العلية، فقد أيدت ما هو معهود منكم فى الإخلاص، وبهذه الوسيلة بادرنا لبيان الشكر والمنة.

الصدر الأعظم

سعيد باشا<sup>(٢٦)</sup>

## اتفاقية صلح دعان:

تعد هذه الاتفاقية استجابة منطقية، واعتراف بواقع له جذور عميقة ساد منذ قرون في عهد أسلاف الإمام يحيى، حيث إنه منذ وطأ العثمانيون أرض اليمن للمرة الأولى عام ١٥٣٨م فى حملتهم الأولى، حتى حملتهم الأخيرة على اليمن عام ١٨٤٩م، التى امتدت إلى عهد الإمام يحيى، لم يتجاوز نفوذ العثمانيين العسكرى والإدارى المناطق الشافعية فى اليمن من ساحل تهامة إلى المناطق الزراعية المنخفضة، فى حين أن الأئمة احتفظوا بمعاقلهم فى مناطق الهضبة الشمالية من البلاد، حيث سادت عصبيتهم الزيدية هناك. وبالتالي جاءت اتفاقية دعان كتحصيل حاصل للواقع على الأرض، ولم تغير شيئاً يذكر من هذا الواقع، اللهم إلا فى ترتيب العلاقة بين الطرفين، وتحديد الاختصاصات والمسؤوليات ومناطق النفوذ على امتداد اليمن، ريثما تبرز معطيات جديدة تحدد الموقف النهائى للطرفين فيما يتعلق بالمستقبل السياسى لليمن.

لقد عقد هذا الاتفاق فى أول شهر ذى القعدة عام ١٣٢٩م، الموافق شهر أكتوبر عام ١٩١١م، ولمدة ١٠ سنوات. وحمل بين طياته جوهر مطالب الأئمة السابقين للإمام يحيى، الذين كانوا لا يمانعون من الانضواء تحت لواء الدولة العثمانية ولكن بشروط. ويعد هذا الصلح الخطوة الأولى الضرورية فى الطريق نحو الاستقلال، والانتصار لفكرة الدولة التى أراد الإمام يحيى تأسيسها فى الأمد القريب.

لقد أثار هذا الاتفاق الكثير من الجدل فى الأوساط الفكرية، والثقافية، والسياسية، والذى تراوح ما بين الإشادة والتنديد. فمن بين أوساط الإشادة من عد أنه لم يكن فى الإمكان أبدع مما كان، كما قال الأديب والمفكر اليمنى أحمد الشامى<sup>(٢٧)</sup>، فى حين عد بعضهم أن من النتائج المثمرة لهذا الصلح، ظهور الإمام يحيى وانتشار سمعته بين معاصريه، بوصفه زعيماً مناضلاً شريفاً المقصد، مما أوصل إليه بعض الدعوات من مصر ودول المشرق العربى فى الشام والعراق، تدعوه لأن يؤدى دور الزعامة داخل الحركة القومية العربية، بعد أن تمكن من إجبار الأتراك على عقد صلح معه فى وقت كان زعماء الدولة العلية يندفعون نحو رفع شعارات المركزية والتتريك<sup>(٢٨)</sup>.

أما محمد رشيد رضا وجريدته المنار، ذات التوجه الإسلامى، والمعبرة عن آمال الشعوب الإسلامية، فقد هللت لذلك الصلح، وزفت بشراه، حيث يقول رشيد رضا: «أرانى فخورا

فى زف هذه البشرى لإخوانى فى الدين والوطنية. إن ذلك اليوم الذى عقدت فيه الاتفاقية كان يوما عظيما فى اليمن، تجلت فيه السعادة على تلك الربوع، وانمحن الشقاء والبؤس للذنان كانا يرفرفان عليها<sup>(٢٩)</sup>».

وفى مقابل ذلك التهليل للاتفاقية، برزت أصوات عائبين لخصوم تاريخيين للإمام يحيى، اتهموه بقصر النظر، ومحدودية التفكير والطموح، وعدم تجاوز تفكيره حدود الدولة الزيدية، بموافقته على شروط الدولة العثمانية، وتخليه عن لقب أمير المؤمنين، واكتفائه بالزعامة على اتباعه من الزيود دون الشوافع، فى ظل التبعية العثمانية. وقد تغافل هؤلاء عن أن اتفاقية دعان تجد مرجعها التاريخى فى صلح الحديبية، حيث تخلى فيه سيدنا المصطفى عن كلمة رسول الله، تمهيدا للهدف الاستراتيجى فى فتح مكة، فما بالهم بتخلى الإمام يحيى عن لقب أمير المؤمنين، تمهيدا لفتح صنعاء، وما دروا أيضا أن هذه الاتفاقية تحسب للإمام يحيى ولا تحسب عليه، بل هى وسام يفتخر به، فما كان توقيت توقيع الإمام يحيى ذلك الاتفاق فى أول ذى القعدة عام ١٣٢٩م، الموافق أكتوبر من عام ١٩١١م عفوا، بقدر ما كان يعبر عن مغزى لا يدركه إلا الراسخون فى العلم، وهو تقوى الله، والتعلق بميزان الشرع فى توجه الإمام يحيى السياسى بتغليب المصلحة العليا للأمة على المصالح الضيقة والشخصية. فبعد إعلان إيطاليا الحرب على الدولة العثمانية، وإنزال قواتها فى طرابلس الغرب، لاحتلال ليبيا فى سبتمبر عام ١٩١١م<sup>(٣٠)</sup>، آثر الإمام يحيى الترفع عن جراحاته الشخصية مع الأتراك، وتغليب مصلحة الأمة بالوقوف مع إخوانه فى العقيدة، فأعلن الدعوة إلى الجهاد فى كل مساجد اليمن، لنصرة إخوانه الأتراك عقب بدء الحرب الإيطالية العثمانية، ولم يكتف الإمام يحيى بذلك، بل أرسل برقية للسلطان العثماني، كما أشرت إلى ذلك سابقا، معلنا فيها الولاء للدولة العثمانية، ومبديا استعداده لتجنيد ١٠٠ ألف يمنى لنصرتهم<sup>(٣١)</sup>، متناسيا كل حروبه وخلافاته مع الأتراك، ومؤجلا طموحاته السياسية عبر التخلي عن لقب أمير المؤمنين للمصلحة العامة، وفى سبيل رفعة الإسلام، خاصة مع تهديد الغرب، الذى بدأ بتقطيع أوصال الدولة العثمانية، ابتداء من احتلال البوسنة والهرسك وبلغاريا عام ١٩٠٨م، ومرورا ببدء الثورات فى البلقان عام ١٩١١م، تمهيدا لخروج الولايات البلقانية من ممتلكات الدولة العثمانية، وانتهاء باحتلال إيطاليا لليبيا، ومهاجمتها للشعور الإسلامية فى البحر الأحمر، ومنها الحديدية التى قصفتها

البوارج الإيطالية لتدمير القوات التركية المرابطة هناك<sup>(٣٢)</sup>. إضافة إلى منطقة الشيخ سعيد، ومدينة المخا، وميدي، واللحية، وجزر فرسان، وغيرها من المدن الساحلية المطلة على البحر الأحمر، التي قصفتها البوارج الإيطالية<sup>(٣٣)</sup>.

وحتى مجلة المنار، وهي التي كانت أكبر مجلة إسلامية في العالم الإسلامي تعنى بشؤون المسلمين، وأعظمها صيتا، وأكثرها تأثيرا على العرب والمسلمين في ذلك العصر، ذكرت أن أساس اتفاق دعان بين الإمام يحيى وعزت باشا، كان بسبب إقناع الإمام يحيى من قبل المندوب العثماني أن القتال إذا استمر بينه وبين الدولة العثمانية، فإن الأجانب الذين يتربصون بنا الدوائر، سوف يستولون على هذه البلاد<sup>(٣٤)</sup>.

وعبرت المجلة أيضا، نقلا عن ضابط عثماني شهد بنفسه الحرب والصلح مع الإمام يحيى بالتالي: إن قرية دعان الواقعة على مسافة خمس ساعات من الشمال الشرقي من قضاء عمران، سيكون لها شأن في التاريخ، حيث عقد فيها الاتفاق، وتم توقيع شروط الصلح بين الإمام يحيى حميد الدين، وقائد الحملة عزت باشا، فانحسم بذلك الخلاف، ولولا ذلك لما تسنى الحصول على وفاق ووئام بين طائفتين من المسلمين تقتتلان، فهياً للجيش العثماني عضدا قويا يبلغ عدده ثلاثة ملايين، لأن الإمام يحكم هذا العدد، ويمكنه أن يكون محاربا مع الجيش العثماني جنبا لجنب إذا مست الحاجة، ولا يستبعد القارئ هذا، فالمثال حسي ظاهر، وهو أنه لما بلغ الإمام إعلان إيطاليا الحرب على الدولة، أرسل نبا بريقيا إلى مقام الخلافة العظمى يقول: إنه مستعد لتقديم مائة الف مقاتل كاملى العدد والعدة<sup>(٣٥)</sup>.

أما أمين الريحاني، فيعلل سبب عقد الإمام يحيى الصلح مع العثمانيين بقوله: «كان عزت باشا والى اليمن والدولة العثمانية على أهبة الحرب مع إيطاليا، فسعى بما له من حنكة وفصاحة وكرم أخلاق إلى مصالحة الإمام، ليمنعه على الأقل من محالفة العدو، كما فعل بعدئذ السيد الإدريسي»، والمقصود بالعدو هنا الإنكليز<sup>(٣٦)</sup>.

وفى هذا الشأن، يقول الإمام يحيى فى رسالة بعثها إلى سلطان لحج، شارحا السبب فى توقيع هذه المعاهدة: «لقد تمت المعاهدة، ونحن بصرف النظر عن الاختلافات المذهبية، اتجهنا بأفكارنا إلى الوحدة الإسلامية، وإلى توحيد كلمة المسلمين، وضد اعتداءات الأجانب فى حالة إصرار إيطاليا على العدوان على طرابلس»<sup>(٣٧)</sup>.

وهناك مواقف أخرى للإمام يحيى أسوقها للقارئ قبل معاهدة دعان وأثناءها، وكلها تقف شاهدا على استجابته لنداء الدين، وتغليبه للمصلحة العليا للأمة على حساب المصالح الضيقة، ومنها:

• استجابة الإمام يحيى لشريف مكة، الحسين بن علي، الذي كتب إلى الإمام مباشرة (قبل أن ينقلب على الأتراك)، محاولا إقناعه بالصلح مع العثمانيين، ومذكرا له بأهمية وحدة المسلمين، وخطورة انقسامهم على أنفسهم في ذلك الوقت الحرج، وأنه من واجب كل مسلم أن يعضد خليفة الإسلام ولو بعقال بغير، وأنه من الجرم أن تبعثر قوى الخليفة في ميادين جانبية<sup>(٣٨)</sup>.

• المنشور الذي بعثه الإمام يحيى لعموم المسلمين، للدعوة إلى جمع الكلمة، والاعتصام بالكتاب والسنة، وترك التفرق والاختلاف الذي أدى إلى احتلال الأجنبي لبلاد المسلمين<sup>(٣٩)</sup>، ودعوته كافة الزعماء العرب للانضمام إلى صف الدولة العثمانية في مواجهة الإنكليز والإيطاليين، مثل مكاتبته لسلطان لحج، وبعث الوفود إليه لإقناعه بفك الارتباط مع الإنكليز<sup>(٤٠)</sup>. ومثل نصائحه للإدريسي وإرساله العلماء إليه في تهامة، لإقناعه بكف العدوان عن الدولة العثمانية، وفك الارتباط مع أعدائها الإيطاليين<sup>(٤١)</sup>.

• صد الإمام يحيى المحاولات الإيطالية للاتصال به عن طريق سلطان لحج، بعد بدء اعتدائهم على ليبيا، حيث تقدم القنصل الإيطالي إلى سلطان لحج، وطلب إليه أن يبذل قصارى جهده مع صديقه الإمام يحيى، ليستثيره ويغريه على العمل ضد الأتراك<sup>(٤٢)</sup>، إلا أن الإمام رد على سلطان لحج بقوله: «إن الإيطاليون يتخيلون أن كل ما هو أبيض أمامهم قطعة من الدهن، وأنه يرى أن في تقدم الإيطاليين محاولة من جانب القوى الأوروبية لضرب الإسلام في الجزيرة العربية»<sup>(٤٣)</sup>. إضافة إلى عدم استجابة الإمام يحيى لسلطان لحج، الذي دفعه الإنكليز لمحاولة إقناعه بالاصطفاف إلى جانب بريطانيا في الحرب العالمية الأولى<sup>(٤٤)</sup>.

• رفض الإمام يحيى التجنيد العسكري الإيطالي، الذي بدأ يشيع بين اليمنيين خلال الحرب العالمية الأولى في المستعمرات الإيطالية، مثل جيبوتي وإريتريا، وكان دافع الرفض، الخوف من إقحام اليمنيين في معارك يقاتلون فيها إخوة لهم في الدين، فأصدر فتوى بتطبيق أى مجند يمنى من زوجته إن ثبت تجنده في القوات الإيطالية<sup>(٤٥)</sup>.

• بالرغم من إخلال العثمانيين بأحد شروط اتفاقية دعان، التي تخصص مساعدات مالية للإمام ولكبار رجال قبائله، حيث قطعت هذه المساعدات المالية عن الإمام مع دخول الأتراك في الحرب العالمية الأولى، بسبب الضائقة المالية، إلا أن الإمام يحيى لم تثر ثائرته، كما يثور الكثير من الحكام العرب، عندما لا يقبضوا الثمن، بل وبشهادة أمين الريحاني، استمر الإمام يحيى في عهده وتحالفه، ولم ينقلب على الأتراك البتة، لأنه لم يكن ينتظر ثمنا لموقفه بصلح دعان<sup>(٤٦)</sup>، بل أكثر من ذلك، فقد ورد في الوثائق البريطانية أن الإمام يحيى عندما شهد الضائقة المالية للأتراك، أمدهم بالأموال والمساعدات من الأرزاق والغلال، بدلا من أن يأخذ منهم، وكل ذلك كان بسبب نصرة إخوانه في العقيدة، في مواجهة بريطانيا خلال الحرب العالمية الأولى<sup>(٤٧)</sup>.

وزاد الإمام على ذلك، بأن فتح باب التطوع لمن أراد من رعاياه اليمنيين الجهاد مع العثمانيين، في مواجعتهم للإنكليز في لحج، حتى بلغ عدد اليمنيين الذين حشدهم الإمام كمتطوعين في معركة الدكيم في لحج أربعة آلاف يمني، ساعدوا العثمانيين في انتصارهم على الإنكليز، واستيلائهم على لحج في يوليو سنة ١٩١٥م<sup>(٤٨)</sup>. يقول المؤرخ اليمني القاضي الشماحي حول هذا الموقف المشرف للإمام يحيى مع الدولة العثمانية: «كان الإمام يحيى أعمق القادة العرب فكرا وأشرفهم موقفا، فوقف موقف الحياد، ولم يطعن الأتراك لا من الإمام ولا من الخلف، التزاما منه باتفاقية دعان، وبأنهم مسلمون يحاربون مستعمرا كافرا، ولم يقف به هذا الاعتقاد عند حد المتاركة للترك، بل أمدهم بالمال، ولم يعارض من أحب التطوع من اليمنيين للقتال معهم ضد الإنكليز»<sup>(٤٩)</sup>.

• عندما لم يتمكن الأتراك - بسبب الحرب - من الالتزام بالبند المتعلق بالمساعدات المالية للإمام وقبائله في اتفاقية دعان، استغل الإنكليز هذه الثغرة، وعرضوا على الإمام تعويضه بتمويل إنكليزي بديل له ولقبائله، مقابل انتفاضه على الأتراك<sup>(٥٠)</sup>، ولكنه رفض ذلك وفضل الفقر والفاقة، وانقطاع المدد المالي عنه، على أن يطعن إخوانه في العقيدة في ظهورهم.

• بعد انهزام تركيا في الحرب العالمية الأولى، سلم كل القادة العرب كل من بيدهم من الأتراك إلى بريطانيا وحلفائها المنتصرين كأسرى، ما عدا الإمام يحيى والملك عبد العزيز، وفي هذا السياق يقول المؤرخ الشماحي: «انتهت الحرب العالمية الأولى بهزيمة تركيا

وألمانيا، فسلم القادة العرب كل من بيدهم من الأتراك إلى بريطانيا وحلفائها المنتصرين كأسارى، ولكن اليمينيين والإمام يحيى لم يصنعوا هذا الصنيع، برغم ما جرّه الأتراك من ويلات على اليمن، بل احتفظوا بمن كان بين أظهرهم من الأتراك، وتركوا لهم حق الاختيار فى البقاء باليمن، أو الرجوع إلى بلادهم<sup>(٥١)</sup>».

وإضافة إلى هذه الشواهد، فهناك إجماع لكافة المؤرخين الإنكليز والأوروبيين على أن الإمام يحيى كان الحاكم العربى الوحيد الذى فضل الاصطفاف إلى جانب الدولة العثمانية، على أن يصطف مع بريطانيا خلال الحرب العالمية الأولى، خلافا لموقف كل الحكام العرب<sup>(٥٢)</sup>. ومنهم المفكر الإيطالى الذائع الصيت، سلفاتور أبونتى، الذى كان متخصصا فى الكتابة عن شؤون اليمن، الذى قال: ”فى أثناء الحرب العظمى الأولى رفض الإمام يحيى بشم وإباء كل مخالفة اقترحها عليه الإنجليز، ورغم أنه حارب الأتراك لضمان استقلال بلاده، إلا أنه آثر أن تقطع رقبتة ورقاب أولاده على أن يحالف بريطانيا<sup>(٥٣)</sup>”.

ومن هؤلاء المؤرخين هارولد جيكوب، المعاون الأول للحاكم البريطانى فى عدن، الذى قال: «على المرء أن يلقى نظرة ولو سريعة على تاريخ الإمام يحيى وعلاقاته السابقة مع الأتراك، ليتأكد بأنه كان أكثر من أى حاكم عربى يمكن وصفه بالخصم العنيد للأتراك، لكنه إنحاز إليهم فى عام ١٩١١م لسبب خاص، وعمله هذا يستحق الحمد والثناء من وجهة النظر الإسلامية<sup>(٥٤)</sup>».

ومنهم المستشرق الألمانى هانز هلفرتز، الذى أكد على أن السبب فى هذا الموقف الذى اصطف فيه الإمام مع الأتراك، هو عندما هدد الإسلام نفسه عند هجوم إيطاليا على طرابلس الغرب<sup>(٥٥)</sup>.

وأكتفى بهذه الشهادات وهذه العينات من المواقف المشرفة، التى سعى خصوم الإمام يحيى لتحويلها أو تأويلها بما يتناسب مع أجندتهم الخاصة فى التشويه لسيرة الإمام يحيى. ومما هو جدير بالذكر، أن الإمام يحيى بالرغم من كل تلك المواقف التضامنية مع العثمانيين، وتغليبها للمصلحة العامة للأمة، إلا أنه لم يفرط فى حق المطالبة بالاستقلال التام حين أوانه، بعد أن تنجلى الغمة عن الأمة. يتضح ذلك فى طيات خطابه الآنف الذكر، الموجه إلى علماء مكة، حيث كتب فيه بأن اليمن كانت بيد أسلافنا، منوها بذلك



على أحقيته في حكم اليمن، في الوقت نفسه الذي سمي فيه السلطان العثماني بسلطان الإسلام، بوصفه رمزا للوحدة الإسلامية. وبهذا ندرك أن مفهوم الاستقلال في نظر الإمام يحيى في مرحلة تكالب الغرب الاستعماري على الدولة العثمانية، كان لا يخرج عن إطار الإلحاح في انتزاع الاعتراف بوضع اليمن الخاص تحت زعامته، في ظل الجامعة الإسلامية العثمانية، تمهيدا لإنشاء الدولة اليمنية في المستقبل القريب.

أما عن القومية وغيرها من الدعاوى المعاصرة، فلم تكن واردة في ذهن الإمام يحيى البتة، كما كانت في ذهن عرب الشمال في بلاد الشام والعراق ومصر، ويؤكد هذا الرأي الكاتب أمين سعيد في كتابه (ملوك المسلمين المعاصرين ودولهم)، حيث يقول: «إن الإمام من أنصار الجامعة الإسلامية وأكابر دعائها، ولا يؤمن بمبدأ القومية، ولا يراه جديرا بالاهتمام، ويفضل عليه المبدأ الديني، ويراه ادعى إلى القبول والنجاح<sup>(٥٦)</sup>». ويؤكد ذلك الموقف الرفض للقومية، الجدل المعبر الذي خاضه الإمام يحيى مع الأديب أمين الريحاني، عندما زار اليمن، محاولا إقناع الإمام بالرابطة القومية على حساب الجامعة الدينية، قائلا له: «إن القومية تجمع الشعوب، والدين يفرقهم، وإننا نحن المسيحيين في سوريا، مثل العرب المسلمين تجمعنا القومية، وهي التي حملتنا على التشرف بزيارتكم، ولا يجمعنا الدين<sup>(٥٧)</sup>». ويؤكد أيضا رفض الإمام يحيى لمسودة المعاهدة الحجازية اليمنية، التي أعدها أمين الريحاني بالتنسيق مع الشريف حسين بن علي، لاشتمالها على بند يؤكد على التوجه القومي، حيث لم يوافق الإمام يحيى على مسودة هذه الاتفاقية، إلا بعد أن أبدلت ببند يعكس اجتماع الكلمة الدينية، بدلا من اجتماع الكلمة القومية<sup>(٥٨)</sup>.

لقد كان الإمام يحيى يستشعر اتجاه الرياح التي تنبئ بغروب شمس الدولة العثمانية، حيث كانت علامات انهيارها تلوح في الأفق منذ سنين خلت، في ظل مناخ دولي خطير. وكان يدرك أيضا أبعاد انهيار الدولة العثمانية على بلاده، خاصة لما طبع به تاريخ اليمن من نزوع قبلي دموي، عماده عدم الانضباط، والميل إلى الاستقلال الذاتي، مع شن الحروب، لما فيها من غنائم وأسلاب، ناهيك عن تناحر القوى المحلية وتنافسها على السلطة والرئاسة، مما يجعل البلاد عرضة لاختراق القوى الكبرى، خاصة بريطانيا، التي كانت تسعى دائما إلى اجتراح وسائل تسلل واختراق تحت شتى الذرائع، ومنها استغواء رؤساء العشائر الشمالية بالمشاهرات المالية، عن طريق حليفهم الإدريسي في تهامة، كما استغوت رؤساء

العشائر الجنوبية، وما مقولة الشيخ ناصر بن مبخوت الأحمر المشهورة، من أن الإمام يحيى إمام المذهب، والإمام الإدريسي إمام الذهب، إلا تأكيد على ذلك<sup>(٩٩)</sup>، لذلك فإن تأكيد زعامة الإمام يحيى على الزيود دون غيرهم في اتفاقية دعان، لم يكن بسبب عدم طموحه وعدم تجاوز تفكيره حدود الدولة الزيدية، واكتفائه بالزعامة على الزيود فقط، كما علل ذلك بعض المتشنعين من خصوم الإمام يحيى في كتاباتهم، بل كان بسبب استراتيجية بعيدة المدى، تتعلق بتراتب الأولويات ومقتضيات توازن القوى.

فإدراك الامام يحيى سهولة تطويع القبائل غير الزيدية، التي اتسمت بحياتها بسهولة العيش في المناطق الزراعية المنخفضة والمسالمة قبل انسحاب العثمانيين من اليمن وبعده، وخضوعها دوما لسلطة مركزية طوال تاريخها، جعلها مشروعا مؤجلا بالمقارنة مع شراسة القبائل الزيدية، ذات النزعة القتالية المتوارثة، الراضين لأية لسلطة مركزية كانت، مما جعل الأولوية عند الإمام تتمثل في ضمان توحيد هذه القبائل الزيدية العصبية تحت جناحه، منعا لتشتتها واختراقها، باعتبار أنها مركز الثقل الحقيقي، والذخر والعصبية اللازمة لحروب التحرير التي سوف يخوضها الإمام لاحقا، من أجل توحيد اليمن وجمع قبائله الزيدية والشافعية على كلمة سواء.

وما توجيه الإمام هذا الذخر القبلي الزيدى بعد انسحاب الأتراك نحو القطاع الشافعي في اليمن، سواء في حروب التوحيد في شمال الوطن، أو حروب التحرير في جنوبه، إلا دليل على صحة هذا الرأي. ولو سلمنا بمنطق خصوم الإمام يحيى من أنه كان محدود الطموح، ولا يتجاوز حدود تفكيره حدود الدولة الزيدية، لوجدناه قد آثر أن يسلك طريق السلامة، منكميء على ذاته في الشمال الزيدي، ولما كلف نفسه عناء ٣٠ عاما من المواجهة مع الإنكليز في جنوب اليمن، إلى درجة أن يسجل له التاريخ سابقة قصف قواته بالطائرات البريطانية خلال حروب التحرير التي خاضها الإمام في الضالع، وقعطبة، ويرييم، وشبوة، ويافع، وغيرها من المناطق؟ وأستشهد في هذا السياق للتدليل على طموحات الإمام يحيى وتطلعاته للتمدد نحو الجنوب، ما ذكره أمين الريحاني في كتابه (ملوك العرب)، حيث يقول: «أما حدود اليمن، فالإمام لا يعرف منها غير الحدود القديمة التي كانت تشمل عمان وحضرموت. فإذا اعتبرنا هذا التحديد، وفهمنا إشارة الحضرة الشريفة، ظهرت لنا مطامحه السياسية بأجلى مظاهرها<sup>(١٠٠)</sup>».

أما هارولد جي كوب، المعاون الأول للمندوب السامى البريطانى، فيقول: «حاول الإمام نفسه بعد أن تقلص النفوذ التركى استعادة أملاكه التى كانت له السيطرة عليها فى الزمن القديم، لا سيما بعد عقد معاهدة مع الأتراك فى عام ١٩١١م». ويضيف قائلا: «إن أطماع الإمام وغاياته تكبر يوما بعد يوم، وما زال يواصل الضغط للحصول على مطالبه وادعاءاته، ونحن اليوم نجد قواته فى داخل ما كان يسمى ذات مرة الحدود الإنكليزية - التركية<sup>(١١)</sup>». ويقول: «لقد كان هدف الإمام يحيى موضوعا أمامه ونصب عينيه دائما، ونستطيع أن ندعو ذلك بالمكيدة والترقب، لتحرير كل المقاطعات الجنوبية وضماها إليه. وكان يعلم أنه سوف يصل فى يوم من الأيام إلى غرضه، وأن باستطاعته الانتظار والترقب<sup>(١٢)</sup>».

وبالنظر إلى الدعوات التى أطلقها الإمام يحيى لكل مشايخ المحميات وسلطينها فى الجنوب لفصل عرى علاقتهم مع الإنكليز، والاتحاد تحت قيادته، نورد دليلا آخر على تطورات الإمام يحيى وطموحاته فى توحيد البلاد شمالا وجنوبا، شوافع وزبود، تحت راية واحدة. لقد ورد فى الوثائق البريطانية رسالة مؤرخة بتاريخ ٢ أغسطس عام ١٩٢٣م موجهة من المندوب السامى البريطانى فى عدن، إلى وزير شؤون المستعمرات فى لندن، يعبر فيها عن قلقه من هذه الدعوات الوحودية الإمامية، حيث يقول المندوب السامى: «إن الإمام تقوم دعايته على ازدياد الإنكليز، واعتبارهم مناهضين ومحاربين للإسلام، وما يزيد القلق أن الإمام وعد أمراء المحميات بالإبقاء عليهم حكاما فى مناطقهم تحت سيادته، إن دخلوا فى طاعته<sup>(١٣)</sup>».

نخلص من كل ما سبق، أن الإمام يحيى لم يشأ أن يترك الأمور نهبا للصدف والمباغطات، ولا اليمن مرتعا للانفراط والقوضى بعد رحيل العثمانيين، مما سيؤدى إلى تمزق البلاد شر ممزق، فسارع انطلاقا من الرؤية الشرعية والمصلحة الوطنية إلى استباق الأحداث والمتغيرات، بتأكيد نفسه الممثل الشرعى الوحيد لشعب اليمن على مسرح العلاقات الدولية، عن طريق عقد اتفاق دعان، الذى مكنه من لم شتات القبائل الزيدية تحت راية واحدة، واتخاذهم ذخيرة لتوحيد باقى أجزاء اليمن الشافعى، درءا لباب الفتنة والتنافس على السلطة، الذى كانت تعول عليه بريطانيا، لاختراق اليمن كما اخترقت غيره من بلدان العرب.

وبتوقيع الإمام لاتفاقية دعان، فقد أسس لمرحلة جديدة من تاريخ اليمن، بوضع مداميك دولته المستقبلية، كما أنه أغلق باب التنافس على السلطة بتأكيد زعامته، مما أفقد بريطانيا وترا حساسا كانت تعول عليه لتنفيذ مخططاتها الخبيثة فى اليمن.

## بنود اتفاقية دعان:

- ١ - ينتخب الإمام حكاما قضائيين لمذهب الزيدية، وتبلغ الولاية ذلك، وهذه تخير الاستانة لتصدق المشيخة على ذلك الانتخاب.
- ٢ - تشكل محكمة استئنافية للنظر في الشكوى التي يعرضها الإمام.
- ٣ - يكون مركز هذه المحكمة صنعاء، وينتخب الإمام رئيسها وأعضائها، وتصدق على تعيينهم الحكومة.
- ٤ - يرسل الحكم بالقصاص إلى الاستانة للتصديق عليه من المشيخة، وصدور الإرادة السننية به، وذلك بعد أن يسعى الحاكم في التراضى ولا يفلح، ولا ينفذ الحكم إلا بعد التصديق وصدور الإرادة، بشرط ألا يتجاوز أربعة أشهر.
- ٥ - إذا أساء أحد المأمورين (الحكام والعمال) الاستعمال في الوظيفة، يحق للإمام أن يبين ذلك للولاية.
- ٦ - يحق للحكومة أن تعين حكاما للشرع من غير اليمانيين في البلاد التي يسكنها الذين يتمذهبون بالمذهب الشافعي والحنفي.
- ٧ - تتشكل محاكم مختلطة من حكام الشافعية والزيدية للنظر في دعاوى المذاهب المختلفة.
- ٨ - تعين الحكومة محافظين تحت اسم مباشرين للمحاكم السيارة التي تتجول في القرى، للفصل في الدعاوى الشرعية، وذلك دفعا للمشقات التي يتكبدها أرباب المصالح في الذهاب والإياب إلى مراكز الحكومة.
- ٩ - تكون مسائل الأوقاف والوصايا منوطة بالإمام.
- ١٠ - الحكومة تنصب الحكام للشافعية والحنفية، فيما عدا الجبال.
- ١١ - صدور عفو عام من الجرائم السياسية، والتكاليف، والضرائب الأميرية التي سلفت.
- ١٢ - عدم جباية التكاليف الأميرية لمدة عشر سنوات من أهالي أرحب وخولان، لفقرهم وخراب بلادهم وارتباطهم التام بالحكومة.
- ١٣ - تؤخذ التكاليف الأميرية بحسب الشرع.
- ١٤ - إذا حصلت الشكوى من جباة الأموال الأميرية لحكام الشرع أو للحكومة، فعلى هذه أن تشترك مع الحكام في التحقيق، وتنفيذ الحكم الذي يحكم به عليهم.

١٥ - يحق للزيدية تقديم الهدايا إما توا، وإما بواسطة مشايخ الدولة أو الحكام.

١٦ - على الإمام أن يسلم عشر حاصلاته للحكومة.

١٧ - عدم جباية الأموال من جبل الشرق لمدة عشر سنوات.

١٨ - يخلى الإمام سبيل الرهائن الموجودين عنده من أهالي صنعاء وما جاورها، وحراز، وعمران.

١٩ - يمكن لمأ موري الحكومة وأتباع الإمام أن يتجولوا في أنحاء اليمن، بشرط ألا يخلوا بالسكينة والأمن.

٢٠ - يجب على الفريقين ألا يتعديا الحدود المعينة لهما بعد صدور فرمان السلطاني بالتصديق على هذه الشروط<sup>(٦٤)</sup>.

وبتحليل بنود هذه الاتفاقية، نتوصل إلى أن مطالب الإمام كانت تتبلور أساسا حول الحاجة إلى رفع ظلم موظفي الترك في اليمن، وتخفيض الضرائب التي يبالغون في فرضها، ويشتدون في تحصيلها، وإقامة الشريعة، وتغيير الموظفين الفاسدين، بالإضافة إلى اعترافهم بزعامته، ليتمكن لاحقا من توحيد اليمن تحت لوائه. وفعلا إذا فكرنا بمنطق الريح والخسارة، نلاحظ أن الإمام كان بعيدا عن الحسابات الضيقة فيما قدمه من تنازلات لا تذكر للأتراك، قوامها اعترافه بسيادتهم المؤقتة على اليمن، وهذا لا يتنافى مع الشرع، ولا ينتهك صميم المبدأ الوطني، في سبيل انتزاع ما هو أهم وأعظم لتحقيق الهدف الاستراتيجي له، وهو ضبط الفوضى، ودفع اختراق الدول الاستعمارية لليمن، والحفاظ على وحدة البلاد تحت قيادة ذات مسؤولية تاريخية، وحس وطني، وشرعية دينية، تمهيدا لتأسيس دولة الوحدة بعد انسحاب العثمانيين.

ونستطيع بجردة حساب بسيطة أن نجمل المكاسب التي حققها الإمام يحيى من هذا الاتفاق في دعان في التالي:

• تقديم خدمة جلييلة للإسلام، بحماية ظهور العثمانيين في اليمن أثناء الحرب العالمية الأولى، مما مكنهم من التفريغ لمحاربة الإنكليز، ومن ثم الانتصار عليهم، والاستيلاء على لحج عام ١٩١٥م.

• استبدال القانون التركي الذي كان معمولا به في البلاد بالشريعة الإسلامية، حيث أخضعت الضرائب للأسس الشرعية، ووكل إدارة القضاء لموظفين شرعيين يعينهم الإمام يحيى، وإشرف الإمام يحيى على تنفيذ المسائل الشرعية<sup>(٦٥)</sup>

• أعطى للإمام حق الإشراف والمراقبة على الأسلوب الإدارى للولاية وموظفيهم، مما يغلق باب إساءات استخدام السلطة<sup>(٦٦)</sup>.

• تبرع الإمام على قمة الجماعة الزيدية فى اليمن بهذا الاتفاق، وأكد مقامه أمام العالم، كالشخصية التاريخية الوحيدة المتحدثة باسم الشعب اليمنى، والمؤهلة لقيادة البلاد نحو الوحدة والاستقلال التام، مما أغلق باب الاختراق البريطانى للبلاد، والذى كان يعول على تناحر القيادات المحلية.

• طوع الإمام القبائل الزيدية المقاتلة التى كانت ذخره فى كل حروبه لتوحيد اليمن، وضمن ولائها له، بفرض إعانة شهرية لها من خزانة الدولة العثمانية بموجب هذه الاتفاقية<sup>(٦٧)</sup>.

• أشاع الاتفاق حالة من السلم والهدوء لمدة عشر سنوات مكنت الإمام من التفرغ لشؤونه الداخلية، مما ساعده على زرع البذور للدولة المركزية بعد مرحلة الأتراك، وتدعيم مركزه، وتقوية قبضته فى الضبط والربط، والقضاء على كل منافسيه السياسيين فى الداخل.

• كفت هذه الاتفاقية الإمام عناء المواجهة مع منافسه الإدريسى فى تهامة، وأعدائه الإنكليز فى الجنوب، حيث إن العثمانيين قد قاموا بهذه المهمة عوضا عنه دون أن يشعروا أنهم يخدمون بذلك قضية الإمام، مما ساعده على استنزاف أعدائه، والمحافظة على ماله ورجاله للمواجهة الحتمية مع الأعداء مستقبلا عند انسحاب العثمانيين<sup>(٦٨)</sup>.

• كان من شأن الاتفاقية، الاعتراف بزعامته الدينية، ووضع القيادة العليا للأمور الشرعية بين يديه، تمهيدا لتطبيق الشريعة بحذاقها فى اليمن، حيث أعطت الاتفاقية للإمام كل المسائل التى تحتاج إلى فهم النواحي الشرعية ودراستها، مثل الأوقاف وتنفيذ الوصايا، وأعطته الحق فى تشكيل محاكم مختلطة من حكام الشافعية والزيدية، للنظر فى دعاوى المذاهب المختلفة<sup>(٦٩)</sup>، بدليل أن كثيرا من اليمنيين غير المنتمين إلى طائفته الزيدية - ومنهم الشوافع - كثيرا ما كانوا يسألونه أن يفصل فى منازعاتهم الشخصية<sup>(٧٠)</sup>.

• حققت هذه الاتفاقية رغبة باقى جهات اليمن التى تقطنها فئات غير زيدية فى تخفيض الضرائب عن كاهلها، حيث نصت الاتفاقية على ذلك صراحة<sup>(٧١)</sup>.

• أحالت هذه الاتفاقية دون وقوع أى فراغ سياسى يمكن أن تستغله بريطانيا لصالحها فى الشمال، بعد انسحاب الأتراك من مناطق نفوذهم فى القطاع الشافعى، حيث إن الأتراك

قد حفظوا الجميل للإمام يحيى، وقاموا بتحويل الإدارة كلها فى المناطق الشافعية فى شمال اليمن إلى يد هـ، مما قطع الطريق على دخول المشايخ الطامحين بالانفصال فى اتفاقيات حماية بريطانية<sup>(٧٣)</sup>.

أما عن موقف الإدارة البريطانية فقد عابت ذلك الاتفاق، كما عاب خصوم الإمام يحيى التاريخيين، لأن بريطانيا وجدت فى تلك الاتفاقية إغلاق باب التدخل فى شؤون المنطقة. وقد عبرت جريدة التيمس الإنجليزية عن الموقف البريطانى المستاء من هذه الاتفاقية، ونشرته جريدة المنار عن جريدة المقطم المصرية، جاء فيه: إن الحكومة العثمانية عقدت صلحا غير مجيد مع الإمام يحيى، بعدما رشحت زعماء الثورة بالأموال الطائلة، ووعدهم بالإصلاح، فبال إمام بذلك أكثر مما كان يطمع فيه، وثبت فى مراكزه حاكما على القبائل الزيدية<sup>(٧٤)</sup>. وبعد التوضيح الموجز لدوافع صلح دعان وفوائده، والعرض المقتضب للتعليقات الإيجابية عليه من قبل الفئات والمراجع المحايدة، التى لا ناقة لها ولا جمل فى الميل بالرأى، أتعجب كيف أن بعض الكتاب المحسوبين على أعلام العسكر فى اليمن، صبوا جام غضبهم ونقدهم على هذه الاتفاقية بما فيها من صيغة إسلامية تحفظ مصالح الأمة و شرف وسؤدد يصب فى ميزان حسنات الإمام، فى حين أننا لم نسمع لهؤلاء الكتاب صوتا، ولم نقرأ لهم حرفا فى التعليق على الاتفاقيات غير المتكافئة التى تورط بها الكثير من القيادات العربية من مجابلى الإمام يحيى مع بريطانيا، ولم يقدرُوا موقف الإمام يحيى المشرف الذى فضل فيه الانضواء تحت لواء الرابطة الإسلامية العثمانية بتوقيعه هذه الاتفاقية، على أن يقع فى شرك اتفاقيات الحماية البريطانية. فيا ليت شعرى من هو الأحق بالملامة هنا، الإمام يحيى الذى رفض أن يصبح حاكما تحت رعاية الإنجليز أم غيره من الحكام الذين فضلوا أن يكون حكمهم مجرد بيدق فى رقعة الشطرنج البريطانية؟.

### انسحاب الأتراك من اليمن:

كانت الفترة التى تلت عقد الصلح بين الأتراك والإمام عام ١٩١١م فترة عصيبة بالنسبة للدولة العثمانية، حيث بدأت ولاياتها بالانفصال الواحدة تلو الأخرى، ناهيك عن التماس السلبى مع المصالح البريطانية المتضاربة فى الجزيره العربية، والذى كان ينبئ بحتمية المواجهة مع الإنكليز هناك، وهذا ما حدث بالفعل، إذ أعلنت تركيا الحرب على إنجلترا وفرنسا فى ١١ نوفمبر عام ١٩١٤م بالتحالف مع ألمانيا فى سياق الحرب العالمية الأولى<sup>(٧٤)</sup>.

ولكن ما يهمنا هنا هو موقف الإمام يحيى من هذه التطورات، فالإنكليز بعد أن شعروا بالصلوات الودية بين الإمام يحيى والحامية التركية بقيادة محمود نديم بك بعد اتفاقية دعان حاولوا الضغط على الإمام بالإغراءات المالية، لجذبه إلى جانبهم، ونقض ما بينه وبين الحكومة العثمانية من عهود<sup>(٧٥)</sup> ولكنهم فشلوا بعد أن رفض الإمام أن ينتهك عهده مع الأتراك، فعده الإنكليز منحازا إلى جانب تركيا في الحرب، حتى وإن أبدى الحياد الظاهري.

أما العثمانيون فلحسن علاقتهم بالإمام يحيى، فقد طلبوا منه على لسان الوالي التركي محمود نديم بك أن يسعى إلى استمالة سلطان لحج نحو جانبهم، لأن لحج كانت المحمية الأقرب لمدينة تعز في الشمال، فقام الإمام بإرسال السيد محمد علي الشريف إلى لحج، لإقناع سلطانها بالانضمام إلى الأتراك، متوسلا فيه الرابطة الإسلامية، ولكن الإمام يحيى فشل في مساعيه لاستمالة سلطان لحج نحو العثمانيين<sup>(٧٦)</sup>، ونتيجة لذلك، وبعد أن أعلنت تركيا الحرب على بريطانيا، قامت الأخيرة بمحاصرة السواحل اليمنية، وقطع المواصلات بين باقى أصقاع الإمبرطورية العثمانية، فقررت الحامية التركية فى اليمن مهاجمة المحميات، بما فيها عدن، تمهيدا لطرده الإنكليز من هناك، خاصة بعد أن أمنوا جانب الإمام يحيى، وتأكدوا من عدم طعنه إياهم فى الظهر، فقاموا بمهاجمة خط الدفاع الأول عن عدن، وهى محمية لحج فى فبراير عام ١٩١٥م، بقيادة القائد التركى سعيد باشا، ومساعدة الإمام يحيى، الذى فتح باب التطوع لقبائل اليمن، دون أن يشارك جيشه بصفة رسمية، إلى أن بلغ عدد المتطوعين أربعة آلاف متطوع، مما رجح كفة العثمانيين فى حرب لحج، فكان النصر من نصيبهم. ونتيجة لهذه التطورات على الأرض، أرسلت بريطانيا نجدة عسكرية من مصر لإنقاذ عدن، كان من شأنها توقف الزحف العثمانى، وعدم تجاوزه حد المناوشة على أبواب عدن دون اكتساحها، وقد استمرت هذه الحالة حتى انهزام تركيا فى الحرب العالمية الأولى، وإعلان الهدنة العامة فى ٢٠ أكتوبر عام ١٩١٨م، التى فرض فيها الحلفاء المنتصرون شروطهم على الدولة العثمانية<sup>(٧٧)</sup>.

وكان من ضمن شروط الاستسلام بند يتعلق بتسليم تركيا قواتها العسكرية الموجودة فى اليمن للحلفاء، فأبرق الجنرال ستيوارت القائد البريطانى إلى قائد الحامية التركية فى شمال اليمن محمود نديم بك، يطلب منه تطبيق بنود الهدنة، بما فى ذلك تسليم المعدات والأسلحة، ثم تلا ذلك صدور الأوامر من الاستانة بمغادرة القوات التركية إلى بلادها عن



طريق عدن<sup>(٧٨)</sup>. كذلك أرسل الجنرال ستيوارت خير الهدنة إلى سعيد باشا، الذي كان سبق له أن احتل لحج وجزءاً من النواحي في جنوب اليمن أثناء الحرب الأولى، وطلب منه تسليم قواته وأسلحته هناك للإنكليز<sup>(٧٩)</sup>.

وعلى أثر تلك التطورات ذهب محمود نديم الوالي العثماني، وأحمد توفيق باشا قائد الجيش التركي إلى مقر الإمام يحيى في شهارة، وأبلغاه بمضمون البرقية، إلا أن الإمام حثهما على عدم الاستجابة لما فيها من أوامرتتعلق بتسليم أنفسهم وأسلحتهم للإنكليز، لحاجته لخبراتها وأسلحتهما في بناء دولته، والتزم لهم بالإفناق على الجنود في ظل انخراطهم جميعاً في حكومة الإمام. وسارع الإمام بعد ذلك في السيطرة على الأسلحة التي بحوزة القوات التركية، حتى لا تقع في أيدي المناوئين له، خاصة المحسوبين على بريطانيا، ومن لف لفهم من القبائل، فاستلم كافة الحصون من الأتراك، بما فيها من مدافع وذخائر، وأرسل مندوبيه لاستلام قصر الحكم في صنعاء، المسمى بقصر غمدان<sup>(٨٠)</sup>. وفي صفر عام ١٣٣٧م، الموافق نوفمبر ١٩١٨م، دخل الإمام يحيى إلى صنعاء في احتفال عظيم، وقصد جامعها لأداء صلاة العصر، فاستقبله العلماء والأعيان ورجال الدولة أحسن استقبال<sup>(٨١)</sup>.

أما سعيد باشا، قائد القوات العثمانية التي زحفت جنوباً واحتلت لحج وجزءاً من النواحي، فكان له شأن آخر، فلقد حثه الإمام يحيى برقياً على الثبات وعدم التسليم للإنكليز في لحج والمناطق التي في حوزته من المحميات، مع الوعد بإرسال التعزيزات المالية، والغذائية، والعسكرية<sup>(٨٢)</sup>، إلا أن سعيد باشا ضرب بكل الأوامر والتعليمات التي بعثها الإمام يحيى ومن بقي معه من القيادات العثمانية في شمال اليمن عرض الحائط، وتوجه بنفسه وعساكره مستولماً لوالى عدن في مطلع شهر ديسمبر من عام ١٩١٨م<sup>(٨٣)</sup>، وعندما انتشرت الأخبار غير اللائقة عن تسليم لحج إلى الإنكليز، مع اتهامات لسعيد باشا بأنه ما سلمها إلا بعد أن قبض ثمناً ومنافع خاصة، استاء سعيد باشا من ذلك، ولم يجد بداً من رمي الكرة إلى ملعب الإمام يحيى بقوله: إنه وجه نداءً إلى الإمام يحيى بأن يرسل قواته من شمال اليمن لاستلام لحج وما تحت يده من المناطق الجنوبية، إلا أن عدم استجابة الإمام يحيى له، اضطره إلى التسليم، وأبدى سعيد باشا دهشته من أمر الإمام يحيى له بضرورة البقاء في الجنوب، وعدم التسليم للإنكليز، حيث عد أن ذلك الأمر يعود إلى السلطنة العثمانية في أستانبول فقط، وليس للإمام يحيى<sup>(٨٤)</sup>.

وهذا الحدث المتعلق بتسليم سعيد باشا لمحمية لحج، والنواحي التي بحوزته إلى الإنكليز يستحق أن نتوقف عنده قليلا بالمناقشة والتحليل، لأنه لم يأخذ حقه من التفكير الجاد، فالكثير من خصوم الإمام يحيى، انطلقا من باب الهجاء السياسى والمزيدة ليس إلا، عدوا أن مجرد عدم إسراع الإمام بالاستجابة لسعيد باشا فى استلام تلك المناطق منه، يعد إدانة دامغة له بتضييع الجنوب اليمنى، كما أنه يعد أيضا انعدام فى تطلعات الإمام يحيى وطموحاته فى توحيد اليمن، وهذا نموذج نظرى وسطحى فى تناول هذه القضية، فلنناقش الأمر بروية، ولنقارح الحجة بالحجة قبل أن نستتب الأمور باستنتاجات جاهزة مسبقة الصنع، والحكم هنا للقارئ فى هذا الشأن.

أولا هناك الكثير من الحقائق التى من الواجب التذكير بها قبل الفصل فى هذه المسألة، حيث إن التضليل الإعلامى حجب عن الجمهور الصورة التاريخية الحقيقية لموقف الإمام يحيى من هذا الحدث، والذى أحسب أنه ليس بالإمكان المزيدة عليه.

**وهذه الحقائق الواجب التذكير بها نستطيع أن نجملها فى الآتى:**

• ابتداء لم يكن سعيد باشا ليتمكن من الاستيلاء على لحج فى بداية الحرب مع الإنكليز، لولا موقف الإمام يحيى، الذى حمى ظهر الأتراك وفتح باب التطوع لمواطنيه<sup>(٨٥)</sup>، مما أدى إلى جمع ما لا يقل عن أربعة آلاف، وفى رواية أخرى ستة لاف مقاتل من تعز، وجبل صبر، والعدين، وإب، وجبله، والحجرية<sup>(٨٦)</sup>، إضافة إلى حقيقة مد الإمام يحيى للأتراك بالمساعدات من الأرزاق، والغلال، والأموال، والقروض، لتمكينهم من المقاومة<sup>(٨٧)</sup>، مما جر عليه عداة الإنكليز، فكيف يتهم الإمام يحيى بإضاعة لحج، وهو الذى كان سببا فى دخولها فى حوزة الأتراك؟!.

• أن الإمام يحيى كان يدرك أن الوجود البريطانى فى لحج لم يكن من قبيل الترف، وإنما كان يعبر عن خيار استراتيجى لا يمكن أن يتخلى عنه الإنكليز، لأن منطقة لحج ما هى إلا امتداد طبيعى لمستعمرة عدن، لقربها منها، حيث إنها لا تبعد عنها أكثر من ٢٥ ميلا<sup>(٨٨)</sup>، إضافة إلى أن لحج تعد أكبر المحميات وأكثرها أهمية بعد عدن<sup>(٨٩)</sup>، وكذلك فالمنطقتان لحج وعدن تعدان وحدة جغرافية مترابطة من قبل أن يحكمهما الإنكليز منذ عهد سلاطين العبادلة، مما يجعل منطقة لحج خط الدفاع الأول والمجال الحيوى لمستعمرة عدن، والذى لا يمكن التفريط فيه من قبل الإنكليز.

• إنه لا يمكن التعامى عن واقع جرح الكبرياء الذى تعرض له الإنكليز، بانتزاع العثمانيين لحج عنوة من أيديهم أثناء الحرب العالمية الأولى، وهى القوة الأعظم فى العالم، التى خرجت منتصرة فى الحرب. فالإمام كان يدرك أنه لم يكن للإنكليز مناص من أن يستعيدوا لحج بأى ثمن، ومهما كانت النتائج، لاستعادة هيبتهم التى كسرت فى مستعمراتهم، وإلا فهو الخور أمام العالم، يتجلى ذلك واضحا فيما ورد فى وثائق الخارجية البريطانية من تقارير، ومنها تقرير كتبه السير ماسترتن سميث، وهو أحد السياسيين البارزين المعنيين بشؤون اليمن، حيث يشكو فيه من انحطاط صورة بريطانيا العظمى أمام العالم بعد انتزاع لحج<sup>(٩١)</sup>. ومقابل هذه الحقيقة كان لدى الإمام من الحصافة والنضج والبصيرة ما دفعه إلى التروى فيما لا قبل له عليه، لأنه كان يدرك حجمه فى ذلك الوقت، مقارنة ببريطانيا، إلى حين تغير الظروف، ولولا ذلك لكانت الكارثة بعينها فى حرب عدمية معروف نتائجها مسبقا.

• إنه لا يمكن التغافل عن حقائق الجغرافيا، حيث لم يكن هناك أية مساحة جغرافية فاصلة بين منطقة تماس القوات الإمامية فى تعز، والإنكليزية فى لحج، سوى مناطق مفتوحة مسطحة، تفتقد إلى التضاريس الجغرافية الوعرة، كالجبال مثلا التى يمكن التحصن والتخندق فيها فى حالة حصول أية مواجهة فى لحج. فحقائق الجغرافيا منعت الإمام من الدخول فى مواجهة غير محسوبة النتائج قبل أن يعزز من قبضته فى الشمال.

• لو تجردنا قليلا من الاستنتاجات الجاهزة المسبقة الصنع، وحسبنا واقع الإمام الميدانى حسابا دقيقا، لوجدنا أن الفترة ما بين دخول الإمام يحيى صنعاء لتسلم الحكم رسميا من الوالى التركى محمود نديم، وبين تسليم سعيد باشا لحج للإنكليز، كانت أقل من شهر، فالإمام دخل إلى صنعاء فى نوفمبر ١٩١٨م، وسعيد باشا سلم لحج فى ديسمبر ١٩١٨م<sup>(٩٢)</sup>، وهى ليست بالوقت الكافى لمساعدة الإمام يحيى فى تحضير قدراته القتالية لمواجهة الإنكليز وجها لوجه فى تلك المناطق، حيث إن الإمام لم يكن قد رتب بعد أمور بيته الداخلى، إضافة إلى أن ظهره كان ما يزال مكشوفاً لأعدائه فيما لو أنه فكر فى إرسال قواته إلى لحج، فهناك الكثير من الشخصيات الطامحة من أبناء عمومته، السادة الهاشميين، ممن كانوا ما يزالون يتربصون به، متطلعين إلى إسقاطه، مثل المؤامرة التى كانت تحاك بمساعدة الإدريسي لتنصيب السيد محمد بن محسن صاحب حوث فى منصب

الإمامة، إضافة إلى وجود مرشحين آخرين تم ترشيحهم لمنصب الإمامة من قبل بعض المشايخ الساخطين، مثل السيد محمد بن المتوكل صاحب السودة والسيد يحيى بن محمد بن الهادي<sup>(٩٢)</sup>، إضافة إلى ما قام به السيد محسن بن يحيى شيبان من خروج مسلح على الإمام يحيى في حجة، بمؤازرة الشيخ ناصر بن ناصر الأحمر، بعد سنة من تسليم سعيد باشا لحج للإنكليز، أى في عام ١٩١٩م<sup>(٩٣)</sup>.

ولا ننسى أيضا ما قام به أخوه، السيد يحيى بن شيبان من اتصالات سرية مشبوهة مع الإدريسي في السنة نفسها، بهدف الخروج على سلطة الإمام<sup>(٩٤)</sup>. يقول أمين الريحاني واصفا حال الإمام في هذه الحقبة التاريخية: "ثم بعد إعلان الهدنة، تحركت ركاب الإمام من السودة جنوبا، وتحرك غيره كذلك يبغي الإمامة، وكان في البلاد حزب يقاومه مقاومة شديدة، فلجأ زعماءه إلى أعدائهم يستنهضونهم على الإمام، وكتب أعداؤه إلى الملك حسين، وإلى الإدريسي، وحتى إلى الإنكليز في عدن<sup>(٩٥)</sup>."

أما علاقة الإمام يحيى في تلك الحقبة مع قبائل اليمن، فأقل ما يمكن وصفه، هو أن القبائل وإن كانت خاضعة روحيا له، إلا أنها كانت ترفض الخضوع عسكريا وسياسيا للدولة المركزية، يتجلى ذلك واضحا في انتفاضة الشيخ ناصر بن ناصر الأحمر على الدولة، بعد أن رفض أى تواجد حكومي في منطقة نفوذه في حجة<sup>(٩٦)</sup>. ولم يكتف الشيخ الأحمر بذلك، بل أجرى أيضا اتصالات سرية مع الإدريسي، الذى وعده بالمساعدة بالمال والعدة الحربية والذخائر، للخروج على سلطة الإمام<sup>(٩٧)</sup>. ناهيك عن اتصالات بعض مشايخ خارف في منطقة حاشد بالإنكليز، للحصول على الدعم والمساندة، حيث طلبوا منهم اسلحة وذخائر، واموال، لإسقاط الإمام يحيى عن الحكم، وإحلال مكانه أحد السادة الضعفاء المداهنيين لسلطة القبيلة<sup>(٩٨)</sup>.

أما فى تهامة، فهناك نموذج آخر لا يمكن إغفاله، وهو ما قامت به قبيلة القحراء عام ١٩١٩م من تحد لسلطة الإمام يحيى، عندما قامت هذه القبيلة بأسر هارولد جيكوب، المعاون الأول للمندوب السامى البريطانى فى عدن، الذى بعثه الإنكليز إلى شمال اليمن للتفاوض مع الإمام يحيى، حيث تم حجزه لدى القبيلة، مما منعه من الوصول إلى صنعاء، ولم يتمكن الإمام يحيى من إطلاقه إلا بعد عدة أشهر من المفاوضات المضنية مع هذه القبيلة<sup>(٩٩)</sup>.

ولا يمكن أن نتغافل أيضا عن الأسر الإقطاعية فى منطقة تعز، والحجرية، وجبل حبيش، ومنطقة صبرة، التى أطلقت شرارة التآمر الانفصالى بالانتفاض عام ١٩١٩م على سلطة الإمام<sup>(١١٠)</sup>، مع إرسالهم رسائل سرية للإنكليز فى عدن، تطلب منهم العون والنصرة فى الانفصال عن الدولة الموحدة<sup>(١١١)</sup>. وفى هذا السياق، أستشهد بما ذكره أمين الريحانى، حيث يقول: «إن الإنكليز يحاولون إضعاف الإمام وإفساد أمره بوساطة بعض رعاياه غير الراضين بحكمه، وفيهم الخائن الطامع بالمال، والمكابر الطامع بالسيادة»<sup>(١١٢)</sup>. وإضافة إلى ما سبق، فلا يمكن أن نتغافل أيضا عن افتقاد البلاد فى تلك الفترة إلى المنفذ البحرى فى الحديدية، الذى احتله الإنكليز، وسلموه لاحقا للإدريسى فى عام ١٩١٩م<sup>(١١٣)</sup>.

وأخيرا لا يمكن أن نتغافل عن تحركات الإدريسى، الذى كان ما يزال يعوث ويلوث فى تهامة، متطلعا إلى التهامها<sup>(١١٤)</sup>، وساعيا إلى إفساد قبائل حاشد وبكيل بالأموال الإنكليزية<sup>(١١٥)</sup>.

أفبعد كل هذه الحقائق على الأرض، التى توضح واقع الإمام يحيى الميدانى، هل كان من الحكمة أن يمضى الإمام بقواته قدما نحو الجنوب، مشتتا إياها فى ذلك المفصل التاريخى بالتصادم مع القوة الأعظم فى العالم، وهو لم يرتب بعد أمور بيته الداخلى، ولم يرسى بعد دعائم الدولة، ولم يرسخ بعد شرعيتها؟ وهل كان رد الإمام يحيى لأحد الوطنيين الجنوبيين الذين استحثوه على تخليص الجنوب من قبضة الاستعمار، وهو عبد الرحمن بن أحمد السقاف، نابعا من فراغ فى ذلك الزمان، عندما قال له: «لو تم لنا وجود الأسباب، لما وسعنا التأخير عن إجابة النداء، إلا ريثما توضع الرجل على الركاب، ولكننا الآن مشغولون بتقرير قواعد البلاد الدائنية، حتى يتم التمكن من الالتفات إلى القاصية»؟<sup>(١١٦)</sup>

**ومن الأمور الأخرى التى يجب أن نضعها فى اعتبارنا، للرد على اتهامات تضييع الجنوب التى أُلصقت بالإمام يحيى الآتى:**

• بالنظر إلى ما حل بالحامية التركية فى الحديدية من دمار وتشنتت فى ديسمبر عام ١٩١٨م، بعد أن رفضت التسليم لبريطانيا طوعا<sup>(١١٧)</sup>، ندرك حكمة الإمام يحيى فى عدم توريث قواته فى لحج، فهل كان يمكن لقواته الأقل تدريبا وعدة أن تصمد فى لحج، الأكثر أهمية استراتيجية لبريطانيا، فى الوقت الذى لم تصمد فيها القوات التركية الأكثر عدة وتدريباً فى مدينة الحديدية الأقل أهمية استراتيجية لبريطانيا؟

• إن سعيد باشا لم يوجه النداء للإمام يحيى لاستلام لحج إلا في اللحظات الأخيرة، بعد هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى، وكان الأجدر به أن يسعى إلى تمكين قوات الإمام في لحج منذ دخوله إليها في يوليو ١٩١٥م<sup>(١١٨)</sup>، لتثبيت مداميك التواجد الإمامي هناك، لا أن ينتظر إلى نوفمبر ١٩١٨ بعد ثلاث سنوات، ويبدأ بعدها بالتباكي وإلقاء التهم على الإمام في خطابه بالتقصير، ليبرئ ساحته<sup>(١١٩)</sup>، فلو أنه هياً السبيل منذ بداية دخوله لحج لتغير الموقف.

• إن سعيد باشا لو كان صادق النية في عدم خذلان الإمام يحيى عند تسليم لحج للإنكليز، لسلم على الأقل ما في حوزته من الأسلحة والمدافع والذخائر إلى قوات الإمام قبل تسليم نفسه للإنكليز، إسوة بقربينه أحمد توفيق، القائد العسكري التركي في الحديدة، الذى سلم الأسلحة والمدافع التى فى حوزته فى الحديدة للإمام قبل استسلامه للإنكليز<sup>(١٢٠)</sup>.

• ومن الأدلة القاطعة التى تبين مغالطات سعيد باشا ومراوغاته التبريرية لموقفه الغير مشرف فى تسليم لحج للإنكليز وأكاذيبه فى اتهاماته للإمام يحيى بالتقصير، اعترافه لهارولد جيكوب، المساعد الأول للمندوب السامى البريطانى بعد تسليمه حجة، بأنه كان بإمكانه الاستمرار فى المقاومة لسنة أخرى إن أراد ذلك، وقوله: إن موقفه فى لحج لم يكن بتلك الصورة من الضعف، لأن كافة البلاد كانت ستقف بجانبه، ومصادر ووسائل تموينه لن تنقطع<sup>(١٢١)</sup>. وهو لم يقل هذا بثقة تامة لجيكوب، إلا لأنه كان يدرك صدق الوعود التى كان قد قطعها له الإمام يحيى بتموينه للثبات فى لحج، خاصة أنه قد اعترف لهارولد جيكوب بفضل الإمام يحيى، عندما قال عنه: إنه أفضل الجميع، والصفوة المختارة فى العقنود، والرجل الوحيد فى الإقليم، إلا أنه لا يحبه، لأن الإمام فشل فى فهمه<sup>(١٢٢)</sup>.



سعيد باشا في الوسط مع رجاله في الحج

• إن سعيد باشا بعد أن سلم لحج للإنكليز، دخل إلى عدن واستقبل فيها من قبل الإنكليز استقبال الفاتحين المنتصرين، لا استقبال المهزيمين المنكسرين، في حين أن القوات العثمانية في الحديدية عوملوا في عدن كأسرى<sup>(١١٣)</sup>، مما يعزز من الاتهامات التي أطلقها توفيق باشا، آخر قائد عسكري عثماني في اليمن، ومحمود نديم آخر وال عثماني في اليمن، بتواطؤ سعيد باشا مع الإنكليز في تسليم لحج بدون قتال، مقابل رشاوى مالية<sup>(١١٤)</sup>.

• إن ما يؤخذ على سعيد باشا، الفجور في الخصومة مع الإمام يحيى، حيث وصل به الكره للإمام يحيى إلى درجة أنه أسدى النصيحة للإنكليز بعد استسلامه لهم، بإدخال السكان الشوافع في منطقة تعز واليمن الأسفل تحت جناح بريطانيا، نكايه في الإمام يحيى<sup>(١١٥)</sup>، كما عبر عن تأله صراحة مما ستصير إليه حالة اليمن الأسفل، بدخولها تحت جناح الإمام يحيى، وتمنى لو يتمكن الشوافع من تقرير مصيرهم بأنفسهم<sup>(١١٦)</sup>، مما يشكل علامة استفهام كبرى حول مصداقيته الوطنية، وغيرته على وحدة المسلمين. أما عن

دينه، فحدث ولا حرج، حيث إنه سخر من العلماء الأتراك، لتمسكهم بمسألة الخلافة، وقال: إن التخلى عن الخلافة، والتحالف مع بريطانيا العظمى، هو الحل الأمثل لنهضة تركيا<sup>(١١٧)</sup>. ناهيك عن أنه كان يتبنى آراء حزب تركيا الفتاة<sup>(١١٨)</sup>، ومعروف تاريخ هذا الحزب فى سياسة التتريك، ودوره فى محاربة نهضة العرب ووحدتهم.

• إن اتهامات خصوم الإمام يحيى بإضاعة الجنوب اليمنى، وانعدام تطلعاته وطموحاته لوحدة اليمن، بسبب عدم إرسال قواته إلى سعيد باشا فى لحج، لا ينسجم مع الحقائق على الأرض. فالإمام يحيى وإن اتسمت سياسته بالواقعية، وعدم الانجرار للعتريات الفارغة، عندما لم يستجب لسعيد باشا فى تلك اللحظة التاريخية، إلا أنه لم يفرط فى الواقعية إلى درجة عدم السعى لتغيير ذلك الواقع عند أول فرصة سانحة وفق الإمكانيات والقدرات المتاحة، وحسبنا أن نستشهد بتعليقات الكثير من المسؤولين البريطانيين فى هذا الشأن، والتي توضح المقاصد والأهداف الاستراتيجية البعيدة المدى للإمام يحيى، ومنهم هارولد جيكوب، المعاون الأول للمندوب البريطانى، الذى سبق أن استشهدت بمقولته: «من إن أهداف الإمام يحيى موضوعة أمامه ونصب عينيه دائما، ونستطيع أن ندعو ذلك بالمكيدة والترقب لتحرير كل المقاطعات وضمها إليه، وهو يعلم أنه سوف يصل فى يوم من الأيام إلى غرضه، وإن باستطاعته الانتظار والترقب<sup>(١١٩)</sup>».

ومنهم المندوب السامى البريطانى نفسه فى عدن، الذى بعث برقية إلى وزارة المستعمرات، بتاريخ ٩ أكتوبر عام ١٩٢١م، يقول فيها: «إن سلطان لحج يرى بأن الإمام يحيى، بالرغم من محاولته إظهار الصداقة لبريطانيا، إلا أنه يشجع سرا قواده بانتهاك حدود لحج<sup>(١٢٠)</sup>». وبعث كذلك خطابا إلى وزير شؤون المستعمرات، يشكو فيه من أن قوات الإمام يحيى تقوم بالتسلل التدريجى المتواصل نحو الجنوب بمثابرة عالية، مما يتطلب ردع الإمام بقصف قواته بالطائرات<sup>(١٢١)</sup>، ويوضح هذا الخطاب ما يسمى بسياسة القضم التدريجى المنظم لمحميات الجنوب، التى اتبعتها الإمام يحيى ابتداء من عام ١٩١٩م<sup>(١٢٢)</sup>، بدلا من الصدام المباشر وجها لوجه.

وبشرح هذه السياسة، سوف تتضح الصورة أكثر فى ذهن القارئ، فى المرحلة الأولى من حكم الإمام يحيى بعد خروج الأتراك من اليمن، وجه الإمام خطابا إلى الإنكليز فى عدن يخبرهم فيه أنه لا يعترف بالمعاهدات التشريعية التى وقعها العثمانيون مع الإنكليز فى عام ١٩١٣م، والتى كان من شأنها تحديد الحدود بين شمال الوطن وجنوبه<sup>(١٢٣)</sup>. وفى المرحلة



الثانية بعد أن أصبح له وضع جديد هاجم الإمام يحيى المحميات، ابتداء من قعطبة عام ١٩١٩م<sup>(١٢٤)</sup>، ثم يافع عام ١٩٢٠م<sup>(١٢٥)</sup>، ثم الضالع عام ١٩٢٠م، ثم البيضاء عام ١٩٢٣م<sup>(١٢٦)</sup>. أما فى المرحلة الثالثة، فقد اتخذت مواجهة الإمام مع الإنكليز وجهاً آخر، بعد أن تمكن من انتزاع المنفذ البحرى فى الحديدية من يد الإدريسى، وبدأ اتصالاته بالإيطاليين فى إريتريا، للحصول على الإمدادات والسلاح<sup>(١٢٧)</sup>. فقد قام الإمام بمهاجمة باقى المحميات، سواء فى اقليم العوذلى عام ١٩٢٦م<sup>(١٢٨)</sup>، أو الحواشب والصبيحة عام ١٩٢٧م<sup>(١٢٩)</sup>، أو بلاد آل قطيب عام ١٩٢٨م<sup>(١٣٠)</sup>، أو منطقة حريب بيحان ١٩٢٩م<sup>(١٣١)</sup>، أو منطقة شبوة عام ١٩٣٨م<sup>(١٣٢)</sup>، وغيرها من المناطق، فى محاولة منه للضغط على الإنكليز للانسحاب من المناطق المحتلة، ولا يستقيم فى العقل أن يهاجم الإمام تلك المناطق اعتباطاً، ويعرض قواته لقصف الطائرات البريطانية فى تعز، وماوية، وإب، ويريم، والضالع، وقعطبة<sup>(١٣٣)</sup>، لولا أنه كان عاقد العزم على استعادة الجنوب ضمن حدود الطاقة والمقدرة حال مواتاة الظروف. وفى هذا الصدد يقول أمين الريحانى عن الإمام يحيى: «كان الإمام طمأحا يحلم حلما سياسيا باهرا، ويعد لتحقيقه العداة، ويجمع الأموال والذهب والفضة ويخزنها لذك اليوم العظيم، وإن لعدن مرقدا، ولا شك فى حلمه<sup>(١٣٤)</sup>. ويقول أيضا بأن موقف الإمام يحيى تجاه النواحي التسع، إذا كان مجردا عن الغرض السياسى الخاص لموقف وطنى شريف<sup>(١٣٥)</sup>، وهذه شهادة شخصية مستقلة لا ناقة لها ولا جمل فى ذكر الحقائق.

• بالنظر إلى البرقية المؤرخة بتاريخ ٩ مارس ١٩٢٠م بعد دخول قوات الإمام إلى يافع، ندرك المستوى الذى بلغ فيه قلق بريطانيا تجاه مقاصد الإمام التوسعية فى الجنوب، حيث يوصى فيها المندوب السامى فى عدن مخاطبا قرينه الحاكم البريطانى فى مصر بضرورة إسقاط الإمام يحيى عن السلطة، وإحلال مكانه إمام آخر، يكون صديقا لبريطانيا، ويقول: إن مشكلتنا فى اليمن هى الإمام يحيى، والحل هو بدعم مرشح آخر للإمامة بدلا منه<sup>(١٣٦)</sup>.

• بالنظر إلى ما ورد فى محضر الاجتماع السرى، المنعقد بتاريخ ٢ يونيو عام ١٩٢٢م فى المكتب الاستعمارى البريطانى للجنة الشرق الأوسط، لمناقشة علاقة بريطانيا العظمى بالإمام يحيى، ندرك المدى الذى وصل فيه هاجس طموحات الإمام يحيى فى عقول الإنكليز، حيث ورد فى المحضر: إنه لو سمح للإمام الاستمرار فى احتلال المناطق التى ضمها بعد دخوله إلى محميات الجنوب، فإن هناك خطرا فى أن يتعدى على مناطق أخرى فى المحميات، بما فى ذلك منطقة لحج، ونقترح أن تمارس عليه الضغوط، بما فى ذلك قصف عاصمته صنعاء بالطائرات، انطلاقا من جزيرة كمران<sup>(١٣٧)</sup>.

أفبعد كل هذه الحجج الساطعة والبراهين الموثقة، هل تصمد ادعاءات المزايديين من أن الإمام ضيع الجنوب للإنكليز، بعدم تلبيته لنداء سعيد باشا؟ أترك الجواب للقارئ. وهكذا بعد أن سلم سعيد باشا نفسه إلى الإنكليز، وانسحبت القوات التركية من اليمن، انتهت الحكم العثماني في الجزيرة العربية، ليبدأ فصل جديد في تاريخ البلاد بقيام المملكة المتوكلية اليمينية تحت قيادة الإمام يحيى حميد الدين، إلا أنه بقي قلة من العثمانيين، ومنهم محمود نديم، الوالي العثماني السابق، الذي آثر البقاء في اليمن هو وبعض الموظفين الأتراك تحت ظل حكومة الإمام يحيى، فأقاموا هناك وقد أعطاهم الإمام الرواتب والمعاشات اللازمة نظير خدماتهم للدولة، وتم تعيين بعضهم في المناصب الحكومية، مثل نديم بك وراغب بك، حيث استعان الإمام بخيرتهم في إدارة مملكته الناشئة<sup>(١٣٨)</sup>.

أما سعيد باشا، فبعد أن تبسم له الدهر بالاستقبال الحافل في عدن، بإطلاق المدافع الإنكليزية، تحية له لتسليمه لحج، بدون أن يطلق طلقة نار واحدة، دار الزمان عليه وكشر له عن أنيابه، بعد أن استنفذ الإنكليز الغرض منه، فتم إلقاء القبض عليه في مصر، حيث اعتقله الحلفاء هناك، بدعوى أنه كان عنيفاً جداً في آرائه الوطنية التي كان يعبر عنها. وبعد اعتقاله لفترة تم تسفيره إلى إسطنبول، وهو يجر أذيال الخيبة على موقفه الخياني في حج<sup>(١٣٩)</sup>.



## المراجع

- ١ - (العثمانيون والإمام القاسم بن محمد، أميرة على المداح، الطبعة الأولى، ص ١٤٤ - ١٤٩).
- ٢ - (الإمام المؤيد ب الله محمد بن القاسم، حياة محمد البسام، الطبعة الأولى، ص ١١٧).
- ٣ - (تكوين اليمن الحديث، د. سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص ٥١٠).
- ٤ - (المصدر نفسه، ص ٨٣).
- ٥ - (المصدر نفسه، ص ١٠٤).
- ٦ - (المصدر نفسه، ص ٨٥ - ٨٧).
- ٧ - (المصدر نفسه، ص ٧٥).
- ٨ - (المصدر نفسه، ص ٧٦).
- ٩ - (المقتطف من تاريخ اليمن، عبد الله بن عبد الكريم الجرافي، الطبعة الثانية، ص ٢٩١ - ٢٩٢).
- ١٠ - (تكوين اليمن الحديث، د. سيد مصطفى سالم، مصدر سابق، ص ٧٧).
- ١١ - (المصدر نفسه، ص ٨٢).
- ١٢ - (المصدر نفسه، ص ٨٤ - ٨٥).
- ١٣ - (المصدر نفسه، ص ٨٥).
- ١٤ - (المصدر نفسه، ص ٨٥ - ٨٦).
- ١٥ - (المصدر نفسه، ص ٨٧).
- ١٦ - (المصدر نفسه، ص ١١٦).
- ١٧ - (المصدر نفسه، ص ١١٩ - ١٢٢).
- ١٨ - (المصدر نفسه، ص ١٣٠).
- ١٩ - (المصدر نفسه، ص ١٣٩).
- ٢٠ - (ملوك العرب، أمين الريحاني، ص ١٤٧، غير مذكور رقم الطبعة او تاريخها).

- ٢١ - (تكوين اليمن الحديث، د. سيد مصطفى سالم، مصدر سابق، ص ١٥٤).
- ٢٢ - (المصدر نفسه، ص ١٩٨).
- ٢٣ - (المصدر نفسه، ص ١٥٣).
- ٢٤ - (صحيفة الحضارة، عدد ٧٩، تاريخ ١٢ تشرين الأول، ١٩١١م)، وانظر كذلك (سيرة الإمام يحيى حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، تحقيق: الدكتور محمد عيسى صالحية، الجزء الأول، الطبعة الأولى، ص ١٣٧).
- ٢٥ - (صحيفة الحضارة، عدد ٨٣، ص ١٠)، وانظر (سيرة الإمام يحيى حميد الدين، الجزء الأول، ص ١٣٨).
- ٢٦ - (صحيفة الحضارة، عدد ٨٣، ص ١٠)، وانظر (سيرة الإمام يحيى حميد الدين، الجزء الأول، ص ١٣٨).
- ٢٧ - (مع الشعر المعاصر في اليمن، أحمد محمد الشامي، الطبعة الثالثة، ص ١٤٨).
- ٢٨ - (وثائق يمنية، د. سيد مصطفى سالم، طبعة عام ١٩٨٢م، ص ٣٥١).
- ٢٩ - (المنار واليمن، د. حسين بن عبد الله العمري، الطبعة الأولى، ص ٨١).
- ٣٠ - (ملوك شبه الجزيرة العربية، هارولد جي كوب، ترجمة: أحمد المضواحي، طبعة ١٩٨٣م، ص ١٥٥).
- ٣١ - (الوثائق البريطانية، المجلد الخامس، ص ٦٣٧).
- ٣٢ - (تاريخ اليمن، عبد الواسع بن يحيى الواسعي، الطبعة الثالثة، ص ٣٢٣).
- ٣٣ - (الوثائق البريطانية، المجلد الخامس، ص ٦٤٥).
- ٣٤ - (صحيفة المنار، تاريخ ٨ - ٢ - ١٩١٢م، المجلد ٥، الجزء ٢، ص ٥٣ - ٥٤).
- ٣٥ - (صحيفة المنار، تاريخ ١٨ - ٢ - ١٩١٧م، المجلد ١٥، الجزء الثاني، ص ١٣٨ - ١٤٢).
- ٣٦ - (ملوك العرب، أمين الريحاني، مرجع سابق، ص ١٤٦).
- ٣٧ - (ملوك شبه الجزيرة العربية، مرجع سابق، هارولد جي كوب، ص ١٥٥).
- ٣٨ - (تكوين اليمن الحديث، د. سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ١٣٩).
- ٣٩ - (تاريخ اليمن للواسعي، مرجع سابق، ص ٣٣٣).

- ٤٠ - (تكوين اليمن الحديث، د. سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٢٠٤).
- ٤١ - (الوثائق البريطانية، المجلد الخامس، ص ٦١٦).
- ٤٢ - (ملوك شبه الجزيرة العربية، مرجع سابق، هارولد جي كوب، ص ١٥٩ - ١٦٠).
- ٤٣ - (تكوين اليمن الحديث، د. سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ١٨٥).
- ٤٤ - (ملوك شبه الجزيرة العربية، مرجع سابق، هارولد جي كوب، ص ٢٠٦).
- ٤٥ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٢٣١).
- ٤٦ - (ملوك العرب، أمين الريحاني، مرجع سابق، ص ١٤٧).
- ٤٧ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤٠٧).
- ٤٨ - (تكوين اليمن الحديث، د. سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٢١١ - ٢١٢).
- ٤٩ - (اليمن الانسان والحضارة، عبد الله الشماحي، ص ١٦٦، طبعة عام ١٩٧٢م).
- ٥٠ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٢٧٣).
- ٥١ - (اليمن الإنسان والحضارة، عبد الله الشماحي، مرجع سابق، ص ١٦٦).
- ٥٢ - (تكوين اليمن الحديث، مرجع سابق، د. سيد مصطفى سالم، ص ٢٠٨ - ٢٠٩).
- ٥٣ - (مملكة الإمام يحيى، سلفاتور أبونتى، تعريب: طه فوزى، الطبعة الأولى، ص ٦٨).
- ٥٤ - (ملوك شبه الجزيرة العربية، مرجع سابق، هارولد جي كوب، ص ٢٣١).
- ٥٥ - (تكوين اليمن الحديث، د. سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ١٤٤).
- ٥٦ - (ملوك المسلمين المعاصرين ودولهم، أمين سعيد، ص ١٨٩، غير مذكور رقم الطبعة وتاريخها).
- ٥٧ - (ملوك العرب، أمين الريحاني، مرجع سابق، ص ١٣٢).
- ٥٨ - (المصدر نفسه، ص ٢١٩).
- ٥٩ - (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، د. عبد العزيز قائد المسعودى، الطبعة الأولى، ص ٤٠).
- ٦٠ - (ملوك العرب، أمين الريحاني، مرجع سابق، ص ١٣٥).

- ٦١ - (ملوك شبه الجزيرة العربية، مرجع سابق، هارولد جي كوب، ص ٩٦).
- ٦٢ - (المصدر نفسه، ص ١٧٢).
- ٦٣ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٧٠٠).
- ٦٤ - (تكوين اليمن الحديث، د. سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٥١٦).
- ٦٥ - (المصدر نفسه، ص ١٤٤).
- ٦٦ - (المصدر نفسه، ص ١٥٢).
- ٦٧ - (المصدر نفسه، ص ١٣٨).
- ٦٨ - (المصدر نفسه، ص ١٦٤).
- ٦٩ - (المصدر نفسه، ص ١٥٢).
- ٧٠ - (المصدر نفسه، ص ١٥٨).
- ٧١ - (المصدر نفسه، ص ١٥١).
- ٧٢ - (زورق الحلوى، حمود بن محمد الدولة، الطبعة الأولى، ص ٧٤).
- ٧٣ - (صحيفة المنار، تاريخ ١٨ / ٢ / ١٩١٢م، المجلد ١٥، الجزء الثاني، ص ١٠٦).
- ٧٤ - (تكوين اليمن الحديث، د. سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ١٩٧).
- ٧٥ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٢٧٣).
- ٧٦ - (تكوين اليمن الحديث، د. سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٢٠٣ - ٢٠٤).
- ٧٧ - (المصدر نفسه، ص ٢١٠ - ٢١٤).
- ٧٨ - (اليمن عبر التاريخ، أحمد حسين شرف الدين، الطبعة الثالثة، ص ٢٨٢).
- ٧٩ - (سيرة الإمام يحيى حميد الدين، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ١٥٧).
- ٨٠ - (المصدر نفسه، ص ١٥٩ - ١٦٠).
- ٨١ - (المقتطف من تاريخ اليمن، عبد الله بن عبد الكريم الجرافي، الطبعة الثانية، ص ٢٩٧).
- ٨٢ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٣٦٤).
- ٨٣ - (تكوين اليمن الحديث، د. سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٢٣٨).
- ٨٤ - (المصدر نفسه، ص ٥١٩ - ٥٢٣).
- ٨٥ - (اليمن الإنسان والحضارة، عبد الله الشماحي، مرجع سابق، ص ١٦٦).
- ٨٦ - (هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، أحمد فضل العبدلي، الطبعة الثانية، ص ٢١٨).

- ٨٧ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤٠٧).
- ٨٨ - (تاريخ اليمن للواسعي، مرجع سابق، ص ٦٨).
- ٨٩ - (رحلة في بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، ص ٣١٠).
- ٩٠ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٦٦٥).
- ٩١ - (تكوين اليمن الحديث، د. سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٢٣٧).
- ٩٢ - (ملوك شبه الجزيرة العربية، مرجع سابق، هارولد جيكونب، ص ٣١٠).
- ٩٣ - (اليمن الجمهوري، عبد الله البردونى، الطبعة الأولى، ص ٧٧).
- ٩٤ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤٧٢).
- ٩٥ - (ملوك العرب، أمين الريحاني، مرجع سابق، ص ١٤٩).
- ٩٦ - (اليمن الإنسان والحضارة، عبد الله الشماحي، مرجع سابق، ص ١٧٣).
- ٩٧ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤٨٢).
- ٩٨ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ١٠٧).
- ٩٩ - (ملوك العرب، أمين الريحاني، مرجع سابق، ص ٢٠٣ - ٢٠٤).
- ١٠٠ - (حياة الأمير على بن عبد الله الوزير، أحمد بن محمد الوزير، الطبعة الأولى، ص ٨٧ - ٨٩).
- ١٠١ - (ملوك شبه الجزيرة العربية، مرجع سابق، هارولد جيكونب، ص ١٨٧).
- ١٠٢ - (ملوك العرب، أمين الريحاني، مرجع سابق، ص ٢١٠).
- ١٠٣ - (سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٢٧١).
- ١٠٤ - (تكوين اليمن الحديث، مرجع سابق، د. سيد مصطفى سالم، ص ٢٦٩).
- ١٠٥ - (ملوك العرب، أمين الريحاني، مرجع سابق، ص ٢٠١).
- ١٠٦ - (وثائق يمنية، د. سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٣٥٢).
- ١٠٧ - (تكوين اليمن الحديث، د. سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٢٣٨ - ٢٣٩).
- ١٠٨ - (المصدر نفسه ص ٢١٢).
- ١٠٩ - (المصدر نفسه ص ٥١٩).
- ١١٠ - (المقتطف من تاريخ اليمن، عبد الله بن عبد الكريم الجرافى، مرجع سابق، ص ٢٩٦).

- ١١١ - (ملوك شبه الجزيرة العربية، مرجع سابق، هارولد جيكوب، ص ٢٤٩).
- ١١٢ - (المصدر نفسه، ص ٢٤٤).
- ١١٣ - (تكوين اليمن الحديث، مرجع سابق، د. سيد مصطفى سالم، ص ٢٢٩ - ٢٣٠).
- ١١٤ - (ملوك شبه الجزيرة العربية، مرجع سابق، هارولد جيكوب، ص ٢٤٩).
- ١١٥ - (المصدر نفسه، ص ٢٤٤).
- ١١٦ - (هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، أحمد فضل العبدلي، مرجع سابق، ص ٢٦٥).
- ١١٧ - (ملوك شبه الجزيرة العربية، مرجع سابق، هارولد جيكوب، ص ٢٤٨).
- ١١٨ - (المصدر نفسه، ص ٢٤٤).
- ١١٩ - (المصدر نفسه، ص ١٧٢).
- ١٢٠ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٦٦٣).
- ١٢١ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٢٣ - ٢٤).
- ١٢٢ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٥٠).
- ١٢٣ - (تكوين اليمن الحديث، د. سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٢٩٣).
- ١٢٤ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤٣٦).
- ١٢٥ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤٨٩).
- ١٢٦ - (تكوين اليمن الحديث، د. سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٢٩٤).
- ١٢٧ - (المصدر نفسه، ص ٢٩٦ - ٢٩٧).
- ١٢٨ - (المصدر نفسه، ص ٢٩٤).
- ١٢٩ - (سيرة الإمام يحيى حميد الدين، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٣٣٧).
- ١٣٠ - (تكوين اليمن الحديث، د. سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٣٢١).
- ١٣١ - (المقتطف من تاريخ اليمن، عبد الله بن عبد الكريم الجرافي، مرجع سابق، ص ٣١١).
- ١٣٢ - (تكوين اليمن الحديث، د. سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٤٥٧).
- ١٣٣ - (المصدر نفسه، ص ٣٢٧ - ٣٢٨).



- ١٣٤ - (ملوك العرب، أمين الريحاني، مرجع سابق، ص ١٧٢).
- ١٣٥ - (المصدر نفسه، ص ٢٠٨).
- ١٣٦ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤٨٨).
- ١٣٧ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٦٧١).
- ١٣٨ - (تكوين اليمن الحديث، د. سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٢٣٦).
- ١٣٩ - (ملوك شبه الجزيرة العربية، مرجع سابق، هارولد جي كوب، ص ٢٥٣).



## الفصل السابع

# حروب الإمام يحيى مع الإنكليز



ليس من حاجة للقول في أن الغرب عموما كان وما يزال شديد العقاب لمن يرفض التحالف معه والسير في ركابه، فما بالك إن خرج الحاكم العربي عن الخطوط الحمراء المرسومة له. وفي مقابل ذلك، نجد أن الغرب كثير التسامح والتبرير لمن يلتزم بسياسته المقررة ويساير إرادته، لذلك لم يكن غريبا أن نجد أن أكثر ما طبع تاريخ الإمام يحيى في علاقته مع بريطانيا العظمى العرابة الأولى للاستعمار الغربي في العالم، هو مركزية الصراع الذي استمر لأكثر من ٣٠ عاما. ولم يحدثنا التاريخ فيما مضى عن حرب مركزية شنتها بريطانيا لعقود على حاكم عربي، كما شنتها على الإمام يحيى حميد الدين، الذي رأى من الإنكليز ما لم يراه غيره من حكام عصره العرب من مؤامرات، وحصار، وشدائد ومحن، وقصف بالطائرات، وأهوال تنؤ لها الجبال. والغريب في الأمر، أن هذه الحقائق لا معنى لها لدى الكثير من مدعى النضال والوطنية في اليمن، الذين اتهموا الإمام يحيى بالتفريط في حقوق اليمن التاريخية في جنوب اليمن، مقابل اتفاهه المزعوم مع الإنكليز لتثبيت عرشه في شمال اليمن.

لقد سعى خصوم الإمام يحيى بكل ما أوتوا من قوة إلى التغيب المتعمد لحقيقة ملاحم الإمام يحيى الجهادية في مواجهة الإنكليز، ولم يكتفوا بذلك، بل اجترحوا وسائل للتشويه والافتراء يمنون بها أنفسهم لتزوير تاريخ الإمام، وإظهاره بمظهر العاجز والخانع والمستسلم لسياسة بريطانيا التشطيرية بين شمال الوطن وجنوبه.

وكما سبق أن فندنا بالحجج والبراهين الداحضة مزاداتهم التي ادعوا فيها عدم تلبية الإمام يحيى لنداء سعيد باشا لاستلام لحج، مما تسبب في ضياع جنوب اليمن حسب زعمهم، وما نحن في هذا الفصل نورد الحجج والبراهين الداحضة لتفنيد اتهامات الخنوع والاستسلام للتشطير الإنكليزي بين الشمال والجنوب، والتي ألصقت بالإمام يحيى زورا وبهتانا، للنيل من وطنيته.

يقول اديب اليمن وشاعرها عبد الله البردوني: إن الإنكليز كان يهمهم الأطوع لسياستهم، والإمام يحيى كان أصلب الحكام العرب على الإنجليز، حتى لا يكادون أن يفهمونه<sup>(١)</sup>. وبالعودة إلى الحالة السياسية في جزيرة العرب، نجد أن الإمام يحيى كان أمام مقترق طرق، يواجه خياران لا ثالث لهما، إما الدخول في المخطط البريطاني الذي رام إلى إعادة تشكيل المنطقة، بما يتفق مع اتفاقيات سيكس بيكو الهادفة إلى الشتات والفرقة

بين المسلمين، أو خيار مواجهة المخطط البريطاني، بما فيه من خسارة لكاسب دنيوية، وانعكاسات لأهوال وشدائد وويلات قد يجر إليها الإمام يحيى جراً، إلا أن ما لا يدركه الكثيرون أن سياسة الإمام يحيى فى تعامله مع الإنكليز انطلقت من وحي تنشئته الدينية، ونوازهه العقديّة، وروح المسؤولية والشعور الوطنى فحسب، ولم يكن هناك ميزان آخر غير ذلك يسيّره. وبالنظر إلى الوقائع على الأرض فى عهده، نلمس أن مواقفه تجاه بريطانيا، تراوحت ما بين أسلوب المناورة والتكتيك حيناً، والمهاوذة والمداراة حيناً آخر، والتصادم المسلح أحياناً حسب مقتضيات الأحوال، إلا أنه فى الجملة، تعامل معهم من زاوية احترازية، لعدم ثقته بهم بسبب إدراكه لحقيقة تطلعاتهم الاستعمارية، بالإضافة إلى تراث النكوص والخذلان الذى طبع علاقة بريطانيا مع بلاد الإسلام.

لقد كانت خيانة بريطانيا للشريف الحسين بن على أقرب للإمام يحيى من حبل الوريد، فكم من وعد وأخلفوه، وكم من عهد نكثوه، ناهيك عن وعد بلفور المشؤوم الذى كان طعنة فى ظهر العرب والمسلمين، مما جعل الإمام يحيى يأخذ جانب الحيطة والحذر والارتياح الشديد من الغرب الاستعماري عموماً، والشعور بختمية المواجهة مع بريطانيا فى يوم ما، وفعلاً حدثت المواجهة بين الطرفين بعد أن فقدت بريطانيا الأمل فى تطويع الإمام يحيى للقبول بها كأمر واقع فى جنوب الجزيرة العربية، فلجأت إلى خيار الابتزاز والترهيب أولاً، ثم تضيق الخناق ثانياً، وأخيراً الصدام العسكى الذى بلغ ذرواه فى القصف بالطائرات فى ٤٧ غارة جوية<sup>(١)</sup>.

وبالرغم من تواضع القدرات القتالية للإمام، واختلال موازين القوى لصالح بريطانيا، إلا أن الإمام يحيى تجلّد وهو يقف وحيداً فى أحلك المواقف، رافضاً التسليم بالتواجد البريطانى فى جنوب الوطن كأمر واقع، وحسبنا أن نستشهد بخطاب المعتمد السامى البريطانى فى عدن، الموجه إلى وزير شؤون المستعمرات البريطانية بتاريخ ٣٠ يونيو عام ١٩٢١م، حيث يقول فيه: «إن موقف الإمام يحيى فى المطالبة بكل شىء، وعدم استعداده لتقديم أى شىء، هو السبب فى صعوبة الدخول فى علاقات ودية مع بريطانيا»<sup>(٢)</sup>.

وبعد هذا الشرح المجمع لطبيعة العلاقة المضطربة التى سادت بين الإمام يحيى والإنكليز، ينبغى علينا أن نقرب إلى ذهن القارئ صورة الأحداث التى واجهها الطرفان خلال ثلاثة عقود عبر تقسيمها إلى مراحل مختلفة، اتسمت كل مرحلة بمعطياتها الخاصة التى ميزتها عن غيرها من المراحل.

## المرحلة الأولى: مرحلة استكشاف النوايا ١٩١٥م - ١٩١٩م:

عندما قامت الحرب العالمية الأولى، لم يجد الإمام يحيى بدا من محاولة استكشاف نوايا الحكومة البريطانية في المنطقة، وخاصة بعد أن امتد لهيب الحرب إلى ساحل تهامة اليمن، بضرب الإنكليز تحصينات الأتراك في منطقة الشيخ سعيد عام ١٩١٤م، وبالزغم من اعتذار المسؤولين البريطانيين للإمام بريقيا، والتأكيد له بأن ذلك كان ضرورة عسكرية، وليس من ورائه أغراض توسعية، إلا أن الإمام فضل الاتصال بهم مباشرة، للاستطلاع ولتلمس حقيقة موقفهم منه، فأرسل مندوبه بصفه سرية إلى سلطنة لحج في يناير عام ١٩١٥م، للاجتماع بمسؤوليهم، وقد بذلت بريطانيا في ذلك الاجتماع قصارى جهدها في الضغط ومحاوله استمالة الإمام يحيى عن طريق سلطان لحج والمبعوث البريطاني هارولد جيكوب، الذى زين للإمام يحيى الانضمام إلى بريطانيا، كقرنائه من الزعماء العرب، ونقض ما بينه وبين حكومة الأتراك من اتفاق أقر فى صلح دعان، إلا أنه رفض ذلك، انطلاقاً من وفائه بالعهود والمواثيق، وعدم نقضه للأيمان التى قطعها للأتراك فى هذه الاتفاقية<sup>(٤)</sup>.

إلا أن الحكومة البريطانية لم تفقد الأمل فى محاولة استمالة الإمام، فاستمرت فى إزعاجه بأسلوب الترغيب والترهيب بكثير من المكاتبات، أولها عن طريق سلطان لحج<sup>(٥)</sup>، حيث كتب السلطان إلى الإمام يحيى عدة رسائل، يحثه فيها على الانضمام إلى بريطانيا، التى حسب زعمه، سوف تحافظ على حرمة المدينتين المقدستين فى مكة والمدينة، وتضمن استقلال الدول العربية، مع مراعاة السيادة الكاملة والاستقلال لكل حاكم عربى فى منطقتة<sup>(٦)</sup>.

وآخر تلك المكاتبات كانت عن طريق المندوبين الشخصيين، والرسائل الشخصية من المندوب السامى البريطانى ستيوارت مباشرة إلى الإمام يحيى فى صنعاء، مثل الرسالة المؤرخة فى ٢٤ أكتوبر عام ١٩١٧م، والتى حاول فيها ستيوارت المحارشة بين الإمام والترك بإثارة النعرات العرقية للالتفاف على الرابطة الإسلامية، حيث يقول ستيوارت فى هذه الرسالة: «إن الأتراك هم أعداؤك وأعداء الشعوب العربية المتطلعة للاستقلال، ونحن على استعداد لدعم كل العرب الذين يقاتلون الأتراك من أجل الحصول على استقلالهم، لأن الأتراك هم العدو المشترك للعرق العربى، ثم أعقب بقوله: إن بريطانيا لا يوجد لها أى هدف سوى أن ترى الجزيرة العربية تحكم عن طريق أبنائها العرب»<sup>(٧)</sup>.

ولقد استمرت بريطانيا فى اتباع سياسة الترغيب والترهيب حتى السنة الأخيرة من الحرب العالمية الأولى، حيث وعد الإنكليز الإمام يحيى بصرف إعانة شخصية له تبلغ عشرة آلاف جنيه إسترليني شهريا، تعتمد على سلوكه تجاههم<sup>(٨)</sup>، بالإضافة إلى مخصصات لرجاله تدفع مباشرة للإمام، بشرط أن يترك تحالفه مع الأتراك. وبالتزامن مع إغراءاتهم المالية استخدموا أسلوب التهديد المبطن، مثل تهديدهم بعدم لجم خصمه الأديسى فى تهامة من القيام بنشاطات معادية للإمام فى حالة قيامه بأى مؤازرة كانت للأتراك<sup>(٩)</sup>.

أما بعد هزيمة الأتراك فى الحرب العالمية الأولى، فقد توجس الإنجليز أشد التوجس من بقاء أى قوات تركية فى اليمن، خوفا من أن يستخدمهم الإمام فى تدريب قوات جيشه، وتعزيز قدراتهم القتالية، وخاصة مع وجود مصنع للذخيرة، وورشة لصيانة الأسلحة كان الأتراك قد طوروها لإعادة إنتاج السلاح فى صنعاء خلال الحرب العالمية الأولى<sup>(١٠)</sup>. ويتجلى ذلك التوجس فى الرسالة التى وجهها المندوب السامى البريطانى فى عدن فى عام ١٩١٨م إلى الإمام يحيى، والتى وضح فيها بدون موارد، أن العلاقات المستقبلية الودية من عدمها بين دولة الإمام يحيى وبريطانيا، سوف تعتمد أساسا على موقف الإمام يحيى من عدمه فى إجلاء القوات التركية من اليمن<sup>(١١)</sup>.

وفى هذا السياق أورد برقيات متبادلة فى عام ١٩١٨م بين إدارة محمية عدن ووزارة الخارجية البريطانية، ومنها برقية ذكرت امتعاض إدارة محمية عدن من تمكن الإمام يحيى من إقناع بعض الضباط والموظفين الرسميين فى الإدارة التركية المتبقية فى اليمن من الانضمام إليه لتأسيس دولة عربية مستقلة هناك، وأوصت هذه البرقية بأن يقوم الجنرال اللنبى (وهو قائد القوات البريطانية المنتصرة فى بلاد الشام)، باتخاذ الترتيبات اللازمة مع ياسين باشا (قائد القوات التركية المستسلمة فى الشام)، لكتابة خطاب يستخدم فيه نفوذه على أخيه سيد طه (رئيس أركان القوات العسكرية التركية فى اليمن)، لترك اليمن والقدوم مع قواته إلى الشام<sup>(١٢)</sup>. وكذلك خطاب موجه من الاستخبارات العسكرية البريطانية إلى وزير الخارجية البريطانى، وفيه تحذير من حلف معقود شاع خبره بين الامام يحيى والوالى التركى السابق محمود نديم الذى يكن مشاعر عداوية تجاه بريطانيا<sup>(١٣)</sup>، بل لقد بلغ القلق البريطانى من امكانية بقاء الضباط الأتراك واجهزتهم الادارية فى اليمن، إلى درجة التصريح باستعداد الادارة البريطانية لتحمل كافة تكاليف إخلاء هؤلاء الأتراك من اليمن وإيصالهم إلى إسطنبول<sup>(١٤)</sup>.

وبنظرة سريعة للتقرير الذى كتبه المندوب السامى البريطانى فى عدن (سكوت) للادارة البريطانية بتاريخ ٢١ اغسطس عام ١٩٢٠م، حول تطور الأحداث فى اليمن الشمالى، ندرک استمرار حالة التوجس من قدرات الإمام يحيى، حيث يقول (سكوت) فى هذا التقرير: «إن الإمام يحيى أصبح قوة هائلة فى اليمن، فلهذه الأموال، والأسلحة، والمعدات التى تطفى على كل ما عند جيرانه، ولديه الدعم والمساندة من باقى القوات التركية المتواجدة فى اليمن، الذين يقومون بتدريب قواته، كل هذه الاعتبارات سوف تفشل أى محاولة من طرفنا للسيطرة عليه، فمكانته وصورته بدأت تعلق فى الجزيرة العربية، ولكن من جهة أخرى، فإن تقدم حلفاؤنا من الأمراء العرب الآخرين فى الجزيرة العربية باتجاهه، فإن ذلك سوف يلجم تطلعاته وسياسته العدوانية تجاهنا»<sup>(١٥)</sup>.

وبلغ القلق والتوجس بالإنكليز مداه من النواجد التركى فى اليمن إلى درجة أن دفعوا بالأمر فيصل بن الشريف الحسين بن على لأن يكتب رسالة إلى محمود نديم بك، والى التركى السابق فى اليمن ينصحه فيها بترك اليمن<sup>(١٦)</sup>، إلا أن ذلك لم يزد الإمام يحيى إلا عتوا ونفورا من الإنجليز، وتصميما على التمسك بمن بقى من الجهاز التركى فى اليمن، مما جعل الإنكليز يتربصونه بحذر وارتياح. وقد صدق حدس الإنكليز، حيث وجدوا أنفسهم أمام حاكم جديد أكثر عنفا، وأصعب مراسا مما كان عليه الترك كما صرح بذلك الحاكم البريطانى لعدن برنارد رايلى<sup>(١٧)</sup>. فالأتراك فيما سبق وإن تحاربوا مع بريطانيا، إلا أنهم كانوا يعترفون بالتواجد البريطانى فى الجنوب المحتل، بدليل اتفاقية الحدود الأنجلو - تركية، المبرمة بين تركيا وبريطانيا فى مارس ١٩١٤م، التى أرست الحدود، وحددت مناطق نفوذ كل طرف. أما الإمام يحيى، فقد عبر عن موقفه كتابيا بإرسال خطاب إلى المندوب السامى فى عدن، بتاريخ ديسمبر عام ١٩١٨م يخبره فيه بعدم اعترافه باحتلال الترك لليمن، وبالتالي لا يعترف بالمعاهدات التى عقدها مع السلطات البريطانية هناك. وذكر أن أسلافه كانت تحكم كل هذه البلاد قبل مجيئ الترك والإنجليز، الذين اغتصبوا هذه الأقاليم فى القرن التاسع عشر، ومن ثم فإن الحدود التى تم تخطيطها، هى بين اثنين مغتصبين لا يملكون الصلاحية القانونية<sup>(١٨)</sup>. ونتيجة لذلك الموقف، لم تجد بريطانيا بدا من إعداد العدة لاستباق الأحداث، فقامت باحتلال الحديدية فى عام ١٩١٨م، بدعوى المحافظة على السلام والنظام فيها. والحقيقة أن الهدف الحقيقى من وضعهم اليد عليها، هو مساومة الإمام بشأنها مستقبلا لانتزاع تنازلات من طرفه، ولحجب تطلعاته نحو الجنوب.





كان الباب الذى دخل منه جيڪوب إلى اليمن، هو مسألة احتلال بريطانيا للحديدة بعد هزيمة الأتراك فى الحرب العالمية الأولى، حيث كتب الإمام يحيى إلى المعتمد البريطانى فى عدن يحتج على ذلك الاحتلال، فجاءه الرد البريطانى من أن المدينة ستعاد إليكم بعد أن يستقر فيها الأمن والنظام<sup>(٢١)</sup>، وأعقبوا ذلك بالترتيب مع الإمام يحيى على إرسال بعثة سياسية إليه فى صنعاء فى أغسطس عام ١٩١٩م يرأسها جيڪوب، ظاهرها محاولة الاتفاق والتفاهم مع الإمام على حل يرضى الطرفين، وباطنها درس حقيقة الأحوال فى شمال اليمن، والاتصال بالجماعات غير الخاضعة لسلطة الإمام يحيى الروحية، واكتشاف الفرص المتاحة لبث الفتن المذهبية، واللعب بالوتر الطائفى، خاصة أن الشمال كان ما يزال خاما وغير معهود للإنكليز، فيما عدا ساحل تهامة والحديدة اللتين احتلتهما. ومما يدل على خبث مقاصد الإنكليز فى إرسال بعثة جيڪوب، إصرار البعثة على اختيار طريق الحديدية دون غيرها من الطرق، بالرغم مما يحيط الطريق من الصعاب والمخاطر، مقارنة بطريق ماوية الأكثر أمنا وقربا من عدن، والخاضع لسلطة الإمام<sup>(٢٢)</sup>.

يقول جيڪوب نفسه عن سبب تفضيله طريق الحديدية: «لقد أوصيت باجتياز هذا الطريق، لكى أقيس نفوذ الإمام، مع أنه كان من السهل على الحضور عن طريق عدن البرى الداخلى، إذ إن الشيوخ والزعماء والموظفين الرسميين معروفين شخصيا، كما كان الطريق نفسه معروفا، أما معرفتى بطريق باجل فكانت أقل»<sup>(٢٣)</sup>. ويقول كذلك عن مقاصد زيارته الأولى للإمام يحيى: «لم يكن يوجد مطلب أو اقتراح بصدد عقد معاهدة مع الإمام يحيى، وإنما كنا نرغب فى الاطلاع على وجهات نظره ومعرفة آرائه»<sup>(٢٤)</sup>.

وفعلا لم يستجب جيڪوب لنصيحة الأصدقاء، وأصر على خط سيره، الذى يتيح له فرصة المرور بأكثر من جهة، وبأكثر من طائفة مذهبية وجماعة قبلية، إلى أن وصل إلى مدينة باجل، حيث قبضت عليه قبيلة القحراء الراضية للخضوع لسلطة الإمام يحيى المركزية، واحتجزته هذه القبيلة فى معقلها دون أن يتمكن الإمام من فك أسرهم، حيث إن الإمام - كما أشرت سابقا- لم يكن قد بسط سلطته الحقيقية بعد على تلك المناطق، بالرغم من أنه سبق أن عين عاملا عليها من قبيلة القحراء أنفسهم، إلا أن هذا العامل لم يكن له واقعا تلك السيادة على قبيلته<sup>(٢٥)</sup>.

وبالرغم من احتجاز جيكوب فى باجل لمدة أربعة شهور، إلا أن بريطانيا لم تكن فى عجلة من أمرها لإطلاقه، بسبب ما كان يقوم به من نشاط تجسسى فيها. وفى هذا السياق يقول جيكوب عن فترة احتجازه: «لم تكن سياستى خلال الحبس فى باجل بأن أعمل الكثير من أجل التأثير على الإفراج السريع، بقدر ما كانت فى العمل على دراسة الناس، واكتشاف وجهة النظر الحقيقية لدى رجال القبائل نحو كل من الإمام والحكومة البريطانية»<sup>(٧٦)</sup>. فجيكوب كان مكلفا بمعرفة ما يدور حوله، ومعرفة أسرار الحوادث والسيارات المختلفة، إذ يذكر فى مذكراته أنه كان يجرى عامل التلغراف فى باجل ببعض النقود والسجائر، أو زجاجات البراندى، لكى يعطيه نصوص الرسائل التى تصل إليه من صنعاء، وكان يتجسس على الاجتماعات اليومية التى كان يعقدها شيوخ قبيلة القحرى، وخاصة أنه كان متروكا فى مدينة باجل هو وأفراد بعثته يتمتعون بالتجول داخلها كما يشاؤون. وبعد أن أنهى جيكوب مهمته بعد أربعة شهور، اتبعت بريطانيا أسلوب التهيب والترغيب لقبيلة القحرى، بأن أرسلت طائرة فى يوم ٢٦ نوفمبر للاستعراض والترويع، وأنفقت الكثير من الأموال لكسب شيوخ المنطقة، مما أدى إلى فك أسر البعثة فى يوم ١٢ ديسمبر عام ١٩١٩م<sup>(٧٧)</sup>.



هارولد جيكوب عائدا إلى عدن بعد فك أسره

والغريب فى الأمر، أن بعثة جيڪوب بعد أن تم فك أسرها، عادت أدراجها إلى عدن بعد أن أدت أغراضها التجسسية، ولم تكمل سيرها إلى صنعاء لمقابلة الإمام يحيى حسب الاتفاق المسبق بين الطرفين. وقد أكدت سلبية بريطانيا فى فك أسر جيڪوب أولاً، وعودة البعثة إلى عدن دون السير إلى صنعاء لمقابلة الإمام ثانياً هو اجس الإمام يحيى ورجاله فى صنعاء<sup>(٢٨)</sup>، حيث قالوا: «أتغلب قبيلة عربية حكومة بريطانيا العظمى؟ بل الأرجح أنها انقلبت علينا، فإنها تستطيع أن تبيد القحرى، ولو شاءت أن يصل الوفد إلى صنعاء لما ترددت فى الوسائل، ولا ادخرت من القوة فى ذلك السبيل<sup>(٢٩)</sup>، مما كشف حقيقة نوايا السياسة الإنجليزية وأغراضها تجاه الإمام يحيى بعد الحرب العالمية الأولى».

لقد شكلت بعثة جيڪوب البداية السيئة فى تاريخ العلاقات اليمينية الإنجليزية، حيث إنها بذرت البذرة الأولى لبداية الشكوك والتوجس والأحداث السلبية بين الطرفين. ولا جدال أن هذه البداية ليست وليدة المصادفة، بل لها من الجذور ما يدل على الاختلاف العميق فى وجهات النظر بين الطرفين، فنظرة الإمام يحيى للإنكليز منذ البداية كانت تقوم على أنهم مغتصبين لأراضى جنوب اليمن، التى يعدها أرض الآباء والأجداد، كما هو واضح فى خطابه المرسل للمندوب السامى فى عدن. أما الإنكليز فقد كان لهم وجهة نظر مختلفة، حيث استندوا فى ردهم على دعاوى الإمام فى الجنوب، على أن سلطة الأئمة الزيديين وأملاكهم قبل القرن ١٧ كانت محصورة فى صعدة، فى الطرف الشمالى لمرتفعات اليمن فقط، أما فى القرن ١٧ و١٨ وإن خلت الساحة أمامهم، إلا أن سلطتهم لم تكن فعالة، بدليل انهيارها قبل ظهور بريطانيا لأول مرة فى هذه المنطقة عام ١٨٤٩م، بالإضافة إلى احتجاج الإنكليز بأن المذهب الزيدى ليس منتشرًا فى كل جهات اليمن، حيث إن الزيود فقط هم الذين يقبلون حكم الأئمة الزيديين. وباعتبار أن الإمام يحيى وريث الإمبراطورية العثمانية، فعليه أن يلتزم بالاتفاق التركى الإنكليزى، الذى حدد الحدود بين الشمال والجنوب<sup>(٣٠)</sup>.

وبعودة بعثة جيڪوب إلى عدن دون الوصول إلى صنعاء، استعد الطرفان إلى الدخول فى مرحلة جديد من العلاقات اتسمت بالتخندق، وإطلاق بالونات الاختبار لجس النبض، وقياس ردات الفعل.

### المرحلة الثانية : مرحلة التخندق واختبار ردات الفعل ١٩١٩م - ١٩٢٧م:

بعد فشل بعثة جيڪوب ساءت العلاقة بين الإمام والانجليز، وانهارت صلات الحياد الظاهرى التى استمرت بين الطرفين طوال مدة الحرب الأولى، فبعد أن حرص الإنكليز فى المرحلة الأولى على عدم الميل إلى فئة دون أخرى من الفئات المتصارعة فى جنوب الجزيرة

العربية، حتى تتضح صورة الجواد الرابع، متوسمين احتواء الإمام يحيى إلى جانبهم، وحريصين على منع خصمه الإدريسي من القيام بأى عمل عدائى ضد الإمام يحيى فى تلك الفترة، مال الإنكليز فى المرحلة الثانية إلى الطرف الذى وجدوا فيه الطاعة العمياء لمخططاتهم السياسية، ولم يجدوا رجلا أفضل من الإدريسي يراهنون عليه، فهو أول من لبي نداءهم وانضم إليهم، عندما أعلنوا الحرب على العثمانيين فى الحرب الأولى، حيث وقع معهم اتفاقية فى ٣٠ أبريل عام ١٩١٥م، تقتضى منه محاربة الأتراك فى تهامة مقابل حمايته من أى اعتداء خارجى كان، ومدته بالسلاح والأموال والعتاد<sup>(٣١)</sup>.

وبالعودة إلى العديد من الوثائق البريطانية، نستشف طبيعة نظرة الإنكليز تجاه الطرفين فى هذه المرحلة، حيث إن النظرة إلى الإدريسي كانت طاغية بالمدح المنقطع النظر، فهو المخلص والحليف المفيد للمصالح البريطانية، ومن مصلحة بريطانيا إبقاؤه دائما قويا وصديقا لهم، وهو بصدق مرتبط ببريطانيا ليس انطلاقا من عاطفته، بل من ذكائه وعقله. وبريطانيا من طرفها يجب ألا تعطيه أى سبب كان لتركها والارتباط بغيرها.

أما نظرة الإنكليز للإمام يحيى، فحسب ما ورد فى الوثائق البريطانية، أنه الرجل الذى يشن على الإنكليز والمسيحيين وحلفائهم حربا دينية، ويرفض الالتزام بأى أطر أو أحكام بريطانية، أو حتى الموافقة على أية وكالة أو سلطة مشتركة معه لتقرير أوضاع البلاد<sup>(٣٢)</sup>، وهو مدفوع بتقاليد الدينية ورصيده التاريخى، وبطبيعته العربية الساعية إلى توسيع حكمه نحو الجنوب، ونظرته لنا كبريطانيين أننا دخيلين من أوروبا، ولا يمكنه كرجل عربى وطنى أن يشعر بصداقة حقيقية مع أى أجنبى يؤسس لبقائه فى هذا الجزء من الجزيرة العربية<sup>(٣٣)</sup>، إضافة إلى أنه يتسم بالعناد وصعوبة التطويع، وغير جدير بالثقة، ولديه نظرة مبالغ فيها عن أهميته الشخصية، بسبب إضافتنا عليه الاحترام الزائد عن اللزوم<sup>(٣٤)</sup>.

كانت العلاقة متوترة أساسا بين الإمام يحيى والإدريسي منذ أن رفض الأتراك الاعتراف بسلطته حاكما مستقلا فى تهامة وعسير، وأصروا أثناء تواجدهم فى اليمن على أن يدخل فى طاعة الإمام يحيى، مع الاستعداد إلى صرف مرتب شهرى له، والاعتراف بوضعه الخاص تحت سيادة الإمام يحيى مقابل أن يتخلى عن محالفة الأجانب<sup>(٣٥)</sup>، وزاد من توتر العلاقة بين الإمام يحيى والإدريسي، اصطفااف الإدريسي مع إيطاليا عام ١٩١٢م أثناء الحرب العثمانية الليبية فى طرابلس الغرب، حيث استخدمته إيطاليا لإشغال الترك فى تهامة، تخفيفا عن الضغط الذى واجهوه فى طرابلس الغرب، ولكن بعد انتهاء هذه الحرب فى طرابلس، قلبت إيطاليا ظهر المجن للإدريسي، فاضطر إلى الارتقاء فى أحضان بريطانيا<sup>(٣٦)</sup>.

كان الإدريسي يهدف من وراء ارتمائه فى أحضان الإنكليز أن ينتزع استقلالاً ذاتياً تحت الحماية البريطانية، أما الإنكليز فقد وجدوا فيه ضالتهم لابتزاز الإمام يحيى، الذين عدوه عدواً، لتعنته ورفضه الاصطفاف إلى جانبهم فى الحرب العالمية الأولى<sup>(٣٧)</sup>، وهذه الأسباب كانت دافعا قويا لتلاقى الطرفين الإنكليزى والإدريسي، وتوج ذلك التلاقى باتفاق عام ١٩١٥م المذكور آنفاً، ثم أعقب ذلك اتفاق آخر فى يناير عام ١٩١٧م اعترفت بموجبه بريطانيا بسيادته على جزر فرسان<sup>(٣٨)</sup>.

ولم تكتف بريطانيا بذلك، بل بدأت تقوم ببعض الحركات الاستفزازية لقياس ردات فعل الإمام يحيى، ومنها المبادرة بعمل استفتاء شعبى لأهالى الحديدة، لاختيار من يرتضونه من الحكام، وإجابة الأهالى برغبتهم فى الانضمام إلى مصر تحت حكم أسرة محمد على<sup>(٣٩)</sup>، وأن تعذر ذلك، فيكون تعيين ملك عربى يختارونه، بشرط أن يكون تحت الرعاية البريطانية<sup>(٤٠)</sup>. وبعد ذلك قامت بريطانيا ببحث أهالى الحديدة على بعث خطاب إلى عصبة الأمم المتحدة، يبرزون فيه مطالبهم بانفصال الحديدة عن الوطن، ويظهرون فيه حرصهم على ما سيسفر عنه مؤتمر باريس، الذى كان سيناقش ترتيبات القوى الكبرى فى المنطقة لما بعد الحرب العالمية الأولى<sup>(٤١)</sup>.

وزادت بريطانيا من معيار استفزازاتها للإمام يحيى، وذلك بعدم الاعتراف به ولا بحكومته كحكومة مستقلة، مخاطبة إياه دائماً عن طريق مستعمرة عدن التابعة لولاية الهند، ورافضة أية مراسلات أو اتصالات مباشرة مع الحكومة البريطانية فى لندن، إلى درجة أن حاكم عدن البريطانى أعاد إلى الإمام يحيى رسالة كان قد بعث بها إلى الحكومة البريطانية، موجهة إلى الملك جورج الخامس، حيث قال الحاكم البريطانى فى عدن للإمام: «حيث إن الرسالة لم ترسل بالطريقة الرسمية المعتادة (أى بواسطة الحاكم البريطانى فى عدن)، فإن الملك والحكومة البريطانية رفضت استلامها، وأمرت بإرجاعها إليك<sup>(٤٢)</sup>».

إلا أن المفاجأة الكبرى التى أزعجت الإمام يحيى، والتى كانت بمثابة القشة التى قصمت ظهر البعير، هى قيام الإنجليز بالجلاء عن الحديدة فى عام ١٩٢٠م، وتسليمها لحليفهم الإدريسي<sup>(٤٣)</sup>، رغم وعودهم للإمام يحيى بتسليمها له بعد ضبط الأمن فيها، ورغم إدراكهم أنها منفذ اليمن الطبيعى على البحر الأحمر، مما وتر الموقف تماماً بين الطرفين، فأدرك الإمام يحيى أن المفاوضات ما لم يوازىها ضغوط عسكرية، فلن تجدى نفعا مع الإنكليز، ولن تخدم قضية اليمن، فأصدر أوامره إلى قواته بالزحف على المحميات التسع فى الجنوب لضربهم فى مناطق نفوذهم.

ومما هو جدير بالذكر، أن المصادر التاريخية اختلفت فى تحديد تاريخ زحف القوات



ونتيجة لهذه التطورات انعقد اجتماع اللجنة الاستعمارية البريطانية للشرق الأوسط في لندن في ٣ يونيو عام ١٩٢٢م، لمناقشة علاقة بريطانيا مع الإمام يحيى بعد دخوله المحميات، وكان من أهم التعليقات التي أطلقها رئيس الجلسة في هذا الاجتماع قوله: «إنه إذا سمح للإمام يحيى بالاستمرار في احتلال المناطق التي ضمها إليه، فإن هناك خطراً في أن يتمادى أكثر في تعدياته على المحميات، إلى درجة أن يحاول احتلال سلطنة لحج، التي لا يمكن أن نفرط فيها»<sup>(٤٦)</sup>. وفعلاً صدقت توقعات الإنكليز حينما وجدوا قوات الإمام وهي تتمدد في عام ١٩٢٣م نحو مدينة البيضاء، التي تم انتزاعها أيضاً من يد الإنكليز وإدخالها تحت السيادة الإمامية<sup>(٤٧)</sup>.

وفى ظل هذه الأوضاع قرر الإنكليز فتح باب المفاوضات مع الإمام يحيى، وطلبوا منه إرسال مندوبه للوصول إلى عدن، فأرسل الإمام يحيى القاضي عبد الله العرشي، معتمداً له في مدينة عدن للمفاوضة<sup>(٤٨)</sup>، وقد أقام مبعوث الإمام في عدن بصفة دائمة من عام ١٩٢١م إلى عام ١٩٢٤م، إلا أن مهمته التي أرسله الإمام يحيى من أجلها لم تقتصر على المفاوضات فحسب، بل تعدت إلى محاولة اختراق المجاميع القبلية هناك، والتآمر ضد الإنكليز في عقر المستعمرة البريطانية، بالتنسيق مع بعض شيوخ القبائل في الجنوب، مما أدى إلى امتعاض الإنكليز في عدن من ذلك، ومن ثم التوصية بطرده من هناك. ويعلق المندوب السامي على هذا الأمر بقوله: «إن تجربته الشخصية من وجود العرشي لا تشجع أبداً على قبول أي ممثل للإمام في مدينة عدن، لأن العرشي تمكن من الحصول على نفوذ وسلطة مؤثرة على عدد كبير ومعتبر من الزيدون المقيمين في عدن، وهذا أمر غير مرغوب فيه، بل تعدى الأمر بأن بدا في نسج المؤامرات مع كثير من شيوخ المحميات، مما حدا بنا إلى طرده من عدن»<sup>(٤٩)</sup>.

وفعلاً تم طرد القاضي العرشي دون أن يحقق الإنكليز أي نتيجة مثمرة من وراء تواجده في عدن، حيث لم يتزحزح الإمام يحيى عن موقفه في التطلع نحو باقي المستعمرات الجنوبية، ولم ينسحب من المستعمرات التي أدخلها في حوزته، مما حدا بوزير شؤون المستعمرات آنذاك ونستون تشرشل أن يقول: «إن المفاوضات مع إمام صنعاء وصلت إلى درجة تجعلنا نعتبر موضوع التواجد البريطاني في جنوب غرب الجزيرة العربية ومحمية عدن يحتاج إلى مراجعة كلية»<sup>(٥٠)</sup>.

وبعد أن تم طرد العرشى مندوب الإمام يحيى من عدن، اتبع الإمام يحيى سياسة جديدة في تمدده نحو الجنوب، بعد أن ثبت وجوده في المحميات الأربع التي تمكن من انتزاعها من الإنكليز، وقد سمى الإنكليز هذه السياسة بسياسة التسلل والقضم التدريجي، كما ورد في رسالة المندوب السامى البريطانى فى عدن، والموجهة إلى وزير شؤون المستعمرات، بتاريخ ١٥ يوليو عام ١٩٢٥م، والتي يحذر فيها من خطر هذه السياسة التمددية<sup>(٥١)</sup>. ولشعور المندوب السامى بجدية الخطر من التمددات الإمامية عن طريق سياسة التسلل والقضم التدريجي، فإنه طلب من وزير خارجية المستعمرات تدبير أكثر من ٦ مليون طلقة، كما أشرت إلى ذلك سابقا تحفظ احتياطا فى عدن، إضافة إلى مجموعة من المدافع، وخمسة آلاف بندقية لتوزع على القبائل الجنوبية التي وقعت تحت سلطة الإمام، لدفعهم نحو الثورة والانتفاض على سلطة الإمام، وفعلا وزعت الأسلحة والذخائر على مشايخ القبائل، لمقاومة ما سماه الإنكليز بالاحتلال الزيدى<sup>(٥٢)</sup>.

وبالتزامن مع هذه الأحداث فى الجنوب، قرر الإمام يحيى فى شمال اليمن أن يسترد مدينة الحديدية بنفسه، مهما كان الثمن، لأهميتها كمنفذ اليمن الاستراتيجى على العالم الخارجى. ولم يكن قراره هذا اعتباطا، بل كان قد هيا كافة الأسباب لذلك عبر سنوات من الاستعانة بخبرات من بقى من الأتراك فى اليمن، حيث قاموا بتدريب قواته<sup>(٥٣)</sup>، إضافة إلى أن الإمام يحيى كان قد عمد إلى إرسال مندوبيه إلى جيبوتى الفرنسية لشراء الأسلحة وتهريبها إلى اليمن<sup>(٥٤)</sup>، وحاول عن طريق التفاوض مع الشركات الأمريكية الحصول على أسلحة<sup>(٥٥)</sup>.

وقد واتت الإمام يحيى الفرصة الذهبية بعد وفاة السيد محمد الإدريسي، الرجل القوى فى أسرة الإدريسي، حيث انقسمت أسرته حيال خليفته الأمير على الإدريسي، ودخلت فى كثير من المنازعات الداخلية، مما ساعد الإمام يحيى على الزحف نحو تهامة<sup>(٥٦)</sup>. وقد ذكر الواسعى، المؤرخ اليمنى المشهور هذا الزحف بقوله: «ونزل من حجة إلى طرف تهامة، سيف الإسلام أحمد ابن أمير المؤمنين يحيى، ثم وصل السيد العلامة عبد الله بن أحمد الوزير واستلم باجل، ثم الحديدية، واستلم الموائى التى على ساحل البحر الأحمر، وهى: ابن عباس، والصليف، واللحية، وميدى، ثم مدن تهامة الضحى، والزهرة، والمنبرة، والزيدية، والمراوعة، وغيرها، وعين الإمام لهذه المناطق عمالا وحكاما



ومعلمين»<sup>(٥٧)</sup>. وبالقضاء على الإمارة الأدريسية فى تهامة، بعد الدخول إلى الحديدة فى أبريل عام ١٩٢٥م<sup>(٥٨)</sup>، بدأ فصل جديد فى العلاقات اليمينية البريطانية، عمادها الترقب والحذر، خاصة بعد مطالبة الإمام للسلطات البريطانية بتسليمه كافة الجزر اليمينية، بما فى ذلك جزيرة كمران<sup>(٥٩)</sup>، فما كان من الإنكليز إلا أن ضربوا طوقا من الحصار البحرى على شواطئ اليمن، وتعهدوا بعدم رفع الحصار، ما لم يغير الإمام يحيى من موقفه المعاند إلى موقف أكثر مرونة فى التعامل مع الإنكليز<sup>(٦٠)</sup>. إلا أن الإمام يحيى بالرغم من الحصار المضروب فى البحر الأحمر، لم يحدد نظره قيد أنملة عن تطلعاته نحو الجنوب، وظل يتحين الفرص للتسلل والقضم التدريجى، مما حدا بوزير الخارجية البريطانى أن يبعث مذكرة الى الإدارة البريطانية بتاريخ ٨ فبراير عام ١٩٢٦م يقول فيها: إن إمام اليمن لم يكتفى بعدم الاعتراف بالحدود بين الشمال والجنوب التى وقعتا بريطانيا مع الأتراك، بل يستمر فى انتهاك حدود المحميات<sup>(٦١)</sup>.

### بعثة كلايتون:

بعد أن تمكن الإمام يحيى من انتزاع الحديدة من الإدريسى فى عام ١٩٢٥م، وشعوره أنه قد توصل إلى ما وصل إليه من كيان مستقل، ووجود مبادئ ظاهرة ومنفذ على العالم الخارجى، بفضل جهوده الخاصة، وموارده الذاتية المستقلة عن بريطانيا، التى لم تكن فى يوم من الأيام صاحبة فضل عليه، أصبح له وضع جديد يعطيه هامشا أكبر للمناورة، خاصة مع وجود إيطاليا فى إريتيريا على الشاطئ الأفريقى للبحر الأحمر، والتى بدأت بمغازلته، مما جعل بريطانيا تستشعر بخطل الرأى فى ترك الإمام يحيى دون احتوائه، تفويتا للفرصة من أن يميل نحو الطليان، فأرسلت بعثة تفاوضية جديدة إلى صنعاء فى ربيع عام ١٩٢٦م برئاسة السير جليبرت كلايتون<sup>(٦٢)</sup>، كان من أهم مهام هذه البعثة، محاولة إبعاده عن إيطاليا، التى بدأت تشكل خطرا على المصالح البريطانية فى البحر الأحمر. وتوضح رسالة إخبارية من ستيوارت، المندوب السامى قى عدن إلى قيادة القوات البريطانية فى الهند، مؤرخة بتاريخ ٢٧ يناير عام ١٩٢٦م جملة من الخطوات الاحترازية التى اتخذتها بريطانيا فيما لو فشلت بعثة كلايتون فى مهمتها، ومنها زيارة تفقدية قام بها قائد سلاح الجو البريطانى لمنطقة الشرق الأوسط، السير أوليفر سوان للقوات الجوية البريطانية المرابطة فى عدن، وتوصيته بتعزيزها بسرب من الطائرات المقاتلة الجديدة،

وتأكيد المندوب السامى على وجوب أن تكون هذه الطائرات بعيدة المدى فى الطيران، وقادرة على الحمولات الثقيلة فى مرتفعات عالية، لاستخدامها فى حالة فشل مفاوضات بعثة كلايتون مع الإمام<sup>(٦٣)</sup>.

وعند وصول البعثة إلى صنعاء عرض رئيسها السير جلبرت كليتون على الإمام يحيى الاعتراف بسيادته على سلطنة لحج وحضرموت<sup>(٦٤)</sup>، وإجبار سكان هذه المحميات الممتازة على الدخول فى طاعة الإمام، وجعل اليمن كله كتلة واحدة فى قبضته مقابل اتفاقية سلام وتحالف، يوافق الإمام يحيى بموجبها الالتزام بألا يعقد معاهدة مع أى دولة أجنبية، إلا بعد الموافقة البريطانية، إضافة إلى منح الإنكليز امتيازاً بمد خط حديدي يصل بين صنعاء وعدن<sup>(٦٥)</sup>. وقد تسببت هذه العروض فى إثارة قلق سلاطين الجنوب ومخاوفهم، خاصة سلطان لحج، حاكم أكبر المحميات البريطانية، حيث خشى أن يقبل الإمام بالشروط الإنكليزية الغربية، ويبت فى الأمر مع الإنجليز، مما دفعه للدعوة إلى عقد تحالف مع باقى السلاطين فى المحميات الجنوبية، لتلافى هذه الكارثة التى تهدد سلطانهم هناك. ويعبر الحوار الذى دار بين سلطان لحج والمجاهد التونسى عبد العزيز الثعالبي، الذى زار سلطنته عن هذه الحقيقة، حيث نلمس فى حوارهما القلق الشديد قائلاً: «الأكتمك وأنت واحد منا، أن الإمام أصبح خطراً يتهدد بلادنا، خصوصاً فى الأيام الأخيرة بعد استيلائه على البيضاء، وهجومه على الضالع، وإجلاء سلطانها عنها، ولست وحدى فى هذا الاعتقاد، فإن الأمراء القحطانيين كلهم يشاطروننى فيه». وربما اكتشفوا مؤامرة سرية دائرة ضدنا بينه وبين الإنجليز بواسطة السيد على الوزير، فالإنجليز يريدون جعلنا قرباناً لمطامعهم فى اليمن، والإمام يطلب إماراتنا لإبرام المعاهدة التى يقترحونها عليه، وهى أن تمت، فإننا سننتقل من طور الحماية السورية التى ضمننا لنا الاستقلال المطلوب فيما مضى، إلى طور الاستيلاء الفعلى بواسطة حكومة اليمن، والإمام لا يفتقه من هذه المغامير السياسية شيئاً، غير ما يبدو له من الظواهر الخداعة من توحيد البلاد وجمعها فى قبضته، وجعلها تعترف بإمامته، وتخطب باسمه، وتجبى الضرائب، وما يدريه أنها ستكون مسيرة بإرادة الإنجليز أحب أم كره<sup>(٦٦)</sup>.

والحقيقة أن وراء انبعاث فكرة إطلاق يد الإمام فى المحميات، مقابل تسليمه بالصياغة البريطانية عليه، والتواجد البريطانى فى عدن، هو مجموعة من الدراسات والاستشارات

التي قدمها مفكرون وساسة بريطانيون متخصصون في شؤون اليمن، مثل هارولد جيكوب، الذي لخص رؤيته في الآتي: «إنني أعتقد بأنه ليس في استطاعة أى واحد أن يتهمنا عدلا بخيانة الأمانة، إذا ما تركنا أولئك القوم الذين تحت حمايتنا ليذهبوا عائدين إلى الإمام مرة أخرى». فالجميع سوف يتقاطرون إلى العربي القوى والحامي الأمين، الذي يرغب في استعادة مملكته السابقة وتقويتها، وهو الذي يسعى للعودة إلى مركزه السالف، حيث حكم ذات مرة كلا من الشوافع والزيود وساسهم بعدل وإنصاف، وإن مصالحنا في البلاد سوف تصان، وسيكون من المستطاع المحافظة عليها بوسائل أفضل، وذلك عن طريق تقوية مركزنا في عدن، والتخلي عن المناطق الداخلية من البلاد، ليتحولوا عنا إلى الصوف العربية<sup>(٦٧)</sup>.

ومنها أيضا تقرير كتبه احد اركان البحرية البريطانية القائد المتقاعد الخبير بسواحل الجزيرة العربية، الكومندان كروفرد إلى حكومته، حيث وضح في تقريره أن أهل عدن لم يخلصوا يوما من الأيام لحكومة عدن، وأن بريطانيا لا يمكنها أن تحافظ على صداقتهم إلا ببذل الأموال الطائلة، ولا شك بأن عدن ستبقى دائما عرضة لدسائس العرب، وقد تنتفض على بريطانيا على حين غرة، وأنه لا يوجد فائدة تجارية كبرى تذكر من مقاطعة عدن المحمية، إلا إذا قبضت بريطانيا عليها بيد من حديد، وحمتها حماية حقيقية، وذلك يقتضى أموالا طائلة لا تتناسب مع الواردات لها أبدا. ورب سائل يتساءل: هل تساوى مقاطعة عدن المحمية هذه النفقات الطائلة؟ الجواب كلا. ويقول: أنا رجل بريطاني مخلص لحكومتي، وأعتقد بأننا لا نستفيد من مقاطعة عدن المحمية، بل بالعكس نخسر كثيرا من النفقات على حمايتها، ولن نتمكن من إدراك حقيقة التجارة والقيام بترقيتها، ما لم نحصل على مكان عسكري أمين نحافظ بواسطته على عدن، ولن نتمكن من الحصول على هذا المكان الأمين، إلا إذا كان إمام اليمن مسالما لحكومة صاحب الجلالة. ويمكن للإمام أن يهب عدن موقعا عسكريا، وعندئذ تحل مشكلة مقاطعة عدن المحمية وتترك. وفي إمكاننا أن نتنازل عنها دون أن نخسر شيئا من نفوذنا<sup>(٦٨)</sup>.

وخلاصة فكرته أنه يريد من الإمام يحيى أن يوافق على إقامة قاعدة عسكرية تقوم بحماية الاحتلال البريطاني لعدن، ويريد أيضا من الإمام يحيى أن يقوم بإخماد الانتفاضات الوطنية بالنيابة عن بريطانيا، مقابل إطلاق يده في باقي المحميات، لأن عدن هي الهدف الاستراتيجي لبريطانيا، وليس غيرها من المحميات التي أصبحت عبئا على الإنكليز، الذين لم يضموها أصلا

إلا لتحويلها إلى مناطق سياج أمني حول عدن، لحمايتها من الأخطار. وما الذى يمنع الإمام يحيى من أن يقبل بالشروط البريطانية، أليس فى ذلك توسيع لرقعة سلطانه، وتعزيز من ملكه، ولكن من حسن طالع هؤلاء السلاطين، أن الإمام يحيى لم يكن من ذلك النوع من الرجال الذى تسييره مصالح الدنيا على حساب دينه ووطنيته. فقبوله بهذه الشروط يعنى وضع اليمن تحت الوصاية البريطانية، بتجريده من سيادته وخياراته فى عقد المعاهدات مع من يشاء من دول العالم، ويعنى أيضا الموافقة الرسمية على إقامة قاعدة عسكرية بريطانية على أراضى اليمن بصك رسمى لا مجال للتراجع فيه، مما يعنى الخيانة للدين والوطن، وهذا ما لم يفهمه الكثيرون ممن اتهموا الإمام يحيى بقصر النظر، وانعدام الطموح، فشتان بين من تسييره تعاليم الشرع والوطنية ومنصب الإمامة العظمى، ومن تسييره طموحاته السياسية وشهوات الملك.

لقد قذف الإمام يحيى بكل هذه المغريات وراء ظهره، عندما تعارضت تلك العروض مع قناعاته الدينية، حيث كانت تتقدم لديه الاعتبارات الشرعية على كل ما عداها، وقد عبر الإمام يحيى عن ذلك للثعالبي حين وصل إلى صنعاء لزيارة الإمام، حيث صرح له عندما أثار الثعالبي هذه المسألة، بأنه سيرتك الإنكليز ييأسون من أن ينالوا شيئا، وأنه سيطاولهم فى ذلك<sup>(٧١)</sup>.

لقد كانت بعثة كلايتون محط اهتمام حكومة إنجلترا، إلا أن الإمام يحيى خيب رجاء الإنكليز، وأصر على مطالبه القديمة فى الاحتفاظ بحقه فى كل محميات الجنوب بلا استثناء، بوصفها جزءا من وطن الآباء والأجداد<sup>(٧٢)</sup>. وفى هذا السياق، يقول جورج أنطونيوس، صاحب كتاب يقظة العرب، حيث كان أحد أفراد بعثة كلايتون التى عمل فيها كمترجم: «لقد لاحظنا فى الإمام عدم الرغبة فى التفاهم، وبعدما أقمنا ستة وعشرين يوما لديه نفاوضه، ونسعى لإقناعه بفائدة الاتفاق والتعاون، غادرنا صنعاء لأننا شعرنا بأنه لا فائدة ترجى من إطالة الإقامة<sup>(٧٣)</sup>».

**وبعد فشل بعثة كلايتون أرسل رئيسها برقية إلى وزارة الخارجية، هذا نصها:**

لقد تركت صنعاء فى يوم ٢٤ فبراير عام ١٩٢٦م، راجعا إلى عدن عن طريق البر، ولكننى أعتذر من أن مجهوداتى مع الإمام لم يحالفها التوفيق، بسبب مواقفه التى وإن كانت ودودة، إلا أنه جعل من الأمر مستحيلا للوصول إلى اتفاقية تلبى المطالب البريطانية. لقد وجدت الإمام يحيى متعننا تجاه القضايا التالية:

• إصراره على سيادته على كل القبائل والزعماء القاطنين فى المحميات الجنوبية.

• رفضه المطلق لإمكانية إخلاء المناطق التي احتلها في المحميات.

• عدم اعترافه بقانونية الاحتلال العثماني لليمن، وبالتالي فهو لا يعترف بالاتفاقية البريطانية العثمانية في تحديد الحدود بين الشمال والجنوب.

لقد وجدت أنه من الممكن أن أفوضه على البند الأول والثالث، للحصول على موافقته على مسودة اتفاقية تسرى لمدة عشر سنوات، ولكن تبعا للتعليمات التي حصلت عليها من رؤسائي، امتنعت عن محاولة حلحلة الموضوع بسبب البند الثاني المتعلق برفضه الصريح لإخلاء المناطق التي احتلها في الجنوب. ولقد أوضحت للإمام أنني لا أستطيع عقد اتفاقية معه بهذه الشروط، وجل ما أستطيعه هو كتابة تقرير لحكومتي بذلك<sup>(٧٢)</sup>.

وفي مذكرة أخرى كتبها رئيس البعثة كليتون يشرح فيها موقف الإمام يحيى من أي اتفاق مع بريطانيا، حيث يقول: من الواضح أن الإمام يحيى مصمم على الالتزام بنقطتين أساسيتين، وهما:

• أنه لن يضع اسمه على أية وثيقة يمكن أن تفسر على أنها تخلى عما يسميه الحقوق التاريخية للسيادة على كل أجزاء اليمن، بما في ذلك عدن وحضرموت.

• أنه لن يوافق على أي بند يمكن أن يفهم تحت أي ظرف أنه انتهاك لاستقلاله الكامل أو الحرية في التصرف.

ويضيف كليتون بقوله: إن الإمام إذا سمح له بالبقاء ساكنا في المناطق التي احتلها من المحميات، فسوف يقتنع بفعالية سياسة القضم التدريجي للمحميات، وسوف تخسر بريطانيا هيبتها في عدن وكافة المحميات<sup>(٧٣)</sup>.

وفي تعليق لستيوارت، المندوب السامي البريطاني في عدن، بعد فشل بعثة كليتون، يقول في خطاب وجهه إلى وزير شؤون المستعمرات بتاريخ ١٩ يناير عام ١٩٢٧م: «مما لا شك فيه، أن الإمام يرغب في عقد اتفاقية مع حكومة صاحب الجلالة ولكن بشروطه هو، فالمشاعر الودية التي يبديها في مكاتباته مع بريطانيا خلال السنوات الست الماضية، كانت بالتزامن مع اقتطاعه أجزاء من محمياتنا في الجنوب. لقد أصبح الأمر واضحا من أنه ليس لديه النية للاعتراف بوجود محمياتنا في الجنوب إلا بالقوة والإكراه، حيث إنه ثابت المبدأ على ذلك في كل مكاتباته، بالرغم من لغة الصداقة التي يبديها. ويضيف ستيوارت معلقا على بعثة كليتون بقوله: «عندما افتتح كليتون المفاوضات مع الإمام، عارض

عليه إمكانية تنازل بريطانيا عن الضالع، قفز الإمام فوراً في مطالبه نحو باقي المحميات، مما جعل كليتون يقطع المفاوضات فوراً، فإذا أردنا حقاً أن نرضى الإمام، يجب أن نكون مستعدين لتسليم كل المحميات له، وحتى لو فعلنا ذلك، سوف يستاء في داخله بسبب بقائنا في عدن»<sup>(٧٤)</sup>.

ويعزو ستيوارت أن السبب الجوهرى لفشل مفاوضات بعثة كلايتون، هو الدين حيث يعتمد الإمام يحيى على التيار الدينى المحافظ فى حكمه، الذى يرفض عقد علاقات تعاهدية غير متكافئة مع القوى الغربية المسيحية، مما يجعل تخلى الإمام عن حقوق الآباء والأجداد فى الجنوب اليمنى بمثابة الخيانة والخروج عن الدين<sup>(٧٥)</sup>.

كان فشل هذه البعثة، هو القشة التى قسمت ظهر البعير، حيث وصلت الحكومة البريطانية إلى القناعة التامة، أن سياسة الترغيب والترهيب التى اتبعتها طويلاً فى محاولة احتواء الإمام يحيى، لن تجدى نفعاً، إذ لا بد من اتخاذ موقف متشدد، وبخاصة بعد أن وصلت قوات الإمام يحيى إلى نقطة لا تبعد عن مدينة عدن إلا بمقدار أربعين ميلاً<sup>(٧٦)</sup>، ناهيك عن خطر تقاربه مع إيطاليا، الذى توج بعقد معاهدة صداقة وتجارة فى سبتمبر عام ١٩٢٦م<sup>(٧٧)</sup>.

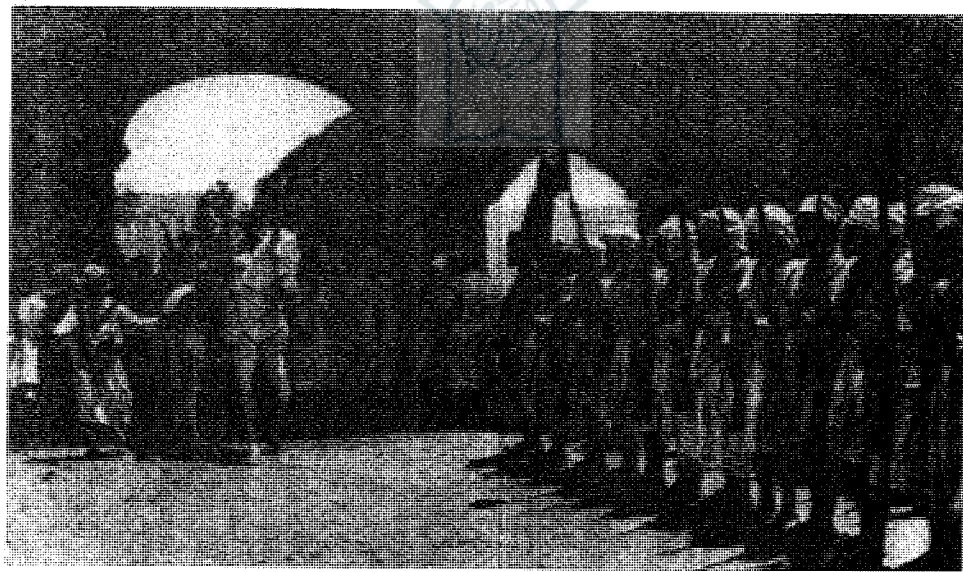
وتوضح برقية موجهة من المعتمد السامى البريطانى فى عدن إلى وزير الخارجية فى لندن، مؤرخة بتاريخ ٢٧ مايو من عام ١٩٢٧م الموقف المتشدد الجديد للإدارة البريطانية، حيث يوصى فيها أن تقصف العاصمة صنعاء بالطائرات كآخر وسيلة للضغط على الإمام بعد استنفاد كافة الوسائل الأخرى، كقصف مدينة تعز، وإب، ويريم، والمخا أولاً لتركيع الإمام يحيى وقسره للاستجابة لشروط بريطانيا<sup>(٧٨)</sup>.

#### مرحلة التصادم المباشر ١٩٢٧م - ١٩٣١م:

لقد أثار الإمام يحيى حفيظة بريطانيا العظمى بعد فشل بعثة كلايتون، ومما زاد من لهيب الغضب البريطانى، تقارب الإمام يحيى مع إيطاليا، الذى توج بوصول القائد الإيطالى غاسبارينى حاكم أسمره إلى صنعاء فى سبتمبر ١٩٢٦م على رأس بعثة كبيرة، وتوقيع معاهدة صداقة وتجارة قوبلت بالحفاوة البالغة من قبل الإمام، بما كان يعبر عن موقفه لا من إيطاليا فحسب، بل من إنجلترا أيضاً، إذ كان الإمام يحيى يرى أن تقربه من إيطاليا هو الأمل الكبير لتحقيق مطالبه فى الجنوب العربى، فهى قوة يستمد منها السلاح، ويساوم بها بريطانيا حتى تقبل مطالبه<sup>(٧٩)</sup>.



صورة للقائد الإيطالي غاسباريني لدى استقباله الحاشد في صنعاء عام ١٩٢٦م لعقد اتفاقية التحالف



القائد الإيطالي كاسبارينى يحيى حرس الشرف الإمامى من على صهوة جواده



ومما زاد فى حنق الإنكليز، كما ورد فى الوثائق البريطانية، أن هذه الاتفاقية قدمت للإمام يحيى الدعم فى شتى المجالات الخدمائية والعسكرية، ناهيك عن تعهد الحكومة الإيطالية بحماية شواطئ اليمن، ومواجهة أى قوة خارجية محتملة تفكر فى مهاجمة اليمن<sup>(٨٠)</sup>. هذا كله دون أن يقدم الإمام يحيى أى تنازلات لإيطاليا تتعلق بالسيادة والاستقلال اليمنى وهذا حدث غير مسبوق فى ذلك الزمان الاستعمارى، الذى فرض علاقات غير متكافئة بين الدول المستعمرة والدول المستقلة حديثا، التى لم تحصل على الدعم إلا مقابل تنازلات تمس سيادة الوطن على أراضيه. لقد حصل الإمام يحيى من إيطاليا، تمهيدا لزيارة القائد غاسباريانى على الكثير من الهدايا، منها:

- ٨ مدافع حديثة متوسطة الحجم، و٤ مدافع صغيرة.
- ٣٣٦ صندوقا تحتوى على قذائف للمدفعية.
- ٢٠٠ صندوقا تحتوى على أسلاك التلغراف.
- ١٦٧ صندوقا تحتوى على ذخائر.
- طائرة واحدة مسلحة بالرشاشات.
- شاحنة نقل<sup>(٨١)</sup>.

كما حصل الإمام على مساعدات غير مدفوعة الأجر فى شحنة أخرى كالتالى:

- ٣ طواحين حديثة لطحن الغلال.
- مجموعة من الشاحنات.
- مجموعة من الرافعات الثقيلة.
- مجموعة من العربات المسلحة والمدافع الجرارة.
- عدد كبير من المنتجات والأدوات الطبية.
- ١٢١ صندوقا تحتوى على أسلاك اتصالات.
- ١٢٤ صندوقا تحتوى على ذخائر<sup>(٨٢)</sup>.

ثم اشترى الإمام فى عام ١٩٢٦م بمبلغ ثلاثة مليون وثلاثمائة ألف ريال فرانصى الأسلحة التالية، بعد زيارة غاسبريانى:

- ٦ طائرات حربية.
- ٢٠ مدفعا.



• ٤٩٠٠ صندوق تحتوى على ذخيرة بنادق.

• آلات لإعادة تعبئة الذخائر<sup>(٨٣)</sup>.

ثم وصلت الشحنة الثانية فى نوفمبر ١٩٢٧م، المكونة من الآتى:

• ٥٠٠ صندوق تحتوى على قذائف موزر.

• ١٠٠ صندوق تحتوى على أجهزة اتصالات.

• ٢٠ صندوقا تحتوى على أجهزة لاسلكية<sup>(٨٤)</sup>.

أما الشحنة الثالثة المشتراة، فقد وصلت فى أكتوبر عام ١٩٢٨م مكونة من:

• ٢٥٤١ صندوقا تحتوى على أدوات حربية مختلفة<sup>(٨٥)</sup>.

ولتعزيز الإمام يحيى علاقته بإيطاليا، أرسل ابنه سيف الإسلام محمد فى زيارة رسمية إليها، على رأس بعثة يمنية فى يونيو ١٩٢٧م، كان من شأنها تدفق السلاح، والأدوات الميكانيكية، والمعامل، وأدوات الاتصال مثل التلغراف والتلفونات اللاسلكية، بالإضافة إلى الفنيين والمدربين، وغيرهم من الأطباء والميكانيكيين<sup>(٨٦)</sup>، وأهمهم كان المهندس الإيطالى رومولو كيريسى، رائد التطور التقنى فى اليمن، حيث أوكلت إليه المشاريع الهندسية العامة، مثل مصنع الذخيرة، ومضخات المياه، ومسح الطرقات العامة، وغيرها من المشاريع<sup>(٨٧)</sup>.



صور متنوعه لسيف الإسلام محمد بن الإمام يحيى لدى استقبال موسوليني له





استقبال حكومي حاشد في ايطاليا لسيف الإسلام محمد بن الإمام يحيى

فما كان من بريطانيا عقب هذه التطورات، إلا أن اتخذت منحى أكثر تشدداً، حيث طرحت جانباً أسلوب المراسمة والتفاوض، واعتمدت على أسلوب الحرب الساخنة والمواجهة المباشرة، لتجاسر الإمام على تحديها فى مناطق نفوذها بإدخال منافس أوربى لها. ومن البديهى القول: إن المعاهدة الإيطالية اليمينية كانت من أكبر العوامل التى أدت إلى هذا التوجه الجديد فى السياسة البريطانية تجاه الإمام يحيى، فى مقالة نقلتها جريدة الأهرام عن جريدة رفرى اللندنية، فى العدد الصادر بتاريخ ٩ يوليو ١٩٢٨م، جاء فيها: «إن إصرار اليمين على رفض قبول مقترحات الصداقة التى تعرضها عليها بريطانيا يعزى إلى النفوذ الإيطالى فى تلك البلاد، حيث إن إيطاليا هى الدولة التى تنافس إنجلترا فى البحر، وترغب فى ترسيخ قدميها فى بلاد الإمام يحيى، لكى تحقق أحلامها فى تأسيس إمبرطورية رومانية شرقية<sup>(٨٨)</sup>».

وأنت الفرصة بريطانيا لتحقيق مآربها السياسية الجديدة على أثر هرب أمير الضالع إلى عدن وبعض رجاله من آل قطيب، الذين رفضوا استحقاقات السلطة الإمامية من الواجبات الزكوية على بلادهم، مفضلين عليها الحماية البريطانية، فأندرت بريطانيا الإمام بإخلاء الضالع وباقى المحميات، وإلا فإنها ستقوم بقصف قواته فى قعطبة، بوصفها المركز الرئيس لتجمع القوات الإمامية المسؤولة عن الاعتداء على المحميات، وعندما لم يستجب الإمام للإنذارات البريطانية، قصفت الطائرات البريطانية قعطبة لمدة خمسة أيام متفرقة، فى محاولة لتفريق جموع قوات الإمام، وزادوا على ذلك بقصف الضالع نفسها لاستردادها<sup>(٨٩)</sup>، وكان مجموع الغارات الجوية على حاميات الإمام فى تلك المناطق ٤٧ غارة جوية<sup>(٩٠)</sup>.

ولقد كان من جراء هذه العمليات الحربية ضد الإمام، أن تحفز الكثير من شيوخ القبائل الجنوبية للتواصل مع المقيم السامى البريطانى فى عدن، معبرين له عن رغبتهم فى التخلص من حكم الإمام الذى تمدد نحو مناطقهم، وطلبوا منه مساعدة الطائرات البريطانية، وكان الرد البريطانى أن بريطانيا لن تحارب الإمام بالنيابة عنكم إلا فى حالة مشاركتهم الفعلية النشطة، وبدورها سوف تقدم لكم الأسلحة والذخائر، بالإضافة إلى الغارات الجوية، فأبدوا استعدادهم التام لمهاجمة قوات الإمام فيما لو حصلوا على وعد منه بالحماية من انتقام الإمام<sup>(٩١)</sup>.

أما الإمام يحيى، فقد طلب بعد قصف قطعية هدنة لمدة ثلاثين يوماً لإجراء مفاوضات عامة، فقبلت بريطانيا الطلب، وبدأت الهدنة في ٢٥ مارس عام ١٩٢٨م، ومدت إلى شهر يونيو، في محاولة من الإنجليز لإخراج الإمام تفاوضياً عن الضالع وقطعية وباقي المناطق المحتلة<sup>(٩٢)</sup>، إلا أن تسوية الإمام ومماطلته في الانسحاب دفع الإنكليز إلى زيادة الضغط عليه باللعب بالوتر الطائفي، حيث بدأت بريطانيا تؤكد الحس الشافعي لمنطقة اليمن الأسفل في لواء تعز، وتزعم حمايته من الزيود<sup>(٩٣)</sup>، ويتجلى ذلك واضحاً في إلقاء الطائرات البريطانية منشوراً في مختلف المناطق الشافعية في كافة أراضى اليمن الخاضعة لسلطته في الشمال جاء فيه:

إلى أهل المذهب الشافعي في اليمن وفي المحمية البريطانية، لقد علمتم أنه بناء على انتهاك حرمة المحمية البريطانية من الإمام والزيود وتعيدهم عليها، أجبرنا على إلقاء القنابل على حامية الزيود، وبما أن هذه الحاميات الزيدية أقامت نفسها بينكم، فلعلكم قاسيتم من تأثير القذائف ما قاسيتم، فذلكم ذنب الزيود لا ذنبنا، حسبما قد علمتم بذلك بدون شك، وليكن معلومكم أن كل محل ليس فيه حامية زيدية، لن يصير عليه رمى القذائف من طيارتنا، إلا إذا أعان سكان ذلك المحل الزيود بأى وجه من الوجوه. ولكي تحتفلوا بالعيد في أمان، نعلمكم أن طيارتنا لن ترمى القذائف في أيام العيد إلا إذا حصل شيء من الزيود يؤدي إلى لزوم الضرب، فإذا حصل رمى بالقذائف في تلك الأيام، ستعرفون أن الزيود هم المسؤولون عن ذلك، وبما أن طيارتنا ستطير في تلك الأيام، ولكن ما لم يحصل شيء من الزيود، كما ذكرنا أعلاه، فإن الطيران سيكون للاستكشاف لا لرمى القذائف<sup>(٩٤)</sup>.

وفعلاً بعد انقضاء الهدنة بدأت بريطانيا في قصف قوات الإمام بالطائرات في العمق لمدة ١٤ يوماً، بما في ذلك مدينة تعز، التي تعد المدينة الثانية بعد صنعاء<sup>(٩٥)</sup>، بالإضافة لدمار، ويريم، وإب، وماوية<sup>(٩٦)</sup>، التي جعلها الإمام يحيى قاعدة عسكرية، وأقام بها فرقة كاملة من الجنود، واتخذها مركزاً لجمرك الحدود<sup>(٩٧)</sup>.

يقول الرحالة السوري نزيه مؤيد العظم، الذي عايش هذه الأحداث خلال زيارته لليمن، واصفاً ما حدث في كتابه (رحلة في بلاد العربية السعيدة): «جاءت أسراب كثيرة من الطائرات وألقت قنابلها على جميع البلاد التي ذكرتها، ومنها تعز المدينة الكبيرة

الأهله بالسكان، فقد كانت الخسارة جسيمة جدا، إذ بلغت نحو ٣٠٠ شخص بين قتيل وجريح». وعلاوة على إلقاء القنابل، كانت الطائرات تمطر الناس فى الطرقات العامة وابلا من رصاص رشاشاتها، كما هدمت القنابل كثيرا من المنازل والدور فى البلاد التى أُنذرت، والتى لم تنذر، مما تسبب فى جزع الأهالى والسكان جزعا عظيما<sup>(٩٨)</sup>.

أما فى صنعاء، فقد تسببت هذه الغارات فى إثارة الذعر والخوف، مما حدا بالمسؤولين فيها ببناء الملاجئ، واتخاذ الإجراءات اللازمة للنزوح عنها إلى مناطق أخرى فى حالة أى هجوم مباغت بالطائرات<sup>(٩٩)</sup>.

ولم تكتف بريطانيا بالإغارة على قوات الإمام يحيى فى الجنوب، والإغارة على المدن اليمينية فى الشمال، بل سعت لإشغاله بفتح جبهات داخلية أخرى بالتزامن مع الغارات الجوية على قعدة والضالع، فحركت أحمد الفتيى شيخ قبيلة الزرائق للانتفاض على سلطة الدولة فى تهامة<sup>(١٠٠)</sup>، وأمدته بالمال والسلاح لإنهاك قوات الإمام يحيى فى اليمن<sup>(١٠١)</sup>، فشن الشيخ الفتيى الهجمات على الحديدية، وقتل الكثير من الجنود فى حاميتها، فى محاولة منه لقطع الشريان الحيوى الذى كانت تصل منه الأسلحة الإيطالية إلى حكومة صنعاء<sup>(١٠٢)</sup>، وقد حاول الإمام يحيى احتواء الشيخ الفتيى بالحسنى، فطلب منه قطع ارتباطاته مع الإنكليز، وتسليمه بسلطة الدولة اليمينية، ومقابل ذلك عينه عاملا للإمام وحاكما رسميا على قبيلته، إلا أن الشيخ المذكور رفض كل العروض، وأصر على عمالته للإنكليز، فما كان من الإمام يحيى إلا أن حشد عشرة آلاف مقاتل بقيادة ابنه سيف الإسلام أحمد للقضاء على هذه الفتنة، مما أجبر الفتيى على الهرب إلى جزيرة كمران الخاضعة للسيطرة البريطانية، مستغيثا ببريطانيا التى وجهته لمكاتبة عصابة الأمم المتحدة للتدخل من أجل حق تقرير المصير لقبيلة الزرائق الساعية للانفصال بتهامة اليمن<sup>(١٠٣)</sup>.

يقول المؤرخ اليمنى المعروف عبد الواسع الواسعى فى كتابه (تاريخ اليمن): «كيف يمكن للفتيى أن يشكو إلى عصابة الأمم المتحدة، بأن الإمام يحيى يريد أن يغتصب بلاده الحديدية بدون استشارة الإنجليز، وهو شيخ أمى لا يعرف يمينه عن شماله»<sup>(١٠٤)</sup>.

لقد كان من جراء الغارات على المدن اليمينية بالطائرات الإنكليزية، أن اضطر الإمام يحيى إلى أن يسحب قواته من الضالع فى ١٤ يوليو من عام ١٩٢٨م، وهو يشعر بالمرارة بعد أن ظلت فى حوزته لأكثر من ٨ سنوات، فأدرك الإمام يحيى أنه بما يملك من إرادة

وطموح، وبما لدى رجاله من عدد وعدة وشجاعة، لا يجدى نفعا في مقاومة قذائف سلاح الجو البريطاني، مما أدى بالضرورة قبل نهاية نوفمبر من السنة نفسها، تحت الضغط العسكري للطائرات البريطانية إلى إخلاء كل البلاد التي أدخلها في حوزته، عدا جزء من يافع ونصف إقليم العوذلي<sup>(١٠٥)</sup>.

وبالرغم من الانتكاسة بسبب الخلل في موازين القوى، إلا أن روح التحدى عند اليمنيين بقيت تشتعل وتلهب النفوس بقيادة الإمام يحيى، الذى رفض الأمر الواقع الذى تريد بريطانيا فرضه، ويتضح هذا بجلاء فى القصيدة التى ألقاها أحد الفقهاء اليمنيين المعاصرين للإمام يحيى، واسمه القاضى يحيى بن محمد الإريانى، يصف فيها هذا الحدث بأبيات شعرية معبرة قال فيها:

يا بريطانيا رويدا رويدا      أن بطش الإله كان شديدا  
أن بطش الإله أهلك فرعون      وعاد من قبلكم وثمودا  
أن هذا الفساد فى الأرض والهدم      لهذه البيوت ليس سديدا  
لا تظنوا هدم المدائن يوهى      عزمنا أو يلين باسا صلودا  
أن هذا هو التوحش إذا جئتم      بما ليس عندنا موجودا  
فالنزال النزال إن كنتم ممن      لدى الحرب لا يهاب الجنودا  
لتروا من يبيت منا ومنكم      موثقا عند خصمه مصفودا  
إنكم لو نزلتمو لرأيتم      كل ذى شدة تذيب الحديدا  
ورأيتم منا بكم فتكات      صادقات عظمى تشيب الوليدا



TEL. No. HULLDOWN 3131.

Any communications on the subject of this letter should be addressed to —

THE SECRETARY,  
AIR MINISTRY,  
ADMIRALTY HOUSE,  
RENSWAY,  
LONDON, W.C.2.

and the following number quoted —

S.19866/Pt.IV/S.6.



SECRET.

AIR MINISTRY,  
LONDON, W.C.2.

21<sup>st</sup> June, 1927.

Sir,

I am commanded by the Air Council to refer to No 12. your letter of the 2nd instant (48004/49/27) from which they note that Mr. Secretary Amery concurs generally with the Resident at Aden that it would be most undesirable to bomb Sanaa except as a last resort.

The Air Council note with some surprise that General Stewart holds this opinion, as it was the view of Sir Gilbert Clayton (at the Chiefs of Staff meeting of the 3rd November, 1925) that the bombing of Sanaa might have a great effect. They are, however, prepared to accept the view of Mr. Secretary Amery and, in the hypothetical event of any active operations being required against the Imam, to modify their scheme of action accordingly, at all events until the effect of bombing other objectives has been ascertained. The Air Council, however, desire me to say that should it become necessary to bomb Sanaa as a last resort, the result cannot be expected to be as effective as if that town had been bombed in the first instance.

A copy of this letter is being sent to the Foreign Office.

وثيقة سرية بريطانية من وثائق الأرشيف البريطاني عن اليمن في المجلد السابع ص ١٩١، مؤرخة بتاريخ يونيو ١٩٢٧م، توضح طلب المندوب السامي البريطاني في عدن، الجنرال ستيفارت من وزارة الطيران البريطانية في لندن قصف مدينة صنعاء، كإجراء أخير فيما لو رفض الإمام يحيى سحب قواته من المناطق التي احتلها في جنوب اليمن



لقد برهنت الأحداث للإمام أن تطلعاته نحو الجنوب تصطم بفيديو دولي لا قبل له بمواجهته وجها لوجه، ولقد أكد الكثير من المفكرين والمؤرخين المنصفين على زخم الطموحات الإمامية في انتزاع جنوب اليمن من براثن الإنكليز، ومنهم عبدالعزيز الثعالبي الذي سجل ملاحظاته عند زيارته لليمن في عشرينيات القرن الماضي بقوله: «ولولا انضمام الطائرات الإنجليزية لبلغت عساكر الإمام يحيى إلى أطراف عدن، فالشجاعة مهما كانت لا تستطيع أن تكافح وحدها قوة الطائرات»<sup>(١٠٦)</sup>، مما اضطر الإمام يحيى للجوء إلى سياسة فن الممكن بالتوائم مع قدراته المتاحة في ذلك الظرف بالهاودة، والمناورة، والتكتيك، والنفس الطويل، كسبا للوقت عسى أن تبرز معطيات جديدة تساعده على إعادة ترتيب أوراقه المبعثرة، مع عدم التسليم أو الرضوخ للإنجليز بانتزاع أى حقوق لهم في الجنوب. وما كان من الإمام يحيى عقب هذه التطورات إلا أن أرسل خطاب تذرر إلى حاكم عدن، يشكو فيه من الدمار الذى ألحقته الطائرات ببلاده، فكان الرد البريطانى أن الهدف من بعثة كليتون كان إصلاح أوضاع لم يكن بالإمكان التسامح بشأنها، وأن حماس بريطانيا لاستئناف المفاوضات حتم علينا إزالة كل الأسباب المؤدية إلى عدم الاتفاق، ومنها تواجد قواتكم فى أجزاء من المحميات ضد رغبة أهاليها، مثل العوذلى ويافع<sup>(١٠٧)</sup>.

وبالعودة إلى الوثائق البريطانية نستطيع أن نتلمس سياسة المناورة التى اتبعتها الإمام يحيى فى تعامله مع بريطانيا فى مرحلة ما بعد قصفه بالطائرات، وبعد قضائه على حركة الزرائيق، حيث تحذر هذه الوثائق من اللغة الهلامية المبهمة التى يتقنها الإمام عند تعامله مع بريطانيا<sup>(١٠٨)</sup>، يقول المندوب السامى فى عدن فى رسالة بعثها إلى وزارة شؤون المستعمرات البريطانية بتاريخ ٢٩ يناير عام ١٩٣٠م: «إن اتصالات الإمام الأخيرة معنا يكتنفها الغموض، ويظهر منها أنه غير مستعد للتوقيع على معاهدة سياسية معنا، بقدر ما هو مهتم بالحفاظ على علاقات سلمية، والسؤال الذى يطرح نفسه: هل تلهفه للسلام من الجدية بمكان، بحيث يمنع من الاعتداءات والمؤامرات الماكرة من طرفه مستقبلا. ومن الواضح أن قبوله للوضع الراهن على الحدود كان بسبب عمليات قصفنا له بالطائرات، ولكن من الأجدر بنا أن ننتزع منه إفادة رسمية أو بيان صريح لنواياه الحسنة إن كان صادقا فيها من أجل إيجاد أرضية للتواصل المنتظم التام بيننا»<sup>(١٠٩)</sup>.

ويبرز وثيقة أخرى من الوثائق البريطانية المتعلقة بقضايا المستعمرات في منطقة الشرق الأوسط، يظهر لنا جليا سياسة التكتيك الجديد الذي انتهجه الإمام يحيى في هذه المرحلة، كأداة مهمة في الضغط على الإنكليز، حيث تسلط هذه الوثيقة الضوء على سحق البرلمان البريطاني ونقده للسياسة الخارجية البريطانية تجاه الإمام، والتي دفعته إلى إغلاق كل المنافذ والأبواب الاقتصادية لبلاده في وجه الإنكليز، مما أدى إلى خسارتهم لكافة الامتيازات التجارية والفرص الاقتصادية المتاحة التي كانوا يحملون بها<sup>(١١١)</sup>، مقابل فتح الإمام يحيى أبواب اليمن الاقتصادية على مصراعيها لقوى منافسة لبريطانيا، كإيطاليا والاتحاد السوفياتي الذي وقع معه الإمام يحيى اتفاقية صناعاء في نوفمبر عام ١٩٢٨م، والتي أعطت اليمن قوة ضغط جديدة تسانده على حفظ التوازن السياسي والاقتصادي في مواجهة التسلط البريطاني.

لقد كانت اتفاقية نوفمبر، التي عقدها الإمام يحيى مع الاتحاد السوفياتي في عام ١٩٢٨م أول علاقة سياسية تنظم التبادل التجاري والسياسي بين الاتحاد السوفياتي وبلدان الشرق الأوسط الخاضع للنفوذ البريطاني، مما شكل رسالة سياسية إلى بريطانيا من أن الإمام يستطيع الخروج من حلقة الضغط البريطانية التي كانت تشكل عن طريق عدن ٩٠٪ من تجارة الصادر والوارد إلى مملكة الإمام يحيى<sup>(١١٢)</sup>. وقد فهمت بريطانيا الرسالة مع بدء قدوم البواخر الروسية من أوديسا في البحر الأسود إلى الخليج العربي، ومرورها بالحديدة في ذهابها وإيابها لتتنقل البضائع والحجاج بأثمان بخسة لا تزام، وتعود من الحديدة ملأى بالجلود والبن، مما ضرب السفن التجارية المحسوبة على بريطانيا<sup>(١١٣)</sup>، وأغلق باب احتكار ميناء عدن للتجارة في البحر الأحمر.

لقد كان من ثمرة اتفاقية الإمام يحيى مع الاتحاد السوفياتي في عام ١٩٢٨م، أن فتحت المكاتب التجارية السوفياتية في زبيد، وباجل، واللحية، والحديدة، وصنعاء، مما أنعش التبادل التجاري بين البلدين<sup>(١١٤)</sup>، إلى درجة تفكير السوفييات جديا في جعل مدينة الحديدة مركزهم الرئيس لتوسيع التجارة السوفياتية في البحر الأحمر، خاصة مع افتتاح الكثير من الشركات الأوروبية مراكز لها في الحديدة<sup>(١١٥)</sup>. ولم تقتصر النشاطات الروسية في جانبها التجاري، بل قاموا بافتتاح الكثير من المراكز الصحية والمستوصفات الخيرية في كل من صنعاء والحديدة، مما حدا بالسلطات الإيطالية الطلب من الإمام بالسماح لهم بافتتاح المستشفيات الخيرية كذلك، خشية المنافسة من الروس<sup>(١١٦)</sup>.

وتوضح الوثائق البريطانية حجم الواردات السوفياتية إلى اليمن لعام ١٩٣٢م، بالمقارنة مع الواردات من البلدان الأخرى بالتالي:

- السكر ٣١ ٪ من كافة واردات اليمن.

- الدقيق ٥٠ ٪ من كافة واردات اليمن.

- الكيروسين ٦٢ ٪ من كافة واردات اليمن.

- الكبريت ٢٧ ٪ من كافة واردات اليمن.

- النسيج ٣,٥ ٪ من كافة واردات اليمن.

- النثریات من الصابون، والأسمنت، والأخشاب، والنشا، والبورسلان، والعوازل ٨٠ ٪<sup>(١١٦)</sup>.

وفي خطوة أخرى متقدمة قام الإمام يحيى بمحاولة شراء زورق مسلح من إيطاليا<sup>(١١٧)</sup>، وقدم طلبية أخرى لشراء ٤ سفن بهدف تسليحها، لبسط سلطته على الجزر اليمنية<sup>(١١٨)</sup>، ثم قدم طلبية أخرى لشراء ٣ دبابات، لتعزيز قدراته العسكرية<sup>(١١٩)</sup>، إلا أن إيطاليا ترددت في تزويده بهذه الطلبات، فعوضته ببناء أول قوة جوية يمنية بعد شراء الإمام ٦ طائرات حربية منهم<sup>(١٢٠)</sup>. وتم قبول بعثة للطلاب اليمنيين لدراسة الطيران في إيطاليا، وافتتحت مدرسة لتعليم الطيران في اليمن، إلا أن عدم مصداقية إيطاليا في المعاونة بسبب مقاصدها الاستعمارية البعيدة المدى تسبب في تعثر هذه المشاريع، حيث إنها لم تجلب سوى طائرات معرضة للخلل، والتي سقط منها العدد الكثير<sup>(١٢١)</sup>، مما دفع الإمام إلى رفض دفع باقى المبالغ المترتبة على صفقة الطائرات وقدرها مليون ليرة إيطالية<sup>(١٢٢)</sup>، واستعاض الإمام بشراء طائرتين من ألمانيا<sup>(١٢٣)</sup>. أما مصنع الذخيرة الذى تعاقدها الإمام مع الطليان لبنائه في صنعاء، فقد رفض الإمام يحيى استلام أجزائه بعدما أن اكتشف تلفه، وعدم صلاحيته قبل نقل أجزائه إلى صنعاء<sup>(١٢٤)</sup>.

يقول المبعوث السوفياتى إلى اليمن استاخوف انكارين في مذكراته التى كتبها بعد عودته إلى بلاده: «إن الإمام يحيى اقتنع من خلال تجربته مع الإيطاليين، بأنهم مستعدون لخداعه في كل خطوة، وتوزيع كل بضاعة رديئة بمبالغ ضخمة، وهكذا حلقت طائرة واحدة لبعض الوقت، أما بقية الطائرات فلم يكن بالمقدور حتى تشغيلها، كما أرسل الإيطاليون بنادق من عهد الحرب الإيطالية الحبشية مقابل سعر باهظ، وباعوا عليه سيارات قديمة غير صالحة، إلى درجة أصبحت كلمة بضاعة إيطالية في اليمن تعنى كل ما هو ردىء»<sup>(١٢٥)</sup>.

أما نزيه مؤيد العظم، فقد شاهد بأعينه معاناة الإمام يحيى مع الإيطاليين وسوء نيتهم، حيث رأى بعثة من الأخصائيين الميكانيكيين الإيطاليين وهم يركبون معملا ميكانيكيا باعته إيطاليا إلى اليمن بثمن باهظ وهو في حالة تالفة، يحتاج إلى ترميمات كلفت خزينة الدولة مئات الألوف لإصلاحه، هذا غير المضخات الميكانيكية التي ركبها المهندسون الإيطاليون لسحب المياه من الينابيع بطريقة يرثى لها<sup>(١٢٦)</sup>

والحقيقة إن مشروع الطيران وغيره من المشاريع الصناعية التي عول الإمام كثيرا على إيطاليا لإنجازها، إنما يدل على تفتح مبكر قياسا على ذلك الزمان، خلافا لما شيعه بعضهم من كتاب الرأى زورا وبهتانا من صورة سلبية للإمام يحيى، عمادها محاربهه للعلم والتقنية، وحرصه على إبقاء اليمن فى دائرة الظلمات والتخلف، إلا أن المناخ السياسى السائد فى ذلك العصر الاستعمارى، وما نتج عنه من معطيات وإفرازات على أرض الواقع، كان فى غير صالح الإمام يحيى، وأكبر من قدرته على التجاوز أو الامتصاص، إضافة إلى أن حداثة التجربة فى العشرينيات من القرن الماضى على مستوى العالم العربى والإسلامى ودول العالم الثالث، وانعدام الإرث التنموى والناصية والأمثلة والسوابق التى يمكن الاحتذاء بها أو الاستفادة منها فى اليمن، وانعدام أهل الاختصاص والظهير المعنوى فى مثل هذه المسائل الفنية التى احتكرها الغرب، مكن إيطاليا من تمرير صفقة الطائرات الملقومة وغيرها من البضائع التالفة، إضافة إلى أن تجربة اليمن مع الطيران والتقنية ابتدأت من الصفر وما دون الصفر، واتسمت بالنزعة التجريبية القائمة على التعلم من الأخطاء، مما يجعلنا نتفهم سبب تعثر هذه المشاريع الجبارة فى مراحل النشأة والتأسيس.

وبدايات الأشياء عادة ما تكون ضعيفة وملتبسة حتى يشتد عودها، والتعثر وارد فى كل تجربة تبدأ من دون الصفر. والتنمية حتى تأتى أكلها تتطلب أجيالا من الخبرة المتوارثة، والتجربة التاريخية المتراكمة، وهذا ما لم يكن متاحا للإمام يحيى. أما إيطاليا فلم يكن من مصلحتها تدعيم قوات الإمام يحيى إلا بالقدر الذى يضمن مصالحها فى السيطرة على الشواطئ الجنوبية من صفتى البحر الأحمر، وعدم تهديد توازن القوى الذى تريده فى المنطقة، شأنهم فى ذلك شأن كل القوى الغربية المتربصة بالإسلام والمسلمين، وما تجربة محمد على باشا فى بداية القرن التاسع عشر ببعيدة عن الأذهان، عندما اصطدمت طموحاته بمخططات القوى الكبرى التى أجهضت مشروعه، وفككت مصانعه، وحطمت

أسطوله في موقعة نفارين بعد عقود من البناء، وأستشهد في هذا السياق بما أوردته الوثائق البريطانية من أقوال ماكرة صرح بها الجنرال الإيطالي كاسباريني،

الذى عقد معاهدة الصداقة اليمنية الإيطالية مع الإمام يحيى عام ١٩٢٦م، حيث صرح خلال اجتماعه في يناير عام ١٩٢٧م مع السير جلبرت كلايتون المندوب البريطانى فى مفاوضات روما، الهادفة إلى التوصل لتفاهم إيطالى بريطانى حول اليمن بقوله: «إن العالم الإسلامى قاطبة لا يثق ببريطانيا، فحتى تتمكن بريطانيا من التقدم فى المنطقة يلزمها حصان تستخدمه كمصيدة لتحقيق أغراضها، وإيطاليا مستعدة للعب هذا الدور فى البحر الأحمر، وخاصة مع الإمام يحيى، الفريد من نوعه، الذى لم يمكن بريطانيا من تحقيق أغراضها، واستطاع أن يؤسس حكمه فى اليمن بدون الاستعانة بأى قوى أوروبية، وبالتالي فإن اختراق الإمام ونيل ثقته عن طريق ما تقدمه إيطاليا له من تسهيلات وتجهيزات مهم جدا لنا كبريطانيين وإيطاليين، فيما لو وقعنا اتفاقية تفاهم سرية تحفظ مصالح الدولتين<sup>(١٢٧)</sup>». وفى الاجتماع نفسه أبلغ المندوب البريطانى نظيره الإيطالى عن حتمية قصف بريطانيا لقوات الإمام بالطائرات فى القريب العاجل، لمنع الإمام من سياسة القضم والتمدد التدريجى المتواصل، والتي يتبعها فى محميات الجنوب<sup>(١٢٨)</sup>.

وكان من ثمرة هذا الاجتماع فى روما، أن اتفق الطرفان على امتناع إيطاليا عن تقديم أى دعم للإمام يحيى يتضمن تغيير موازين القوى أو تعزيز لسياسة الامام يحيى العدائية تجاه بريطانيا، وأن يتم تقاسم النفوذ بين بريطانيا وإيطاليا من خلال مذكرة تفاهم، عمادها اعتراف إيطاليا بالمصالح البريطانية الاستراتيجية فى المنطقة، وخاصة البحر الأحمر، واقتصار المصالح الإيطالية على النواحي التجارية فقط<sup>(١٢٩)</sup>. ويدل هذا على أن التفاهم البريطانى الإيطالى فى اجتماع روما كان على حساب اليمن وتطلعاته، وهذا ما يفسر تعمد إيطاليا بيع اليمن اسلحة فاسدة ومعامل وأدوات ميكانيكية رديئة بأثمان باهضة<sup>(١٣٠)</sup>، مستغلة الحصار البريطانى على اليمن، وحاجة الإمام الملحة لتعزيز قدراته الاقتصادية والعسكرية، واضطراره إلى الإنفاق أضعافا مضاعفة لكسر المحدقات البريطانية.

وبالرغم من فشل تجربة الطيران، وتعثر المشاريع الاقتصادية نتيجة التآمر الإيطالى، أو بالأحرى تعاقد الضعيف مع القوى، إلا أن ذلك لا ينفى طموح الإمام يحيى وتطلعاته نحو تطوير البلاد، والخروج من ربقة الضعف فى مواجهة التسلط البريطانى، والسعى بكل

ما فى طاقته لتوحيد اليمن الكبرى وتحصينه من الاعتداءات الخارجية، فبعد أن خذلتها إيطاليا بدأ يتواصل مع ممثلين لشركات أمريكية خاصة للتفاوض حول شراء طائرات أمريكية جديدة<sup>(١٣١)</sup>، إلا أن بريطانيا كانت بالمرصاد لأى محاولة اتصال يقوم بها الإمام مع الشركات الأمريكية، حيث بعثت وزارة المستعمرات البريطانية إلى السفارة الأمريكية فى عدن خطابا تحذيريا بتاريخ ١٠ مارس ١٩٢٧م تبلغ فيه رفض بريطانيا المطلق تزويد حكومة الإمام بأية معدات حربية<sup>(١٣٢)</sup>.

وبالرغم من خروج قوات الإمام من المحميات تحت ضغط الطائرات البريطانية، مما أعاد الحدود بين الإمام وبريطانيا إلى سابق عهدها على ما كانت عليه إبان الحكم العثماني، إلا أن ذلك لم يعن الوصول إلى حالة من الاستقرار بين الطرفين، فقد ظل التجاذب فى المفاوضات بين الطرفين ما بين عام ١٩٢٨م حتى ١٩٣١م دون تحقيق أى نتيجة تذكر، بل تخلل تلك المفاوضات انتهاكات حدودية من قبل الإمام، حينما قامت قواته باحتلال جزء من إقليم العوذلى مرة أخرى عام ١٩٣١م، بعد أن كان قد خرج منه عام ١٩٢٨م<sup>(١٣٣)</sup>.

#### مرحلة الهدوء وسلوك طريق المفاوضات ١٩٣١م - ١٩٣٤م:

بالرغم من استمرار حالة التوتر بين الإمام يحيى وبريطانيا بسبب عدم الوصول إلى اتفاق نهائى ينهى النزاع بينهما، إلا أن الطرفين كانا فى حاجة إلى فترة هدوء، فبريطانيا كان جل اهتمامها فى هذه المرحلة الا يثير الإمام متاعب لها فى المحميات بعد أن حققت مبتغاها فى انسحاب قواته إلى مناطق الحدود المنفق عليها مع تركيا، ولم يكن من صالح الإنكليز التوسع فى الحروب مع الإمام، لأن ذلك سيثير ضدها باقى الدول الأوروبية المنافسة ذات المصالح فى هذا الإقليم<sup>(١٣٤)</sup>، والتي بدأ الإمام يتوسع فى عقد علاقات سياسية وتجارية معها، وخاصة إيطاليا والاتحاد السوفياتى وغيرها من الدول الأوروبية، مثل هولندا التى عقد معها معاهدة صداقة وتجارة فى يونيو من عام ١٩٣٣م<sup>(١٣٥)</sup>.

أما الإمام يحيى فقد كان أيضا فى حاجة إلى فترة هدوء فى جبهته الجنوبية مع بريطانيا، بسبب الظرف الجديد الذى بدأ يواجهه، والمتعلق بالنزاع الحدودى مع الدولة السعودية منذ دخول باقى أراضى تهامة وعسير التابعة للإديسى فى حوزة الدولة السعودية فى أكتوبر عام ١٩٢٦م<sup>(١٣٦)</sup>، مما أدى بدوره إلى مواجهة الإمام يحيى فكى كماشة، أحد أضلاعها الإنكليز فى الجنوب، والأخرى ابن سعود فى الشمال، وإزاء هذه الظروف حاول

الإمام يحيى المهاددة بتعليق الأوضاع مع كافة الأطراف، إلى حين حادثة دخول نجله سيف الإسلام أحمد بن يحيى حميد الدين إلى نجران في عام ١٩٣٣م<sup>(١٣٧)</sup>،

والتي تسببت في اشتعال الموقف بين الدولتين السعودية واليمنية، مما اضطر الإمام يحيى إلى تخفيف غلوائه مع الإنكليز، وعدم الميل إلى مواجهتهم في مصادمات جديدة، إلى حين يتفرغ من ترتيب أوضاعه الحدودية مع العاهل السعودي. وقد استمر الإمام يحيى في خوض المفاوضات الطويلة مع الإنكليز، كسبا للوقت وهو يدرك أنها لن تسفر عن شيء يذكر.

كان لاتساع الهامش السعودي للتحرك أكبر الأثر في ظهور علامات المواجهة المسلحة السعودية اليمنية على الحدود، حيث إن الملك عبد العزيز كان قد سبق الإمام يحيى في تسوية نزاعاته الحدودية مع بريطانيا بعقد اتفاقية جدة عام ١٩٢٧م<sup>(١٣٨)</sup>، والتي مكنته من حماية ظهره، للتفرغ لمنازلة الثورات الداخلية المتمثلة في حركة الإخوان بقيادة فيصل الدويش، وحركة فرحان بن مشهور في الأحساء عام ١٩٢٩م، وابن رفاة في شمال الحجاز عام ١٩٣٢م<sup>(١٣٩)</sup>، في حين أن الإمام يحيى كان محشورا بين جبهتين شمالية سعودية، وجنوبية إنكليزية، وليس من الحكمة مواجهتهما في آن واحد، وإلا فإنه الانتحار السياسي، ناهيك عن خطر المؤامرات الداخلية التي كان يغذيها الإنجليز بالمال والسلاح، وحينها أدركت بريطانيا الموقف الصعب الذي يواجهه الإمام، فاقتنصت الفرصة للضغط على الإمام يحيى، ولم يسمحوا له بالمطالبة في المفاوضات معهم، كسبا للوقت كما هي عادته، بل شددوا عليه في هذا الظرف بالذات للقبول بالعروض البريطانية، إلى درجة أن جاءت التعليمات في ١١ سبتمبر من عام ١٩٣٣م من وزارة شؤون المستعمرات البريطانية إلى برنارد رايلي، الحاكم البريطاني في عدن، بأن يذهب بنفسه إلى صنعاء لمقابلة الإمام يحيى شخصيا، وتسليمه إنذارا بريطانيا يبلغ فيه أن الحكومة البريطانية لن تتسامح معه بعد الآن تحت أى ظرف، إن لم يوقع اتفاقية تنهى مشاكل الحدود مع المحميات، ويسحب قواته من كافة الأراضي المتبقية التي لم ينسحب منها بعد، وخاصة إقليم العوذلى، وأنه أن عاند ورفض، فإن سلاح الطيران البريطاني سوف يقصف عموم مناطق اليمن التي يحكمها، وليس فقط المناطق التي تحتلها قواته<sup>(١٤٠)</sup>. فعلا وصل برنارد رايلي على رأس وفد بريطاني إلى صنعاء في يوم ١٨ ديسمبر من عام ١٩٣٣م<sup>(١٤١)</sup>، وبقي

متسما فيها للمفاوضات حتى يوم ١٢ فبراير<sup>(١٤٢)</sup>، أى قرابة الشهرين، بالتزامن مع احتقان الموقف السعودي اليمنى على الحدود، قبل انفجار الحرب بينهما فى ٥ أبريل، مما وفر لرئيس الوفد البريطانى برنارد رايلى الفرصة الذهبية لتهديد مندوب الإمام فى المفاوضات من العواقب الخطيرة المترتبة على فشل المفاوضات<sup>(١٤٣)</sup>.

والذى نريد أن نصل إليه هنا، أن الإمام لم يجد بدا من حماية ظهره قبل التصادم مع الدولة السعودية، فاضطر اضطرارا لأن ينحنى أمام العاصفة مؤقتا، دون أن ينتهك صميم المبدأ المتعلق بعدم التفريط بذرة من تراب الجنوب، فوقع تحت تهديد الضغط البريطانى اتفاقية صنعاء فى ١١ فبراير عام ١٩٣٤م، متحملا عبء هذا القرار لصالح اليمن، بهدف تنظيم العلاقة مؤقتا مع الإنكليز، والحفاظ على الوضع الراهن على الحدود لمدة ٤٠ عاما، مع تأجيل البت فى مسألة حسم الحدود إلى حين عقد مفاوضات تعقد بين الطرفين قبل انتهاء مدة هذه الاتفاقية<sup>(١٤٤)</sup>. ومن الواضح أن تأجيل البت فى الحدود يفند دعاوى المزايدىن الذين اتهموا الإمام يحيى بالتفريط فى الحقوق التاريخية لليمن فى الجنوب، لأن الإمام يحيى بالرغم من توقيعه الاتفاقية مع الإنكليز بسبب الظروف القسرية القاهرة، إلا أنه رفض أن تحسم بريطانيا مسألة الحدود حسما نهائيا، واحتفظ بالحقوق القانونية لبلاده وللأجيال القادمة فى المطالبة بأراضى الجنوب ولو بعد حين، وقد تقضى السياسة لما نكره طلبا لما نحب.

### بنود المعاهدة البريطانية اليمنية المسماة باتفاقية صنعاء:

#### المقدمة:

بما أن لجلالة ملك بريطانيا العظمى وإيرلندا والممالك البريطانية خلف البحار وقيصر الهند من جهة، ولجلالة ملك اليمن، حضرة الإمام من الجهة الأخرى رغبة فى الوصول إلى معاهدة على أساس الصداقة والتعاون لمنفعة الفريقين، قد قررا عقد هذه المعاهدة، وعينا بصفة المندوبين المفوضين: عن بريطانيا حضرة صاحب السعادة، اللفتننت الكولونيل برنارد راودون رايلى، وعن اليمن حضرة صاحب السعادة القاضى محمد راغب، اللذان بعد تبليغ أوراق تفويضهما وتحقيق صحتها على شكل حسن، اتفقا على ما يأتى:



## المادة الأولى:

يعترف جلالة ملك بريطانيا العظمى وإيرلندا والممالك البريطانية خلف البحار وقيصر الهند باستقلال جلالة ملك اليمن حضرة الإمام ومملكته استقلالاً كاملاً مطلقاً في جميع الأمور مهما كان نوعها.

## المادة الثانية:

يسود السلم والصداقة بين الفريقين المتعاهدين الساميين، اللذين يتعهدان بالمحافظة على حسن العلاقات بينهما من كل الوجوه.

## المادة الثالثة:

يؤجل البت في مسألة الحدود الجنوبية اليمنية إلى أن تتم مفاوضات تجرى بينهما قبل انتهاء مدة هذه المعاهدة، بما يتراضى الفريقان المتعاهدان الساميان عليه بصورة ودية وباتفاق كامل، بدون إحداث أى منازعة أو مخالفة. وإلى أن تتم المفاوضات المشار إليها فى الفقرة السالفة الذكر، فالفريقان المتعاهدان الساميان يقبلان أن تبقى الحالة الحاضرة فيما يتعلق بالحدود فى تاريخ التوقيع على هذه المعاهدة. ويتعهد الفريقان المتعاهدان الساميان أن يمنعا بكل ما لديهما من الوسائل أى تعد من قواتهما فى الحدود المذكورة، وأى تدخل من أتباعهما أو من جانبهما فى تلك الحدود فى شؤون الأهالى القاطنين فى الجانب الآخر من الحدود.

## المادة الرابعة:

سيعقد الفريقان المتعاهدان الساميان بعد العمل بالمعاهدة الحاضرة ما يلزم من المعاهدات لتنظيم الأمور التجارية والاقتصادية على أساس المبادئ الدولية العامة، مع التراضى والموافقة بينهما.

## المادة الخامسة:

أ - رعايا كل من الفريقين الساميين الذين يقصدون التجارة فى بلاد الفريق الآخر، يكونون تابعين للقوانين والأحكام المحلية، ويتمتعون بالمعاملة نفسها التى يتمتع بها رعايا الدولة الأكثر رعاية.

- ب - كذلك سفن كل من الفريقين المتعاهدين الساميين وشحناتها في موانئ بلاد الفريق الآخر بالمعاملة نفسها التي تتمتع بها سفن الدولة الأكثر رعاية وشحناتها.
- ج - لفظة بلاد في هذه المعاهدة ينبغي أن يعد معناها مملكة بريطانيا العظمى المتحدة، وإيرلندا الشمالية، والهند، وجميع مستعمرات جلالته، والبلاد المحمية، وجميع البلاد المنتدب عليها من قبل حكومة جلالته في المملكة المتحدة.
- د - لفظة رعايا ينبغي أن يعد معناها جميع رعايا جلالته أينما سكنوا، وجميع أهالي البلاد التي تحت حماية جلالته، وكذلك جميع الشركات المؤسسة في أى بلد من بلاد جلالته تعد من رعايا جلالته.
- هـ - لفظة سفن ينبغي أن يعد معناها جميع السفن التجارية المسجلة في أى بلد من بلاد اتحاد الشعوب البريطانية.

#### المادة السادسة:

هذه المعاهدة تكون أساسا لكل ما يكون الاتفاق عليه من المعاهدات المتتابعة بين الفريقين المتعاهدين الساميين حاليا ومستقبلا، بقصد تقوية الود والصداقة. ويتعهد الفريقان المتعاهدان الساميان بعدم تقديم المساعدة لأى عمل موجه ضد الود والصداقة المخلصة القائمة بينهما أو التستر عليه.

#### المادة السابعة:

يصدق على هذه المعاهدة بأسرع وقت ممكن بعد التوقيع، وتتبادل وثائق التصديق في صنعاء، ويعمل بها من تاريخ تبادل التصديق، وتبقى معمولا بها لمدة أربعين سنة. وتقريرا لذلك وقع المندوبان المفوضان المشار إليهما إمضاءهما على المعاهدة الحاضرة، وقد كتبت هذه المعاهدة من نسختين باللغتين الإنجليزية والعربية، وإذا نشأت شكوك في تفسير شيء من هذه المواد، فالفريقان المتعاهدان الساميان يعتمدان النص العربى.

حررت في صنعاء اليمن في يوم ٢٦ من شهر شوال سنة ١٣٥٢م، الموافق ١١ فبراير سنة ١٩٣٤م<sup>(١٤٥)</sup>.

وبالنظر إلى هذه الاتفاقية وتزامنها مع سير الأحداث على الأرض، نتلمس بعض النقاط التي لم تأخذ حيزا مهما من النقاش والتفكير، فلو سألنا أنفسنا: أى مستقبل كان ينتظر

اليمن فيما لو رفض الإمام يحيى التوقيع على هذه الاتفاقية، لأدركنا حكمة الإمام في التعامل مع هذا الحدث، فغير خاف على أحد أن توقيت توقيع هذه الاتفاقية كان مترامنا مع قرع طبول الحرب في الحدود الشمالية، أى قبل سبعة أسابيع فقط من اندلاع الحرب السعودية اليمنية.

ومعلوم أن أكثر مشايخ اليمن الأسفل وساحل تهامة، كان لهم اتصالات مشبوهة مع الإنكليز، ويتطلعون إلى تأسيس إمارات خاصة بهم تحت الحماية البريطانية، مما جعلهم يتربصون الدوائر بدولة الإمام<sup>(١٤٦)</sup>. وما من فرصة ذهبية لهم أفضل من جبهتين محددتين بالإمام في حدوده الشمالية والجنوبية، مما يعنى تقطيع أوصال اليمن بين جيرانه أو تشظيه على أقل تقدير إلى مشيخات متناحرة على شاكلة محميات الجنوب، وبالتالي فإنه من البديهي لأى حاكم يملك ذرة عقل ودين ويحمل على كتفيه الحد الأدنى من المسؤولية التاريخية، ألا يتردد لحظة فى توقيع مثل هذه الاتفاقية، تجنبا للهلاك فيما لو وقع فى الظروف نفسها التى تعرض لها الإمام يحيى، خاصة مع تهديد الإنكليز له بقصف عموم المدن اليمنية بالطائرات، بما فى ذلك العاصمة صنعاء.

لقد تحمل الإمام يحيى عبء هذا القرار الهائل وتبعاته لصالح اليمن، لأنه ببساطة كان أهون الشرين، وكان استجابة لمقتضيات مصيرية تتعلق بالوجود أو اللوجود، وإلا فهو انتحار سياسى ووطنى. ولا يفوتنا ذكر أن هذه الاتفاقية لم توقع إلا بعد أن صح عن الإمام يحيى العزم والصمود فى مواجهة الإنكليز من عام ١٩١٩م إلى عام ١٩٣٤م، أى ستة عشر عاما من الصلابة تجاه المحاولات البريطانية لفرض اتفاقية قسرية، قبل أن يضطر تحت ضغط الظروف القاهرة إلى توقيع هذا الاتفاق، ناهيك عن أن الإمام يحيى لم يعقد هذه الاتفاقية إلا بعد أن أشبعها بحثا ودراسة مع مستشاريه السياسيين وقادته العسكريين<sup>(١٤٧)</sup>، ولم يكن عقدها قرارا اجتهاديا بعيدا عن شور النخبة السياسية، والفكرية، والعسكرية.

وللرد على أولئك الذين اتهموا الإمام يحيى بالتفريط فى الجنوب على خلفية توقيع هذه الاتفاقية، أقول لهم: إن هذه الاتفاقية لم تكبل العمل الوطنى للإمام يحيى، ولم تسقط دعاويه لاسترداد الجنوب، بقدر ما أجلت البت فى مشكلة الحدود، باستحداث هدنة طويلة الأمد مع الإنكليز، لالتقاط الأنفاس، والتفرغ للجبهة الشمالية، وإلا ما معنى استمرار المواجهات بين الإمام والانكليز بعد توقيع الاتفاقية، سواء فى منطقة حصن الآبار

أو شبوة<sup>(١٤٨)</sup>، حيث قصفت بريطانيا قوات الإمام بالطائرات عام ١٩٣٩م<sup>(١٤٩)</sup>، أو غيرها من المناطق الجنوبية، مثل منطقة الحمراء التي هدده الإنكليز بقصفها إن لم ينسحب منها<sup>(١٥٠)</sup>. وماذا تعنى التقارير التي كان يرسلها صالح جعفر، ممثل المصالح البريطانية لدى بلاط الإمام يحيى، إلى السكرتير السياسي البريطاني في عدن، والتي تشي بمقاصد الإمام يحيى الحقيقية، ومن تلك التقارير تقرير مؤرخ في ٩ نوفمبر من عام ١٩٣٩م، بعد أحداث المواجهة المسلحة بين القوات الإمامية والقوات البريطانية في منطقة شبوة، يقول فيه صالح جعفر: ان المؤامرات الإمامية ضد بريطانيا في الجنوب، ليس سببها موضوع شبوة فحسب، ولكن سببها أمور أخرى تتعلق بطمع حكومة الإمام التي قد أصبحت في قمة الجشع، ولسوف تستمر في هذا الإتجاه طالما ان لديها الآمال للوصول الى مبتهاها، اما سيف الاسلام احمد بن الإمام يحيى فيقول صالح جعفر في تقريره انه قد صرح له اثناء الكثير من الجلسات، انه من الأفضل للحكومة البريطانية ان تسلم محمية عدن الى الحكومة اليمنية في الشمال لأنها قد أصبحت عديمة الجدوى للإنكليز الذين بدأوا يفقدون السيطرة عليها، ويضيف صالح جعفر قائلاً ان تصريحات سيف الاسلام احمد هذه، مثال آخر لا يقل سؤاً عن غيره من الأمثلة التي تشي بمقاصد الامام يحيى في محاولة جلب محمية عدن تحت سيطرته<sup>(١٥١)</sup>.

وتقرير آخر مرسل في ٢١ ديسمبر عام ١٩٤٠م، يقول فيه صالح جعفر: «إن الحكومة اليمنية المتمثلة في سيف الاسلام احمد، حتى لو قدمت لها بريطانيا تنازلات في شبوة، فإن هذه الحكومة لن تكتفى بذلك، بل سوف تطالب بكل المحميات، وهي تقوم حالياً بإرسال الجواسيس للحصول على معلومات عن محمية عدن، وتقوم بالتآمر مع بعض المشايخ لنشر الاضطراب والشغب في محمياتنا، وتقوم أيضاً بالحملات الإعلامية المعادية لبريطانيا في الداخل والخارج<sup>(١٥٢)</sup>».

أما إذا حللنا بعض بنود اتفاقية عام ٣٤، فسوف ندرك كيف أن الإمام يحيى على الرغم من ظرفه القاهر الذي اضطره إلى عقد هدنة طويلة الأمد مع الإنكليز، إلا أنه حرص على عدم التفريط في ذرة من تراب اليمن، بما في ذلك الجزر اليمنية النائية، حيث احتوت هذه الاتفاقية على ملحق يتعلق باستعادة اليمن كافة الجزر اليمنية المحتلة من قبل بريطانيا منذ الحرب العالمية الأولى<sup>(١٥٣)</sup>، كجزيرة كمران، وحنيش، وغيرها من الجزر.

وبتحليل المادة الخامسة من هذه الاتفاقية، المتعلقة بتواجد رعايا كل طرف عند الآخر، ندرك عدم تفريط الإمام يحيى فى عزة اليمن وسيادتها، بالرغم من الظروف الضاغطة التى واجه بها الإنكليز. والشائع فى ذلك الزمان الاستعمارى عدم خضوع الرعايا الغربيين وخاصة الإنكليز للمحاكم المحلية، واستعاضة ذلك بالخضوع لمحاكم خاصة لا تخضع لقانون البلاد، خلافا لما سطره الإمام يحيى فى الاتفاقية مع الإنكليز، التى كانت تنص على خضوع الرعايا البريطانيين لقانون بلاده.

وبتحليل المادة السابعة المتعلقة باعتماد النص العربى وليس الإنكليزى، كمرجع لتفسير أى شكوك أو اختلافات فى وجهات النظر تتعلق بينود هذه الاتفاقية، ندرك حس الإمام يحيى الوطنى عند التفاوض مع الإنكليز، وفى الوقت الذى لم يمانع معظم، إن لم يكن كل مجايلى الإمام يحيى من الحكام العرب من اعتماد اللغة الإنكليزية مرجعا فى تفسير اتفاقياتهم المعقودة مع الإنكليز، وجدنا المندوب السامبى الكولونيل رايلى يعلق على حرص الإمام يحيى بقوله: «منذ البدايه توصلت إلى اليقين أن الإمام لا يمكن أن يوافق على الالتزام باتفاقية معتمدة بلغة أجنبية، فحرصه وطبيعة شكوكه، يجعل من المستحيل عليه أن يقوم بذلك، ولا حتى يمكن أن يتأثر بالدعوى التى تقول: إن كثيرا من الحكام العرب قد قاموا بهذه الخطوة<sup>(١٥٤)</sup>».

#### مرحلة الحرب الباردة ١٩٣٤م - ١٩٤٨م:

إن أفضل توصيف لهذه المرحلة يمكن أن نصف به الأوضاع على الجبهة الإمامية البريطانية، هو التحليل الذى أطلقه استاخوف انكارين رئيس البعثة الدبلوماسية الروسية فى اليمن، الذى استشف واستقرأ من خلال تواجده فى اليمن منذ عام ١٩٢٨م مستقبل العلاقة الإمامية البريطانية بقوله: «لو أقدم الإمام يحيى على تنازلات ستزول هيئته إلى غير رجعة، وكذلك السلطة معه، وإذا قرر الحرب، وبعث بالقوات إلى عدن، فإنه سيسقط نتيجة الانهيار العسكرى، وفى كلا الحالتين سيربح العدو الخارجى الماكر وأنصاره فى داخل البلاد، ونتيجة لذلك تكونت صيغة فريدة للعمل تقول بلا تنازل لإنجلترا، ولا تنازل عن مطالبنا، وبقدر الإمكان عدم الانجرار للاستفزاز فى الوقت نفسه، لا دخول فى المعركة، ولا زهاب إلى عدن<sup>(١٥٥)</sup>».

لقد توقع الكثير من المحللين هدوء جبهات المواجهة بين الإمام يحيى والإنكليز بعد عقد اتفاقية عام ١٩٣٤م، إلا أن العلاقات بين بريطانيا واليمن استمرت على قدر من التوتر طيلة عقد الثلاثينيات والأربعينيات، حيث كانت تحدث اشتباكات مسلحة بين الفينة والأخرى<sup>(١٥٦)</sup>.

وتوقع المحللون أيضا اختراقا بريطانيا لليمن بعد عقد هذه الاتفاقية، بجملة من سياسات الاختراق التي يتقنها الإنكليز، ومنها النشاطات السرية لبعثاتها الدبلوماسية، حيث حثت بريطانيا الإمام يحيى على تعيين ممثل سياسى دائما لها فى صنعاء، إلا أن الإمام رفض ذلك، لإدراكه حقيقة النوايا، وخبث المقاصد البريطانية فى ذلك الزمن الاستعمارى. ولم ينس بعد تجربته مع بعثة جيكوب، التى قامت بمهمات تجسسية تحت ستار الابتعاث التفاوضى، ففضل الإمام استعاضة الممثلية الدائمة لبريطانيا فى صنعاء بممثلين بريطانيين يفدون إليه بين الفينة والأخرى من عدن، كلما دعت الحاجة إلى ذلك، بدلا من الاستقرار الدائم لبعثتهم الدبلوماسية فى اليمن<sup>(١٥٧)</sup>.

وكان من نتيجة رفض الإمام يحيى قبول تعيين ممثل دائم لبريطانيا فى صنعاء، أن حاول الإنكليز الاختراق بوسائل أخرى جديدة، حيث طلبوا من الإمام السماح لهم ببناء مدرجات لطائرات وفودهم إليه فى صنعاء والحديدة، إلا أن الإمام اعتذر تحت المبرر، أن ذلك قد يفتح المجال لإيطاليا بالمطالبة بالمثل، مما يشكل خطرا على الأمن الوطنى اليمنى<sup>(١٥٨)</sup>. وحاولت بريطانيا عن طريق الشركات البريطانية الحصول على امتيازات من الإمام للتنقيب عن المعادن، إلا أن ذلك لم يجد نفعا أيضا<sup>(١٥٩)</sup>.

وبالرغم من كل ذلك التحرز الذى ابداه الإمام يحيى، إلا أن بريطانيا لم تعدم الوسيلة لتحقيق اختراقها، حيث استغلّت حاجة الإمام إلى البعثات الطبية البريطانية، فأوفدت أطباء إنكليز بناء على طلبه<sup>(١٦٠)</sup>، واستخدمتهم فى القيام بنشاطات تجسسية ودعائية لمواجهة النشاطات الايطالية كما سأفصل ذلك فى فصول قادمة

أما النجاح المنقطع النظير الذى حققته بريطانيا فى الاختراق، فكان عن طريق دفع العراق الخاضع لنفوذها إلى مغازلة الإمام يحيى، وهذا هو السر فى اهتمام العراق المبكر باليمن<sup>(١٦١)</sup>، حيث رفعت يافطة مشاعر القربى، التى جعلت الإمام يحيى لا يمانع من الاستعانة بإخوانه العراقيين لتدريب الجيش اليمنى، وفى حسابه أن ذلك أسلم له من

المستعمرين الغربيين. فأرسلت بريطانيا البعثة العراقية العسكرية، والتي برهنت الأحداث أنها ما كانت إلا حصان طروادة، دفعته بريطانيا من العراق الخاضع لها لتحقيق مآربها في التآمر على الإمام يحيى، ويكفيها للتدليل على هذه الحقيقة أن نستشهد بالتقارير السرية الاستخبارية التي كان يرسلها رئيس البعثة إسماعيل صفوت إلى وزارة الدفاع العراقية الخاضعة عمليا للحكم البريطاني<sup>(١٦١)</sup>، وإلى الإدارة البريطانية، بالإضافة إلى تسريب بعض الضباط العراقيين، مثل جميل جمال ومحمد حسن تفاصيل الحياة السياسية والعسكرية في رسائل إلى المخبرين البريطانيين<sup>(١٦٢)</sup>. ناهيك عن دور جميل جمال المحورى تحت المظلة البريطانية في انقلاب ابن الوزير عام ٤٨، الذى أودى بحياة الإمام يحيى<sup>(١٦٣)</sup>، وتورطه شخصيا فى اغتيال اثنين من أبناء الإمام يحيى، وهم الحسين والمحسن<sup>(١٦٤)</sup>.

لقد فسر بعضهم عدم انفتاح الإمام يحيى على الغرب عموما والإنكليز خصوصا بعد اتفاقية عام ١٩٣٤م، باتباعه سياسة العزلة التى بموجبها رفض السماح بافتتاح البعثات الدبلوماسية الدائمة لبريطانيا ومثيلاتها من الدول الاستعمارية فى اليمن، ولصده جميع مبادراتها الاقتصادية، وهذا هو العمى السياسى الاستراتيجى بعينه. فإذا عقلنا الحقائق على الأرض بعد اتفاقية عام ٣٤، لعقلنا الأسباب التى دعت الإمام للتحرز، فمن السذاجة بمكان افتراض حسن النية لدى بريطانيا وغيرها من الدول الاستعمارية، وتاريخها طافح بالكذب والخيانة، ونسج المؤامرات فى ذلك الزمان الاستعمارى. فبريطانيا مهما أبدت من حسن النوايا فى ذلك الزمان، إلا أن فيروس التسلط والتآمر على الشعوب ناشب فى دماؤها، ولنا فيما فعلته بريطانيا مع الإمام يحيى بعد توقيع اتفاقية ١٩٣٤م عبرة.

فبالرغم من أن الإمام يحيى كان قد تحرز، درءا للشبهات على أن يكون النص العربى هو الملزم فى الاتفاقية بين الطرفين، حتى لا تقع اليمن فريسة لتفسيرات وتأويلات بريطانيا الخاصة، حيث نصت الاتفاقية على أنه فى حالة وجود التباس فى التفسير والترجمة، تكون النسخة العربية هى المعتمد عليها، إلا أن بريطانيا كعادتها فى نصب الفخاخ والمصائد عن طريق صكوك المعاهدات، رأت أنه من حقها وحدها تفسير بنود هذه الاتفاقية، بما يتناسب مع هواها، وخاصة المادة الثالثة منها، التى فسروا فيها عبارة المحافظة على الوضع الراهن بين البلدين، على أنها متعلقة بخط الحدود الفاصل فقط بين اليمن والمحميات البريطانية، وليس المنطقة داخل الحدود، مما جعل هذه العبارة لاحقا مصدرا للتآمر بين الطرفين طيلة سنوات حكم الإمام يحيى ومن بعده ابنه الإمام أحمد<sup>(١٦٥)</sup>.

وبناء على ذلك، لم تكف أيدى بريطانيا عن تغيير الحقائق على الأرض لفرض امر واقع جديد، بإنشاء الطرقات، والمنشآت، وبناء التحصينات، والتدخل فى شؤون القبائل<sup>(١٦٧)</sup>، وبلغت قمة سخريتها من اتفاقية عام ١٩٣٤م، بأن بدأت فى نسج خيوط مؤامرة لتأسيس دولة اسمتها إمارات الجنوب العربى، يتزعمها سلاطين جنوبيون فى محاولة من بريطانيا لفرض التشطير بين الشمال والجنوب<sup>(١٦٨)</sup>.

وحيث أن الشىء بالشىء يذكر، أجد أنه من المهم بمكان أن أفرد مساحة لمناقشة وتحليل سياسة العزلة التى اتهم الإمام يحيى بممارستها فى سياسته الخارجية، فالواجب الغوص والتعمق فى هذه المسألة، بدلا من أن نأخذها على علاتها، لنخرج بتعميمات وصفية جاهزة أساسها الكليشيهات والقوالب التى صنعها خصوم الإمام يحيى. فأولا يجب أن نعرف ما المقصود بمصطلح العزلة الذى تم رشق الإمام يحيى به؟ إن العزلة كلمة فضفاضة مطاطة غير محددة المدلول، يندرج تحتها الكثير من المعانى، وللأسف فإن خصوم الإمام أساءوا استخدام هذا المصطلح، لدرجة أن يخيل للمرء بأن الإمام يحيى كان منغلقا على نفسه، منكفئا على ذاته، يحمل كراهية عمياء لكل ما هو أجنبى، إلى درجة أن حول اليمن إلى قلعة حجرية منعزلة عن العالم الخارجى، مغلقة الأبواب والنوافذ أمام كل زائر يريد الدخول إلى اليمن.

وثانيا يجب أن نسأل أنفسنا: هل كانت سياسة الإمام التحريزية التى سماها أعداؤه بسياسة العزلة، هل كانت قناعة تامة لدى الإمام، أم أن لذلك صفة ظرفية تأتى انسجاما مع ظروف المرحلة الاستعمارية التى كان فيها العالم الإسلامى قاطبة تحت الخطر الشديد يعانى من خلل العلاقة غير المتكافئة مع الغرب، خاصة بريطانيا وفرنسا اللتين كانت علاقتهما بالمسلمين أشبه ما تكون بعلاقة الذئب المتحفز لالتهام الحمل الوديع الذى لا حول له ولا قوة؟.

وللإجابة عن هذه الأسئلة، يجدر بنا أولا أن نستشهد بشهادات الكثير من النخب الفكرية العربية والرموز الإسلامية، ومنهم من قدم لليمن لزيارة الإمام يحيى، وسجلوا ملاحظاتهم فى الكثير من الكتب والرسائل التاريخية، ومن هؤلاء ابتداء بالرحالة نزيه مؤيد العظم، الذى قام بعدة زيارات إلى اليمن خلال فترة العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضى، ودون فى كتابه (رحلة فى بلاد العربية السعيدة)، كيف أن اليمن كانت



تعج بالوافدين الغربيين من رجال أعمال، وخبراء، ورؤساء لشركات أجنبية، حيث يقول: «لا تمر سنة إلا ونجد في صنعاء مندوبين كثيرين أوفدتهم دول مختلفة وشركات أجنبية، لمفاوضة الإمام في بعض الشؤون السياسية والاقتصادية، وإنني عندما زرت صنعاء في إحدى رحلاتي المتعددة، كانت فيها وفود ألمانية، وأمريكية، وإيطالية، وبريطانية، وروسية<sup>(١٦٩)</sup>، فهل ينسجم قوله ذلك مع دعاوى الانعزال عن العالم الخارجي، الذي حاول خصوم الإمام يحيى إلصاقها به»؟.

أما المجاهد التونسي الثعالبي فدون في كتابه (الرحلة اليمينية) كيف كان الإمام يحيى يرحب، ويحسن استقبال كافة الزوار العرب إلى اليمن بقوله: «كانت المدن التي أنزلها في رأس كل مرحلة تحتفل باستقبالها كما يستقبل الملوك، فقد كانوا يرسلون العساكر والوجهاء والموظفين إلى خارج كل مدينة، ومتى أقبلت يلتفون حولي، ويسيرون بنظام بين أسلحة العساكر يهتفون بأناشيدهم الوطنية، وقع ذلك في ذمار، وفي وعلان، وفي إب، والسياني، وماوية. وعند وصولي ينزلونني دار الحكومة ويجري استقبال يقدم لي فيه الموظفون والوجهاء، ومن الغد أودع بالطريقة نفسها التي استقبلت فيها، وهذا أقل ما أذكر لكم من صنوف تكريم الإمام، وحسن رعايته وتقديره لي في هذه الرحلة<sup>(١٧٠)</sup>، فهل ينسجم هذا الاستقبال الحافل للضيوف العرب مع دعاوى العزلة وكره الإمام يحيى للأجانب حسب زعم أعدائه؟

أما محمد رشيد رضا صاحب المنار، فيقول: «خرج الإمام يحيى حميد الدين من عزلته السياسية التي ورثها عن أسلافه الأئمة السابقين، وعقد مع الدولة الإيطالية معاهدة سياسية اقتصادية، وهو الآن يجلب الأسلحة والذخائر الحربية والطائرات من إيطاليا، بل جلب رجال الطيران أيضا يستخدمهم في تعليم الطيران وغيره، مما يرى حكومته محتاجه إليه<sup>(١٧١)</sup>. أما إذا عدنا إلى جملة الاتفاقيات التجارية والمعاهدات السياسية التي وقعتها حكومة الإمام يحيى مع الكثير من الدول، فلا نترك مجالاً للشك في تفاعل اليمن وتواصله مع العالم الخارجي، ومن تلك الاتفاقيات، اتفاقية عام ١٩٢٦م مع إيطاليا، ثم اتفاقية عام ١٩٢٨م مع الاتحاد السوفياتي، ثم اتفاقية عام ١٩٣١م مع الحكومة العراقية<sup>(١٧٢)</sup>، ثم اتفاقية عام ١٩٣٣م مع هولندا، ثم اتفاقية عام ١٩٣٥م مع أثيوبيا، ثم اتفاقية عام ١٩٣٦م مع كل من فرنسا وبلجيكا<sup>(١٧٣)</sup>، ثم ميثاق التحالف العراقي اليمني السعودي عام ١٩٣٦م، ثم اتفاقية عام ١٩٤٦م مع مصر<sup>(١٧٤)</sup>، ثم اتفاقية عام ١٩٤٦م مع الولايات المتحدة الأمريكية<sup>(١٧٥)</sup>.

إضافة إلى أن الاتهامات الموجهة للإمام يحيى بعزل اليمن عن العالم الخارجي، لا تتوازي مع حقيقة السعي الحثيث والتهافت الذي كان يبديه الإمام يحيى لنسج علاقات مع الدول الكبرى، وهي تصده المرة تلو الأخرى، حرصا على عدم إغضاب بريطانيا، الحريصة على إبقائه محاصرا تحت نظرها، ومن تلك الدول التي كانت تتحاشى شبك علاقة مع الإمام يحيى، حرصا على عدم استفزاز مشاعر الحكومة البريطانية، ألمانيا التي بدأ الإمام يحيى اتصالاته معها منذ فبراير عام ١٩٢٧م، بهدف عقد معاهدة صداقة وتجارة، عندما أرسل رسالة إلى الرئيس الألماني المارشال فون هندنبرج، ووزارة الخارجية الألمانية تماطل وتتردد طويلا في الرد على رسالته، باعتبار أن الرد نفسه سيعيد اعترافا رسميا بالإمام بوصفه رئيس دولة، وهذا أمر كان يبدو غير مناسب لألمانيا في ظل اضطراب علاقة الإمام يحيى بالإنجليز، وما كان من ألمانيا إلا أن وجدت حلا بإرسال رسائل الإمام يحيى إلى وزارة الخارجية البريطانية تطلب فيها استيضاحات حول موقف الحكومة البريطانية من إمكانية عقد معاهدة مع اليمن، إلا أن الإمام يحيى لم يعرف اليأس، واستمر لسنوات وهو يحاول ويوسط الدول الصديقة، ومنها الاتحاد السوفياتي، وحكومة ألمانيا محرجة تتعذر بالانشغال، وعدم توفر الشخص المناسب الذي يستطيع السفر إلى اليمن للتفاوض، إلى أن وافقت الحكومة الألمانية أخيرا في عام ١٩٣٠م على إرسال ممثلها الدكتور بروفر للتفاوض مع حكومة اليمن، إلا أن ثمرة التفاوض كانت مخيبة للأمال، عندما لخص بروفر لحكومته الحالة بقوله: إن القبول بعمل اتفاقية مع الإمام يحيى، سيترتب عليه نتائج سلبية متمثلة في قبول خضوع الألمان المرزى للقضاء والقوانين اليمنية، إضافة إلى إغضاب بريطانيا دون فائدة تذكر<sup>(١٧٦)</sup>

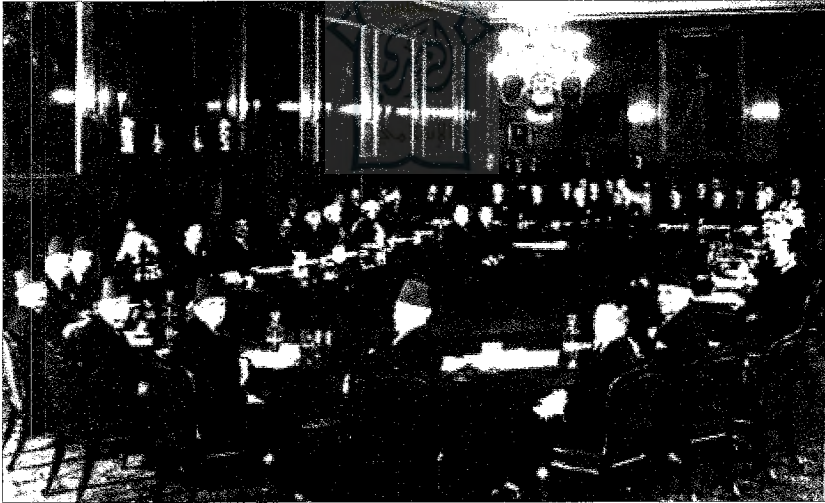
ولا ننسى محاولات الإمام يحيى منذ عام ١٩١٩م للتواصل مع الولايات المتحدة الأمريكية، والتي لم تأخذ حقها من البحث، حيث بعث الإمام يحيى خطابا إلى رئيس الولايات المتحدة آنذاك ودررو ولسون، طالبا من الولايات المتحدة الأمريكية الاعتراف باليمن مستقلة تماما، وبوضعه كإمام وملك على اليمن، إلا أنه لم يتلق ردا على رسالته. وكرر الإمام يحيى محاولة الاتصال بأمريكا ببعث رسالة أخرى في كانون الثاني عام ١٩١٩م إلى القنصل الأمريكي في عدن، شارحا رغبته في مساعدة اليمن في عرض مطالبه الاستقلالية على مؤتمر السلام الذي سيعقد في باريس<sup>(١٧٧)</sup>، إلا أن كل تلك الاتصالات لم تثمر عن

شئ، بسبب الخوف الأمريكي من استفزاز بريطانيا، حيث لم تكن الولايات المتحدة قادرة على تحديها في ذلك المفصل التاريخي، خاصة وقد أبدى المقيم السامى ستيوارت في عدن استيائه صراحة من تلك المحاولات التي قام بها الإمام يحيى للتواصل مع القنصلية الأمريكية هناك، بدون إذن بريطانيا، معداً ذلك تجاوزاً للحدود، ويشكل انتهاكاً فاضحاً لمكانة الحاكم البريطاني في عدن لدى حكومته البريطانية<sup>(١٧٨)</sup>.

أما عن تفاعل الإمام يحيى مع المحيط الدولي، فحسبنا أن نشير إلى حضور الوفود الرسمية اليمنية كافة الاجتماعات والمؤتمرات الإسلامية والإقليمية والدولية، كمؤتمر الطاولة المستديرة في لندن عام ١٩٣٩م لبحث قضية فلسطين، ومؤتمر بلودان عام ١٩٤٦م لمعالجة القضية الفلسطينية، إضافة إلى مؤتمرات منظمة الأمم المتحدة التي انضمت إليها اليمن كعضو مؤسس<sup>(١٧٩)</sup>، والمؤتمر الإسلامي المنعقد في القاهرة عام ١٩٣٨م<sup>(١٨٠)</sup>، ناهيك عن حضور كافة اجتماعات دول الجامعة العربية في فترة الأربعينيات في كل من القاهرة، وعمان، وبغداد، ودمشق، ومؤتمر الإسكندرية، لمعالجة قضية فلسطين، ومؤتمر الملوك والرؤساء العرب في إنشاص<sup>(١٨١)</sup>. ولا يفوتنا ذكر الوفود الرسمية الرفيعة المستوى التي كانت تبعث إلى الخارج للتباحث مع الدول العظمى، مثل الوفد المرسل إلى إيطاليا عام ١٩٢٦م برئاسة ابنه سيف الإسلام محمد<sup>(١٨٢)</sup>، والوفد المرسل إلى اليابان عام ١٩٣٩م برئاسة سيف الإسلام الحسين<sup>(١٨٣)</sup>، والوفد الرسمي المرسل إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٧م برئاسة سيف الإسلام عبد الله<sup>(١٨٤)</sup>.



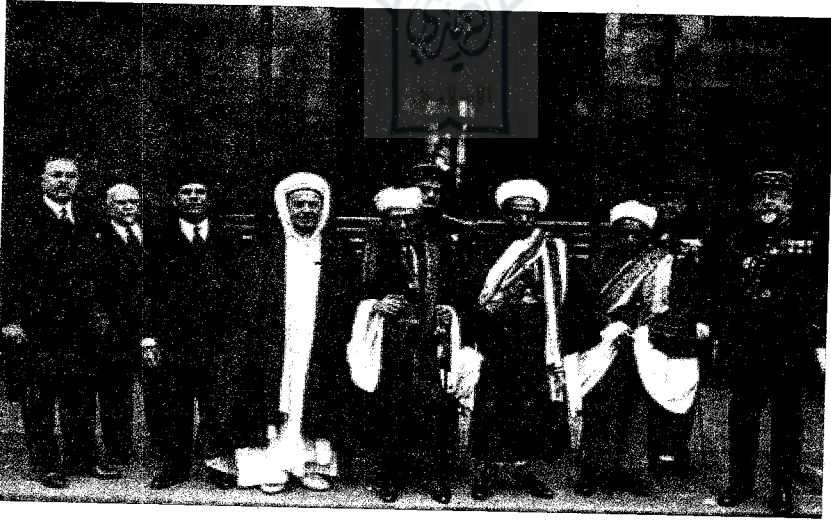
يظهر رقم ٤ في الصورة مبعوث الإمام يحيى، الشيخ محمد زياره الى المؤتمر الإسلامي في القدس عام ١٩٣١م



يظهر في الصورة وفد اليمن ممثلا بسيف الإسلام الحسين في مؤتمر الطاولة المستديرة في لندن حول القضية الفلسطينية عام ١٩٣٩م.



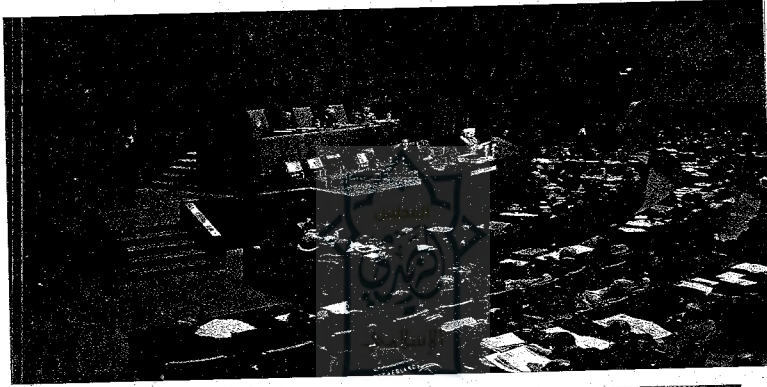
يظهر في الصف الثاني من الصورة حسين الكبسى والقاضي الشامى وهم يمثلون اليمن في احد المؤتمرات الدولية المتعلقة بالقضية الفلسطينية فى فترة الثلاثينات



سيف الإسلام الحسين بن الإمام يحيى على باب قصر الإليزيه فى زيارة رسمية إلى فرنسا عام ١٩٣٩م



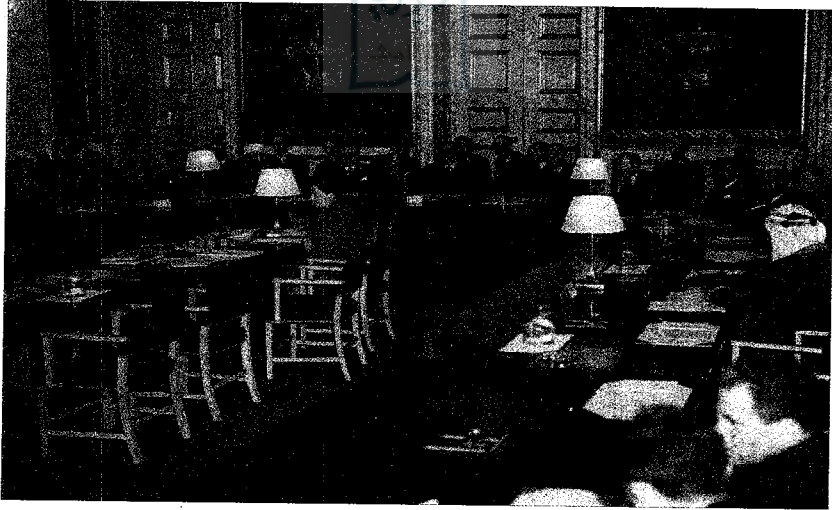
سيف الإسلام عبد الله يلقى كلمة وفد اليمن من على منصة الأمم المتحدة في نيويورك عام ١٩٤٦م، وللعلم فقد كانت اليمن من الأعضاء المؤسسين لهذه المنظمة العالمية



سيف الإسلام عبد الله مع الوزير حسن بن إبراهيم يحتل مقعد اليمن في هيئة الأمم المتحدة



سيف الاسلام عبد الله والوزير حسن بن إبراهيم يسمعون لكلمة كلمنت اتلى رئيس الوزراء البريطانى فى لندن عام ١٩٤٦م حول القضية الفلسطينية



سيف الاسلام عبد الله مع الوزير العمري والمستشار عدنان الترسيى يمثلون اليمن فى احد المؤتمرات الدولية





سيف الإسلام عبد الله بن الإمام يحيى مع الملوك والرؤساء العرب  
ممثلاً لوفد بلاده في اجتماعات الجامعة العربية



سيف الإسلام الحسين ممثلاً لوفد بلاده في مؤتمر بروتوكول  
الإسكندرية عام ١٩٤٤م، ويظهر إلى جواره الأمير فيصل بن عبد  
العزيز ممثلاً للوفد السعودي





سيف الإسلام عبد الله ممثلاً لبلاده في حفل استقبال مؤتمر قمة إنشاص في  
مصر عام ١٩٤٦م



الملك فاروق والأمير فيصل بن عبد العزيز وسيف الإسلام الحسين في  
حفل استقبال عام ١٩٣٧م لوفود الدول العربية



ممثل اليمن، الوزير حسن بن إبراهيم في أحد الاجتماعات الوزارية  
لجامعة الدول العربية



سيف الإسلام يحيى يترأس وفدا بلاده في زيارة رسمية إلى لبنان، ويظهر في الصورة رئيس وزراء لبنان رياض الصلح



سيف الإسلام عبد الله مع الرئيس الهندي نهرو ممثلا لليمن في أحد المؤتمرات الدولية في باريس شهر يناير عام ١٩٤٨م



سيف الاسلام عبد الله مع الرئيس كميل شمعون في احد المؤتمرات الدولية

أما فيما يتعلق بتفاعل اليمن مع قضايا أمته، فحسبنا الإشارة إلى فتح الإمام يحيى أبواب اليمن لكل الشخصيات العربية الوطنية النضالية المناوئة للاستعمار، مثل المناضل الوطني السوري محمد كامل القصاب، الذي كان من زعماء الحركة الاستقلالية المحاربة للاستعمار الفرنسي<sup>(١٨٥)</sup>، والمناضل التونسي الوطني المذكور آنفا عبد العزيز الثعالبي، والشيخ المناضل أمين الحسيني مفتي فلسطين، والأمير شكيب أرسلان<sup>(١٨٦)</sup>، والمناضلان المصريان أنيس باشا وصلاح الدين أفندي النجار المصري، والمجاهد العلامة محمد بن عقيل<sup>(١٨٧)</sup>، وغيرهم ممن لا يتسع المجال لذكرهم.

كل ما سبق ذكره يؤكد أن تهمة عزلة اليمن عن محيطها الخارجي، لم تكن أكثر من حرف لمعنى هذه الكلمة التي وجد أعداء الإمام يحيى تفسيرها، في ضرب الإمام نطاقا من المراقبة الدقيقة على الوفود الغربية الزائرة لليمن، وعدم سماحه لمعظم الغربيين في حق الإقامة الدائمة في اليمن إلا في نطاق محدود جدا تمثل في إيطاليا، والاتحاد السوفياتي، والمانيا، والولايات المتحدة الأمريكية، وهي الدول الغربية الوحيدة التي نسج معها الإمام علاقات دبلوماسية متكاملة، وسمح لدبلوماسييهها في التواجد الدائم والتحرك الحر في

اليمن، لأن أياؤها لم تكن قد لطخت بالاستعمار. فإيطاليا كانت أول دولة غربية تقيم علاقات دبلوماسية دائمة مع اليمن، حيث افتتحت مقرا دائما لقنصليتها في العاصمة صنعاء قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية<sup>(١٨٨)</sup>. وكان الاتحاد السوفياتي ثاني دولة يقيم علاقات دبلوماسية دائمة بعقده اتفاقية سياسية تجارية تم بموجبها افتتاح قنصلية تجارية في صنعاء عام ١٩٢٨م<sup>(١٨٩)</sup>، وممثلية تجارية أخرى في الحديدة<sup>(١٩٠)</sup>.

وبدأت العجلة تدور بوتيرة أسرع قبل اغتيال الإمام يحيى بسنوات قليلة، حيث افتتحت الولايات المتحدة ممثلية دائمة لها في اليمن، ومقابلها ممثلية للحكومة اليمنية في واشنطن عام ١٩٤٧م<sup>(١٩١)</sup>، وما ذلك التسارع في دوران العجلة إلا نتيجة للاستقرار النفسى والأمنى الذى بدأ الإمام يحيى يشعر به بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، حيث تيقن الامام يحيى من أن العلاقات الدبلوماسية والسياسية أصبحت بين الدول ذات إطار قانونى دولى محدد، وعلى قدر من الندية والتكافؤ، بما يمكن أضعف الدول من عقد معاهدات واتفاقيات، وفتح قنصليات وسفارات دون وجل أو خوف من الابتلاع، مع انحسار المد الاستعمارى، إضافة إلى رؤية الإمام يحيى للدول العربية وهى تستقل ثبعا بعد الحرب العالمية الثانية، ناهيك عن نشوء هيئة الامم المتحدة، وشيوع حالة السلم المستقر فى العالم، كل تلك المعطيات جعلت الإمام يحيى يبادر إلى فتح صفحة جديدة فى علاقاته الدولية، عمادها الانفتاح على الغرب، على أساس المكاسب والمنافع المتبادلة بصدق وأمانة وندية، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية التى لم يكن تاريخها ملطحا بالاستعمار، ولا موسوما بالخيانة ولا الغدر والأطماع، كبريطانيا العظمى.

وقد يقول قائل: وماذا عن البعثات الدبلوماسية العربية التى لم نجد لها أثرا فى اليمن؟ والجواب على ذلك، أن فتح سفارات للدول العربية فى اليمن كان آخر اهتمامات الإمام يحيى، لأن موقف الإمام من الأنظمة العربية آنذاك، هو موقفه من الاحتلال البريطانى لها، لأنها لم تكن تملك القرار ولا السيادة، بل لم تكن أكثر من دمية بيد الإنكليز تحركها حيث تشاء، باستثناء المملكة العربية السعودية، لذلك لم يعن الإمام كثيرا بافتتاح ممثليات دائمة لتلك الدول العربية، لأنها عمليا كانت تحت الحكم البريطانى، بعكس حميمية العلاقة بين اليمن والمملكة العربية السعودية المستقلة، والمالكة للقرار والسيادة مثل اليمن تماما، حيث إنه بالرغم من المواجهة العسكرية السابقة بين الطرفين فى حرب عام ١٩٣٤م، إلا

أنه كان لاستقلالية القرار السعودي عن بريطانيا أكبر الأثر في دفع الإمام لتعزيز العلاقات التمثيلية بين السعودية واليمن، ومد جسور الثقة إلى درجة تنسيق المواقف السياسية للبلدين حيال الكثير من القضايا، سدا لباب الدسائس والذرائع البريطانية، ومن ذلك التنسيق، اتخاذ الطرفين جانب الحيطة والحذر في التعامل مع أي قضايا تطرحها الجامعة العربية في اجتماعاتها التأسيسية، واقتصار دور ممثلي البلدين على الاستماع، وعدم التورط في أي التزام أو إبداء الرأي، إلا بعد عرض كافة التفاصيل على زعميي البلدين<sup>(١٩٢)</sup>.

وبهذا الموقف الاحترازي، نجد أن الإمام يحيى والملك عبد العزيز كانا أعمق فكرا من أن تستهويهم سطحية الأفكار التي تدعو إلى الثقة العمياء في الجامعة العربية دون تدقيق، وأبعد نظرا من أن يتعهدوا بالالتزام بقراراتها دون تمحيص، فغير خاف على كل ذي عمق في الرؤية دور بريطانيا في تأسيس الجامعة العربية، التي لم تنطلق بمبادرة ذاتية من الحكام العرب، بقدر ما انطلقت من وحي التوجيه البريطاني، منذ أن ألقى وزير الخارجية البريطاني أنتوني أيدن خطابا في ٢٤ فبراير من عام ١٩٤٣م في مجلس العموم البريطاني، صرح فيه أن الحكومة البريطانية تنظر بعين العطف إلى كل حركة بين أصدقائنا العرب ترمى إلى تحقيق وحدتهم الاقتصادية، والثقافية، والسياسية، وهل يخفى على كل ذي عقل مقاصد بريطانيا من ذلك التشجيع، الذي تهدف من ورائه إلى التمرير لمخططاتها عبر بعض الدمى من الأعضاء المؤسسين في الجامعة العربية<sup>(١٩٣)</sup>، فهل كانت مصر المستضيفة للجامعة العربية مستقلة فعلا في عهد الملك فاروق، أم أن السفير البريطاني مايلز كوبلاند كان هو الحاكم الفعلي لمصر؟ دع عنك باقي الأعضاء المؤسسين، سواء في الأردن، حيث كان الملك عبد الله لا يملك القدرة على اتخاذ أي قرار دون المرور على جلوب باشا، القائد الإنكليزي العام للجيش الأردني، صاحب الدور المشبوه في حرب فلسطين عام ١٩٤٨م، أو في العراق، حيث كان زمام الوصي على العرش الأمير عبد الإله بيد الإنكليز، أو في لبنان حيث لم يلمع نجم الرئيس اللبناني بشارة الخوري، إلا بعد أن تواطأ مع البطريق الماروني الحويك والجنرال الفرنسي غورو على فصل لبنان عن سوريا بالتفاهم مع الحكومة الفرنسية والبريطانية، أو شكركى القوتلى الذى لم يكن له من الأمر شيء، سوى التسليم بالمخططات البريطانية الفرنسية.

وفى معرض الحديث عن حيطة الإمام يحيى، وحذره الذى دفعه إلى قصر دور ممثله فى الجامعة العربية حسين الكبسى على الاستماع، ومنعه من اتخاذ أى قرار، أو ابداء أى رأى إلا بعد الرجوع إلى حكومته فى صنعاء، أستسمح القارئ بذكر قصة قد تبدو سخيفة، إلا أنه لا بد من ذكرها، للتدليل على مستوى السخافة والتهريج الذى وصل إليه خصوم الإمام يحيى فى إصاق التهم السامجة والإحتقار لعقل الإنسان. تتعلق هذه القصة بتلفيق نكتة منشؤها الرغبة فى غمز ولز جانب الإمام يحيى فى الحيطة والحذر، حيث ادعى هؤلاء الخصوم أن أم كلثوم حضرت حفلة غناء وهى مزكومة غير قادرة على الغناء، فقالت: أنا اليوم كبسى أستمتع فقط، كناية عن سخريتها من حسين الكبسى، ممثل اليمن فى الجامعة العربية، الذى اقتصر دوره على الاستماع، والامتناع عن إبداء الرأى حيال القضايا المطروحة فى الجامعة العربية، ولكأن أم كلثوم كانت معنية بشؤون السياسة ومتابعة مواقف حسين الكبسى فى جلسات الحكومات العربية فى أروقة الجامعة العربية، إلا أنه كما قال الحكماء: «كفى بالمرء حمقا أن يصدق كل ما يسمعه».

وعودة إلى موضوع الثقة بين الزعيمين العظيمين، الإمام يحيى والملك عبد العزيز، فلم يقتصر التنسيق بينهما على اتخاذ جانب الحيطة والحذر فى التعامل مع الجامعة العربية، أو أمر كل منهما لمدوبهما فى القاهرة بالرجوع إليهما فى كافة التفاصيل قبل اعتماد أى قرار تطرحه الجامعة العربية، بل وصل بينهما التنسيق إلى درجة عدم ممانعة الإمام يحيى من أن تقوم ممثلية حكومة المملكة العربية السعودية فى الخارج من الإنابة فى تمثيل مصالح اليمن فى بريطانيا وفرنسا خلال الحرب العالمية الثانية<sup>(١٩٤)</sup>.

أما عن ممثلات الدول الاستعمارية الأخرى فى اليمن، وخاصة بريطانيا وفرنسا، فقد سمح الإمام لممثليهم السياسيين بالوفود إلى اليمن للزيارة عندما تقتضى الحاجة، والسبب فى ذلك التحفظ أن تاريخ هذه الدول الاستعمارية لم يكن يشجع أبداً على الثقة، فالإمام يحيى وكان يدرك تاريخهم القذر فى نصب الشراك للدول المتطلعة للاستقلال، ابتداء من اتفاقيات سيكس بيكو، وكان على يقين من أنهم لن يعدموا الوسيلة لإيجاد شتى الذرائع والمبررات للتدخل والاحتلال، فمن هى الدولة التى نشرت الأفيون بين المواطنين فى الصين بواسطة ممثلاتها الدبلوماسية، لتتمكن من احتلال بلادهم غير بريطانيا؟ ومن السفير الذى حاصر قصر الملك فاروق بالدبابات مهددا بإسقاطه عن الحكم إن لم يوافق على تعيين النحاس باشا، الذى تريد بريطانيا فرض وزارته بالقوة، غير السفير البريطانى مايلز كوبلاندا؟

وفى هذا السياق، يقول الإمام يحيى لمحدثه الثعالبي، الذى كان ضيفا عليه فى صنعاء: «لهذا ترانى أتحاشى من إبرام أى صك سياسى مع أى دولة أجنبية، خيفة التورط والوقوع فى مكيدة تنصب على أى قطر من الأقطار الإسلامية»<sup>(١٩٥)</sup>. أفبعد كل هذه الشواهد، هل كان من الممكن أن يثق الإمام يحيى فى التواجد الدائم للسفارات الاستعمارية فى بلاده؟ أعتقد أن ذلك يعد ضربا من السذاجة والبلاهة، وأن أى منصف عاقل سوف يعذر الإمام على اعتقاده بأن سفينة النجاة تتمثل فى التضييق على البعثات الدبلوماسية، واتباع سياسة التحرز من شراكها ومكائدها المنصوبة عبر المعاهدات والاتفاقيات وإبرام الصكوك.

وعموما يجدر بنا الإشارة إلى أن هناك الكثير من الدول الكبرى اتبعت سياسة عزلة بشكل أو بآخر، تحقيقا لمقتضيات الأمن، فها هى الولايات المتحدة اتخذت من سياسة العزلة نبراسا لها، فمئذ قيامها فى عام ١٧٧٦م وهى تعيش فى عزلة، جعلتها تبتعد عن التفاعل مع الأحداث الدولية، وخاصة فى أوروبا، سعيا منها للفرز بالأمن من المماحكات الدولية. واستمرت الولايات المتحدة تتبع سياسة العزلة حتى يوم الاعتداء على بيرل هاربور فى الحرب العالمية الثانية، الذى حفزها إلى الخروج من هذه السياسة. أما الصين فمئذ قيام الجمهورية فيها عام ١٩٤٩م، فقد كان همها السياسى قائما على مقاومة المطامع الاستعمارية، وصيانة الاستقلال، مما جعلها تنتهج منهج القطيعة السياسية مع العالم الغربى، فاستمرت فى رفض التبادل الدبلوماسى مع الغرب، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، حتى يوم زيارة الرئيس نكسون إلى الصين عام ١٩٧٢م، والتي تم بموجبها الاعتراف المتبادل بين الدولتين. ونخلص من كل ذلك، أن لكل سياسة متبعة فى تاريخ الأمم السياسى سياقها الزمنى، بما يواكب طبيعة تحديات المرحلة، بما فى ذلك سياسة العزلة، التى ليست كما صورها بعضهم وصمة يخجل من ذكرها، بل هى فى رايى خيار من الخيارات الاستراتيجية المرتبطة بمقتضيات الأمن، وظروف المرحلة التى تعيشها أى دولة من الدول، وبالتالي فإن سياسة التحرز التى سماها أعداء الإمام يحيى عزلة، كان لها ما يبررها استراتيجيا وأمنيا.

وللاستزادة فى موضوع تحرز الإمام من بريطانيا، أسوق للقارئ وثيقة استخبارية وردت فى أرشيف الوثائق البريطانية، كتبها المعاون الأول للحاكم البريطانى، بتاريخ يوليو ١٩٢٧م، وتوضح هذه الوثيقة لمن يقرؤها ثمرة سياسة الإمام يحيى التحرزية من البعثات



الدبلوماسية الدائمة في ذلك المفصل التاريخي، حيث يشكو كاتبها من فشل إدارته في جمع معلومات قيمة تحتاجها بريطانيا عن جيش الإمام يحيى، حيث تقول الوثيقة: «إن التقارير التي جمعناها عن جيش الإمام لا نستطيع أن ندعى أنها أكثر من معلومات عامة عن القوات الزيدية، إضافة إلى أنها مبهمة في كثير من الأوجه، والحل قد يكون في خروج ضابط بريطاني إلى اليمن ليسافر بحرية بين ربوعه لعدة أشهر، ليجمع معلومات يمكن الاعتماد عليها، ولكن المشكلة أن ذلك مستحيل حصوله مع الإمام يحيى، وقد زارته بعثة بريطانية سابقة منذ بضعة سنوات لتبقى عنده عدة أسابيع، ولكنها كانت تحت مجهره، حيث أبقاها تحت النظر والإشراف الدقيق»<sup>(١٩٦)</sup>.

أما عن الأجواء المشحونة بالحيرة والريبة والامتعاض على امتداد العالم الإسلامي من الاختراقات الاستعمارية الغربية لبلاد الإسلام، تحت ستار المعاهدات والاتفاقيات والبعثات الدبلوماسية في ذلك الزمان، فأسوق للقارئ مقتطفات مما كتبه مفكرو النخب العربية والإسلامية المعاصرة للإمام يحيى، من ذوى الفكر المستنير، والضمير الحى المعبر عن الحمية الإسلامية، والذين لم يخرجوا في تفكيرهم عما كان يفكر به الإمام يحيى، بل أيدوا مواقفه الاحترازية، خوفا من مصائد الغرب وشباكهم، فها هو محمد رشيد رضا يقول في جريدة المنار: «لقد كان أكبر مناقب الإمام يحيى فى نظر الأمة العربية والإسلامية، تلك السياسة السليبية مع الأجانب، التى تجلت المرة بعد المرة بفشل الدولة البريطانية وعجزها عن عقد أى اتفاق معه، يفتح أدنى منفذ لتدخل نفوذها السياسى والاقتصادى فى بلاده»<sup>(١٩٧)</sup>.

وها هو الثعالبي، المجاهد التونسى فى مواجهة الاستعمار الفرنسى، والمصنف بأنه رمز من رموز التنوير فى العالم الإسلامى يقول بعد زيارته للإمام يحيى فى اليمن: «إن الفخاخ والمكايد التى نصبت من قبل الغرب للبلاد الإسلامية، مثل تونس، ومصر، والمغرب الأقصى، وسوريا، والعراق، وفلسطين، والهند، وجاوة، والجزائر، فوقت فيها، هى نفسها قد نصبت اليوم حول ثغور اليمن. والصيادون الكائدون محدقون بنا من كل مكان، ينتظرون منا الغرة». ويضيف قائلا: «إن للسياسة الأوروبية أصباغا وألوانا كثيرة، ففى كل حادثة تبدو لنا بلون قد يخدع بها العربى الساذج الذى لم يتعود على ممارسة الأوروبيين. والمعلوم أن أغلب الأمراء العرب أكثر انخداعا من غيرهم واغترارا بتلك الأصباغ»<sup>(١٩٨)</sup>.



ولتوضيح ما يقصده الثعالبي عن الأصباغ والألوان التي حاولت بريطانيا استخدامها كقناع زائف للإيقاع بالإمام يحيى، ومحاولة تصيده بعدما فشلت فى جره إلى صفها أثناء الحرب العالمية الأولى، اسوق للقارئ ما ذكره المؤرخ عبد الكريم بن احمد المطهر عن محاولات جيكوب، المعاون الأول للمندوب السامى البريطانى لإيقاع الإمام يحيى فى فخ الزخارف البريطانية، حيث يقول: «تعددت الكتب من جيكوب إلى الإمام يحيى يطلب الإذن له بالوصول إليه، فأذن له الإمام بالوصول، وعند وصوله ظهر من حديثه ومسعاه بأنه موفد من شركة تجارية قد سمت نفسها بالشركة الزيدية، تقربا بهذه التسمية للوصول إلى مآربها، وأن مرام الشركة المذكورة القيام بأعمال التجارة فى اليمن، كمد السكك الحديدية، واستخراج المعادن، ونحو ذلك<sup>(١٩٩)</sup>». ولقد اشتغل جيكوب فى صنعاء لمدة أربعة أيام قبل أن يقابل الإمام وهو يمد ويفرش قطعاً صغارا من الحديد، وينصب نماذج مصغرة لقطارات تسير على سكة حديد، وقد كتب على كل قطار عبارة الشركة الزيدية<sup>(٢٠٠)</sup>، ولكأن الإمام يحيى من السذاجة والغفلة لتنتطلى عليه مثل تلك الزخارف والتمويهات.

وها هو امير البيان شكيب أرسلان يرد على الثعالبي بخطاب يقول فيه: «ليس هناك من يجهل أن الإنجليز لا يعاملون أمة مستضعفة إلا على قاعدة حمايتها، والاعتراف بسيادتهم عليها، وسد كل منافذ الاستقلال فى وجهها، وحسبى على ذلك دليلا صكوك المعاهدات التى أبرموها قبل الآن مع أكثر أمراء الجزيرة، فلدى مجموعة رسمية وكلها شواهد صريحة على ما يعرف بالاستيلاء الضمنى فى القوانين المعروفة بين الملل، وهى التى تستند إليها الدول الاستعمارية فى تعيين مناطق النفوذ وتحديدها، وإذا كان فيها لبس أو غموض، فإن للمستعمر وحده الحق فى إيضاحها وتفسيرها حسبما يشتهي، وما تأتى به الظروف. وهل يسع الإنجليز اليوم أن يدعوا اليمن يتمتع بالاستقلال ولهم فيه مآرب كثيرة؟ وكيف نستطيع تحسين الظن فى الإنجليز وأطاعهم معروفة، حتى يعاقبوا الإمام على ضمان استقلاله الخارجى، وهم جادون فى تقويض استقلاله الداخلى؟ ومن للإمام بمن يطلعه على مغامز المعاهدات حتى يتنبه للخطر منها على بلاده؟»<sup>(٢٠١)</sup>.

وها هو نزيه مؤيد العظم، وهو أيضا من رجالات الفكر العرب، الذين زاروا اليمن يحذر الإمام يحيى فى ختام زيارته لليمن قائلا: «إن الدول الاستعمارية حينما تطمع فى

قطر من الأقطار، تبدأ بإرسال جنودها الكشافة لتمهيد الطريق باسم الإنسانية والشفقة والرحمة والدين، أى أنها ترسل بعثات من الأطباء وتبنى مستشفيات.. إلخ، ثم تبعث بالمبشرين والمعلمين، فيبنون مدارس وكنائس ويبدوون بنشر سموهم بين الناس على اختلاف طبقاتهم، وهذه هى أول فتوح الاستعمار، وهؤلاء طلابه، ومتى تأسست المدارس، والكنائس، والمستشفيات يصير للدولة صاحبة الشأن الحق فى المحافظة عليها وعلى رعاياها، فكلما بدرت بادرة فى البلاد، نرى هذه الدولة تتدخل فى الأمر تحت ستار المحافظة على رعاياها، وأموالهم، ومؤسساتهم<sup>(٢٠٢)</sup>.

وها هو أمين الريحانى، بالرغم من نصرانيته، والشبهات التى دارت حول دوره الاستخبارى لصالح الولايات المتحدة الأمريكية، وجدناه عند زيارته للجزيرة العربية يحذر من دور الوكلاء السياسيين والممثلات الغربية فى بلاد العرب فى ذلك الزمان بقوله: «إن الجاسوسية بعينها هى سلاح السياسة الإنكليزية فى البلاد العربية، هى خادمة الوكيل السياسى فى تقاريره السرية التى تتناول كل موضوع، وتحيط بكل حال، وتجتاز حتى الحدود التى تقدسها التقليد إلى ما ورائها من الأسرار الاجتماعية والبيئية، مثلاً واحداً يخرجنا من التعميم، فإذا كان أولياء الأمر وأحد ملوك العرب فى مأزق من المفاوضات أو العلائق ضاقت فيه عليهم الأبواب، وكانوا عالمين بأن لذاك الملك أو الأمير عدواً من أهله أو من رعيته فى بلاده، فهم يسعون إليه بوساطة الوكيل السياسى، فيستغونوه بلقب، أو بذهب، أو بالاثنين معاً، ويستخدمونه على خصمهم لتحقيق مقاصدهم فيه»<sup>(٢٠٣)</sup>.

وها هو الرحالة الألمانى هانز هولفريتز الذى زار اليمن، يدلوه فى التماس العذر للإمام يحيى على تحرزه من البعثات الأجنبية، بالرغم من أصله وعرقه الأوروبى فيقول: «إذا أخذنا بعين الاعتبار التجارب التى مرت بها بعض البلاد الأخرى، فإن الإمام يحيى قد لا يكون مخطئاً فى هذا الرأى فى عدم السماح للأجانب بدخول بلاده بحرية»<sup>(٢٠٤)</sup>. فما التجارب التى مرت بها الدول الأخرى يا ترى؟

التجارب هى الآتى: أن اليمن الجنوبي ما احتلها الإنكليز إلا باختلاق حادث نهب مركب بريطانى كان راسياً على شاطئ عدن، بعد أن عقد سلطان لحج اتفاقية تجارية مع الإنكليز كانت بمثابة مسمار جحا، وأن مصر ما احتلها الإنكليز إلا بإغراقها بالديون

والقروض بواسطة البنوك والشركات الإنكليزية والفرنسية، وأن الجزائر ما احتلها الفرنسيون إلا بمكيدة المروحة التي نسج خيوطها القنصل الفرنسي في الجزائر\* .  
وأن الهند والصين وغيرهما من الدول الإسلامية ما خضعت للاستعمار إلا باسم التجارة وتأسيس الشركات، وعقد الاتفاقيات التجارية، ومنح التراخيص للسفن الغربية للرسو في الموانئ الإسلامية،

فهل يلام الإمام يحيى على اتباع سياسة تحرزية سماها أعداؤه بسياسة العزلة، وهي في واقع الأمر لحماية اليمن من الوقوع في الشراك الذي وقعت فيه الدول العربية والإسلامية؟ وماذا عن أصوات الاستغاثة التي كان يسمعها الإمام يحيى من إخوانه العلماء والمفكرين الإسلاميين المعاصرين له، غيرة على الدين، وخوفا على الأجيال المسلمة من ممارسات الغرب الاستعماري؟ فهل نسقتها من الحساب؟ وأسوق للقارئ مقتطفات مما أرسله علماء المغرب العربي من مناشدات إلى الملوك العرب، وهم يستغيثون عبر جريدة المنار بقولهم: «إن فرنسا أبطلت المدارس القرآنية، ووضعت قلوب الأطفال في أيدي أكثر من ألف مبشر كاثوليكي بين رهبان وراهبات يديرون مدارس تبشيرية، وأقفلوا جميع المحاكم الشرعية في تلك الديار، وأجبروا هذه الملايين من المسلمين على أن يتحاكموا في أنكحتهم وموارثهم وسائر أحوالهم إلى قوانين جديدة سنوها لهم»<sup>(٢٠٥)</sup>.

وماذا عن رؤية الإمام يحيى انتشار الكثير من دعاة النصرانية في جنوب اليمن تعضدهم الحكومة البريطانية<sup>(٢٠٦)</sup>، وانتشار الكثير من الإرساليات التبشيرية التي بدأت بإدارة المدارس لغسل أدمغة الطلاب اليمنيين، مثل إرسالية الروم الكاثوليك، والإرسالية الدنماركية، وغيره<sup>(٢٠٧)</sup>، مما كان له أثره على تنصر بعض اليمنيين، توخيا لمصالحهم المعيشية، بل أكثر من ذلك، بدأ هؤلاء اليمنيون، مثل المدعو أحمد عفارة بالعمل مع الهيئات التبشيرية لتنصير إخوانهم من أبناء جلدتهم في اليمن<sup>(٢٠٨)</sup>، وبلغت الجرأة أن حاولت بعض البعثات التبشيرية المسيحية الدخول إلى شمال اليمن، متوسلة مساعدة بعض السفارات الغربية المتواجدة في عدن<sup>(٢٠٩)</sup>.

\* تطاول القنصل الفرنسي على حاكم الجزائر الداى حسين بعبارات غير لائقة، مستقصدا استفزازة امام رجال دولته في مجلس الحكم، ليتخذ من ردة فعله ذريعة لاحتلال الجزائر، وفعلا نجحت الخطة عندما رمى الداى حسين مروحته باتجاه القنصل الفرنسي، ليطرده من مجلسه، لقلّة أدبه، مما كان السبب في احتلال الجزائر تحت ذريعة رد اعتبار كرامة فرنسا.

أما إذا بلغتنا المقولات المشهورة التي أطلقها القادة العسكريون لدول الاستعمار الغربي في عهد الإمام يحيى، فسنعذر الإمام يحيى على سياسته التحريزية التي كان يتبعها، فغير خاف على أحد مقولة الجنرال الإنكليزي اللبني عند دخوله إلى القدس واحتلاله لها في عام ١٩١٧م، حيث صرح وعلى رؤوس الأشهاد في استفزاز واضح لمشاعر المسلمين قائلًا: «الآن انتهت الحروب الصليبية».

أما الجنرال الفرنسي غورو، فبمجرد وصوله إلى دمشق في عام ١٩٢٠م، ذهب من فوره إلى قبر صلاح الدين وأضعا قدمه على ضريحه وهو يقول في شماتة: «ها قد عدنا يا صلاح الدين».

وهل نتغافل عن النماذج التي خلفها الاستعمار البريطاني والفرنسي في بلاد الإسلام نتيجة الانفتاح غير المنضبط، وعدم التيقظ من قبل حكام المسلمين، ففي تونس مثلًا وجدنا أحد ربابب فرنسا، وهو الرئيس بورقيبا يحض مواطنيه على الإفطار في رمضان وعلى رؤوس الأشهاد، متعللاً بأن صيام رمضان يعطل العملية الإنتاجية، ويعوق تقدمها. وفي مصر قرأنا لرموز فكرية، ممن كانوا يشغلون مواقع مؤثرة في الإعلام والنشر والتوجيه، مثل إحسان عبد القدوس كتابات يبدى فيها العجب والغضب، لأنه وجد شابة في أحد شواطئ الإسكندرية لا تنزل البحر، رغم كونها متعلمة ومستنيرة، لأنها ترى أن لبس «المايوه» أمام الرجال حرام! ويتساءل إحسان عبد القدوس وقتها مستغربًا: هل لا يزال بيننا عقليات تفكر بهذا المنطق؟<sup>(٢١١)</sup> وفي جنوب اليمن، قرأنا سابقًا صحفياً لصحيفة فتاة الجزيرة في عدن، تبرز فيه الصحيفة ست فتيات من أكرم العائلات اليمينية قمن بزيارة استعراضية لدار الصحافة، للإعلان بفخر عن تخليهن عن حجابهن ورميه في محاريق الكنس، لأن ذلك في رأيهن هو الطريق الموصل للتطور الثقافي والرقى الاجتماعي<sup>(٢١٢)</sup>، فهل من معتبر؟! نخلص من كل ما سبق إلى أن ارتياب الإمام يحيى من الغرب، وحرصه على اتباع سياسة تحريزية عند التعاطي مع الدول الاستعمارية الكبرى، لم يكن غاية في حد ذاتها، بقدر ما كان ردة فعل على التهديد الوجودي لأمة الإسلام، ووسيلة اتبعها الإمام يحيى، للحفاظ على العقيدة، وحماية اليمن من خطر الغزو العسكري والثقافي. وأعتقد أن من يحمل قدرا من العقلانية والاعتدال في التفكير، يدرك أن مقولة العزلة التي أُلصقت بالإمام يحيى على علاتها زورا وبهتانًا، وصورت اليمن في عهده ولكنها تعيش في قلعة حجرية

منقطعة عن العالم الخارجي، ما هي إلا كذبة كبرى شيعها أعداء الإمام يحيى، ولا تخرج عن إطار محاولة التشويه، إلا إذا اعتبرنا أن الإمام يحيى عزل اليمن عن رياح التغريب والتبعية، خوفاً على إفساد الأخلاق والعقيدة، وصونا للوطن، فهذا صحيح لأن ذلك من مقتضيات البديهة لحاكم يخاف الله في شعبه ودينه.

وعودة إلى موضوع الصراع البريطاني الإمامي بعد توقيع اتفاقية عام ١٩٣٤م، نجد أن قمة الاستخفاف البريطاني لهذه الاتفاقية كان في شهر حزيران من عام ١٩٣٩م، عندما دخلت قوات بريطانية إلى مدينة شبوة لإغراء مشايخ تلك المنطقة بالانتماء إلى حكومة عدن، مع أنها كانت استناداً إلى اتفاقية عام ٣٤ خارج منطقة النفوذ البريطاني، ولا ترتبط بمعاهدة حماية مع الإنكليز، فما كان من الإمام يحيى إلا أن أرسل قواته إلى شبوة لإفشال المخطط البريطاني هناك، فأرسلت بريطانيا قواتها التي اشتبكت مع قوات الإمام<sup>(٢١٢)</sup>، مما وتر العلاقات بين الطرفين ثانية، وانتهت حوادث شبوة هذه ببقائها منطقة محرمة بين الطرفين المتنازعين، حيث وافق الإمام على سحب قواته منها، مقابل انسحاب القوات البريطانية<sup>(٢١٣)</sup>. والمؤكد أن سبب اهتمام بريطانيا الفجائي بشبوة ومواجهتها للإمام في هذه المنطقة بالقوة، هو الاكتشافات النفطية التي أسالت لعاب الإنكليز<sup>(٢١٤)</sup>، ودفعتهم إلى محاولة توقيع اتفاقية حماية جديدة مع مشايخ تلك المنطقة<sup>(٢١٥)</sup>، ضاربين بعرض الحائط اتفاقية عام ١٩٣٤م، التي تنص على الحفاظ على الوضع الراهن.

ونتيجة لهذه الاحداث المذكورة آنفاً، لم يكن بدا من الإمام إلا أن يمد جسوره نحو القبائل الجنوبية المناصرة له، لنشر الاضطرابات وضمان عدم الاستقرار في المحميات الجنوبية<sup>(٢١٦)</sup>. إضافة الى إرسال بعض المفاوز الإمامية إلى داخل حدود المحمية، لمناوشة بريطانيا في بعض المناطق، مثل منطقة وادي مرخة، التي اشتبكت فيها قواته مع القوات البريطانية في عام ١٩٤٠م، كنوع من التعبير عن السخط الإمامي لانتهاك بريطانيا حدود شبوة<sup>(٢١٧)</sup>.

ويعبر تقرير سرى بعثه صالح جعفر، ممثل المصالح البريطانية في اليمن إلى مرؤوسيه في عدن، بتاريخ ٢١ ديسمبر ١٩٤٠م عن نشاطات الإمام يحيى في المحميات، فيقول: إن الإمام يحيى يشجع انتفاضات القبائل في المحميات، ويقوم بحيك المؤامرات، ونشر المقالات والمطبوعات المناوئة للإنكليز، إضافة إلى أنه يقوم بالتواصل مع الإذاعات الألمانية والإيطالية في إريتيريا والصومال لبحث الحملات الإعلامية ضد بريطانيا العظمى<sup>(٢١٨)</sup>.

ومما سبق، نلاحظ استمرار التجاذبات بين الإمام وبريطانيا بين الفينة والأخرى بشكل أشبه ما يكون بالحرب الباردة، بالرغم من توقيع اتفاقية عام ١٩٣٤م. فالمفاوضات قائمة بين الطرفين في الوقت نفسه الذي يتآمر فيه كل طرف على الآخر، ويضع إصبعه على الزناد، ومن ذلك ما قامت به بريطانيا من دعم لنشاطات السيد الدباغ في اليمن الأسفل، وهو من الشخصيات الحجازية المعارضة لابن سعود، التي دفعتها بريطانيا إلى القطاع الشافعي من شمال اليمن<sup>(٢١٩)</sup>، وأمدته بالسلاح والأموال في عام ١٩٤٠م، لإثارة القلاقل والنعرات، ولمشاغلة الإمام يحيى بخوض المعارك مع الحكومة اليمنية، تمهيدا لتوسيع دائرة النفوذ الإنكليزي في المناطق المجاورة للمحميات الغربية<sup>(٢٢٠)</sup>. كذلك ما قامت به بريطانيا من تهديدات بقصف قوات الإمام بالطائرات، إن لم يسحب قواته من منطقة الحمراء، وهي مجموعة قرى بين البيضاء ومحمية يافع، أرسل إليها الإمام ١٥٠٠ رجل من قواته عام ١٩٤٤م، كردة فعل على محاولات بريطانيا بسط نفوذها هناك تحت غطاء بعض مشايخ يافع، الذين ادعوا ملكيتهم لها<sup>(٢٢١)</sup>.

ولا ننسى احتضان بريطانيا لحزب الأحرار المعارض للإمام يحيى منذ منتصف الأربعينيات، للضغط على الإمام يحيى ومساومته، حيث وفرت لهذا الحزب المقر، والحماية، ووسائل الطباعة والدعاية والإعلان، وجريدة رسمية تطبع في عدن تحت مسمى صوت اليمن، ويكفي أن نستشهد في هذا السياق بقلق زيد الموشكي وهو اجسه من صفة العمالة التي لحقت به هو وزملاؤه أعضاء حزب الأحرار، حيث وجه لهم النقد بعد فشل المحادثات بين مندوب الإمام يحيى وحكومة عدن قائلا: «أظن أن المفاوضات فشلت بين الإمام يحيى والإنكليز، وأنه ما تغير موقف الوالي الإنكليزي الشديد، وأصبح لنا وديا معنا إلا بسبب تصلب الإمام يحيى إزاء مساوماتهم، فالإنكليز يريدون أن يضغطوا بنا على الحكومة اليمنية، لتتنازل لهم عما يطلبون، وأرى ألا نقوم بأى نشاط سياسي ضد حكومة اليمن، لأن العمل ضدها أصبح حراما، بل إجرام، لأنه سيكون بتوجيه من المستعمرين الإنكليز، وأن من يعمل الآن ضد الإمام يحيى، فهو عميل للإنكليز، وسيخرج على شريعة الإسلام، وكيف نرضى أن يوقفنا الوالي الإنكليزي حين يريد، ويحركنا حين يريد، وهل يجوز أن نكون سببا من أسباب ضياع الوطن؟ سنكون مسؤولين أمام الله والتاريخ، ولن يكون الإمام أشرف منا، أو أحرص على استقلال اليمن<sup>(٢٢٢)</sup>».

ومما زاد من سوء العلاقة وتدهورها بين الإمام وبريطانيا خلال فترة نهاية الثلاثينيات ومطلع الأربعينيات، كما وضحته الوثائق البريطانية، السياسة البريطانية المتحيزة في فلسطين إلى جانب اليهود. ففي خطاب أرسله الحاكم البريطاني في عدن إلى وزير الخارجية البريطانية في ٦ يونيو من عام ١٩٣٨م، ويقول فيه: «للأسف الشديد، إن العلاقات البريطانية اليمنية في رأيي تدهورت منذ آخر زيارة لي، والسبب الأساسي في ذلك، هو سياسة حكومة صاحب الجلالة في فلسطين، حيث إن النظرة اليمنية لسياستنا في فلسطين من البساطة بمكان حتى نفهمها. إن اليمن تحكم من قبل إمام من ذرية الرسول محمد، وبإمكانى القول: إن الطبقة الحاكمة الزيدية هي من أكثر طبقات المسلمين تعصبا في العالم اليوم، باستثناء جماعة الإخوان الوهابيين، حيث إن نظرة الإمام لليهود تنطلق من القرآن، الذى أوضح شرور اليهود، لذلك فإنه شىء غير متصور فى ذهن الإمام، ويتجاوز إمكانية الإدراك بالنسبة له ولجماعته الزيدود، أن يكون لليهود بنية مستقلة يدعمها البريطانيون، وإلا سوف يكون معنى ذلك أن سياسة بريطانيا توجه ضد الإسلام ككل<sup>(٢٢٣)</sup>».

وبالعودة إلى الوثائق البريطانية، يمكن أن نجمل مثلث الصدام اليمنى البريطانى منذ مطلع الأربعينيات إلى يوم استشهاد الإمام يحيى، بما هو موضح فى الرسالة الإخبارية المرسله يوم ٢٨ يناير من عام ١٩٤٧م من الحاكم البريطانى شامبيون إلى إدارة المستعمرات، يقول شامبيون فى الرسالة: «يجب أن نكون متيقظين للاعتداءات اليمنية، كتلك التى حصلت مؤخرا فى منطقة حوض الماء، ودار البيضاء، ووادى حمراء بين البيضاء ويافع، ووادى مرخة، ومنطقة العين<sup>(٢٢٤)</sup>»، إضافة إلى التسللات الإمامية، مثل احتلال منطقة نجد مرقد<sup>(٢٢٥)</sup>، واحتلال الجانب الشرقى من منطقة الشيخ سعيد، الخاضعة لبريطانيا، ومحاولات التسلل لاحتلال مناطق على حدود محمية بيحان<sup>(٢٢٦)</sup>، والاشتباكات التى حصلت فى منطقة الصبيحى التى أرسل إليها سيف الإسلام أحمد بعض المجموعات القبلية مرارا لإزعاج السلطات البريطانية<sup>(٢٢٧)</sup>. وفى هذا السياق يقول المندوب السامى فى برقية وجهها إلى وزير الخارجية البريطانى فى ٢٠ أبريل من عام ١٩٤٠م: «إن الحكومة اليمنية ليس لديها الرغبة للوصول إلى تسوية نهائية للحدود، مثلما كان متوقعا عند عقد اتفاقية عام ١٩٣٤م، ولقد قررت شخصيا التخلّى عن فكرة إقناعهم بذلك، والآن أحاول أن أصل معهم إلى اتفاق حول تحديد مفهوم الوضع الراهن فيما يخص الخط الفاصل بيننا وبينهم فى منطقة بيحان<sup>(٢٢٨)</sup>».

وفى وثيقة أخرى وردت فى أرشيف الوثائق البريطانية، كتبها صالح جعفر وكيل بريطانيا السياسى وممثل مصالحها فى اليمن، موجهة الى مرؤوسيه فى عدن، توضح ارتياحه مما اتبعه الإمام يحيى من سياسة فى الأربعينيات أطلق عليها بسياسة التكتيك الغامض، فهو من جهة يتظاهر بالميل لحل الخلافات مع بريطانيا فى الجنوب بطريقة المفاوضات السلمية، ومن جهة أخرى يحشد قواته على الحدود، ويوزع الأموال لرؤساء القبائل الجنوبية، لحثهم على التآمر، وإثارة الاضطرابات فى المحميات البريطانية، وينتظر بفارغ الصبر نتائج النزاع الأوروبى فى الحرب العالمية الثانية، لتكون فى غير صالح الحلفاء، حتى يتمكن من إكمال مخططاته لاحتلال المحميات، لانصراف اهتمامات بريطانيا عنها بسبب انشغالها بالحرب العظمى<sup>(٢٢٩)</sup>.

إلا أن الإمام من جانب آخر كان فى حاجة ماسة للعب بورقة العلاقات البريطانية، لمواجهة التنامى المتزايد للنفوذ الإيطالى، الذى بدأ يطبق الأنفاس على اليمن<sup>(٢٣٠)</sup>، حيث استغلت إيطاليا حاجة الإمام الملحة للأسلحة والخدمات والمشاريع، وحاجته لشريك دولى يساعده على لجم التطلعات البريطانية، وقامت باتباع سياسة الاختراق السلمى عن طريق بعثاتها الطبية فى اليمن، والرشاوى المالية لموظفى الدولة<sup>(٢٣١)</sup>، وتقديم آلاف من الفرص الوظيفية للعمالة اليمنية فى مستعمراتها الأفريقية، وفتح باب التجنيد لليمنيين فى قواتها المسلحة فى إريتريا وجيبوتى والصومال<sup>(٢٣٢)</sup>، واستخدمت كذلك كوادرها من المهندسين ورجال الأعمال الإيطاليين المتواجدين فى اليمن منذ توقيع معاهدة عام ١٩٢٦م، لبيت نفوذها ودعاياتها بإظهار نفسها المناصر الأول للقضايا العربية، وخاصة قضية فلسطين<sup>(٢٣٣)</sup>. وقد بلغ النفوذ الإيطالى أوجه بالصدقات والعلاقات الشخصية التى شبكها رجال البعثات الإيطالية مع سيف الإسلام أحمد، الابن الأكبر للإمام يحيى، الذى كان يبدى علانية تأييده المطلق لإيطاليا، ويعقد الاجتماعات بصفة أسبوعية مع الدكتور دوبيوزى<sup>(٢٣٤)</sup>، الطبيب الذى عاش فى اليمن لأكثر من عشر سنوات، وكان يعد بمثابة رأس النشاطات السياسية الإيطالية فى اليمن تحت غطاء الطبابة<sup>(٢٣٥)</sup>، إلا أن أكثر ما أعاظ الإمام يحيى من الإيطاليين، محاولتهم نشر الفكر الفاشى بين كوادر الدولة، وخاصة الشخصيات الرفيعة فى المجتمع عن طريق خلاياهم المنتشرة فى اليمن<sup>(٢٣٦)</sup>، إلى درجة أن نصح وزير خارجية اليمن راغب بك الإمام يحيى بضرورة إبعاد القنصل الإيطالى وإغلاق القنصلية، لأنها صارت خلية فاشية<sup>(٢٣٧)</sup>.



وزادت حالة توجس الإمام وغبه من إيطاليا، بعد أن اكتسحت قواتها الحبشة فى عام ١٩٣٦م، بالرغم من استقلالها وعضويتها فى عصبة الأمم. وكان الاعتقاد السائد آنذاك بأن اليمن سيكون الهدف الثانى بعد أثيوبيا لمذ المشروع الاستعمارى الإيطالى فى البحر الأحمر، وقد أسهبت الصحافة العربية والأجنبية فى تحذير الإمام يحيى من النوايا الإيطالية<sup>(٢٣٨)</sup>، خاصة أن إيطاليا كانت قد وقعت معاهدة صداقة مع أثيوبيا، لها مثل اليمن، بل وأكثر من ذلك، سبق أن ساعدت إيطاليا أثيوبيا فى الدخول إلى عصبة الأمم المتحدة<sup>(٢٣٩)</sup>.

ومما زاد الأمر سوءاً، توزيع إيطاليا الفاشية منشورات دعائية تمثل موسيلينى راكبا على حصان، ورجلاه فوق القرن الأفريقي، ويداه على شواطئ باب المندب<sup>(٢٤٠)</sup>، ناهيك عن الأنباء التى تواردت عن تطلع إيطاليا لمنطقة الشيخ سعيد فى اليمن، المحاذية لباب المندب، مما دفع الإمام إلى تحصينها من جهة المخا بمزيد من الرجال والإمدادات والتحصينات، سدا للذرائع، وها قد صدق حدس الإمام يحيى، عندما طلبت إيطاليا منه بناء مخازن عسكرية على أراضيه<sup>(٢٤١)</sup>، ثم طلبت منه السماح بإرسال الجرحى الإيطاليين المصابين فى حرب أثيوبيا إلى الشواطئ اليمنية، وبالذات منطقة الشيخ سعيد للاستشفاء، إلا أنه رفض ذلك مطلقاً، لادراكه أن ذلك بمثابة مسمار جحا.

كل هذه التطورات دفعت الإمام دفعا إلى محاولة تحسين علاقاته مع بريطانيا، لخلق نوع من التوازن السياسى<sup>(٢٤٢)</sup> واتباع سياسة اللعب على الحبلين لحماية اليمن من الأطماع الإيطالية، وتقلبات السياسة الدولية، ويعلق المندوب السامى البريطانى على اتباع الإمام يحيى لهذه السياسة بقوله فى تقرير بعثه إلى وزير الخارجية فى لندن، بتاريخ ٦ يونيو من عام ١٩٣٨م: «إن الإمام يدرك جيدا ان إيطاليا قد أصبحت مصدر خطر مباشر، فى حين انه ينظر نحو بريطانيا كمصدر خطر مستقبلى، وبالتالى فانه يأمل فى أن يحافظ على استقلال بلاده، عن طريق التهدئة والاسترضاء لكلا القوتين البريطانية والإيطالية، ولكن الاسترضاء ليس سياسته الوحيدة، حيث إنه يقوم باللعب على الحبلين بالطريقة نفسها التى كان السلطان عبد الحميد يلعبها مع القوى العظمى، فهو يشعر بأن خلق نوع من التنافس الدولى والغيرة بين القوى العظمى، سوف تمكنه من قيادة دفة اليمن فى المياه الضحلة إلى بر الأمان، وأن كل الدول الكبرى المحيطة به سوف تحرص على عدم إزعاجه، خوفا من دفعه نحو منافسيها<sup>(٢٤٣)</sup>، لذا لم يكن من المستغرب أن يتواصل الإمام مع الإنكليز، للاستفسار عن موقفهم حيال إمكانية دخول الإيطاليين عنوة إلى منطقة الشيخ سعيد<sup>(٢٤٤)</sup>»، وزاد الإمام على ذلك بأن طلب من الإنكليز إمداده ببعض الأسلحة لحماية تلك المنطقة<sup>(٢٤٥)</sup>.

ولتوضيح أهمية منطقة الشيخ سعيد بالنسبة للإيطاليين، أسوق تقريراً كتبته المندوب السامى رايلي فى ١٤ ديسمبر من عام ١٩٣٥م، يحذر فيه من المطامع الإيطالية فى تلك المنطقة، باعتبار أنها تطل على مضيق باب المندب، ويقول فى هذا التقرير: إن بريطانيا لا أطماع لها فى منطقة الشيخ سعيد، طالما أنها غير واقعة فى أيادى قوى أوروبية، ولذا ترغب بريطانيا فى أن تحتفظ اليمن بها، مثلما رغبتنا فى السابق فى أن تحتفظ تركيا بها. والإيطاليون يدركون استراتيجيتنا فيما يتعلق بهذه النقطة، وسوف يكونون سعيدين جداً لو تمكنوا من الحصول على موطأ قدم لهم فى هذه المنطقة، ليوم أصبحت الشكوك تراودهم من علامات التعاون اليمنى البريطانى، حيث كانوا يشعرون باعتماد الإمام عليهم كلية، لمساعدته على مواجهة الأطماع والاعتداءات البريطانية حتى عهد قريب، إلا أنه اليوم بعد اعتدائهم على أثيوبيا، تحولت ثقة الإمام نحونا، وبدأت الشكوك تراوده من المطامع الإيطالية<sup>(٢٤٦)</sup>.

والملاحظ أن الإيطاليين عندما شعروا بميل الإمام يحيى فى عام ١٩٣٦م لخلق توازن جديد فى علاقاته الدولية، خاصة بعد أن شاهده وهو يعقد اتفاقات تعاهدية جديدة مع غيرهم من الدول الأوروبية، مثل فرنسا التى عقدت حكومة اليمن معها اتفاقية فى ٢٥ أبريل عام ١٩٣٦م، وبلجيكية التى عقد معها اتفاقية فى ٧ ديسمبر عام ١٩٣٦م<sup>(٢٤٧)</sup>، إضافة إلى سعى الإمام يحيى لعقد اتفاقيات مع اليابان بإرسال ابنه سيف الإسلام الحسين إلى طوكيو اليابان للتفاوض<sup>(٢٤٨)</sup>، مما يعنى توسيع دائرة الخيارات للإمام، وتقويت الكثير من الفرص الثمينة على إيطاليا، ولذلك بادر الطليان بمغازلة الإمام يحيى من جديد فى محاولة التفافية، للحد من انجرافه بعيداً عنهم، فوصل حاكم إريتريا جاسبارينى ثانية إلى صنعاء على رأس بعثة دبلوماسية عام ١٩٣٧م لتوقيع اتفاقية صداقة جديدة<sup>(٢٤٩)</sup>، ومعه مجموعة من الهدايا الثمينة، ومنها دبابة حديثة الصنع، ومجموعة من السيارات<sup>(٢٥٠)</sup>، إلا أن الأهم كان موافقة إيطاليا على بيع اليمن أسلحة أسالت لعاب الإمام يحيى، ومنها مدافع مضادة للطائرات، مما يعنى تمكين اليمن من التصدى لأية غارات جوية بريطانية مستقبلية، وفعلاً وصلت شحنة المدافع المضادة للطائرات، وبأشر المدربون الإيطاليون تدريب قوات الإمام<sup>(٢٥١)</sup>.

وبالرغم من كل تلك الإغراءات، لم تتمكن إيطاليا من تحقيق أية نجاحات تذكر في فرض توجهاتها السياسية على حكومة اليمن، أو انتزاع أية حقوق تتعلق بسيادة اليمن واستقلاله<sup>(٢٥٢)</sup>، وذلك بفضل تحرز الإمام يحيى واستفادته من أجواء التناقضات بين مصالح بريطانيا وإيطاليا، والتي مكنته من ممارسة سياسة اللعب على الحبلين بينهما لحماية اليمن<sup>(٢٥٣)</sup>، وبفضل استغلاله للخلاف الذى دب بين إيطاليا وبريطانيا حول تفسير اتفاقية روما، التي كان من المفترض أن تقسم النفوذ بينهم فى البحر الأحمر<sup>(٢٥٤)</sup>، والتي كان من شأنها انجراف إيطاليا نحو التحالف مع ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية.

لقد اتسمت مواقف الإمام يحيى فى خلال الحرب العظمى الثانية بعدم الانجراف فى تيار الصراع بين القوى الكبرى، حيث أعلن الحياد بين الأطراف المتنازعة، كما أعلنه فى الحرب العظمى الأولى، واتخذ موقفا متفردا فى رفض إعلان الحرب على ألمانيا واليابان، خلافا لمواقف باقى البلاد العربية، التى اتخذت جانب الحلفاء فى الحرب الثانية، وأعلنت جميعها الحرب على دول المحور - بلا استثناء - تحت الضغط البريطانى، ولم يقدم الإمام شيئا لدول المحور أكثر من قبوله بعض اللاجئين الألمان والإيطاليين، وافتتاح محطتى إذاعة فى بلاده لبث الدعايات الألمانية والإيطالية ضد بريطانيا<sup>(٢٥٥)</sup>.

والحقيقة أن تواصل الإمام يحيى مع الألمان كان ينطلق من مؤازرة الشعوب العربية المعنوى لألمانيا فى بلاد الشام ومصر، لأن الألمان كانوا أعداء لليهود<sup>(٢٥٦)</sup>، إضافة إلى أن الشعور العام لدى العرب كان فى صف الألمان واليابانيين، نكابة ببريطانيا وفرنسا الرابضتين على صدر العرب، لذا لم يكن من المستغرب أن نرى الإمام يحيى يحابى كل الدول التى لم يكن لها تاريخ استعمارى ملطخ فى عالنا العربى، بما فى ذلك روسيا، وإن كانت دولة شيوعية، إلا أنها حظيت بامتيازات خاصة فى تعاملها مع اليمن<sup>(٢٥٧)</sup>.

وهذا الشعور بالامتعاض من الدول الاستعمارية، هو الذى دفع الكثير من الزعماء العرب والمسلمين إلى اللجوء إلى ألمانيا، مثل الخضر حسين الجزائرى، والحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين، وغيرهم من زعماء مصر، والعراق، والشام<sup>(٢٥٨)</sup>، ولكن هزيمة قوات رومل نهائيا فى معركة العلمين، قللت من ميل الإمام يحيى نحو دول المحور، واضطرته إلى إيقاف البث الدعائى لصالحهم، وقطع علاقاته معهم، خاصة إيطاليا التى تم طرد جميع منسوبيها من اليمن، اتقاء لشر العواقب<sup>(٢٥٩)</sup>.

وبعد انهزام دول المحور في الحرب العالمية الثانية، اضطر الإمام إلى التخفيف من لهجته العدائية تجاه بريطانيا، خاصة بعد انكسار الورقة الإيطالية التي كان يستخدمها الإمام لكبح جماح بريطانيا. وقد تبادر إلى ذهن الإنكليز أن الساحة قد خلت أمامهم لإخضاع الإمام يحيى ولجم تطلعاته الوطنية نحو الجنوب، فها هو يقف وحيدا في العراق، مجردا من الحليف والظهير المعنوي الذي يمكن أن يساعده على مواجهة بريطانيا، إلا أن التقديرات البريطانية كانت في غير محلها، حيث بدأ الإمام في مد الجسور نحو الولايات المتحدة الأمريكية، في محاولة لتكبييل المحادثات البريطانية، فأرسل ابنه سيف الإسلام عبد الله في زيارة رسمية إلى واشنطن، لمقابلة الرئيس ترومان<sup>(٢٦١)</sup>، كان من شأنها عقد اتفاقية سياسية وتجارية أثمرت عن بدء التبادل الدبلوماسي، والاتفاق على بدء التنقيب عن المعادن والنفط، والقيام بمشاريع تنموية واقتصادية متنوعة، وتقديم قرض بمبلغ مليون دولار، لشراء مواد وتجهيزات تقنية وأسلحة حديثة<sup>(٢٦٢)</sup>، مما أفقد بريطانيا صوابها، لإدراكها أن هذه الاتفاقية تنبئ عن مخاطر جمة تهدد توازنها الاستراتيجي في جنوب جزيرة العربية، وترجح كفة الإمام يحيى أمامها بحليف جديد يصعب عليها محاصرته على الساحة الدولية، كما حاصرت بالأمس حلفاءه السابقين، سواء الأتراك أو الإيطاليين. وما كان من الحكومة البريطانية إلا أن اعترضت رسميا على هذه الاتصالات مع أمريكا تحت ذريعة أنها تتعارض مع روح اتفاقية عام ١٩٣٤م بين اليمن وبريطانيا<sup>(٢٦٣)</sup>، إلا أن الإمام يحيى ضرب ظهر المجن للإنكليز، ومضى قدما في توقيع الاتفاقية مع الولايات المتحدة الأمريكية، فكان لزاما على بريطانيا أن تنسج خيوطها التآمرية ودسائسها الخفية بوتيرة أسرع، لإفشال هذا التوجه الجديد. فالوقت في غير صالحها، والولايات المتحدة غير خاضعة لإملاءاتها، مقارنة بمعطيات الجبروت البريطاني في العشرينيات والثلاثينيات، الذي مكنها من حصار الإمام يحيى، وتضييق هامشه للتحرك وإبقائه محشورا تحت نظرها على امتداد ثلاثة عقود تقريبا.

واتت الفرصة الذهبية لبريطانيا عندما توازت مصلحتها في دفع الولايات المتحدة عن اليمن مع مصلحة خصوم الإمام يحيى ومن لف لفهم من المتأمرين<sup>(٢٦٤)</sup> الذين شعروا بالخطر من أن يعزز توجه الإمام يحيى الجديد نحو الولايات المتحدة من سلطة الإمام يحيى وبنية حكمه، لذا لم تعد بريطانيا الوسيلة لتضرب ضربتها الموجهة بالإمام يحيى، تأديبا له

عن طريق خلاياها العميلة المنتشرة فى اليمن منذ الثلاثينيات، وعلى قمة الهرم السلطوى وأولهم أمير تعز المخلوع، على عبد الله الوزير، الذى كشفت الوثائق البريطانية اتصالاته السرية المشبوهة بالإنكليز منذ عام ١٩٣٤م، عندما كان ما يزال عاملا للإمام فى منطقة تعز، حيث أرسل مبعوثه الشخصى واسمه أحمد الأصنج إلى المندوب السامى البريطانى رايسى، طالبا مقابلته بصفة سرية، ومعبرا له عن سخطه على الإمام يحيى، وموضحا طموحاته السياسية هو وأسرته، خاصة ابن عمه عامل الإمام يحيى فى منطقة الحديدية، عبد الله بن أحمد الوزير، الذى يراه الشخص المناسب لتولى الإمامة فى اليمن، ومعبرا للمندوب السامى عن صداقته الحقيقية للإنكليز، واستعداده لتلقى التعليمات والتوجيهات اللازمة منهم، مقابل الدعم البريطانى لأسرته، وزاد على ذلك بأن طلب من الإنكليز تجنيد ألف مرتزق صومالى وتدريبهم فى عدن، إلى أن يحين الوقت المناسب لاستدعائهم لنصرته هو وأسرته. وأضاف ابن الوزير بقوله: إنه يرى أن هناك تطابقا فعليا بين مصلحته ومصالح بريطانيا الاستراتيجية، باعتبار أن أسرة آل الوزير إن ظفرت بالإمامة، فسوف يدخلون مع بريطانيا فى اتفاقية جديدة، يكون من شأنها تحول اليمن إلى حليف للحكومة البريطانية التى سوف يكون لها الأفضلية فى التعامل دون باقى الحكومات<sup>(٢٦٤)</sup>.

وفى وثيقة أخرى ضمن الوثائق البريطانية التى تبين لهات ابن الوزير وراء الإنكليز لنصرته، أسلط الضوء على التقرير الذى كتبه الضابط البريطانى سيجر لرؤسائه، بتاريخ ١٧ مايو من عام ١٩٣٨م، عقب عودته من مهمة له فى اليمن، حيث يقول فيها: «إن على عبد الله الوزير طلب أن يكلمنى بصفة سرية عند ما أعود من صنعاء، فلقد أصبح له أكثر من سنتين وهو يحوم محاولا تصيد وعد من الحكومة البريطانية فى عدن لنصرته واسرته فى حالة مواجهته أى مشاكل عند وفاة الإمام يحيى»<sup>(٢٦٥)</sup>.

وهذه الشهادة التى أوردها الضابط سيجر، تدل بما لا يدع مجالا للشك على أن اتصالات على عبد الله الوزير المشبوهة لم تكن وليدة الصدفة، أو على أثر لحظة انفعال، بل كانت قائمة على سبق إصرار وترصد وتماد لسنوات طويلة، فلا عجب إذا أن يقيله الإمام يحيى من منصبه الحساس فى إمارة لواء تعز المحاذية لعدن، وإحلال مكانه ابنه سيف الإسلام أحمد، قطعاً لحبال التآمر البريطانى، الساعى إلى ابتلاع البقية الباقية من اليمن.

ولقد بلغت اتصالات على الوزير المشبوهة مع الانكليز لمسامع الإمام يحيى ، بعد أن تسربت إليه وثائق موقعة بخط يده ، فاستدعاه الإمام يحيى بوجود ابن عمه عبد الله الوزير ، وأخرج له نسخا من الوثائق ، فأ نكر على الوزير معرفته بها ، وأقسم أيما مغلظة هو وابن عمه على أنها رسائل مزورة قصد بها الوقيعه بين الإمام وآل الوزير<sup>(٣٦٦)</sup> ، فما كان من الإمام يحيى إلا أن عزل على الوزير من إمارة تعز ، وعزل ابن عمه عبد الله الوزير من إمارة الحديدة وقلبه يقطر دما على خيانة أنسابه الذين أئتمنهم على الأمانة ، واعتمد عليهم فى حكمه أكثر من اعتماده على أولاده ، وزوج أولادهم وإخوتهم ببناته ، حيث كان عبد القدوس الوزير ، وهو أخو حاكم الحديدة عبد الله الوزير متزوجا بابنة الإمام يحيى ، الشريفة أمة الرحمن ، وكان عبد الله بن على الوزير ، وهو ابن حاكم تعز متزوجا بابنة الإمام الأخرى ، الشريفة تقيبة .

ولم يجد الإمام يحيى بدا بعد هذه الخيانة المؤلمة من أن يعتمد أولا وأخيرا على أبنائه فى الحفاظ على أمن الدولة ، فولى بعد عزله آل الوزير ابنه سيف الإسلام أحمد ، ليحل محل على الوزير فى إمارة تعز ، وولى ابنه الآخر عبد الله فى إمارة الحديدة ، ليحل محل عبد الله الوزير ، فما كان من على الوزير إلا أن استعرت نيران حقه ، وبدأ يمارس دورا آخر ، أقل ما يمكن أن يقال عنه : إنه خيانة للدين والوطن ، حيث بدأ يؤدى دورا تجسسيا لخدمة المصالح البريطانية بتسريب أسرار الدولة ، مقابل الحصول على وعد بالدعم البريطانى لترتيباته المستقبلية ، ومن ذلك ما ورد فى الوثائق البريطانية من تقرير إخبارى موجه إلى وزارة الخارجية البريطانية فى عام ١٩٤٠م عن على عبد الله الوزير ، حيث يقول التقرير : «وردت إلينا معلومات سرية عن طريق شخصية يمنية مهمة للغاية ، فقدت موقعها المميز فى الدولة ، وتشعر بالمرارة والحنق الشخصى على ولى العهد والإيطاليين فى اليمن ، الذين فضحوا نشاطاته للإمام يحيى ، حيث أخبرتنا هذه الشخصية باتصالات الإمام يحيى السرية بألمانيا النازية أثناء الحرب العالمية الثانية ، ورد الألمان عليه ردا إيجابيا بالوعد من أن ألمانيا سوف تعيد أوصال مملكته المجرأة تحت ولايته فى أقرب فرصة ، بما فى ذلك المناطق الجنوبية المحتلة»<sup>(٣٦٧)</sup> .

وبتحليل هذه الأوصاف التى ذكرها الحاكم البريطانى عن الشخصية التى تسرب له المعلومات ، لن يستعصى على كل من يملك حدا أدنى من العقل والبصيرة ، أن يفهم من هو المقصود بهذه الأوصاف ، فمن غير أمير تعز المخلوع على عبد الله الوزير تنطبق عليه هذه الصفات ، فهو الذى كان شخصية مهمة للغاية منذ تعيينه حاكما للواء تعز ، واستمر فى حكمها لأكثر من عشرين

عاما، وهو الذى فقد موقعه المميز فى الدولة بعد خلعه من إمارة تعز، بعد أن انبعثت روائح اتصالاته الكريهة مع الإنكليز، وهو صاحب الخصومة الشخصية مع سيف الإسلام أحمد بن الإمام يحيى<sup>(٢٦٨)</sup>، الذى حل محله عقب إقالته من تعز، بل لقد بلغت به الخصومة والكره لسيف الإسلام أحمد إلى درجة أن حاول إعداد خطة سرية لاغتياله، بدفع مبلغ ألف ريال فرانضى لأحد مشايخ حاشد واسمه أبو فارغ لتنفيذ عملية الاغتيال<sup>(٢٦٩)</sup>.

واستمر على عبد الله الوزير بالتفاهم مع الإنكليز فى أداء دوره لخدمة المصالح البريطانية على حساب مصالح اليمن، مقابل الوعد بمساعدة أسرته على الوصول إلى الحكم، ومن ذلك إرجافاته ومعارضته الشديدة هو وابن عمه عبد الله الوزير لعقد الإمام يحيى أى اتفاقية مع الولايات المتحدة، يكون من شأنها التنقيب عن النفط، حيث عبر بنبرة حادة بأن إعطاء أى امتياز للولايات المتحدة الأمريكية، ليس فى صالح اليمن لا من قريب ولا من بعيد<sup>(٢٧٠)</sup>. وقال فى حضرة الإمام يحيى معرضا بمسودة الاتفاقية: «إن هذه الاتفاقية سوف تفتح الباب لوصول الآلاف من الأمريكيين إلى اليمن، مما سوف يشكل إفسادا للشعب اليمنى، لأن هؤلاء سوف يحملون معهم أفكارا غير إسلامية، سيما وأنه لا بد وأن تفتح مدارس لأطفالهم، وأنواع الملاهى وأنواع الخلاعة، مما يهدم الأمة فى عقائدها وتراثها ودينها». أما عبد الله الوزير فقد حاول إقناع الإمام يحيى بأن هذه الاتفاقية ليست فى صالح اليمن، ولا فى صالح الإمام، وأنه يعارضها ولا يرضاها<sup>(٢٧١)</sup>.

والواقع أن معارضة على الوزير وابن عمه عبد الله الوزير ومن لف لفهم من المتآمرين لهذه الاتفاقية، وتحذيرهم للإمام يحيى من عقدها، ومحاولتهم إقناعه بإجهاضها، لم يكن بعيدا عن التوجيه البريطانى<sup>(٢٧٢)</sup>. ولقد وضحت الكثير من الوثائق البريطانية دور الحاكم البريطانى لعدن فى دفع أبناء الوزير وغيرهم فى هذا الاتجاه، ومن تلك الوثائق تقرير بعثه الحاكم البريطانى فى عدن إلى وزير شؤون المستعمرات، بتاريخ ٢٤ يونيو عام ١٩٤٧م، يبدى فيه أسفه على فشل المحاولات فى إقناع الإمام يحيى بإجهاض الاتفاق مع الولايات المتحدة، ويقول: إن حقد الإمام يحيى علينا، هو الذى دفعه إلى تجاهل النصائح التى قدمها له المعارضون لهذه الاتفاقية<sup>(٢٧٣)</sup>، فمن هم هؤلاء المعارضون الذين يتحدث عنهم الحاكم البريطانى فى عدن؟ وما المبرر لأسفه على فشلهم، لولا أن له دورا فى دفعهم لمعارضة مشروع التنقيب عن النفط؟

أما في الجيش، فنلمس النشاطات السرية للخلايا البريطانية، المتمثلة في البعثة العسكرية العراقية، والتي أرسلت إلى اليمن من قبل الإنكليز عن طريق الحكومة العراقية، لأغراض التجسس والتأمر، تحت ستار التدريب للجيش اليمني، ويتجلى ذلك واضحا في التقارير السرية التي كان يبعثها جميل جمال عضو بعثة التدريب العراقية، وقائد سلاح المدفعية إلى وزارة الخارجية العراقية، الخاضعة عمليا للوصاية البريطانية، بالإضافة إلى تسريب غيره من الضباط العراقيين أدق التفاصيل السياسية والعسكرية عن أحوال اليمن في رسائل إلى المخابرات البريطانية<sup>(٢٧٤)</sup>.





admitted that Italy's position might very well be improved by Britain's embarrassments and that there was a real danger to the Yemen from an Italian success, nevertheless let the Imam not lose this unique opportunity of benefitting from Britain's momentary weakness, and Allah would look after the future.

21. It has been frequently suggested to me that the Italian Mission at San'a have continually been working on the Imam's feelings and pride to prevent a satisfactory compromise in these negotiations. I have no positive evidence that that has happened, however likely it might be; nor would it have been necessary, for the Imam's own implacable nursing of his grievances against the Aden Administration, constantly encouraged by Qadhi Ragheb, coupled with his blind conceit in what I have described as his Divine Right, and his clear impression of British embarrassments have been quite enough to cause his present stubbornness. Moreover I have latterly received intelligence, conveyed to me by a very important Yemeni personage, (who is at present out of favour at the Palace and is bitterly opposed to the Crown Prince, and to the Italians who recently exposed his activities to the Imam,) that earlier in the year the Imam approached the head of the German Government with suggestions for the establishment of friendly contacts, and received lately from Berlin a most cordial reply, assuring him that the whole of his Kingdom would in due course be restored to him, including those parts of it now occupied by occupying foreign powers. It may be imagined how such an encouragement would operate upon the Imam's feelings, and how it would tend to prevent any compromise which might be suggested.

وثيقة تاريخية من وثائق الأرشيف البريطاني عن اليمن في المجلد العاشر صفحة ٣٩١، توضح الدور التجسسي الذي كان يمارسه علي عبد الله الوزير، رئيس وزراء انقلاب عام ١٩٤٨م في تسريب أسرار الدولة اليمنية للحاكم البريطاني في عدن، خدمة للمصالح البريطانية.

وحسبنا أن نستشهد في هذا الشأن بالرسالة السرية التي بعثها جميل جمال في ١٢ أكتوبر من عام ١٩٤٧م إلى وزارة الخارجية العراقية، والتي دق فيها نواقيس الخطر، خوفاً على المصالح البريطانية المهددة في اليمن، بعد أن وقعت حكومة الإمام يحيى اتفاقية عام ١٩٤٦م مع الولايات المتحدة الأمريكية، بالإضافة إلى سعى جميل جمال للإرجاف والتشويه في هذه الرسالة لدى الحكومة العراقية، بادعائه أن هذه الاتفاقية ما هي إلا مؤامرة يهودية موجهة ضد العرب، وزاد على ذلك بتسريب المعلومات عن رغبة قياديين بارزين في اليمن لعمل انقلاب على حكم الإمام يحيى بمساندة دولة صديقة، ويحث جميل جمال الحكومة العراقية على تقديم الدعم المالي والمعنوي لهذا الانقلاب، وأداء دور الوسيط مع بريطانيا، لتأسيس علاقات يمنية بريطانية جديدة قائمة على الصداقة الحقيقية، وتقديم الأفضلية لبريطانيا في تعامل حكومة اليمن على مستوى العلاقات الدولية، بالإضافة إلى حلف عسكري بين العراق واليمن ضد أي عدو مشترك. ويوضح جميل جمال في هذه الرسالة، أن القياديين المتآمرين في اليمن أخبروه أن العمل التجاري الذي أتى بالفضيل الورتلاني مندوب الإخوان المسلمين إلى اليمن، ما هو إلا غطاء لتسهيل مجيئه إلى اليمن، وأن الهدف الحقيقي لمجيئه خدمة قضية المتآمرين<sup>(٢٧٥)</sup>.

أما خارج اليمن، فلم تعد بريطانيا الوسيطة في إيجاد الكثير من الأصوات النشاز من اليمنيين، الذين لم يمانعوا من وضع أنفسهم أداة طيعة في يد بريطانيا تحركهم حيث تشاء، لمساومة الإمام في تقديم تنازلات وطنية، ولضرب مصالح اليمن الاقتصادية والسياسية، وإفشال أية محاولات تقارب مع الولايات المتحدة، من شأنها عقد اتفاقية سياسية وتجارية تضع اليمن على مشارف التطور والرقى. ومن تلك التنظيمات العميلة المحفوفة بالرعاية البريطانية، حزب الأحرار في عدن بقيادة محمد محمود الزبيرى واحمد محمد نعمان<sup>(٢٧٦)</sup>، وجمعية عبد الله بن على الحكيمى فى بريطانيا، الخاضعة للإملاءات البريطانية، حيث كان رئيسها الحكيمى صديقا حميما للإنكليز، يحتل مقاما ساميا بمرتبة ضابط كبير فى جيش عدن الإنكليزى، حيث تلقى التدريب العسكرى على يد القادة الإنكليز فى عدن، وأصبح من المعروفين بالإخلاص والولاء لخدمة المصالح البريطانية<sup>(٢٧٧)</sup>، وأسوق للقارئ شواهد دامغة لنشاطات الزبيرى، ونعمان، والحكيمى المشبوهة فى خدمة المستعمر الإنكليزى، والتي تزامنت مع بداية التقارب اليمنى الأمريكى، وهى كما يلي:

١ - الخطاب التحريضي الموجه إلى القنصل الأمريكي شيلدز في جدة، بتاريخ ١٧ نوفمبر من عام ١٩٤٥م، حينما شاع خبر دعوة الإمام يحيى للحكومة الأمريكية بإرسال مبعوثين إلى اليمن للتفاوض من أجل الوصول إلى اتفاقية سياسية اقتصادية، كان من شأنها موافقة الامام يحيى على اعطاء امتياز للتنقيب عن النفط للشركات الأمريكية، حيث كتب قادة حزب الأحرار في عدن: الزبيرى ونعمان فى هذا الخطاب من العجائب بما يعريهم ويكشف حقيقة مقاصدهم، ويسقط دعاويهم وشعاراتهم الإصلاحية التى كانوا يتشدقون بها، ومن ذلك قولهم: «أن اليمينيين فى داخل اليمن وخارجها قد فاجأتهم الأنباء المتعلقة بزيارتكم المرتقبة إلى اليمن على رأس وفد أمريكى لعقد اتفاقية بين دولتكم ودولة الإمام يحيى، التى يفترض أن تقاطعوها استنادا لمبادئكم. إن الحكومة الحالية لليمن على وشك السقوط، وأن اليمن فيه من براكين الغضب ما يجعل الأسرة الحاكمة تشعر بالخوف، لذا إن سعت الولايات الأمريكية لمساعدة هذه الأسرة، سوف تصطدم بطموحات الأمة اليمنية، وتتصرف بعكس مبادئها الأمريكية.

ويضيف الزبيرى ونعمان فى هذا الخطاب قولهم: بأن الظرف الحالى فى اليمن يلزم الولايات المتحدة الأمريكية بالألا تقدم العون للأسرة الحاكمة، فى الوقت الذى تتطلع فيه اليمن إلى مساعدة الولايات المتحدة لتأسيس حكومة وطنية تدعو العرب لإرسال رجال للتشاور حول اختيار شكل الحكم الذى يرتضونه اليمينيين. وكم ستصدم الأمة اليمنية إذا وصلت لها الأخبار أن الولايات المتحدة الأمريكية التى قاتلت هتلر من أجل الحرية، سوف تقوم بتقديم الدعم لدكتاتور اليمن يحيى حميد الدين، وسوف تقدم له أسلحة القرن العشرين، من أجل إنهاء بقايا هذه الأمة. إن الولايات المتحدة سوف ترتكب جريمة فيما لو قدمت العون الفنى، والعلمى، والصناعى، والسياسى، أو مخترعات العالم الحديث تحت تصرف هؤلاء الوحوش، لأن هؤلاء الوحوش سوف يتقوون ويتعززون، ولن يكون لديهم الحنو تجاه شعبهم، ولا السماح لهم بالتمتع بالحرية والعدالة والمساواة. إن الولايات المتحدة سوف تشجع حكومة اليمن لتصبح أكثر غرورا وأكثر ازدراء لشعبها، كما أنها سوف تجعل الأمة تفقد الأمل فى العدالة الدولية، وبالتالي إذا أرادت الولايات المتحدة أن تعزز من علاقاتها مع اليمن، فالأجدر بها أن تنتزع صداقة الأمة، وليس صداقة الحكومة الاستبدادية التى اغتصبت حقوق الأمة. ونعلمك يا صاحب السعادة، أن كل ما ذكرناه آنفا

ما هو إلا غيظ من فيض، فإذا رسمنا لكم الصورة والحقائق بالتفصيل، فسوف تصابون بالرعب، لفظاعات الإمام يحيى، ولن نستطيع إعطاءكم مثالا أصدق لفظاعات وأحقاد حكومة الإمام يحيى تجاه شعبها، كحقيقة ذهاب سيف الإسلام الحسين بن الإمام يحيى إلى اليابان، وقضائه معظم جولاته هناك لدراسة طريقة إدارة النظام الياباني، من أجل تطبيقه في اليمن، مع العلم أن علاقة الإمام وحكومته مع دول المحور أثناء الحرب العالمية الثانية كانت قوية وثابتة، ولم يكن للإمام يحيى أى توجه نحو العالم الحر، إلا بعد انهزام الدكتاتوريات المتمثلة فى دول المحور، وهم اليوم يحاولون الانعطف باتجاه الروس، أو أى دولة تساعدكم ان تحتقر أمانى الأمة. وإذا أردت حقا أن تعرف طموحات الأمة، فأرجو منك أن تطلب مقابلة الشخصيات التى تمثل الأمة، الذين معظمهم فى المنفى أو السجون<sup>(٢٧٨)</sup>.

٢ - المقالات التحريضية والنفخ الصحفى لجريدة صوت اليمن، الناطق الرسمى لحزب الأحرار فى عدن، التى تحولت إلى عامل هدم لمصالح اليمن، بتصديها لأى بارقة أمل تنهض بالبلاد فى عهد الإمام يحيى<sup>(٢٧٩)</sup>، حيث شنت سلسلة من حملات الإرجاف والتخويف على مدى سنوات، من أن حكومة الإمام يحيى بتقديمها الامتيازات النفطية للشركات الأمريكية الباحثة عن النفط فى اليمن، إنما تفتح الباب لقوى دولية أخرى لاختراق اليمن بطلبات مماثلة، تشكل عبئا على اليمن، ومن ذلك طلب حكومة عدن إرسال خبراء بريطانيين لاكتشاف النفط، وطلب فرنسا لامتيازات خاصة بها تذكرنا بادعاءاتها الإقليمية فى منطقة الشيخ سعيد القريبة من باب المندب، ومطالبة روسيا للنفقات التى تحملتها بعثتها التجارية فى اليمن قبل الحرب، وطلب الحكومة التركية مبلغ ٣ ملايين جنيه ذهبى، لتعويضها عن الممتلكات التركية التى استولى عليها الإمام بعد رحيل العثمانيين عن اليمن، وأضافت الصحيفة من أن تركيا قد تسقط حقها فى المطالبة، بشرط أن تمتنع حكومة الإمام من الاتصال بالأجانب<sup>(٢٨٠)</sup>.

٣ - نشاطات الزبيرى ونعمان فى الصحافة المصرية، وأخص بالذكر منها مجلة الرابطة العربية، التى حرروا فيها المذكرات الاتهامية بإدخال الإمام يحيى الاستعمار الأمريكى إلى اليمن بسبب هذه الاتفاقية<sup>(٢٨١)</sup>، إضافة إلى مجلة أخرى هبت للتحريض على انفتاح اليمن على الولايات المتحدة الأمريكية، واسمها مجلة الصداقة، التى كان يساهم حزب الأحرار

فى تمويلها، وكان رئيس تحريرها عبد الغنى الرافعى، وهو من أصل يمنى، وواحد من أهم معتمدى حزب الأحرار فى القاهرة، بتدبير وتشجيع كاملين من الدوائر الاستعمارية البريطانية التى لم تجد أفضل منه فى عمالته الواضحة لبريطانيا، بدعوته الصريحة فى مقالاته إلى الحقوق الخاصة لبريطانيا فى اليمن، وإلى ربط مملكة الإمام يحيى بالتاج البريطانى، باعتبار أن ذلك هو الوسيلة الوحيدة للإصلاح، والطريق الوحيد لتحقيق الوحدة اليمنية<sup>(٢٨٢)</sup>. وبممارسته للحرب النفسىة فى مقالاته لتخويف اليمنيين وحكومتهم من مغبة الابتعاد عن بريطانيا، وعدم التعاون معها بقوله: إن اليمن لن تتحرر من الخوف ولا من القلق، ما لم تسعى لصداقة بريطانيا القوية وتوثيق العلاقة معها، إضافة إلى ذلك سعى عبد الغنى الرافعى إلى ممارسة الضغوط على بعض الشخصيات اليمنية الرسمية الزائرة إلى مصر، حيث طلب الاجتماع بسيف الإسلام عبد الله، وحذره من أن أمن اليمن يكمن فى التفاهم مع بريطانيا، وتوثيق الصداقة معها وحدها، وكذلك اجتمع بوزير الخارجية اليمنى القاضى راغب، محاولا إقناعه بتغيير سياسة اليمن مع حكومة عدن، لأن لها حقوق الجيرة التى تتطلب الصداقة<sup>(٢٨٣)</sup>.

وباقتطاع مقتطف من مقالات عبد الغنى الرافعى التى هب فيها للدفاع عن حقوق بريطانيا الخاصة فى اليمن، تظهر عمالة مقالاته وصحفه التى يمولها الإنكليز وحزب الأحرار، حيث كتب مقالا فى مجلة الرابطة العربية، عدد ١٩٤٧/١/٤م يقول فيه: «إن ما تقوم بنشره بعض الصحف الأوروبية والأمريكية بشأن القطر اليمنى، واتجاه بعض الدول الكبرى نحو اليمن لتحقيق مطامع خاصة، هو بلا شك من نسج الخيال، ولا يستند إلى واقع وحقيقة، لأن اليمن يحيط بها نفوذ بريطانى قوى الشكيمة، لن يسمح لأى دولة كانت أن تحقق أى مطمع فى هذه البلاد. فبريطانيا العظمى ترابط فى جزيرة بريم، كما أنها قابضة على ناصية الموقف الاستراتيجى بمضيق باب المندب، وفضلا عن ذلك، فالأسد البريطانى باسط ذراعيه على عدن، وتمتد سطوته إلى هاتيك الديار الواسعة. وهذا الأسد رابض ليسد كل منفذ على من يريد اقتحام أى جانب آسيوى فى تلك المناطق<sup>(٢٨٤)</sup>.

٤ - إصدار الزبيرى ونعمان كتيباً بعنوان (الصهيونية تغزو اليمن)، بهدف التحريض على الاتفاقية اليمنية الأمريكية<sup>(٢٨٥)</sup>، وما ذلك إلا تنفيذ للتوجيه البريطانى الذى كان يروج الأبناء عن وجود صلات بين البعثة الأمريكية واليهود، فى محاولة منهم لإبعاد الأمريكان عن منطقة نفوذهم فى اليمن<sup>(٢٨٦)</sup>.

٥ - توزيع رجال حزب الأحرار المنشورات فى صنعاء التى تهاجم وتعرض على هذه الاتفاقية<sup>(٢٨٧)</sup>.

٦ - البرقية التحريضية الموجهة إلى الرئيس الأمريكى ترومان من قبل الزبيرى ونعمان فى يوم ٢٧ فبراير عام ١٩٤٦م، ومما جاء فيها: «إن الأمة اليمينية ترفض الاعتراف باتفاقيتكم الموقعة مع حكومة الإمام يحيى، التى لا تمثل الشعب اليمنى، ونود أن نذكركم بمبادئكم التى تقوم على عدم عقد أية اتفاقية مع أى قوى لا تمثل رغبة الأمة<sup>(٢٨٨)</sup>».

٧ - الخطاب التحريضى المرسل إلى الجامعة العربية من قبل الزبيرى ونعمان فى يوم ٢٧ فبراير عام ١٩٤٦م، وهو اليوم نفسه الذى أرسلوا فيه خطابهم الآخر إلى ترومان. والمفارقة العجيبة أن الخطاب الموجه إلى الجامعة العربية يحتوى على مضمون ودعاوى مناقضة تماما لفحوى الرسالة الموجهة إلى ترومان. ففى حين أن الزبيرى والنعمان كانا يرفعان عقيرتهم بالصراخ من انفتاح الإمام يحيى على الولايات المتحدة الأمريكية، ويكيلون التهم لى الرئيس الأمريكى، من أجل إحباط الاتفاقية، نجدهم فى خطابهم الموجه إلى أمين عام الجامعة العربية عزام باشا يتهمون الإمام يحيى بعزل اليمن عن العالم الخارجى، بقولهم: «إن اليمن أمانة فى أعناقكم أيها العرب. إن حكومة اليمن الحالية زادت من اعتدائها وانتقامها من الأمة، لأننا أصبحنا نتواصل معكم، وهم يقومون بعزل اليمن عن العالم، من أجل وضع مستقبله فى الظلام، وهم يعينون مفوضيهم من أجل خداعكم، ومن أجل حجب حقوق الأمة. نرجو منكم مساعدتنا بتفويض بعثة عربية إلى اليمن، للاطلاع على الحقائق، وحماية رجال اليمن من مخيمات الاعتقال والسجون<sup>(٢٨٩)</sup>»، وهذا دليل آخر دامغ يعرى الزبيرى ونعمان، ويكشف نفاقهما وازدواجية المعايير فى مواقفهما، فكيف يدعون إلى الشىء وتقيضه، بإرسال رسالتين متناقضتين فى اليوم نفسه، إحداها للجامعة العربية تتهم الإمام بعزل اليمن، والأخرى للرئيس ترومان تحبط توجهات الإمام لإخراج اليمن من العزلة».

٨ - المذكرة التحريضية المرسله من الزبيرى ونعمان إلى الجامعة العربية يوم ٣ أبريل عام ١٩٤٦م، لاستعداد الدول العربية على اليمن، بإثارة النعرات العرقية، ومحاولة إشغال اتفاقية اليمن مع الولايات المتحدة الأمريكية، وزادوا على ذلك فى المذكرة بإيراد طلب عجيب يتعلق بأن يفتح أعضاء دول الجامعة العربية قنصلية لبلدانهم فى عدن، مما يؤكد



البصمات البريطانية لنشاطات الزبيرى ونعمان، والتي تهدف إلى انتزاع اعتراف الدول العربية بالتواجد البريطانى فى عدن، وبالتشطير بين الشمال والجنوب اليمنى كأمر واقع. يقول الزبيرى ونعمان فى هذه المذكرة: «إن البعثة الأمريكية على وشك الوصول إلى اليمن، وقد سيق أبناء قحطان بالجنود والسياط، مسخرين لتعبيد الطريق للسيارات الأمريكية التى ستقل هذه البعثة. إن مما يدمى قلب كل عربى غيور أن تكون الدول الأجنبية أسبق من الجامعة العربية إلى دراسة الوضع اليمنى الراهن، وأحرص على كشف كنوزه ومخابئه. إننا نقترح أن تنشأ فى عدن قنصلية عربية لأعضاء دول الجامعة، عدا القنصلية فى صنعاء، وذلك لتكون مفزعا وملاذا لرؤساء القبائل اليمنية المتبرمة»<sup>(٢٩٠)</sup>.

٩ - الكتاب التحريضى الذى بعثه الزبيرى ونعمان إلى الجالية اليمنية فى بريطانيا، بتاريخ ٢٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٥م، ويحذرون فيه المهاجرين اليمنيين من الانخداع بالاتفاقية الأمريكية اليمنية، لأن الإمام يحيى حسب زعمهم قد دخل فى معاهدة مع أمريكا اليهودية، التى تناصر اليهود ضد العرب، مما يسئ إلى الأمة اليمنية قاطبة، وقولهم فى الكتاب: إن هذه الاتفاقية وإن كان ظاهرها إدخال الإصلاحات على الوطن، إلا أن باطنها حماية أمراء الأسرة المالكة، ولاشئ غير ذلك<sup>(٢٩١)</sup>.

١٠ - الخطاب الذى بعثه عبد الله الحكيمى باسم الجالية اليمنية فى كارديف إلى المكتب الاستعمارى فى لندن، بتاريخ ٢١ يناير من عام ١٩٤٧م، حيث دعا فيه الحكيمى إلى تأسيس حكومة يمنية معارضة خارج اليمن، تكون منضوية تحت العلم البريطانى، وتتعترف بحقوق بريطانيا فى عدن، ومما ورد فى هذا الخطاب ما يلى: «أبعث لسعادتكم هذا الخطاب، الذى يحمل رغبة سبعة ملايين يمنى، الذين يرغبون فى إحراز حلف وميثاق دبلوماسى مع حكومتكم المحترمة، من أجل تقوية العلاقات بين دولتنا، هذه هى رغبة أمتنا فى اليمن التى عانت من العذاب على أيدى حكامها، لذا قررت الأمة فى اليمن عمل جمعية برئاسة مثقفيتها، الذين وجدوا أنهم لن يتمكنوا من التعبير عن قضيتهم للعالم، إلا بالهروب إلى عدن، والعيش بسلام تحت الحكم البريطانى، القائم على الحرية والعدالة. إن الأمة فى اليمن تعلم أن حكومة الإمام يحيى سوف تسقط فى القريب العاجل، وهى لم تتبادل أية مصالح مع حكومتكم البريطانية، حتى فى لحظاتها الأخيرة قبل السقوط، ولم تحترمكم كجيران بريطانيين فى الجنوب، بل داست عليكم، ورمت نفسها نحو أيادى

الأمريكان، لعمل اتفاقيات لحماية نفسها من غضب الأمة، وليس من أجل أى مصلحة أخرى، إلا أن هذه الاتفاقيات لن تحميها من الأمة التي لا توافق على هذه الاتفاقيات. إن الأمة فى اليمن قررت أنه من مصلحتها الإسراع بعمل اتفاقية متينة مع بريطانيا، ونحن نصر على الحكومة البريطانية أن تعترف بطلب السبعة ملايين يمنى، وأن يوافقوا على قضيتهم. وأن كل من يعد نفسه صديقا لليمن، يجب أن يساعد فى تنفيذ هذه الاتفاقية مع بريطانيا، التى هى صديقة العرب. إن اليمنيين يعترفون بصداقة بريطانيا وجيرتها فى الجنوب، بعكس ما عانته بريطانيا من حكومة الإمام يحيى، التى سوف تسقط قريباً. إن كل الصداقة مع بريطانيا والجيرة معها، التى تنكرت لها حكومة الإمام يحيى، وما زالت تنتكر لها، يقابلها اليمنيون بعكس ذلك تماماً، حيث إن الأمة تعترف بصداقة وجيرة بريطانيا وتحترمها، لأنها صداقة قائمة على الاحترام. إن الأمة فى اليمن قررت أن تؤسس حكومتها خارج اليمن، وأن تكون هذه الحكومة تحت العلم البريطانى، الذى سوف يكون له الشرف لخدمة كل الأمم المؤسسة لحكوماتها. سنكون تحت العلم البريطانى، لأن الحكومة البريطانية تحارب الظلم والطغيان، وتحمل على عاتقها توجيه العالم وقيادته، وحمايته من الدول المعتدية<sup>(٢٩٢)</sup>.

١١ - الخطاب التحريضى الذى بعثه عبد الله الحكيمى للجامعة العربية، فى محاولة منه لإثارة الجامعة العربية لمنع اليمن من عقد أى اتفاقية مع الولايات المتحدة الأمريكية، حيث يقول فى خطابه: «إن الأمة اليمنية قد قضى على حياتها، وشرفها، ومجدها، وعزها، وإيائها أولئك الأمراء الجهال، الذين لا قصد لهم من هذه الحياة إلا إرضاء شهواتهم البهيمية، والتمشى مع أمة عريقة المجد شهيرة التاريخ على حسب أساليبهم الوحشية، وهى اليمن ستصبح اليوم طعمة للأجانب، ولقمة سائعة لأمريكا الصهيونية، التى تتحكم ببلدان المسلمين من اجل اليهود. فالإمام الآن فى النزاع الأخير من حياته، وقنصل أمريكا والوفد الأمريكى الآن واقف فى صنعاء عند رأس الإمام، والأمة اليمنية قاعدة على بركان، وهى الأمة تنادى وتصرخ من الداخل والخارج إلى جامعة العرب، وإلى ملوك وأمراء العرب أن يبادروا بإرسال وفودهم إلى صنعاء، ليحولوا بين اليمن وبين الطامعين باليمن»<sup>(٢٩٣)</sup>.



وبالرغم من كل هذه الحملات والإرجافات التي أملتها بريطانيا على عملائها من منسوبي حزب الأحرار وغيرهم، مضت الولايات المتحدة الأمريكية قدما في تنفيذ بنود هذه الاتفاقية، وافتتحت مقر بعثتها الدبلوماسية في تعز، وبالمقابل سافرت أول بعثة تمثيلية يمنية إلى واشنطن في يوليو عام ١٩٤٧م<sup>(٢٩٤)</sup>، وبدأ المساحون بأعمال المسح، لتخطيط موقع مساحته ١٥٠٠ كلم مربع بالقرب من منطقة الصليف وجزيرة كمران، للتهيئة لوصول مهندسي البترول الأمريكيان<sup>(٢٩٥)</sup>، فجن جنون بريطانيا ومحازبيها من رجال حزب الأحرار، وهم يسابقون الزمن، خاصة بعد أن بلغتهم الأنباء عن الشروط الواعدة لامتياز التنقيب عن النفط، التي سيكون نصيب اليمن منها ٤٥٪ من الدخل، مقابل ٥٥٪ للشركات الأمريكية<sup>(٢٩٦)</sup>.

وبلغت درجة الغليان والحققد على الوفد الأمريكي المفاوض، الذي نجح في عقد الاتفاقية إلى درجة أن حاول المتآمرون نسف دار الضيافة المتواجد فيه أعضاء هذا الوفد، لإفساد العلاقة بين أمريكا وأسرة حميد الدين<sup>(٢٩٧)</sup>، وإلا فإن نجاح هذه الاتفاقية، سوف يؤدي إلى تعزيز قدرات اليمن اقتصاديا في المواجهة مع بريطانيا، وهل يعقل أن تقف بريطانيا مكتوفة اليدين، وهي ترى واقعا سياسيا جديدا يتعزز في شمال الوطن رغما عنها، بعد أن أحاطت بالإمام يحيى لعقود من الزمان، وهي تدير رحي دسائسها ومؤامراتها، لحصاره ومنعه من التحرر من تبعيتها ومن ثقلها السياسي في الجنوب؟!!

ويوضح تقرير مرسل من الحاكم البريطاني في عدن إلى وزير شؤون المستعمرات، بتاريخ ٢٤ يونيو من عام ١٩٤٧م، القلق البريطاني من هذه الاتفاقية، بقوله: «إن من المعالم البارزة لهذه الاتفاقية اليمنية الأمريكية، أن المفاوضات بين الطرفين سوف تشمل منطقة شبوة وحصن الآبار، وهما منطقتان في الجهة الشرقية من محمية عدن. وسوف يكون من الطبيعي بيع امتياز التنقيب عن النفط في منطقة شبوة إلى الأمريكيان. إن حقد الإمام علينا كبريطانيين في موضوع شبوة كبير جدا، إلى درجة أن يكون ذلك عاملا حاسما لدعوة الإمام الأمريكيين للدخول إلى اليمن، وعدم سماعه نصائح أولئك الذين عارضوا المشروع الأمريكي، الذي قدمه سيف الإسلام عبد الله»<sup>(٢٩٨)</sup>.

ومع تسارع الأحداث استكملت بريطانيا العدة والترتيبات اللازمة لإزاحة الكابوس اليحيوي عن طريقها نهائيا، خوفا على مصالحها الاستراتيجية، وبمساعدة المتآمرين من

خصوم الإمام يحيى فى الداخل والخارج، حصدت بريطانيا آمالها الكبرى فى القضاء على أى توجه يمنى نحو الولايات المتحدة الأمريكية، يكون من شأنه ترجيح كفة ميزان القوى فى جنوب الجزيرة العربية لصالح الإمام يحيى. فتم استباق القدوم الأمريكى باغتيال الإمام يحيى فى فبراير عام ١٩٤٨م، ولا نحتاج إلى كبير عناء لإثبات تورط الأيادى البريطانية فى هذا الاغتيال، وارتباط مخابراتها بقتلته، بتقديم العون لهم لإنجاز مهمتهم، وأسوق للقارئ الكثير من الخيوط والشواهد الدامغة التى تثبت هذا التورط البريطانى، ومن ذلك ما يلى:

١ - منذ مطلع العشرينيات من القرن الماضى، وبريطانيا تبيت النية لإسقاط الإمام يحيى عن الحكم حين أول فرصة سانحة، بدليل مقولة حاكم عدن فى ٩ مارس من عام ١٩٢٠م فى خطاب وجهه إلى زميله الحاكم البريطانى فى مصر، يشكو فيها من تصلب الإمام يحيى فى حقوق اليمن التاريخية فى الجنوب، ويوصى بضرورة إسقاطه، وإحلال مكانه إمام آخر، يكون صديقا لبريطانيا<sup>(٢٩٩)</sup>.

٢ - التقارير الرسمية للإدارات الحكومية البريطانية كافة، التى أجمعت على أن حكم أسرة حميد الدين يشكل خطرا على المصالح البريطانية فى الجنوب، بسبب ثبات مواقفهم المعادية للإنكليز، ومن هذه التقارير الرسالة التى بعثها الحاكم البريطانى لعدن شامبيون، إلى أوليفر ستانلي، النائب فى البرلمان البريطانى، بتاريخ ٢٣ ديسمبر من عام ١٩٤٢م، حيث يقول فيها: «إذا تمكن سيف الإسلام أحمد من الوصول إلى السلطة بعد أبيه، فإنه سيسير على نهج أبيه فى ادعائه من أن محمية عدن جزء متمم وكامل من اليمن، وسيرفض تحديد الحدود بين المحمية وعدن، وهو فى الوقت الراهن يشجع الخلافات القبلية على الحدود لتجييرها لصالحه ضد بريطانيا<sup>(٣٠٠)</sup>». وخطاب آخر موجه من الحاكم البريطانى فى عدن، إلى وزير الخارجية البريطانى، بتاريخ ٢ يوليو من عام ١٩٤٦م، يقول فيه: لا مصلحة لبريطانيا فى تولى أى فرد من أسرة حميد الدين الحكم بعد وفاة الإمام يحيى<sup>(٣٠١)</sup>.

٣ - ما ورد فى الأرشيف الوطنى الأمريكى من إفصاح الحاكم البريطانى فى عدن للقنصل الأمريكى عن رغبة حكومته الاستفادة من نشاط الأحرار، وكبار الموظفين الفارين من اليمن، للتخلص من حكم الإمام يحيى بطريقة تضمن مجيء حكومة جديدة، تتسم بالطابع الودى والتعاون مع حكومة بريطانيا<sup>(٣٠٢)</sup>. وما ورد كذلك من معلومات خطيرة فى تقرير لفيليب إيرلند، السكرتير الأول فى السفارة الأمريكية بالقاهرة، حيث يقول: «تفيد المعلومات المتوفرة لدينا بأن الإنجليز يعملون على قلب نظام الحكم فى اليمن<sup>(٣٠٣)</sup>».

٤ - التأييد البريطاني المطلق لحركة ابن الوزير، التي اغتالت الإمام يحيى، إلى درجة قول المندوب السامى فى عدن شامبيون فى خطاب وجهه إلى وزارة شؤون المستعمرات، بتاريخ ٢ مارس من عام ١٩٤٨م، بعد الاغتيال مباشرة، أن مستقبل محمية عدن يعتمد كلياً وبدون مبالغة على نجاح حركة عبد الله الوزير، الذى يجب أن نرعاها فى هذا الظرف العصيب بالذات<sup>(٣٠٤)</sup>. وفى برقية وجهها المندوب السامى البريطانى شامبيون إلى وزير خارجية المستعمرات بتاريخ ١٨ فبراير ١٩٤٨م، يؤكد فيه على أهمية استجابة بريطانيا لكل طلبات نظام ابن الوزير الجديد، ويقول أن هذا النظام الجديد الذى يتزعمه ابن الوزير يجب أن يبقى فى السلطة<sup>(٣٠٥)</sup>.

٥ - معرفة بريطانيا المسبق بتوقيت اغتيال الإمام يحيى، وحصول الحاكم البريطانى فى عدن على نسخة من ميثاق الحركة الانقلابية ودستورها قبل شهر من عملية الاغتيال، حيث أرسل المتآمرون مبعوثهم إلى المندوب السامى فى عدن لاطلاعه على كل تفاصيل المؤامرة<sup>(٣٠٦)</sup>.

٦ - الرسالة السرية التى بعثها المدعى جميل جمال العراقى، وهو أحد رؤساء البعثة العراقية المنتدبة لتدريب الجيش فى اليمن، والموجهة إلى وزير الدفاع العراقى، بتاريخ ١٢ أكتوبر عام ١٩٤٧م، والتى عبر فيها من أن المتآمرين بعد أن أحضر سيف الإسلام عبد الله معه من الولايات المتحدة مسودة اتفاقية مع الولايات المتحدة الأمريكية، قد قرروا القيام بانقلاب، بمساعدة دولة صديقة، لها مصالح مشتركة معهم<sup>(٣٠٧)</sup>، فمن هذه الدولة الصديقة غير بريطانيا بالطبع، لما لها من مصلحة؟

٧ - تورط الضابط العراقى عضو البعثة العراقية جميل جمال فى التحضير لانقلاب عام ٤٨، وتسريبه التقارير السرية للمخابرات البريطانية عن أدق تفاصيل هذا الانقلاب وتحضيراته<sup>(٣٠٨)</sup>، بالإضافة إلى تورطه شخصياً فى اغتيال اثنين من أبناء الإمام يحيى، وهم المحسن والحسين عند محاولتهم المقاومة<sup>(٣٠٩)</sup>، وإلقاء المتآمرين على عاتقه مسؤوليات قيادية بارزة، فهو الذى كان مسؤولاً عن الجناح العسكرى المكلف بتكوين الخلايا الثورية السرية فى الجيش، وهو الذى كلف بحماية العاصمة صنعاء وقصر السلاح فى العاصمة أثناء الانقلاب<sup>(٣١٠)</sup>.

٨ - إعلان قائد الانقلاب عبد الله الوزير فى برقيته الموجهة إلى الحاكم البريطانى فى عدن، بعد نجاح حركته فى اغتيال الإمام يحيى، من أن اليمن قد أصبحت الحليفة المخلصة لبريطانيا، وطلبه من الإنكليز إرسال البوارج الحربية إلى الحديدية، والطائرات إلى صنعاء<sup>(٣١١)</sup>، إضافة إلى طلبات أخرى تتعلق بإرسال ناقلات مسلحة إلى اليمن، لدعم انقلابه على الإمام يحيى وتعزيزه<sup>(٣١٢)</sup>، ناهيك عن البرقية التى أرسلها ابن الوزير مصرحا فيها بالرغبة المخلصة فى التعاون مع بريطانيا إلى أقصى حد ممكن<sup>(٣١٣)</sup>.

٩ - استجابة بريطانيا لطلبات ابن الوزير، بإرسال الطائرات البريطانية التى حلقت فوق مدينة صنعاء، وتعز، والحديدية، والمخا، لاستعراض القوة، دعما لابن الوزير بعد نجاح عملية الاغتيال<sup>(٣١٤)</sup>، وإلقائها حزما من المناشير تدعو إلى عهد الحرية والدستور<sup>(٣١٥)</sup>. ووصول البوارج البريطانية إلى مدينة الحديدية واستقبالها بحرارة من قبل الانقلابيين<sup>(٣١٦)</sup>، بعد أن أطلقت فى ميناء الحديدية إحدى وعشرين طلقة، تبشيرا بالانقلاب<sup>(٣١٧)</sup>، مما أدى إلى استفزاز الصحافة المصرية التى نددت بالتدخلات البريطانية فى هذا الحدث<sup>(٣١٨)</sup>.



SECRET

ADEN GOVERNMENT,

Aden, Yemen, 1920.

From,

Major-General Sir James Stewart, K.C.M.G., C.B.E.,  
Political Resident, Aden.

To,

His Excellency  
The High Commissioner, Cairo.

Sir,

I have the honour to forward herewith two notes bearing on the present situation in this Protectorate:

- (a) From the late Political Officer, Hodeidah, Major Hook, referring to a possible overthrow of the Imam Yahia, and the elevation of another member of the family to the Imamate.
- (b) From the First Assistant Resident, Aden, Major Barrett dealing with the desire of the Yafai class in this Protectorate to take action against the Zaidi troops and officials.

2. The first is really the old "Arab Confederacy" which has already been considered by Government and at the time rejected. But I agree that the "Solution of the Yemen problem" lies mainly in "a friendly Imam", and it may be necessary therefore to support a friendly candidate.

3. The second scheme I think deserves moderate encouragement at the present time. We are not protecting the tribes; we are not acting up to our engagements, though I have no doubt it must be the intention of Government to do so eventually, and I always endeavour to reassure the tribes to that effect.

وثيقة بريطانية من وثائق الأرشيف البريطاني عن اليمن في المجلد السادس، صفحة ٤٨٨، مؤرخة بتاريخ ٩ مارس من عام ١٩٢٠م، يتحدث فيها حاكم عدن البريطاني عن إمكانية إسقاط الإمام يحيى وإحلال إمام غيره، ويقول: إن الحل لمشاكلنا في اليمن، يكمن في وجود إمام صديق لبريطانيا

١٠ - إرسال عبد الله الوزير التقارير اليومية إلى الحاكم البريطاني في عدن عن سير أحداث الانقلاب بعد اغتيال الإمام يحيى، بناءً على طلب السلطات البريطانية<sup>(٣١٩)</sup>.

١١ - التواصل الدائم بين المتآمرين في شمال اليمن والسلطات البريطانية في عدن، سواء قبل الانقلاب أو بعده، عن طريق التاجر التهامي، صديق الحاكم البريطاني شامبيون، الذى اشارت إليه الوثائق البريطانية دون ذكر اسمه، والمرجح أن هذا التهامى المذكور، هو الخادم غالب الوجيه، حيث أدى دور الوسيط بين الطرفين، وكان يرسل بصفة دورية قائمة بطلبات المتآمرين إلى الإنجليز، مثل طلبهم طائرة تسقط المنشورات المؤيدة لحركة ابن الوزير فوق المدن اليمنية، وطلبهم وسائل نقل لتوصيل المتآمرين في عدن إلى شمال اليمن<sup>(٣٢٠)</sup>، وطلبهم سيارات مسلحة وقاذفات جوية<sup>(٣٢١)</sup>، إلا أن وصول الأنباء عن نجاة سيف الإسلام أحمد بن الإمام يحيى، وتعاضم مقاومته وسيطرته على القبائل الشمالية، جعل السلطات البريطانية تتريث قليلا، توجسا منه، لذا وصلت التعليمات البرقية من وزارة الخارجية البريطانية بعدم صد حركة ابن الوزير، والاستمرار فى التعاون معها بدون الاعتراف بها رسميا، حتى تتأكد السلطات البريطانية من القضاء على مقاومة السيف أحمد، وتثبيت سلطات ابن الوزير<sup>(٣٢٢)</sup>.

١٢ - مرافقة مدير الخطوط الجوية البريطانية فى عدن وزير المواصلات فى حكومة ابن الوزير الانقلابية حسين الويسى فى رحلة جوية استطلاعية انطلقت من عدن إلى صنعاء على متن طائرة بريطانية بعد الانقلاب مباشرة، تنفيذًا لتعليمات الحاكم البريطاني فى عدن لقياس مدى صلاحية مدرجات الطائرات فى صنعاء، مما يوضح مدى التنسيق بين بريطانيا والانقلابيين<sup>(٣٢٣)</sup>.

١٣ - رعاية بريطانيا لحزب الأحرار ورجاله منذ إنشائه فى عدن، حيث وفرت لهم المقر والحماية<sup>(٣٢٤)</sup>، ووسائل الطباعة، والدعاية والإعلان، وجريدة رسمية تطبع فى عدن تحت مسمى صوت اليمن<sup>(٣٢٥)</sup>، وفتحت لهم بريطانيا باب التبرعات المالية من قبل بعض أمراء المحميات<sup>(٣٢٦)</sup>، وقدمت لهم الدعوات لحضور الحفلات الرسمية التى كانت تقيمها الإدارة البريطانية فى عدن، ويعد هذا بمثابة اعتراف رسمى بحركتهم السياسية<sup>(٣٢٧)</sup>. وبلغت تلك الرعاية الشخصية إلى درجة أن الضابط السياسى فى عدن (سيجر)، كان يولى اهتمامه الشخصى عند مرض أحدهم بانتداب مندوبين خاصين من طرفه للاطمئنان عليهم،

وإرسال سيارات إسعاف خاصة، لنقلهم إلى المستشفى العسكرى البريطانى الخاص بالأثرياء وأبناء بريطانيا العظمى<sup>(٣٢٨)</sup>، فهل ينبع هذا الاهتمام المفرط بالأحرار من فراغ؟ ولماذا لم تول بريطانيا اهتمامها هذا المصنف بخمس نجوم لغيرهم من اليمينيين القاطنين فى عدن وهم بالآلاف، لولا أنها رأت فى رجال حزب الأحرار مطية وفرصة ذهبية لضرب الإمام يحيى؟

١٤ - سماح بريطانيا بتجهيز مجموعة من الفدائيين من عدن، لدعم الانقلاب<sup>(٣٢٩)</sup>، ونقل هؤلاء الفدائيين من عدن إلى تعز وصنعاء عبر الطريق البرى، وعلى الطائرات البريطانية<sup>(٣٣٠)</sup>.

١٥ - بعد فشل حركة ٤٨ احتضنت بريطانيا من بقى من المتآمرين على قيد الحياة فى عدن، مثل الزبيرى، وعبد الله بن على الوزير، وأخرت الاعتراف بحكومة الإمام احمد بن الإمام يحيى، ريثما تستكمل ترتيبات لجوء المتآمرين إلى مستعمراتها<sup>(٣٣١)</sup>، حيث سلمتهم جوازات سفر للهرب إلى مستعمراتها السابقة، المسماة بدول الكومنولث<sup>(٣٣٢)</sup>، فهرب الزبيرى وعبد الله على الوزير إلى باكستان، وهرب عبد الوهاب الشامى، وحسين المقبلى، ومحمد الوريث إلى الحبشة وكينيا بجوازات زيقوا أسماءهم فيها<sup>(٣٣٣)</sup>، وهرب أحمد الباشا إلى نيروبي فى أوغندا<sup>(٣٣٤)</sup>.

١٦ - طلب قائد الانقلاب عبد الله الوزير من المندوب السامى البريطانى بعدن إرسال طائرة لتهريبه إلى هناك بعد فشل الحركة، وبالرغم من أن الذى منع المندوب السامى من نجدة ابن الوزير، هو تعذر إرسال طائرة، بسبب إحداق القبائل المؤيدين للإمام أحمد فى صنعاء<sup>(٣٣٥)</sup>، إلا أن مجرد طلب ابن الوزير الطائرة من الإنكليز لنجدته، يثبت حقيقة التواطؤ بينه وبين الإنكليز، وإلا فما المبرر فى طلب النجدة من العدو التاريخى لليمن، الذى يحتل نصف البلاد؟



Another incident that has caused a lot of discussion  
and the report by the N.S.P. the other side last year about  
the working class. It was so probably written last in our  
interests here we are pleased to see you to support the  
class struggle the way that has nothing and there are many  
disappointed people everywhere in whole parts of that part of  
Egyptian, in the interest of the poor relations between  
us here and there establish what I am so very anxious to contact  
at this critical time. The whole future of the working class  
rests on your side with them - and that is for consideration.

I do not know what arrangements you have with the N.S.P.  
for the checking of reports of this kind but you were so  
generous to me previously and so-to-speak information of the  
progress of things as I have been able to obtain, and I have  
been so glad to keep it as factual and true as possible.  
I think I imagine have checked their report by reference  
to you.

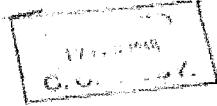
Yours sincerely,  
R. Crampin.

P.S. Just after signing this last night I  
sent a message to Helen to the British  
Ambassador your letter, and was interested  
to hear a strong report of the  
announcement - the names of the  
highly important that the N.S.P. have  
names of individuals & institutions.

صورة من الوثيقة الموجودة في الأرشيف البريطاني عن اليمن، في المجلد العاشر، صفحة ١٠٩، والتي توضح  
تصريح حاكم عدن البريطاني شامبيون في خطاب وجهه إلى وزارة المستعمرات، عقب انقلاب عبد الله الوزير،  
بأن مستقبل محمية عدن يعتمد كلياً وبدون مبالغة على نجاح حركة عبد الله الوزير الانقلابية التي يجب أن  
نرعاها



TOP SECRET.



No. 6

GOVERNOR'S OFFICE.

ADEN.

9th February, 1948.

Sir,

17

I have the honour to refer to my Top Secret Telegrams Nos. 12 and 23 of the 10th and the 17th January, 1948 respectively on the subject of a reported ~~man's~~ ~~man's~~ ~~man's~~ in Sana'a, and to report more fully on this strange affair.

2. On the 10th January I received information, from a most reliable source which I have learned to trust during very many years, that a rumour had reached Aden from Sana'a on the previous evening bringing news of an imminent coup d'etat in the capital. The attempt was to be made within about a week, and the messenger carried with him drafts of a Constitution and a Manifesto which were to be printed in Aden by the Free Yemeni press that publishes "Jum'at al-Yemen". I enclose translations of these documents, copies of which I received a day or two after they had been printed.

3. The messenger had been sent to the local agent in Aden of the conspirators, a Yemeni merchant of the Tihama of high intelligence and some wealth, whom I have known and liked for many years and who is an old personal friend of my own special informant. Immediately on hearing of the news from Sana'a he had acquainted the latter with it and sent him to me in the erroneous belief that I should consent to help in the conspiracy. His particular request was that I should supply an aircraft to drop copies of the manifesto singly over the Yemen, in order to prevent bloodshed and secure calm and confidence. In the alternative I was asked to agree to be charter of an aircraft for the purpose which would land these papers in Aden, and thence he asked for the use of the services of himself and a few companions. They were to alight on the Ludhali plateau, whence they could be immediately taken with the important Yemeni consular copies of all records. I naturally rejected all these proposals.

4. The informant only of the name of the conspirator who was designated to succeed to the throne was the name of the man who was to be the first of the new dynasty. The name of the man who was to be the first of the new dynasty was the name of the man who was to be the first of the new dynasty. The name of the man who was to be the first of the new dynasty was the name of the man who was to be the first of the new dynasty.

صورة من الوثيقة السرية الموجودة في المجلد العاشر، صفحة ٨٣ من الأرشيف البريطاني، مؤرخة بتاريخ ٩ فبراير عام ١٩٤٨م، تظهر علم الحاكم البريطاني لعن المسبق عن مؤامرة اغتيال الامام يحيى عام ١٩٤٨م، وحصوله على نسخة من دستور وميثاق الانقلاب قبل حدوثه، بواسطة أحد أعضاء حزب الأحرار، الذي كان صديقا للحاكم البريطاني

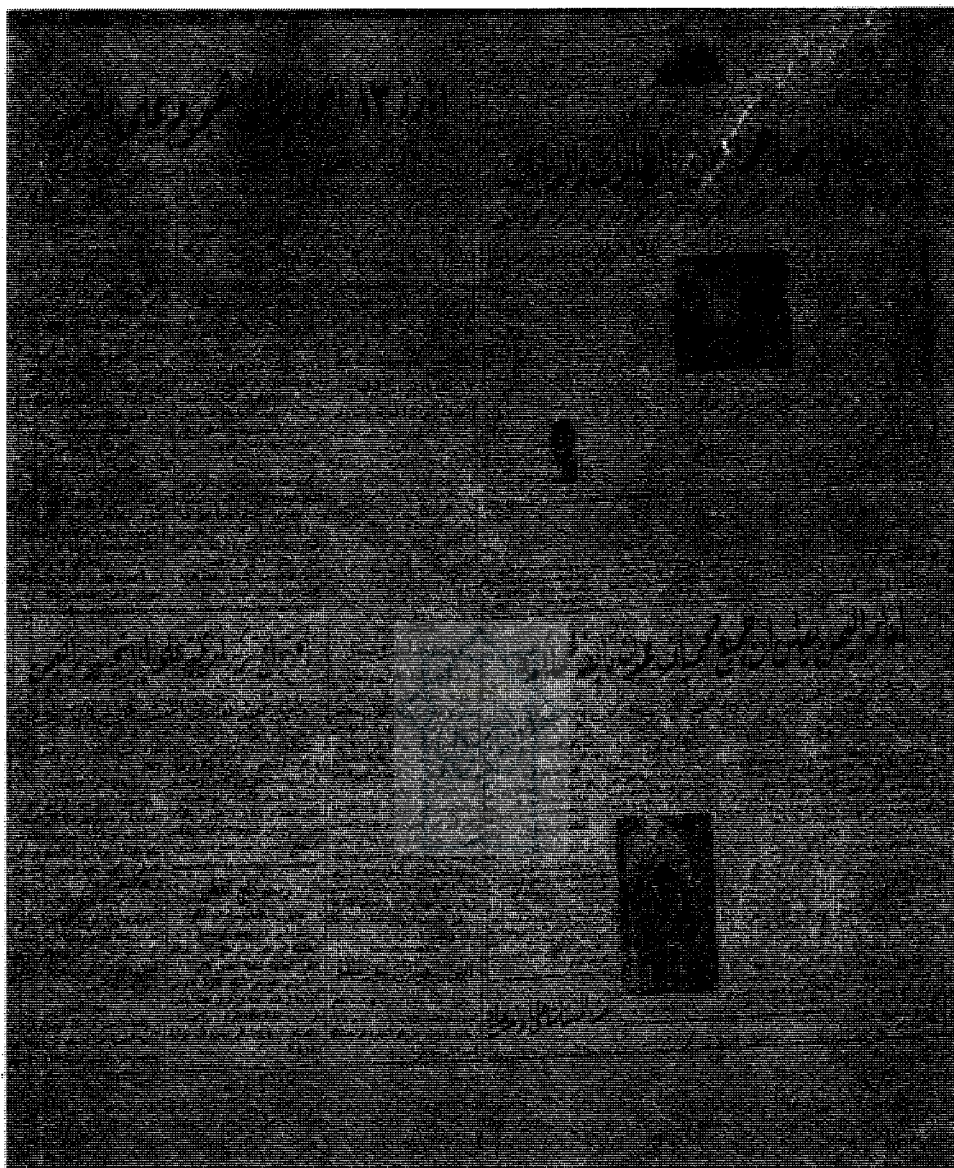
وباختيال الإمام يحيى انطوت صفحة مجيدة من تاريخ العرب والمسلمين، بعد أن دفع الإمام يحيى حياته ثمن مواقفه المبدئية الدينية والوطنية المشرفة، وتنفست بريطانيا الصعداء بتحقيق هدفها الاستراتيجي في تطويق أي محاولة لخروج اليمن من دائرة التسلط البريطاني، وتمكنت من صرف الولايات الأمريكية عن أجوائها في جنوب الجزيرة العربية، وبالرغم من ذلك، إلا أن خليفة الإمام يحيى، ابنه الإمام أحمد، واصل السير على نهج أبيه في عدم الاعتراف بالسلطة البريطانية في جنوب البلاد، بل كان موقفه أكثر حدة في مواجهة الإنكليز منذ أن وصل إلى عدن في زيارة رسمية، قبل أن يستلم السلطة، حيث بدأ يتصرف هناك كما لو أنه حاكم في الشمال، يدعو المواطنين الجنوبيين إلى مجلسه لاستلام شكاويهم ومظالمهم، ويفصل في منازعاتهم، ويعقد جلسات المحاكمات، ويأمر بحبس المخطئين، مما حدا بالسلطات البريطانية إلى أن تعترض على تصرفاته، وتطلب منه الالتزام بما لا يخالف آداب الزيارة، ويقلق من راحة الحكومة البريطانية<sup>(٣٣٦)</sup>.

وقد بلغ استياء الإنكليز منه إلى درجة إشعاره بطريقة دبلوماسية بوجوب مغادرته لعدن<sup>(٣٣٧)</sup>، إلا أنه إمعانا في التحدي، رفض المغادرة، وقال للإنكليز: هذه بلادى<sup>(٣٣٨)</sup>، مما تسبب في أزمة دبلوماسية، اضطر فيها السيف أحمد إلى المغادرة بعد شهر وأربعة أيام من بقاءه في عدن<sup>(٣٣٩)</sup>. ومنذ لحظة توليه الحكم بعد وفاة أبيه، أعلن مندوبه في الأمم المتحدة من أن عدن جزء لا يتجزأ من اليمن<sup>(٣٤٠)</sup>. وباستحضار برقية مرسلة بتاريخ ١٤ نوفمبر من عام ١٩٥٠م من الحاكم البريطاني في عدن، إلى وزير شؤون المستعمرات، يتضح لنا نهج الإمام أحمد في مقارعة بريطانيا، حيث يقول فيها المندوب السامي: «إن إمام اليمن الجديد يقوم بأقصى ما عنده لهدم النفوذ البريطاني في المحميات، ويقوم باستمالة وإغراء زعماء القبائل. ومن الواضح أن هذه هي سياسته وسياسة خلفائه من بعده، لظالما أنهم مصرون على عدم التنازل عن مطالبهم العنيدة لجميع محميات الجنوب، بما في ذلك عدن<sup>(٣٤١)</sup>». وفعلا ولتنفيذ الإمام أحمد مخططاته، فإنه بدأ يتواصل مع أمراء المحميات الجنوبية، عارضا عليهم الأموال الطائلة، مقابل فك ارتباطهم بالإنكليز<sup>(٣٤٢)</sup>، كما أنه فتح مراكز دعم في كل من البيضاء، وقعطبة، وحريب، وتعرض لتوزيع السلاح والمال على القبائل الجنوبية، لدفعهم إلى التمرد على سلطة الإنكليز<sup>(٣٤٣)</sup>.

وقد توازت تلك النشاطات مع السماح للمتمردين الجنوبيين بتنظيم مقاومة من داخل الشمال ضد حكومة عدن وأذيالهم من السلاطين، إضافة إلى أمر الإمام أحمد لقواته النظامية بشن الغارات على المحميات، مساندة لرجال القبائل المتمردين، ودعمًا للثوار. ولقد بلغت الغارات الشمالية نحو الجنوب في عام ١٩٥٤م أكثر من ٢٨ غارة عسكرية<sup>(٣٤٤)</sup>، ولم تقتصر الاعتداءات والحوادث على المناطق الحدودية، بل بدأ انفجارات القنابل يهز مدينة عدن نفسها<sup>(٣٤٥)</sup>. أما في عام ٥٥، فقد وسع الإمام أحمد من غاراته على الجنوب، لتشمل مائة وخمسين ميلا من الحدود، فبلغت حوادث الاعتداء على الإنكليز أكثر من ألف حادثة، شملت المراكز، والنقاط، والحصون، والمباني، والسيارات الحكومية، مما أدى بكثير من العملاء المرتبطين بالإنكليز إلى أن يتركوا مواقعهم<sup>(٣٤٦)</sup>.

وقام الإمام أحمد بإجاعة من شاء من ثوار الجنوب، مثل سلطان لحج، الذي هرب إلى الشمال مستجيرا بالإمام أحمد، لدعم عصيانه المسلح على بريطانيا، مما دفع بريطانيا إلى حرمانه من السلطة، بتأسيس مجلس وصاية في لحج وتسليمها الحكم إلى أخيه القاصر على عبد الكريم<sup>(٣٤٧)</sup>. ومثل الأمير نصر، حاكم إمارة الضالع، الذي ثار على الإنكليز. وشيخ منطقة الشعيب، الذي هرب إلى تعز بعد المواجهة مع الإنكليز<sup>(٣٤٨)</sup>. وإضافة إلى ذلك، فقد قام الإمام أحمد باستيراد الأسلحة الثقيلة من دول الكتلة الشرقية، لتعزيز قدراته في المواجهة، مما جعل بريطانيا تواجه ضربات سياسية وعسكرية قاسية لشمال اليمن، ومنها تشجيع التمردات القبلية في الشمال وتغذيتها، مثل تلك الفتن التي أشعلتها بريطانيا في منطقة الجوف وخولان بنظر أمير محمية بيحان<sup>(٣٤٩)</sup>. وقصف حصون الشمال بالطائرات على الحدود، مع تبادل إطلاق النيران<sup>(٣٥٠)</sup>.

وللإمعان في تأديب الإمام أحمد، قامت بريطانيا بإعطاء إذن رسمي للمعارضين الشماليين بممارسة نشاطهم السياسي علنا في عدن، عبر تأليف منظمة سياسية أطلق عليها الاتحاد اليمني، وفتح المجال للصحف المعارضة في عدن، مثل صحيفة الفضول، التي كان يديرها آل نعمان<sup>(٣٥١)</sup>. وبلغت ذروة المواجهات بين بريطانيا والإمام أحمد في الفترة ما بين عام ١٩٥٦م وعام ١٩٥٧م على أثر الاتفاقات التي وقعها الإمام أحمد مع بعض الشركات الأمريكية للتنقيب عن النفط في المناطق الشرقية المحاذية للمحميات، عندها ردت بريطانيا ردا فوريا شنت فيه عدوانا، اشتركت فيه قوات برية وجوية قصفت بالطائرات مدنا يمنية كثيرة في قطبة وحريب<sup>(٣٥٢)</sup>، وامتد لهيب القصف البريطاني إلى مدينة البيضاء<sup>(٣٥٣)</sup>، والذي بدا ولكأنه تكرر لعمليات عام ١٩٢٨م، التي قصفت فيها بريطانيا المدن اليمنية على إثر الاتفاقات التي وقعها الإمام يحيى مع إيطاليا، لتعزيز قدراته في المواجهة.



قصاصات من جريدة الأهرام لعام ١٩٥٧م والتي توضح مواقف الإمام أحمد الوطنية في محاربة التواجد البريطاني في جنوب اليمن، وتوضح الإعتدات البريطانية على المملكة المتوكلية اليمنية بهدف الإنتقام وتعطيل مساعي إستخراج النفط بعد ان وقع الإمام احمد جملة اتفاقيات مع الكثير من الشركات الأمريكية للتنقيب عن النفط في شمال اليمن

وهذا القصف البريطاني بالرغم من قسوته، إلا أنه لم يفت من عضد الإمام أحمد، ولم يوقف من نشاطاته، بل زاد من هجماته على الإنجليز. ففي عام ١٩٥٧م صعدت العمليات الحربية، وقام الجيش الإمامي بأكثر من خمسين غارة على محميات الجنوب، مستخدماً الأسلحة الأوتوماتيكية، والمدافع المضادة للطائرات، التي استوردها الإمام أحمد من الكتلة الاشتراكية<sup>(٣٥٤)</sup>. وفي بداية عام ١٩٥٨م زاد الإمام أحمد من هجمات قواته في منطقة بيحان والعوادل، مدعومة بألف مقاتل بالأسلحة الثقيلة والمصفحات<sup>(٣٥٥)</sup>، فما وجدت بريطانيا من طريقة للانتقام أفضل من إعلانها في عام ١٩٥٩م قيام دولة اتحاد إمارات الجنوب العربي، تحت الرعاية والحماية البريطانية، وبأشرت بريطانيا القيام بحملة من العلاقات العامة في العالم للاعتراف بهذه الدولة، إلا أن بريطانيا فشلت فشلاً ذريعاً في مسعاها، بسبب الرفض الشعبي الداخلي، الذي تجلى في الانتفاضات المسلحة الدائمة في عدن وباقي المحميات<sup>(٣٥٦)</sup>.

وبتولى الإمام البدر بعد وفاة الإمام أحمد، فإنه جدد مطالب جده وأبيه، باسترداد الجنوب اليمني، بالرغم من أن فترة حكمه لم تتعد أسبوعاً من الزمان<sup>(٣٥٧)</sup>. وهكذا استمر مسلسل التوتر بين الإنكليز واليمن طوال فترة حكم أسرة حميد الدين، التي شكلت عقدة مستعصية حالت دون رهان بريطانيا الاستراتيجية في السيطرة على جنوب الجزيرة العربية، إلى أن انتهى حكم الأسرة بعد أن سجلت اسمى مواقف الشرف والوطنية في عدم التفريط في ذرة من تراب اليمن.



## المراجع

- ١ - (الثقافة والثورة فى اليمن، عبد الله البردوتى، طبعة ١٩٩١م، ص ٥٠٤).
- ٢ - (اليمن والغرب: إريك ماكرو، تعريب: الدكتور حسين العمرى، الطبعة الثانية، ص ١١٩).
- ٣ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٦٢٨).
- ٤ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص ٢٠٧ - ٢٠٩).
- ٥ - (المصدر نفسه، ص ٢٠٧ - ٢٠٩).
- ٦ - (ملوك شبه الجزيرة العربية، هارولد جيكونب، ترجمة: أحمد المضواحي، طبعة ١٩٨٣م، ص ٢٠٦).
- ٧ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٢٧١).
- ٨ - (المصدر نفسه، ص ٢٧٦).
- ٩ - (المصدر نفسه، ص ٢٧٤).
- ١٠ - (سيرة الإمام يحيى، عبد الكريم بن أحمد مطهر، تحقيق: الدكتور محمد صالحية، الجزء ١، الطبعة الأولى، ص ١٩٠).
- ١١ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٣٦٤).
- ١٢ - (المصدر نفسه، ص ٣٦٨).
- ١٣ - (المصدر نفسه، ص ٣٦٢).
- ١٤ - (المصدر نفسه، ص ٥٥٣).
- ١٥ - (المصدر نفسه، ص ٥٠٦).
- ١٦ - (المصدر نفسه، ص ٦٢٨).
- ١٧ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص ٢٨٥).
- ١٨ - (المصدر نفسه، ص ٢٩٣).
- ١٩ - (سيرة الإمام يحيى، عبد الكريم بن أحمد مطهر، تحقيق: الدكتور محمد صالحية، الجزء ٢، الطبعة الأولى، ص ٤٤٦).

- ٢٠ - (مذكرات دبلوماسى فى اليمن، إستاخوف إنكارين، ترجمة: الدكتور قائد محمد طربوش، الطبعة الأولى، ص ٧٩).
- ٢١ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٢٥٧).
- ٢٢ - (المصدر نفسه، ص ٢٥٨ - ٢٥٩).
- ٢٣ - (ملوك شبه الجزيرة العربية، هارولد جي كوب، ترجمة: أحمد المضواحي، ص ٢٦٥).
- ٢٤ - (المصدر نفسه، ص ٢٦٣).
- ٢٥ - (ملوك شبه الجزيرة العربية، هارولد جي كوب، مرجع سابق، ص ٢٧٤).
- ٢٦ - (المصدر نفسه، ص ٢٦٦ - ٢٦٧).
- ٢٧ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٢٥٨ - ٢٦٤).
- ٢٨ - (المصدر نفسه، ص ٢٦٩).
- ٢٩ - (ملوك العرب، أمين الريحانى، الجزء الأول، ص ٢٠٤ غير مذكور رقم الطبعة او تاريخها).
- ٣٠ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٢٩٤).
- ٣١ - (المصدر نفسه، ص ٢٢٢ - ٢٢٣).
- ٣٢ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤٨٦ - ٤٨٧).
- ٣٣ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٢٩٠).
- ٣٤ - (المصدر نفسه، ص ٣٤٤).
- ٣٥ - (تكوين اليمن الحديث، د. سيد مصطفى سالم، ص ١٩٣).
- ٣٦ - (المصدر نفسه، ص ١٨٢).
- ٣٧ - (المصدر نفسه، ص ٢٧٥).
- ٣٨ - (المصدر نفسه، ص ٢٢٦).
- ٣٩ - (المصدر نفسه، ص ٢٧٣).
- ٤٠ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤٨٠).
- ٤١ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤٧٨).
- ٤٢ - (الرحلة اليمينية، عبد العزيز الثعالبي، الطبعة الأولى، ص ٩٩-١٠٠).
- ٤٣ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٣٧٢).

- ٤٤ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٢٧٠ - ٢٧١).
- ٤٥ - (تاريخ اليمن، عبد الواسع بن يحيى الواسعي، الطبعة الثالثة، ص ٣٣٢).
- ٤٦ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٦٧١).
- ٤٧ - (اليمن والغرب، إريك ماكرو، مرجع سابق، ص ١١٦).
- ٤٨ - (ملوك العرب، أمين الريحاني، مرجع سابق، ص ٢٠٥).
- ٤٩ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ٧١-٧٢).
- ٥٠ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٦٦٩).
- ٥١ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٢٣).
- ٥٢ - (المصدر نفسه، ١٧-١٩).
- ٥٣ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٥٠٦).
- ٥٤ - (المصدر نفسه، ص ٦٧٧).
- ٥٥ - (المصدر نفسه، ص ٧٣٠).
- ٥٦ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٢٧٨).
- ٥٧ - (تاريخ اليمن، عبدالواسع بن يحيى الواسعي، مرجع سابق، ص ٣٣٨).
- ٥٨ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٢٩٥).
- ٥٩ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٣٠٣).
- ٦٠ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٣٦٥).
- ٦١ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٣٧).
- ٦٢ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٢٩٨).
- ٦٣ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٣٥).
- ٦٤ - (اليمن والغرب، إريك ماكرو، مرجع سابق، ص ١١٦).
- ٦٥ - (الرحلة اليمنية، عبدالعزيز الثعالبي، الطبعة الأولى، ص ١٠٠).
- ٦٦ - (المصدر نفسه، ص ١٣٠-١٣١).
- ٦٧ - (ملوك شبه الجزيرة العربية، هارولد جي كوب، مرجع سابق، ص ٣٢٥).
- ٦٨ - (تاريخ اليمن، عبدالواسع بن يحيى الواسعي، مرجع سابق، ص ٨٦-٨٧).
- ٦٩ - (الرحلة اليمنية، عبدالعزيز الثعالبي، مرجع سابق، ص ١٠٠).



- ٧٠ - (اليمن والغرب، إريك ماكرومرجع سابق، ص ١٢٦).
- ٧١ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٢٩٩).
- ٧٢ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٣٨)
- ٧٣ - (نفس المصدر، ص ٤٣).
- ٧٤ - (نفس المصدر، ٢٨٨).
- ٧٥ - (نفس المصدر، ٣١٤).
- ٧٦ - (اليمن والغرب، إريك ماكرو، مرجع سابق، ص ١١٨).
- ٧٧ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٣٠٠).
- ٧٨ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ١٩٠)
- ٧٩ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٣٠٢-٣٠٣).
- ٨٠ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٤٩)
- ٨١ - (نفس المصدر، ص ٤٦ - ٤٧).
- ٨٢ - (نفس المصدر، ص ١١٢).
- ٨٣ - (نفس المصدر، ص ١٣٦).
- ٨٤ - (نفس المصدر، ص ٢٧٥).
- ٨٥ - (نفس المصدر، ص ٣٨١).
- ٨٦ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٣١٤ - ٣١٩).
- ٨٧ - (اليمن والغرب، إريك ماكرو، مرجع سابق، ص ١٣٦).
- ٨٨ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٣٣١).
- ٨٩ - (المصدر نفسه، ص ٣٢٠ - ٣٢٢).
- ٩٠ - (اليمن والغرب، إريك ماكرو، مرجع سابق، ص ١١٩).
- ٩١ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٣٥٣)
- ٩٢ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٣٢٥ - ٣٢٦).
- ٩٣ - (اليمن الجمهورى، عبد الله البردونى، الطبعة الأولى، ص ٥٤٠).
- ٩٤ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٣٢٣).
- ٩٥ - (المصدر نفسه، ص ٣٢٧).

- ٩٦ - (حياة الأمير على عبد الله الوزير، أحمد بن محمد الوزير، الطبعة الأولى، ص ٢٤٧).
- ٩٧ - (الرحلة اليمنية، عبد العزيز الثعالبي، مرجع سابق، ص ٥٢).
- ٩٨ - (رحلة في بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، ص ٢٩٥ - ٢٩٦).
- ٩٩ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٣١٤).
- ١٠٠ - (اليمن الجمهورى، عبد الله البردونى، الطبعة الأولى، ص ١٤٢).
- ١٠١ - (الثقافة والثورة فى اليمن، عبد الله البردونى، مرجع سابق، ص ٨٠).
- ١٠٢ - (اليمن الجمهورى، عبد الله البردونى، مرجع سابق، ص ١٣٦).
- ١٠٣ - (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، الدكتور عبد العزيز قائد المسعودى، الطبعة الأولى، ص ١٤٤ - ١٤٦).
- ١٠٤ - (اليمن الجمهورى، عبد الله البردونى، مرجع سابق، ص ١٤٣).
- ١٠٥ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٣٢٧).
- ١٠٦ - (الرحلة اليمنية، عبد العزيز الثعالبي، مرجع سابق، ص ٥١).
- ١٠٧ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٣٣٨).
- ١٠٨ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ١٧١).
- ١٠٩ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٣٢٩).
- ١١٠ - (المصدر نفسه، ص ٣٤٢).
- ١١١ - (ثورة ٤٨ الميلاد والمسيرة والمؤثرات، اعداد مركز الدراسات والبحوث اليمني، طبعة الأولى، ص ١٢٣ - ١٢٤).
- ١١٢ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٣٥٢ ٣٥٣).
- ١١٣ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٤٤٤).
- ١١٤ - (الوثائق البريطانية، مقدمة المجلد السابع).
- ١١٥ - (نفس المصدر، ص ٤٢٩).
- ١١٦ - (نفس المصدر، ص ٤٢٤).
- ١١٧ - (نفس المصدر، ص ١٠٩).
- ١١٨ - (نفس المصدر، ص ١٣٨).
- ١١٩ - (نفس المصدر، ص ١١١).

- ١٢٠ - (نفس المصدر، ص ١٣٦).
- ١٢١ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٣١٤ - ٣١٦).
- ١٢٢ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٣٨٦)
- ١٢٣ - (رحله في بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، مرجع سابق، ص ٢٢٩).
- ١٢٤ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ١٤١)
- ١٢٥ - (مذكرات دبلوماسي في اليمن، إستاخوف إنكارين، ترجمة: الدكتور قائد محمد طربوش، ص ١٥٩، طبعة ١٩٩٣م).
- ١٢٦ - (رحلة في بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، مرجع سابق، ص ٢١٦).
- ١٢٧ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٢٠٥)
- ١٢٨ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٢١٠)
- ١٢٩ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٣٨٥)
- ١٣٠ - (رحلة في بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، مرجع سابق، ص ٢١٥ - ٢١٦).
- ١٣١ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٢٩٠).
- ١٣٢ - (العلاقات اليمنية الأمريكية في عهد الإمام يحيى، دكتور محمود الجبارات، الطبعة الأولى، ص ١٥٠).
- ١٣٣ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٣٨٥).
- ١٣٤ - (المصدر نفسه، ص ٣٨٦).
- ١٣٥ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٤٦١)
- ١٣٦ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٣٣٧).
- ١٣٧ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٤٢٥)
- ١٣٨ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٣٤٨)
- ١٣٩ - (المصدر نفسه، ص ٣٨٣).
- ١٤٠ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ٣٠)
- ١٤١ - (المصدر نفسه، ص ٥٣).
- ١٤٢ - (المصدر نفسه، ص ٦٩).
- ١٤٣ - (المصدر نفسه، ص ٧٧).

- ١٤٤ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٣٨٧ - ٣٨٩).
- ١٤٥ - (المصدر نفسه، ص ٥٤٠ - ٥٤٣).
- ١٤٦ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤١١ - ٤١٣).
- ١٤٧ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ٦٥).
- ١٤٨ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ٣٧٢).
- ١٤٩ - (المقتطف من تاريخ اليمن، عبد الله الجرافي، الطبعة الثانية، ص ٣٢٣).
- ١٥٠ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ١٥٧ - ١٥٩).
- ١٥١ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ٣٥٤).
- ١٥٢ - (المصدر نفسه، ص ٧٣٦ - ٧٣٤).
- ١٥٣ - (المصدر نفسه، ص ٢٢).
- ١٥٤ - (المصدر نفسه، ص ٦١).
- ١٥٥ - (مذكرات دبلوماسي في اليمن، إستاخوف إنكارين، مرجع سابق، ص ١٧٤).
- ١٥٦ - (ثورة ٤٨ الميلاد والمسيرة والمؤثرات، اعداد مركز الدراسات والبحوث اليمنى، مرجع سابق، ص ٢٩٠).
- ١٥٧ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ٧٢).
- ١٥٨ - (المصدر نفسه، ص ٧٤).
- ١٥٩ - (المصدر نفسه، ص ٢٣٨ - ٢٣٩).
- ١٦٠ - (المصدر نفسه، ص ٢٩٠ - ٢٩١).
- ١٦١ - (ثورة ٤٨ الميلاد والمسيرة والمؤثرات، اعداد مركز الدراسات والبحوث اليمنى، مرجع سابق، ص ٤٣٣).
- ١٦٢ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ٣٥).
- ١٦٣ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ١٦ - ١٨).
- ١٦٤ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ٧٧).
- ١٦٥ - (حياة الأمير علي عبد الله الوزير، أحمد بن محمد الوزير، الطبعة الأولى، ص ٤٤٢).
- ١٦٦ - (اليمن الأئمة والحكام والثورات، هارولد إنجرامز، ترجمة: نجيب باوزير، الطبعة الأولى، ص ٦٤).

- ١٦٧ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ٧٣٥).
- ١٦٨ - (اليمن تاريخه السياسى منذ استقلاله فى القرن الثالث، أمين سعيد، ص ٢٤٣، غير مذكور رقم الطبعة او تاريخها).
- ١٦٩ - (رحلة فى بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، مرجع سابق، ص ٥٧-٥٨).
- ١٧٠ - (الرحلة اليمنية، عبد العزيز الثعالبي، مرجع سابق، ص ١٤٣).
- ١٧١ - (المنار واليمن، الدكتور حسين العمري، الطبعة الأولى، ص ٤٦١).
- ١٧٢ - (اليمن عبر التاريخ، أحمد حسين شرف الدين، الطبعة الثالثة، ص ٣٠٤).
- ١٧٣ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٤٣٣ - ٤٣٤).
- ١٧٤ - (اليمن عبر التاريخ، أحمد حسين شرف الدين، مرجع سابق، ص ٣٠٤ - ٣٠٥).
- ١٧٥ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٤٦١).
- ١٧٦ - (دراسات يمنية، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، العدد ٤٥، يناير - مارس، ١٩٩٢م، ص ١٩ - ٤٩).
- ١٧٧ - (العلاقات اليمنية الأمريكية فى عهد الإمام يحيى، الدكتور محمود الجبارات، الطبعة الأولى، ص ١٠٠ - ١٠١).
- ١٧٨ - (المصدر نفسه، ص ١٠٢).
- ١٧٩ - (اليمن عبر التاريخ، أحمد حسين شرف الدين، مرجع سابق، ص ٣٠٤ - ٣٠٥).
- ١٨٠ - (تاريخ اليمن المعاصر، تأليف مجموعة من المؤلفين السوفيات، ترجمة: محمد على البحر، طبعة ٩١، ص ٦٠).
- ١٨١ - (اليمن وتاريخه السياسى منذ استقلاله فى القرن الثالث الهجري، أمين سعيد، مرجع سابق، ص ٢٥٨).
- ١٨٢ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٣١٩).
- ١٨٣ - (الحسين بن الإمام يحيى، الدكتور محمد عيسى صالحية، الطبعة الأولى، ص ١٧٧).
- ١٨٤ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٤٦٢).
- ١٨٥ - (تاريخ اليمن، عبد الواسع بن يحيى الواسعى، مرجع سابق، ص ٣٣٢).
- ١٨٦ - (المصدر نفسه، ص ٣٥٥).
- ١٨٧ - (المصدر نفسه، ص ٣٤٠).

- ١٨٨ - (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، الدكتور عبد العزيز قائد المسعودي، الطبعة الأولى، ص ١٩٤).
- ١٨٩ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٣٥٤).
- ١٩٠ - (مذكرات دبلوماسي في اليمن، إستاخوف إنكارين، مرجع سابق، ص ٥).
- ١٩١ - (اليمن عبر التاريخ، أحمد حسين شرف الدين، مرجع سابق، ص ٣٠٥).
- ١٩٢ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٤٦٩ - ٤٧٠).
- ١٩٣ - (المصدر نفسه، ص ٤٩٠).
- ١٩٤ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ٧٥٣).
- ١٩٥ - (الرحلة اليمنية، عبد العزيز الثعالبي، مرجع سابق، ص ٩٦).
- ١٩٦ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٢٤٩).
- ١٩٧ - (المنار واليمن، الدكتور حسين العمري، مرجع سابق، ص ١٥٥).
- ١٩٨ - (الرحلة اليمنية، عبد العزيز الثعالبي، مرجع سابق، ص ١٥٦ انظر كذلك ص ٢١٣).
- ١٩٩ - (سيرة الإمام يحيى حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، تحقيق: الدكتور محمد صالحية، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، ص ٤٤٧).
- ٢٠٠ - (المصدر نفسه، ص ٣٧٧).
- ٢٠١ - (الرحلة اليمنية، عبد العزيز الثعالبي، مرجع سابق، ص ٢٠٥).
- ٢٠٢ - (رحلة في بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، مرجع سابق، ص ٣١٢).
- ٢٠٣ - (ملوك العرب، أمين الريحاني، مرجع سابق، ص ٢٠٧).
- ٢٠٤ - (اليمن من الباب الخلفي، هانز هولفريتز، تعريب: خيرى حماد، طبعة عام ١٩٨٥م، ص ١١٢).
- ٢٠٥ - (مقالات المنار، الجزء الخامس، ٢٢٣٩).
- ٢٠٦ - (المنار واليمن، الدكتور حسين العمري، مرجع سابق، ص ٤٩).
- ٢٠٧ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ٤٤٢).
- ٢٠٨ - (رياح التغيير في اليمن، أحمد محمد الشامي، الطبعة الأولى، ص ١٤٠).
- ٢٠٩ - (العلاقات اليمنية الأمريكية في عهد الإمام يحيى، الدكتور محمود الجبارات، الطبعة الأولى، ص ١٣٢).

- ٢١٠ - (جريدة الشرق الأوسط، مقال لصافيناز كاظم، عدد ٩ يونيو، ٢٠٠٧م).
- ٢١١ - (الصحافة اليمنية، محمد عبد الملك المتوكل، طبعة ١٩٨٣م، ص ٢٢٧).
- ٢١٢ - (المقتطف من تاريخ اليمن، عبد الله الجرافى، الطبعة الثانية، ص ٣٢٠ - ٣٢٣).
- ٢١٣ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ٣٤٩ - ٣٥١).
- ٢١٤ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٤٥٩).
- ٢١٥ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ٢٩٨).
- ٢١٦ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ٧٣٥ - ٧٣٦).
- ٢١٧ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ٢٢).
- ٢١٨ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ٧٣٥ - ٧٣٦).
- ٢١٩ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ٢٢).
- ٢٢٠ - (اليمن عبر التاريخ، أحمد حسين شرف الدين، الطبعة الثالثة، ص ٣٠٧).
- ٢٢١ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ١٥٧ - ١٥٩).
- ٢٢٢ - (رياح التغيير فى اليمن، ص ١٤٤).
- ٢٢٣ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ٣٣٠ - ٣٣١).
- ٢٢٤ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ٢٣٦).
- ٢٢٥ - (انقلاب عام ١٩٥٥ فى اليمن، حيدر على العزى، طبعة عام ٢٠٠٤م، ص ٥٩).
- ٢٢٦ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ٤١٣).
- ٢٢٧ - (المصدر نفسه، ص ٤٢٠).
- ٢٢٨ - (المصدر نفسه، ص ٣٨٣).
- ٢٢٩ - (المصدر نفسه، ص ٢٢).
- ٢٣٠ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ٢٧٧).
- ٢٣١ - (المصدر نفسه، ص ٣١٥ - ٣١٦).
- ٢٣٢ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ٢٧٩).
- ٢٣٣ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ٣٢٦ - ٣٢٧).
- ٢٣٤ - (المصدر نفسه، ص ٣٢٠).
- ٢٣٥ - (المصدر نفسه، ص ٣٣١).

- ٢٣٦ - (المصدر نفسه، ص ٣٣٢).
- ٢٣٧ - (الثقافة والثورة في اليمن، عبد الله البردوني، مرجع سابق، ص ٢٦).
- ٢٣٨ - (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، الدكتور عبد العزيز قائد المسعودي، مرجع سابق، ص ١٩٠).
- ٢٣٩ - (رحلة في بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، مرجع سابق، ص ٢٦٩).
- ٢٤٠ - (الخروج من النفق المظلم، أحمد المروني، ص ١٢٩).
- ٢٤١ - (تاريخ اليمن المعاصر، مجموعة من المؤلفين السوفيات، مرجع سابق، ص ٥٨).
- ٢٤٢ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ٢٦٩-٢٧٢).
- ٢٤٣ - (المصدر نفسه، ص ٣٣٣).
- ٢٤٤ - (المصدر نفسه، ص ٢٧٠).
- ٢٤٥ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ١٨).
- ٢٤٦ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ٢٧٠).
- ٢٤٧ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٥٦٦ - ٥٧٠).
- ٢٤٨ - (رياح التغيير في اليمن، أحمد الشامي، مرجع سابق، ص ١٧٦).
- ٢٤٩ - (اليمن والغرب، إريك ماكرو، مرجع سابق، ص ١٣٧).
- ٢٥٠ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ٢٨٢).
- ٢٥١ - (المصدر نفسه، ص ٣٤٦).
- ٢٥٢ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٣٤٢).
- ٢٥٣ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ٢٣).
- ٢٥٤ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ٣٥٧-٣٥٩).
- ٢٥٥ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٤٦١).
- ٢٥٦ - (الثقافة والثورة في اليمن، هيد الله البردوني، مرجع سابق، ص ١٢٢).
- ٢٥٧ - (اليمن من الباب الخلفي، هانز هولفريتز، مرجع سابق، ص ٢٠٤).
- ٢٥٨ - (رياح التغيير في اليمن، أحمد الشامي، مرجع سابق، ص ١٧٨).
- ٢٥٩ - (تكوين اليمن الحديث، سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٤٦١).
- ٢٦٠ - (المصدر نفسه، ص ٤٦٢).



- ٢٦١ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ١٩٧ - ٢٠١).
- ٢٦٢ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ٧٧).
- ٢٦٣ - (اليمن الثورة في الجنوب والانتكاسة في الشمال، الدكتور محمد علي الشهاري، الطبعة الأولى، ص ٧٢).
- ٢٦٤ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ٢٣٣ - ٢٣٦).
- ٢٦٥ - (المصدر نفسه، ص ٣٣٦).
- ٢٦٦ - (حياة الأمير علي عبد الله الوزير، أحمد بن محمد الوزير، مرجع سابق، ص ٣٧٠).
- ٢٦٧ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ٣٩١).
- ٢٦٨ - (رياح التغيير في اليمن، احمد الشامي، مرجع سابق، ص ٢١١).
- ٢٦٩ - (حياة الأمير علي عبد الله الوزير، أحمد بن محمد الوزير، مرجع سابق، ص ٣١٨).
- ٢٧٠ - (اليمن الثورة في الجنوب والانتكاسة في الشمال، الدكتور محمد علي الشهاري، مرجع سابق، ص ٧٢).
- ٢٧١ - (حياة الأمير علي عبد الله الوزير، أحمد بن محمد الوزير، مرجع سابق، ص ٤١٨).
- ٢٧٢ - (اليمن الثورة في الجنوب والانتكاسة في الشمال، الدكتور محمد علي الشهاري، مرجع سابق، ص ٧٢).
- ٢٧٣ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ٢٠١).
- ٢٧٤ - (المصدر نفسه، ص ٧٧). انظر كذلك ص ١٦).
- ٢٧٥ - (المصدر نفسه، ص ٧٧ - ٧٨).
- ٢٧٦ - (المصدر نفسه، ص ٧٧ - ٧٨).
- ٢٧٧ - (اليمن الثورة في الجنوب والانتكاسة في الشمال، الدكتور محمد علي الشهاري، مرجع سابق، ص ٨٨).
- ٢٧٨ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ١٨١ - ١٨٥).
- ٢٧٩ - (أحداث ثورة ١٩٥٥م، العميد محمد علي الأكوع، طبعة عام ٢٠٠٤م، ص ٣٥).
- ٢٨٠ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ٢٠٤).

- ٢٨١ - (أحداث ثورة ١٩٥٥م، العميد محمد على الأكوغ، مرجع سابق، ص ٥١).
- ٢٨٢ - (اليمن الثورة في الجنوب والانتكاسة في الشمال، الدكتور محمد علي الشهاري، مرجع سابق، ص ٧٣).
- ٢٨٣ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ٥٠ - ٥١)
- ٢٨٤ - (مجلة الرابطة العربية، العدد، ١٩٤٧/١/٤).
- ٢٨٥ - (أحداث ثورة ١٩٥٥م، العميد محمد علي الأكوغ، مرجع سابق، ص ٤٧).
- ٢٨٦ - (اليمن وتاريخه السياسي منذ استقلاله في القرن الثالث الهجري، امين سعيد، مرجع سابق، ص ١٣٢).
- ٢٨٧ - (اليمن الثورة في الجنوب والانتكاسة في الشمال، الدكتور محمد علي الشهاري، مرجع سابق، ص ٧٢).
- ٢٨٨ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ٤٨).
- ٢٨٩ - (المصدر نفسه، ص ٥٢).
- ٢٩٠ - (ثورة ٤٨ الميلاد والمسيرة والمؤثرات، اعداد مركز الدراسات والبحوث اليمنى، مرجع سابق، ص ٥٦٥ - ٥٦٨).
- ٢٩١ - (المصدر نفسه، ص ٤٩٧).
- ٢٩٢ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ٧١ - ٧٣)
- ٢٩٣ - (ثورة ٤٨ الميلاد والمسيرة والمؤثرات، اعداد مركز الدراسات والبحوث اليمنى، مرجع سابق، ص ٥٧٠).
- ٢٩٤ - (ثورة ٤٨ الميلاد والمسيرة والمؤثرات، اعداد مركز الدراسات والبحوث اليمنى، مرجع سابق، ص ٢٩١).
- ٢٩٥ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ٢٠٥).
- ٢٩٦ - (المصدر نفسه، ص ٢٠١).
- ٢٩٧ - (مذكرات المقبل، حسين محمد المقبل، الطبعة الأولى، ص ٧٩).
- ٢٩٨ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ٢٠١).
- ٢٩٩ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤٨٨).
- ٣٠٠ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ٤١).

- ٣٠١ - (المصدر نفسه، ص ٥٥).
- ٣٠٢ - (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، الدكتور عبدالعزيز قائد المسعودي، مرجع سابق، ص ٢٥٨)، وانظر كذلك (الأرشيف الأمريكي عن اليمن، وثيقة رقم ٢٥٣٧).
- ٣٠٣ - (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، الدكتور عبد العزيز قائد المسعودي، ص ٢٧٢)، وانظر كذلك (الأرشيف الأمريكي عن اليمن، وثيقة رقم ٦٧).
- ٣٠٤ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ١٠٩).
- ٣٠٥ - (المصدر نفسه، ص ٩٦).
- ٣٠٦ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ٨٣).
- ٣٠٧ - (المصدر نفسه، ص ٧٧).
- ٣٠٨ - (وثائق ودراسات، محمد الشعبي، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، ص ٣٥).
- ٣٠٩ - (رياح التغيير في اليمن، أحمد الشامي مرجع سابق، ص ٢٨١).
- ٣١٠ - (المصدر نفسه، ٢٧٨).
- ٣١١ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ٩٥).
- ٣١٢ - (المصدر نفسه، ص ١٠٧).
- ٣١٣ - (المصدر نفسه، ص ١٠٠).
- ٣١٤ - (المصدر نفسه، ص ١٠٠).
- ٣١٥ - (اليمن الجمهوري، عبد الله البردوني، مرجع سابق، ص ٣٦٢).
- ٣١٦ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ١٠١).
- ٣١٧ - (اليمن الجمهوري، عبد الله البردوني، مرجع سابق، ص ٣٦٥).
- ٣١٨ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ١١٢).
- ٣١٩ - (المصدر نفسه، ص ١٠٠).
- ٣٢٠ - (المصدر نفسه، ص ٨٣).
- ٣٢١ - (المصدر نفسه، ص ١٠٧).
- ٣٢٢ - (المصدر نفسه، ص ٩٨).
- ٣٢٣ - (المصدر نفسه، ١٠٨).
- ٣٢٤ - (المصدر نفسه، ص ٢٢٨).

**الفصل الثامن**  
**حروب الإمام يحيى الداخلية**  
**لتوحيد اليمن**

يقول مؤرخ اليمن في العهد الجمهورى، القاضى عبد الله الشماحى: إنه من الاعتراف بالحقيقة، أن الإمام يحيى استطاع أن يوحد الجزء المهم من اليمن تحت سلطته المطلقة، وأنه لعمل جبار، فقد كانت اليمن على إثر الحرب التركية عرضة للتمزق، بقيام ما لا يقل عن مائة إمارة، ومشيخة، وسلطنة<sup>(١)</sup>.

فبعد جلاء الأتراك نهائيا عن مراكزهم فى الجزيرة العربية، استنادا إلى هدنة مندروس، التى وقعت بين السلطات العثمانية والحلفاء فى ٢٠ أكتوبر سنة ١٩١٨م، وجد الإمام يحيى نفسه فى مواجهة كيانات صغيرة متفرقة فى جنوب الجزيرة العربية، تحكمها زعامات محلية، تحاول كل منها تدعيم مركزها وسيادتها، وتأكيد شخصيتها المستقلة، وخاصة فى منطقة اليمن الأسفل (لواء تعز وما حوله)، أما فى منطقة تهامة، فكان الإدريسى يودى دورا هناك، مادا نفوذه نحو منطقة المخلاف السليماني (مدينة جيزان وما حولها)، مما خلق أوضاعا مضطربة غير مستقرة فى تلك المناطق، خلافا لمنطقة الهضبة الشمالية فى اليمن الأعلى، حيث يقطن الزيدون، والتى كانت أقل تعقيدا بالنسبة للإمام يحيى، بفضل اتفاقية دعان التى عقدها مع الأتراك فى عام ١٩١١م، وكان من ثمرتها اعترافهم بزعامته الدينية، وتدعيم مركزه السياسى، وتقوية قبضته العسكرية بدون منافس يذكر، ولقد توج هذا الاعتراف بتسليم الأتراك صنعاء له فى عام ١٩١٨م، بما فيها من أسلحة ومعدات، كنوع من رد الجميل على موقفه المشرف معهم خلال الحرب العالمية الأولى.

وبالرغم من تأكيد زعامته على منطقة القبائل الزيدية، فإنه لا يمكن أن نتغافل عن حقيقة الواقع الاجتماعى والميراث الثقافى لتلك القبائل، الذى اتسم بالتعقيد الشديد. فالدول التى حكمت اليمن على اختلافها عبر مراحل التاريخ، واجهت مقاومة ومعارضة شديدة من قبل تلك الجماعات القبلية القاطنة فى الهضبة الشمالية لأى محاولة توحيد أو إدماج كامل لها فى بوتقة الدولة، والسبب فى ذلك، أن هذه القبائل الشرسة كان يشق عليها التنازل عن استقلالها، والحد من نفوذها، كونها جماعات قبلية محاربة احتفظت لنفسها بنظمها الاجتماعية، وتقاليدها، وأعرافها القديمة، وتقسيماتها القرابية والسياسية المستقلة عبر قرون<sup>(٢)</sup>. ومما لاشك فيه، أن ظروف البيئة الجغرافية والمناخ، وكذلك العزلة السياسية والحضارية التى عاشتها القبائل اليمنية فى تلك المناطق على مدى قرون زمنية متعددة، قد أدت دورا مهما فى تثبيت هذا النمط من التفكير، وساعد على ذلك التجزؤ

والانقسام السياسى بين القبائل التى لم يربطها قط أى وحدة سياسية<sup>(٣)</sup>. فانعدام سلطة الدولة المركزية، وغياب الدولة نفسها لقرون، جعل واقع الحياة القبلية يغلب عليه طابع الحروب والمنازعات، وأعمال السلب والنهب بين الوحدات القبلية المختلفة<sup>(٤)</sup>. وبالرغم من أن الإمام يحيى استغرق فى حروبه لتوحيد شمال اليمن أكثر من خمسة عشر عاماً<sup>(٥)</sup>، بعد خروج الأتراك من البلاد، إلا أننا نستطيع أن نصنف الفترة من عام ١٩١٨م إلى ١٩٢٣م بأنها أهم وأخطر ما مر على اليمن فى تاريخها المعاصر من أحداث، وذلك بسبب جسامة الحوادث التى تعرضت لها البلاد. فالأخطار المحدقة باليمن كانت عظيمة، والقوى المتربصة كانت كبيرة، ومعاول الهدم والتجزئة كانت مشحودة، والباحثون عن الزعامة والمنافع كانوا متربصين بالإمام يحيى الدوائر. ولو أراد مراقب منصف أن يرسم صورة لما كان يدور حول اليمن، فلن يجد أفضل من صورة لغريسة تتناوشها وحوش الفلاة من كل صوب وحذب. وإزاء تلك الصورة القائمة، لم يجد الإمام يحيى بدا من أن يتبنى استراتيجية ومنهجاً يحاول من خلاله تجميع أوصال البلاد تحت جناح دولة مركزية، تركز على كتاب الله وسنة رسوله.

### استراتيجية الإمام يحيى إزاء عملية التوحيد:

إزاء معطيات الواقع القائم على تأكيد زعامة الإمام يحيى وثباتها فى الهضبة الشمالية التى يقطنها الزيود، بوصفها ثمرة من ثمرات اتفاقية دعان، اتسمت استراتيجية الإمام فى بداية الأمر بمحاولة استقطاب القبائل الشافعية فى منطقة تهامة ومنطقة اليمن الأسفل إلى جانبه، باعتبار أنها مخالفة له مذهبياً، وقد استند هذا الاستقطاب على سياسة سلمية قائمة على أسلوب الترضية والاحتواء، حيث استدعى الإمام يحيى كافة مشايخ اليمن الأسفل فى عام ١٩١٨م قبيل انسحاب العثمانيين<sup>(٦)</sup>، وقدم لهم الوعود والتعهدات بإبقائهم فى مراكزهم الحالية التى عينهم الأتراك فيها، إن دخلوا فى طاعته<sup>(٧)</sup>، وأعفاهم من أى استحقاقات مالية كبيرة خارجة عن إطار الزكوات الشرعية، فى الوقت الذى كانوا يتوقعون أن يطالبهم الإمام بأكثر من ذلك، على شاكلة ما كانوا يدفعونه للأتراك من مستحقات تفوق مصارف الزكاة. مقابل إطلاق أيديهم فى اقطاعياتهم<sup>(٨)</sup>. كما تم السعى للتقرب من الشخصيات الدينية الفاعلة فى تهامة ومشايخ القبائل، عن طريق الإقناع بالموعظة الحسنة، والتوسل بالرابطة الدينية، مثل ما حصل مع شيخ الطريقة الصوفية عبدالقادر بن أحمد الأهدل،

الرجل الأكثر تأثيراً على نفوس أهل تهامة، والذي حملته الإمام الحجة بالانضمام إلى دولة الإسلام، بدلاً من وضع يده بيد الإنكليز وأذئابهم، مثل الأدريسى<sup>(٩)</sup>، بعدما تسرب خبر إمكانية طلبه للحماية البريطانية للاستقلال بذاته في تهامة، ورفضه الدخول في أي سلطة كانت، سواء سلطة الإمام يحيى، أو منافسه الأدريسى<sup>(١٠)</sup>. ومثلما حصل مع الشيخ سليمان بخيت وغيره من عقال ومشايخ قبيلة العبوس، الذين أرسل إليهم الإمام يحيى الوفود لإقناعهم بفك ارتباطهم بالإنكليز، والانضمام إلى دولة الوحدة الإسلامية<sup>(١١)</sup>.

ومن بنود استراتيجية الإمام لتحقيق هدفه في الاستقطاب والاحتواء، الحرص على احترام خصوصيات إخوانه الشوافع، وما يتبع ذلك من عادات وتقاليد لم تكن مألوفة لدى الزيود، فبمجرد دخول قوات الإمام يحيى إلى المناطق الشافعية، أرسل تعليماته وأوامره إلى قادة جنده بأن يحترموا قناعات الشوافع، وعاداتهم، وتقاليدهم، وألا يتدخلوا في شؤونهم الخاصة، وأن يعرفوا عساكرهم بهذه التقاليد والتعليمات<sup>(١٢)</sup>. وفي هذا الصدد يقول عبد الله البردوني، أديب اليمن وشاعرها: «كان عساكر الإمام لا يتفوهون بالطائفية، وكانوا يتلقون تجاوز الطائفية من أول تدريب على البندقية، ثم إن العساكر من كل المناطق كانوا يسمون عساكر الإمام، ويحسون بهذه التسمية قيمة تشريفية، ولم يشع في ذلك الحين الحس المناطقى والقروى كما هو الآن»<sup>(١٣)</sup>.

ومن البنود الأخرى في استراتيجية الإمام يحيى، تحاشي تعيين حكام زيود في المناطق الشافعية التي دخلت حديثاً تحت سيادة الإمام، والاستعاضة عن ذلك بحرصه أن تدار كل المناطق الشافعية من قبل أبناءها، حيث لم يكن هناك من الموظفين الزيود إلا النزر اليسير<sup>(١٤)</sup>. وفي هذا الصدد أورد شهادة هارولد جيكوب، المعاون الأول للمندوب السامى البريطانى، والمستشار فى شؤون اليمن، حيث يقول: «كانت عادة الإمام دوماً وما زالت، هى تعيين الحكام على الأقاليم الشافعية من الأشخاص الشوافع، تحاشياً من إحراج الأحاسيس الدينية والمشاعر المذهبية عند أبناء هذه الطائفة»<sup>(١٥)</sup>. ومن تلك التعيينات التى ذكرها جيكوب، ما قام به الإمام يحيى من استقطاب لكافة الأسر الإقطاعية الشافعية المذهب، بإبقائهم حكاماً على إقطاعياتهم، مثل إبقاء الشيخ عبد الوهاب نعمان حاكماً لقضاء الحجرية، وابن عمه الشيخ عبد الواسع نعمان حاكماً على منطقة المقطرة، والشيخ محمد أحمد نعمان حاكماً فى منطقة جبل حبشى، والشيخ محمد حسان حاكماً فى منطقة

شرعب، والشيخ على عثمان حاكما لمنطقة المخا، والشيخ عبد الله عثمان حاكما لمنطقة مقبنة، والشيخ أحمد بن على الباشا حاكما لناحية تعز، إضافة لما قام به الإمام يحيى من تعيين مشايخ شوافع جدد فى المراكز التى أعيد تنظيمها بعد دخولها تحت سيادة الدولة الإمامية، مثل الشيخ إسماعيل باسلامة الذى عين فى منطقة إب، والشيخ حسن على باشا فى منطقة المذيخرة، والشيخ حمود عبدالرب فى منطقة شلف<sup>(١٧)</sup>، والشيخ قائد صالح الصرارى فى منطقة ماوية<sup>(١٨)</sup>.

أما فى منطقة تهامة، فقد عين الإمام يحيى الشيخ أحمد الفتينى عاملا للدولة على قبائله من الزرائيق فى عاصمتهم بيت الفقيه<sup>(١٩)</sup>، وعين الشيخ أبو هادى عاملا للدولة على قبائل القحراء فى عاصمتهم باجل<sup>(٢٠)</sup>، وغير هؤلاء مما لا يتسع المجال لذكرهم جميعا. كما حرص الإمام يحيى على تعيين القضاة فى كافة المناطق الشافعية من فقهاء وقضاة المذهب نفسه، وحتى كافة مأمورى أموال وكتاب المنطقة، كانوا كلهم من الشوافع<sup>(٢١)</sup>، ومن تلك التعيينات إسناد الإشراف على القضاء فى كافة اللواء التعزى إلى الشيخ عبدالرحمن بن على الحداد<sup>(٢٢)</sup>، وإسناد القضاء والإفتاء فى منطقة اللحية والحديدة إلى الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله المزجاجى<sup>(٢٣)</sup>، وإسناد القضاء فى منطقة المخادر إلى القاضى محمد بن على الصديق<sup>(٢٤)</sup>، وهؤلاء كانوا جميعا من الشخصيات الدينية الشافعية الفاعلة فى منطقة اليمن الأسفل.

ومن الاستراتيجيات الأخرى التى اتبعتها الإمام يحيى فى محاولة استقطاب القبائل الشافعية، ما قام به من عرض للأموال، خاصة لقبائل الزرائيق الأكثر شراسة ونفورا للدخول تحت السيادة الإمامية. ولم يفت الإمام يحيى أن تقديم المعونات المالية للمشايخ، كان من الأمور الشرعية الشائعة فى جزيرة العرب لاستقطاب القبائل واحتوائها، باعتبار أن هؤلاء المشايخ من المؤلفة قلوبهم، ولهم حق معلوم من بيت مال المسلمين<sup>(٢٥)</sup>، ومن ذلك ما عرضه الإمام يحيى على مشايخ زبيد من أموال بلغت أكثر من عشرة آلاف ريال فرانسى، فى محاولة منه لاحتوائهم وإبعادهم عن الإنكليز<sup>(٢٦)</sup>.

أما فيما يتعلق بمساعى الإمام يحيى لاستقطاب حكام المحميات الجنوبية، وهم أيضا من أبناء الطائفة الشافعية، فقد بعث الدعوات إلى كافة الحكام هناك للدخول تحت لواء الوحدة اليمنية بقيادته، وقدم لهم الوعود بتركهم حكاما على مناطقهم، مع الحرية فى إدارة



شؤونهم الخاصة، إن وافقوا على فك الارتباط مع الإنكليز، والدخول تحت سيادته<sup>(٢٦)</sup>، ويتجلى ذلك واضحا في الخطاب الذى بعثه الإمام يحيى إلى كافة أمراء وسلاطين الجنوب بحضور مؤتمر وحدوى وطنى يعقد فى صنعاء، حيث يقول هذا الخطاب:

بنى وطنى وبينكم كل مغوار شهم أبى من أمراء، وسلاطين، ومشايخ، وأشراف، وحكام مخاليف اليمن المتخلفين عن الانضمام للوحدة القومية اليمنية الإمامية، وفقنا الله وأياهم لما يحبه ويرضاه، السلام عليكم ورحمة الله، وبعد فقد بدا لنظرنا الموفق ب الله، أن سلامة واستقامة وحفظ بلادنا اليمن، لا تتوقف إلا على صدق نفوسنا، وطهارة قلوبنا، ومضاء عزائمنا، وقوة إيماننا، ورسوخ عقائدنا، وأنا أجزم - بحمد الله - أن هذه القوات موفورة فينا، ولكن انكماشنا عن بعضنا، وانعكاف كل واحد فى محيطه، صير تلك القوات العتيذة المرهبة فى حكم العدم، وجعل بلادنا مهبا للطامعين، وأشد ما نخشاه أن يجدوا بين أنقسامنا ثغرة يتطرقون منها إلينا، فتصبح بلادنا لا قدر الله لغيرنا، ونمسى فيها ونحن أهلها غرباء عنها، كما حصل ذلك لأهالى الممالك الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها، التى خدعها الأجانب فى استقلالها، ولنا فى غيرنا ألف موعظة وعبرة.

لهذا وأمثاله دعوتكم برعاية الله ورسوله إلى حضور مؤتمر عام، نعقده باسم الله للبحث والنظر فيما يصلح به أمر البلاد اليمنية، ويستقيم به دينها، ويسدر ضرعها، ويخصب زرعها، ويرفع عظمتها، وينشر بركتها، ويصد عنها كل خطر أجنبى مهما كان مصدره ونوعه، وكل ما يتقرر شىء فى هذا الاجتماع، يكون حكمه حكم المسائل المجمع عليها. أما المسائل التى ينبغى طرحها أمام المؤتمر، فينبغى أن تكون أصولية ضامنة لسلامة اليمن، وهى:

أولاً: قبل كل شىء الاعتراف والتصديق بأن بلاد اليمن واحدة غير قابلة للتجزئة، بحدودها الطبيعية التى كانت لها قبل الإسلام وبعده، وليس فيها مناطق نفوذ لأى دولة من الدول، مهما كان جنسها، وشكلها، ونوعها.

ثانياً: الاعتراف بالسيادة الإمامية على كل جزء من أجزاء بلاد اليمن. ويجب أن تكون الإمامة الرمز الأعلى لقوات البلاد الدينية، والسياسية، والعسكرية، ببدها إعلان الحرب، وإبرام الصلح، وعقد الاتفاقيات التجارية، والاقتصادية، والبريدية، والمواصلات، وغير ذلك مما يدعو إلى إيجاد صلة بين اليمن وغيره.

ثالثا: تعترف السيادة الإمامية باحترام الشكل الإدارى الممتاز لكل قطعة من البلاد اليمنية، مثل لحج، والمكلا، والشحر، وحضرموت. وأن تكون الولاية موروثة فى نصابها المقرر، وأن تتكفل بحماية الأمراء من كل اعتداء، بشرط أن يكون القضاء واحدا، وألا يقع تعيين القضاء إلا من طرف الإمامة.

رابعا: يجب أن تكون قوات البلاد اليمنية كلها - سواء كانت ممتازة أو غيرها - متحفزة لصد كل غارة أجنبية تقع عليها من الخارج. وكل أذى يقع على أى ناحية من البلاد اليمنية، يعتبر كأنه واقع عليها جميعا، لذلك يجب عليها أن تنهض جميعا لرفع الأذى، ليتحقق بذلك أمام العالم نهضة واتحاد اليمن.

خامسا: تأسيس لجنة دائمة مؤلفة من أعضاء يختارهم أمراء البلاد الممتازة، وأعضاء يختارهم الإمام للنظر فى حقوق ومطالب ومصالح الجهات الممتازة، وإذا حصل خلاف انظر فيه<sup>(٢٧)</sup>.

وهكذا وجدنا كيف أن دعوة الإمام يحيى لإخوانه فى الجنوب كانت قائمة على إرسال البعث والعروض بالحكمة والموعظة الحسنة، لإقناعهم بالدخول تحت راية الوحدة، وفك الارتباط بالإنكليز<sup>(٢٨)</sup>. وكما نلاحظ فقد بلغ الرفق واللين، والاحترام، والتفهم للخصوصيات إلى درجة عدم ممانعة الإمام يحيى من انضواء الولايات الجنوبية تحت حكم فدرالى معه يحترم فيه الشكل الإدارى لكل ولاية، حسب ما اشار إليه خطاب الإمام يحيى المرسل الى كافة أمراء وسلاطين الجنوب، ولم يستخدم الإمام أى أسلوب من أساليب القهر، أو القمع، أو القوة القاهرة مع أى من المشايخ أو الإقطاعيين فى المناطق الشافعية، بل فضل نسج العلاقة بالحسنى، سواء فى محميات الجنوب، أو مناطق اليمن الأسفل أو تهامة فى شمال اليمن، وبالرغم من هذه السياسة الناعمة القائمة على محاولات الاستقطاب والاحتواء بالموعظة الحسنة، إلا أن الإمام لم يجد آذانا صاغية، ولم تجد سياسته تلك نفعا، بل فوجئ الإمام يحيى بالجميع يقبلون له ظهر المجن، ابتداء من قبيلة القحرا فى منطقة تهامة، التى بعثت له برقية يهددون فيها بأنهم سوف يطلبون الحماية من أحد الدول الأوروبية، إن حاول الإمام يحيى الزحف بقواته إلى عاصمتهم فى مدينة باجل، وأرسلوا إنذارا آخر إلى عامل الإمام فى زبيد، أنه إذا لم يخل قواته من المنطقة بتاريخ ١٣ أغسطس من عام ١٩١٩م، فسوف يهاجمونه<sup>(٢٩)</sup>، وإضافة لذلك فقد قاموا بمراسلة الإدريسي طالبين منه الدعم بالسلاح

والذخائر، لمقاومة مساعي الإمام في مشروعه الوطني<sup>(٣١)</sup>، الأمر الذي شجع الإدريسي على الزحف باتجاه حدود قبائل القحرا والعبوس<sup>(٣٢)</sup>. أما قبيلة الزرانيق في تهامة، فقد عقدوا اجتماعا فيما بينهم لتصفية خلافاتهم، وقرروا التكتل لمواجهة الزحف الإمامي، والدخول تحت حماية قوى أجنبية<sup>(٣٣)</sup>، كما أرسلوا شيخهم على الفاشق إلى الإدريسي لتدارس الوضع<sup>(٣٤)</sup>، فما كان من الإدريسي إلا أن رد بإرسال عامله في اللحية، الشريف يحيى بن محمد الرفاعي إلى عاصمتهم بيت الفقيه في مهمة تحريض ودعوة للدخول في طاعته، وقد نجح الشريف يحيى في مهمته، حيث أقنع مشايخ الزرانيق بتوقيع وثيقة ولاء ودخول في طاعة الإدريسي<sup>(٣٥)</sup>، وكان من نتيجة ذلك أن بدأ البعض في بيت الفقيه عاصمة الزرانيق بالدعاء للإدريسي من على منابر المساجد في صلاة الجمعة<sup>(٣٥)</sup>.

ولم يقتصر أمر الزرانيق على الولاء للإدريسي، بل تعدى ذلك إلى درجة أن بدأ مشايخهم وغيرهم من مشايخ قبائل تهامة، مثل قبيلة القحرا والعبوس بمكاتبة المندوب السامي البريطاني في عدن، طالبين منه المساعدة في مواجهة الزحف الإمامي إلى مناطقهم<sup>(٣٦)</sup>، بل وصل الأمر إلى درجة أن عرض مشايخ الزرانيق موانئهم في البحر الأحمر للإنكليز لاستغلالها<sup>(٣٧)</sup>.

أما في منطقة زبيد، فبالرغم من دخول قوات الإمام إليها، وتعيين حاكم لها يمثل سلطة الدولة الإمامية، إلا أن بعضا من مشايخها قاموا ببعث الوفود السرية إلى الإدريسي لتدارس الموقف، ومنهم الشيخ محمد يوسف حايدى وغيره<sup>(٣٨)</sup>، وهذا ما يفسر اندلاع الاضطرابات هناك، حيث تم محاصرة ممثل الإمام في زبيد، القاضي محمد الذارى من قبل بعض القبائل القاطنة هناك، مما اضطر الإمام إلى إرسال تعزيزات عسكرية لكسر الحصار<sup>(٣٩)</sup>. أما في مدينة المخا، فإن الشيخ على عثمان، الذي كان قائم مقام المخا في عهد الأتراك، قد حاول الاستيلاء على الأسلحة والذخائر التي خلفها الأتراك في تلك المنطقة ليستقوى بها، في محاولة منه لتعزيز مركزه من أى محاولة زحف إمامية<sup>(٤٠)</sup>. أما في منطقة، خوفا فقد ذهب شيخها شخصيا إلى عدن يشكو عدم اهتمام بريطانيا به وبقيبلته، عارضا استعداده لتقديم الخدمات إلى الإنكليز<sup>(٤١)</sup>.

أما في منطقة اليمن الأسفل، فقد قام بعض سكان جبل صبر بقطع المياه عن منطقة تعز، للضغط على قوات الإمام للخروج منها<sup>(٤٢)</sup>، وقاموا بتدمير الكثير من المنشآت العسكرية

التي أقامها الأتراك قبل مغادرتهم، خوفاً من أن تقع في أيادي قوات الإمام يحيى، وتعزز من تواجدهم هناك<sup>(٤٣)</sup>، وقام الشيخ محمد ناصر مقبل بالاستيلاء على الأسلحة التركية في منطقة ماوية، لتدعيم نفوذه في مواجهة قوات الإمام<sup>(٤٤)</sup>، وزاد على ذلك بقيادة تكتل يضم شخصيات مؤثرة في منطقة تعز، منها الشيخ أحمد باشا، وأبناء علي عبد الله من مشايخ العدين، وشخصيات من أسرة أبوراس، مشايخ منطقة ذى سفال، إضافة إلى عبد الوهاب نعمان، قائم مقام الحجرية في عهد الأتراك، وقد كان الهدف من هذا التكتل، مقاومة الامتداد الإمامي الزاحف إلى منطقة تعز بعد خروج الأتراك<sup>(٤٥)</sup>.

وإضافة إلى ذلك، فقد قام غالبية مشايخ اليمن الأسفل وتهامة ببعث الرسائل والبعوث إلى المندوب السامي البريطاني في عدن، طالبين منه الدعم الفوري لمواجهة قوات الإمام يحيى الزاحفة إلى مناطقه. وقد علق المندوب السامي في عدن على سيل الرسائل والبعوث المرسله إليه في هذا الشأن بقوله: «إن الحاصل في تلك المناطق من اليمن، إن كل مقدم، وكل عاقل حارة، وكل شيخ يريد الاستقلال بنفسه»، حيث وصله مندوبون لأكثر من ١٢ شيخاً، وكلهم يطلبون الاستقلال والدخول تحت الحماية البريطانية<sup>(٤٦)</sup>. أما هارولد جيكونب، المساعد الأول للمندوب السامي البريطاني، فقد علق على تهافت المشايخ للحصول على الدعم البريطاني لمقاومة الزحف الإمامي بقوله: «كانت الرسائل تصل إلينا في عدن يومياً من الحدود، ومن خلف الحدود، وهؤلاء العرب اعتقدوا بأنهم لا يستطيعون مقاومة نفوذ الإمام الزيدي، وكانوا في رعب منه، وكانت قواته مثل الجراد<sup>(٤٧)</sup>».

وقد أوردت الوثائق البريطانية أسماء الكثير من هؤلاء المشايخ، الذين فضلوا الإنكليز على الاندماج في دولة الوحدة، ومنهم الشيخ ناصر، وهو أحد مشايخ القبائل في المنطقة الساحلية، ما بين منطقة الشيخ سعيد والمخا، الذي طلب الحماية البريطانية بصفة رسمية<sup>(٤٨)</sup>، والشيخ حسين بن أحمد، الذي زار عدن، وطلب مساعدات وأسلحة، لطرد قوات الإمام من البيضاء، وعرض أن يوقع اتفاقية حماية مع بريطانيا<sup>(٤٩)</sup>، والشيخ عبد الله بن سليم العزاني من البيضاء، الذي كاتب عدن طالبا أسلحة وذخائر لمقاومة الاحتلال الزيدي، على حد قوله<sup>(٥٠)</sup>، والشيخ عبد الوهاب نعمان، الذي كان يحكم كقائم مقام في عهد الأتراك، هو وأبيه لأكثر من عشرين سنة في منطقة الحجرية، وقد كاتب الإنكليز بعد خروج الأتراك، طالبا منهم المساعدة في مقاومة التمدد الزيدي حسب زعمه، ومجموعة

أخرى من مشايخ اليمن الأسفل، الذين وصلوا إلى عدن على أمل أن يحصلوا على عون من الإنكليز، لتعزيز مناطقهم ونفوذهم، لمواجهة الزحف الإمامي، ومنهم شيوخ الأعبوس، والعماري والقببطيني، والزعرعي، والشوافي، والمقطري، والأعبري، واليوسفيين إضافة إلى الشيخ محمد بن حسان من مشايخ الطريقة الصوفية الشاذلية في تعز، والشيخ عبد الله عبد الوهاب من مشايخ إب<sup>(٥١)</sup>، والشيخ ناجي بن صالح الفتيحي من منطقة دوبا الدريجة، الذي وصل إلى عدن مصرحا بعدم ممانعة مشايخ اليمن الأسفل من دفع مبالغ دورية إلى الإمام يحيى، على أن يتركهم لشأنهم، ولكنه يفضل الدخول في الحماية البريطانية<sup>(٥٢)</sup>، والشيخ عبد الرب المعماري من الحجرية، الذي أتى إلى عدن بتوصية من محمد ناصر مقبل، وتوصية أخرى من شيخ الطريقة الشاذلية محمد حسان، المذكور آنفا بمطالب استقلالية له في منطقة الحجرية، والشيخ ناجي صالح الفتاني، والشيخ قحطان الشميري، الذين كاتبوا السلطان العبدلي في الجنوب المحتل، عارضين أنفسهم تحت تصرف الإنكليز. وهناك مشايخ آخرون أيضا لم تذكر الوثائق البريطانية أسماءهم، ولكنها ذكرت مناطقهم، مثل شيخ منطقة سمارة، وشيخ منطقة المخادر، وكلهم كاتبوا الإنكليز مصرحين بعدم رغبتهم في الدخول تحت سلطة الإمام يحيى، مفضلين الارتباط المباشر مع الإنكليز<sup>(٥٣)</sup>. والشيخ محمد أمين، شيخ منطقة ريمة الذي كاتب الحاكم السياسي البريطاني في عدن، طالبا المساعدة من الحكومة البريطانية في طرد قوات الإمام يحيى من ريمة، بعد فقده لسلطته ونفوذه على القبائل هناك، بعد أن كان في منصب قائمقام في عهد الأتراك<sup>(٥٤)</sup>، والشيخ الصقلدي الذي تقع قبيلته إلى الشمال الشرقي من الضالع، والشيخ النمراني، شيخ مراد، والشيخ حسين بن ناجي، حاكم مدينة صرواح، وكل هؤلاء طلبوا مساعدة الإنكليز لهم، للتمكن من الصمود في وجه الزحف الإمامي<sup>(٥٥)</sup>.

وقد استجابت بريطانيا لمعظم هؤلاء المشايخ، بعد تعنت الإمام يحيى في الاستجابة للشروط البريطانية، وفتحت لهم بريطانيا خزائنها المالية والعسكرية، ليكونوا ورقة رابحة في يدها، تستخدمهم لمساومة الإمام يحيى، ولنا أن نتخيل حجم التحدي الذي واجهه الإمام يحيى لدحر هؤلاء المشايخ، وقسرهم على الدخول تحت راية الوحدة. وكل هذا التهافت والتسابق من المشايخ في منطقة تهامة، أو اليمن الأسفل، أو المناطق الجنوبية للدخول تحت الحماية الإنكليزية، مقابل الرفض والعزوف عن الدخول تحت سلطة

الدولة الإمامية الموحدة، لم ينبع من فراغ، بل هو حالة كلاسيكية في التاريخ الإنساني، الذى لم تتحقق فيه أية وحدة كانت عبر التاريخ بالحسنى والتراضى والحوار السلمى، ما لم يكن هناك قوة قاهرة عنيفة، وعلو يد، وعظيم رهبة تقمع السكان المناهضين للوحدة، وتقسرهم قسرا على القبول بالاندماج. فالقهر ليس منه بد فى مراحل التأسيس والنشأة، إن فشلت محاولات الاستقطاب والاحتواء بالحسنى، فهل وحدت الولايات المتحدة الأمريكية على يد جورج واشنطن وإبراهيم لنكون بالمفاوضات الدبلوماسية والاجتماعات الودية، أم بالحديد والنار، والتضحيات الباهظة؟ وهل كان يمكن أن تقوم الوحدة الألمانية، لولا القهر العسكرى الذى مارسه بسمارك بروسيا على باقى الولايات الألمانية؟ وهل كان يمكن أن تقوم الوحدة الإيطالية، لولا الأرواح التى أزهدت، والدماء التى سفكت على يد قادة وطنيين ككافور وغاريبالدى، لإجبار الممالك الإيطالية المتنازعة على الدخول تحت سيادة الملك فيكتور إيمانويل؟

أما فى الجزيرة العربية، فهل وحد الملك عبد العزيز المملكة العربية السعودية، وقضى على عهد السلب والنهب بكروت دعوات أم بالسيف البتار؟ واليمن لم يكن استثناء عن باقى الممالك الموحدة، حيث وجد الإمام يحيى نفسه أمام منعطف تاريخى، لا مكان فيه لأنصاف الحلول، ولا لأنصاف المواقف، فإما أن تقوم دولة اليمن الموحدة، أو لا تقوم، لذا لم يجد بدا من استخدام سياسة القهر والقوة، بعد أن استنفذ كافة الوسائل الناعمة الممكنة مع المشايخ، والإقطاعيين، والسلاطين، سواء فى منطقة تهامة، أو اليمن الأسفل فى الشمال، أو منطقة المحميات فى جنوب اليمن، ولنا أن نتصور ماذا كان يمكن أن يكون عليه مصير اليمن، لولا حزم الإمام يحيى فى فرض الوحدة وسلطتها بالقوة القهرية، وتصديه للمفسدين والانفصاليين، الذين كانوا يفضلون يمنا ممزقا ينخر فيه البعد الطائفى والقبلى، كما أشار إلى ذلك المؤرخ اليمنى عبد الله الشماحى.

### نظام الرهائن:

لقد سمعنا من يعلل بالقول من أن السبب فى عزوف معظم القبائل الشافعية عن الدخول تحت سيادة الإمام يحيى، تمثل فى نظام الرهائن الذى كان سائدا فى عهده، إلا أن ذلك الرأى من السهل نقضه، بدليل أن الإدريسى كان أيضا يستخدم نظام الرهائن لضمان ولاء القبائل<sup>(٥٦)</sup>، ومع ذلك وجدنا أكثر القبائل الشافعية تبادر إليه، عارضة الدخول طوعا

تحت سيادته، بسبب توافقه المذهبي معه. وقبل الإدريسي كان الكثير من الشوافع أيضا يراسلون الشريف حسين في الحجاز، مخاطبينه بمولانا وسيدنا أمير المؤمنين، مما يدل على شعورهم بالرغبة والولاء<sup>(٥٧)</sup>. وقبل ذلك وجدنا الكثير من الشوافع كانوا على استعداد للموت إلى جانب الأتراك، فداء لهم على أن يدخلوا تحت سيادة الإمام يحيى الزيدى، حسب ما كانوا يصرحون بعلانية<sup>(٥٨)</sup>.

كل هذا التسابق نحو الإدريسي في تهامة، أو الشريف حسين في الحجاز، أو الأتراك المحتلين في شمال اليمن، كان بسبب التماثل المذهبي بين الطرفين، حيث لا يمكننا أن نغفل حقيقة تاريخنا المشبع بالصراعات والولاءات المذهبية، التي لا يمكن أن نلغيها من الخارطة السياسية. فالنعرات الطائفية والعصائب - رضينا أم أبينا - كامنة كمون الجمر تحت الرماد، وهي في عالمنا الإسلامي - للأسف الشديد - ليست بالشيء المستحدث، بل إنها نسق ينشط ويخبو حسب المعطيات على الأرض. فصاحب السلطة على الأرض، هو من يخمد الغرائز العنصرية والطائفية تحت مهابة القيادة الحازمة، أو يؤججها ويرفع رايتها بقبضة الجهل واللامسؤولية، وباستعراض الأحداث والسلوكيات بعد انسحاب الأتراك من اليمن، سوف نجد أن الطرفين اللذين كان لهما المصلحة الكبرى في تأجيج الطائفية في البلاد، اثنان لا ثالث لهما، وهما: الإنكليز، والإدريسي.

ومما يدل أيضا على أن نظام الرهائن لم يكن السبب في الرغبة من عدمها في الدخول تحت سيادة الإمام يحيى، بقدر ما كان السبب أمرا آخر، وهو أن كثيرا من مشايخ قبيلة حاشد، وهم من أهم مناصري الإمام يحيى، ومن طائفته نفسها، كانوا أيضا يتسابقون إلى إرسال أبنائهم كرهائن لدى الإدريسي في جيزان، تعبيرا عن الولاء والمبايعة، مع أن الإدريسي لم يطلب منهم ذلك<sup>(٥٩)</sup>، ومنهم الشيخ منصور بن بخيت، وهو أحد مشايخ حاشد، الذي أرسل طوعا وبطيب خاطر جملة من أبناء زعماء قبيلته رهائن إلى الإدريسي في جيزان، تعبيرا عن الولاء والمبايعة<sup>(٦٠)</sup>. ومنهم أيضا الشيخ ناصر بن مبخوت الأحمر، حسب ما أكده محمد رشيد رضا، صاحب المنار<sup>(٦١)</sup>، حيث إنه كان للإدريسي جاذبية خاصة بسبب الأموال الإنكليزية التي كانت في حوزته، والتي مكنته من استقطاب كثير من المشايخ<sup>(٦٢)</sup> على حساب الإمام يحيى، الذي لم يستلم درهما واحدا من الإنكليز، لذلك لم يكن من الغرابة بمكان أن نجد الشيخ ناصر بن مبخوت الأحمر وغيره من المشايخ،

يرسلون جملة رهائن من أبناء قبيلتهم إلى الإدريسي<sup>(٦٣)</sup>، مرددين المقولة بأن الأدريسى إمام الذهب، فى حين يظل الإمام يحيى فى نظرهم إمام المذهب<sup>(٦٤)</sup>، وفى مقابل ذلك، لم يفوت الأدريسى على نفسه فرصة اهتبال هذه الفرصة الذهبية، فى محاولة منه لاختراق منطقة نفوذ وعصيبة الإمام يحيى فى الهضبة الشمالية، حيث خصص راتباً شهرياً قدره ٧٠٠ ريال فضة فرانسى لابن الأحمر زعيم حاشد<sup>(٦٥)</sup>، بالرغم من أن الإمام يحيى كان قد سبق الإدريسى فى محاولة استقطاب المشايخ عن طريق تقديم المعونات المالية السنوية لهم، باعتبارهم من المؤلفّة لقلوبهم<sup>(٦٦)</sup>، إلا أن سياسة الإمام يحيى فى صياغة علاقته مع المشايخ لم تكن قائمة على التدليل المادى إلى درجة الإفساد السياسى، مثل السياسة التى اتبعها الإدريسى، بل حرص الإمام يحيى على الموازنة ما بين متطلبات الاحتواء السياسى للمؤلفّة لقلوبهم، واستحقاقات الولاء للدين والوطن.

لقد ذهب خصوم الإمام الى الرأى بأن نظام الرهائن الذى كان سائداً فى عهده، يعد من الأدوات السياسية التى سودت صفحة الإمام يحيى التاريخية. أما المنصفون من اصحاب العقلانية فى التفكير، فيرون أن تلك الرؤية السلبية لا تخلو من تجن على الحقيقة، لأن هؤلاء الخصوم لم يعطوا نظام الرهائن حقه من البحث والدراسة، بل قفزوا على واقع هذا النظام، وتفصيله، ومعطياته، وسياقه التاريخى، مكتفين بالكتابة عن الجانب الذى يريدون إبرازه من هذا النظام، وكنتم الجانب الذى لا يريدون للناس أن يعرفوه، على شاكلة من يستشهد بالآية القرآنية (ولا تقربوا الصلاة)، وأضافوا إليه من الديباجات، والزيادات، والتأويلات ما أدى إلى إساءة فهمه، وقلب معناه تماماً، وإظهاره لدى العامة بصورة مغلوطة على غير وجهه الصحيح، لذا يحتاج الأمر من كل مثقف قبل أن يطلق أحكاماً عامة على نظام الرهائن، أن يكون لديه نظرة أوسع بفهم الخلفية التاريخية، والسياق، والدوافع، والمسببات، والتفاصيل لهذا النظام؛ لأن التغافل عن هذه الحقائق، يعد جهلاً بعلم التاريخ والاجتماع، لا يليق بالباحثين الجادين.

وحتى نفهم نظام الرهائن على حقيقته، فلنبدأ بأخذه أولاً ضمن سياقه التاريخى، والأسباب المحركة له. فالإمام يحيى باستخدامه لنظام الرهائن لم يخرج عن سنن حكام اليمن من قبله سواء الهاشميين أو القحطانيين، مما يعنى ان نظام الرهائن لم يكن من اختراع الإمام يحيى، ولا من ابتداعه، بل كان من النظم والأعراف القبلية التقليدية التى



شقت طريقها عبر قرون الى ان ثبتت واستقرت في ذهنية المجتمع اليمني وأصبحت جزء من شريعته ، قبل تولى الإمام يحيى السلطة بقرون،<sup>(٦٧)</sup> وبالتالي لم يكن هذا العرف في تقديم الرهائن مدعاة للتذمر أو السخط عند الشيوخ والقبائل ، لاعتيادهم عليه ، وتطبعهم به عبر التراكم الزمنى<sup>(٦٨)</sup> ، ولمارستهم إياه طوعا ، حتى فيما بينهم منذ أن يشبوا إلى أن يموتوا ، بل إن أكبر قبائل اليمن في حاشد وبكيل كانت - كما أشرت سابقا - كانت تسلم أبناءها رهائن ، ليس للإمام يحيى فحسب ، بل لغيره من الحكام كالإدريسى ، بل أكثر من ذلك تسلم أبناءها رهائن لجهات غريبة عن اليمن كالإنكليز ، كعربون للصدقة ، وكتعبير عن الولاء ، مثل ما قام به الشيخ يحيى الشايف من تسليم ابنه رهينة للإنكليز ، للتعبير عن ولائه لهم<sup>(٦٩)</sup>.

وبتقادم الوجود البريطاني في عدن ، راق للإنكليز هذا التقليد ، وبدؤوا أنفسهم يلجؤون إلى هذا العرف القبلي في كثير من الحالات ، لضمان سلامة الطرق التي تمر في مناطقهم الاستراتيجية ، فأجبروا كثيرا من المشايخ على تقديم أبنائهم كرهائن<sup>(٧٠)</sup> . وللتدليل على تجذر هذا العرف القبلي في نسيج المجتمع القبلي في اليمن ، بما يعنى الإمام يحيى من مسؤوليته ، يكفى أن أشير إلى أن هذا النظام مازال قائما بين القبائل في اليمن حتى اليوم ، متمثلا في قيام الوحدات القبلية أثناء النزاعات والحروب فيما بينهم بتكليف هيئات توسط ، تأخذ عددا من الأشخاص من الأطراف المتنازعة كرهائن ، لضمان التقيد بالصلح المبرم والالتزام بتنفيذه<sup>(٧١)</sup> ، بل أكثر من ذلك ، وقد يستغرب القارئ عندما يعلم بأن الرئيس السابق على عبد الله صالح وأجهزته الأمنية استمر طوال فترة رئاسته وهو يمارس هذا التقليد ، بأخذ رهائن يزوج بهم في السجون ، لقايضتهم بأبائهم أو إخوانهم أو أبنائهم الخارجين على سلطته .

وللتحدث عن تفاصيل نظام الرهائن فى عهد الإمام يحيى ، يجدر بنا ألا نقع فى شرك المسميات ، والأشكال ، والمظاهر وفخاخها على حساب المضامين والجوهر ، حيث إن هذا النظام ، وخلافا للصورة النمطية القائمة التى حاول إعلام السلطة العسكرية فى اليمن إلصاقها ، بادعائهم أن الرهينة لدى الإمام كان يعانى من الإرهاب بالقيود والسلاسل ، والحشرفى زنازين مظلمة ضيقة ، ويعانى من الذل ، والجوع ، والبرد ، والقهر ، والتعرض للقتل فى حالة تمرد ذوى الرهينة ، وهذا هو البهتان بعينه ، حيث لم يهن ، أو يذل ، أو

والإشارة لمشاعر المتمدنين، الذين ذاقوا حلاوة المدنية المعاصرة، واستلذوا رخائها وأمنها ودعتها وترفها، إلا أن الحكم والتقييم لهذه المسألة يجب أن يكون على أساس منطوق زمان الإمام يحيى ومنجزات عصره، وليس غير ذلك، فمن السهل لمن لم يعيش تفاصيل الحياة اليومية في ذلك الزمان، أن ينتقد، وينظر، ويلقى الأحكام جزافا، إلا أن الحقيقة تقول بأن العالم برمته، كان متخلفا ذهنيا، وقاصرا فكريا في تلك الحقبة التاريخية، مقارنة باليوم. ولم يكن التخلف يقتصر على نظام الرهائن في عهد الإمام يحيى فحسب، بل نجد الكثير من الدول المتحضرة والمتقدمة تقنيا في زمان الإمام يحيى، كان فيها نظائر متخلفة شبيهة، وسلوكيات شاذة، ومعتقدات تبعث على الاستنكار والسخط، والاشمئزاز بمعايير اليوم، ويمكن التأكد من هذه الحقيقة بالعودة للماضي القريب، بمراجعة ما كان سائدا في الولايات المتحدة واليابان. فنظام الفصل العنصرى كان يمارس بطريقة رسمية في الولايات المتحدة الأمريكية، التي كانت الدولة الأكثر تحضرا في العالم في زمن الإمام يحيى. ونظام السخرة للفقراء، واستعباد فتيات الجيشا، كان يمارس كعادة اجتماعية طبيعية في اليابان في زمن الإمام يحيى، بالرغم من تطور اليابان الصناعى والتقنى. وفي محيط الإمام يحيى العربى، نجد أن نظام العبودية وتجارة النخاسة كان يمارس بتلقائية في أسواق الجزيرة العربية برمته في زمن الإمام يحيى، دون أن يثير ذلك أى اشمئزاز. فالناس بممارساتهم وأفكارهم في ذلك الزمان، لم يكونوا إلا نتاج عصرهم وبيئتهم، وبالتالي لا نستطيع أن نحملهم عبء تخلف السلوكيات الممارسة في زمنهم، سواء كان ذلك نظام الرهائن في اليمن، أو نظام النخاسة في وسط الجزيرة العربية، أو نظام الفصل العنصرى في الولايات المتحدة الأمريكية، أو نظام السخرة واستعباد فتيات الجيشا في اليابان، لأن هذه الأنظمة الاجتماعية كانت من صنع الواقع المحلى، الذى لا خيار لأحد فى وجوده. كما أنها كانت من صنع قيم المجتمع السائدة الناتجة عن مرحلة تاريخية معينة، والتي انسجمت مع مدارك الناس وأفهامهم، سواء فى اليمن، أو الجزيرة العربية، أو فى الولايات المتحدة الأمريكية، أو اليابان، فلكل عصر ولكل مكان روحه، ووجهته العامة التى تفرض نفسها على الحاكمين والمحكومين على السواء، وما من مجتمع يستطيع تلقائيا أن يفكر فى التغيير، إلا بما يصدمه ويحركه من خارج ثقافته وبيئته، أو عبر مخاض تاريخى طويل قد يستغرق قرونا.

ولتقريب المسألة أكثر إلى ذهن القارئ، فسوف أستشهد بالكثير من الظواهر السائدة اليوم في عالمنا العربي والإسلامي، والتي قد يتهمك عليها أحفادنا بعد قرن من الآن، ومنها مثلا ظاهرة التمييز الطبقي في الجزيرة العربية، والتي نجد فيها ابناء القبائل حتى اليوم، مهما بلغ علوهم من الثقافة والعلم، وبغض النظر عن تخرجهم من أرقى الجامعات الغربية، نجدهم يستنكفون عن مصاهرة الأسر التي امتهنت تاريخيا بعض الصناعات، كالجزارة، والحلاقة، والحجامة، مهما ارتقت هذه الأسر ماديا أو ثقافيا، ويعد هذا قمة للتخلف في نظر العالم الغربي المتقدم، إلا أنه من القيم الأساسية لمجتمع الجزيرة العربية، التي يرفض سكانها التخلي عنها، مهما كانت المبررات والأسباب. ولنأخذ مثلا آخر، وهو مسألة تنفيذ حدود القصاص الشرعي، كقطع رأس القاتل، وقطع يد السارق، والتي تعد أسلوبا وحشيا همجيا متخلفا تقشعر منه النفوس في دول الغرب، إلا أنها من الأمر المعروف في وسط الجزيرة العربية. ومسألة إرث المرأة وشهادتها، حيث إن للرجل مثل حظ الانثيين، وشهادته تعادل شهادة امرأتين، ويعد هذا قمة التخلف في الغرب، إلا أن ذلك من صميم ديننا. ومسألة قيادة المرأة للسيارة، التي تعد من أبجديات حقوق الإنسان في دول العالم، إلا أنها ماتزال من المنكرات في مجتمع المملكة العربية السعودية، وغير ذلك من الشواهد التي لا تعد ولا تحصى. فالقيم والمفاهيم الاجتماعية تتغير بتغير الزمان والمكان، وتقاس ببيئاتها، والدول والمجتمعات تختار من القيم والمفاهيم والسياسات ما يناسبها تبعا للظروف وتبدل الأحوال، فما قد يصلح في ظرف ما، قد لا يصلح في ظرف آخر، وما قد يصلح في زمن أو بيئة ما، قد لا يصلح في زمن وبيئة أخرى، والحاكم الناجح هو الذى يعرف كيف يتعامل مع تركيبة مجتمعه، وكيف يختار من السياسات ما يناسب بلاده، لذا ليس من الوعى فى شىء أن نحاكم الأدوات السياسية التي استخدمها الإمام يحيى منذ أكثر من مئة عام عبر إسقاط مفاهيم اليوم، ولا حتى على ضوء أفكار دول المشرق العربي المعاصرة لعهد الإمام يحيى، لأننا إن فعلنا ذلك، لناقضنا أنفسنا، ولفتحنا على أنفسنا إشكالات تاريخية سوف تستعصى على الحل، فكيف سنبرر إذا التشريع الإسلامى فى سبباى الحرب أيام الغزوات والفتوحات، إن أسقطنا عليه مفاهيم اليوم فى ظل تشريعات حقوق الإنسان؟ وكيف سنبرر موضوع الجزية على المواطن الذمى فى ظل مفاهيم اليوم عن المواطنة الكاملة؟ وكيف سنهضم مسألة قتل المرتد فى ظل حرية العقيدة فى عالم اليوم،

وكيف سنتقبل زواج الرسول من عائشة وعمرها ٩ سنوات في ظل حقوق الطفل، مع العلم أن كل تلك الأمور التي ذكرتها آنفا لم تكن بدعا من البشر، بل من صميم نسيجنا الثقافي، بل أكثر من ذلك نجد لها تأصيلا شرعيا في ديننا الإسلامي، لكنها اليوم أصبحت متخلفة وغير مقبولة، ولا تجد لها مكانا في فقه الحضارة المعاصرة. فهل يمكن أن نقول: إن تلك الممارسات هي مما سود صحيفة ديننا الإسلامي، أم أن أفضل الحلول للخروج من هذا المأزق، هي بالتسليم بنسبية المفاهيم الاجتماعية وعدالتها بتأثير سياقات الزمان والمكان، وأحقية الاجتهاد بما يتناسب مع تلك السياقات؟

وأستسمح القارئ من إطالة السرد في موضوع الرهائن، إلا أنه كان لزاما على أن أبين أن الخير والشر والمنكر والمعروف من الأمور النسبية في عرف البشر، وفي ظل هذه الاعتبارات دعونا نبتعد عن المزايدات السياسية الفارغة، والتنظير المجرد القائم على عيياء المثل، ولنتموضع في عصر الإمام يحيى، حيث كان الفرد اليماني قبل تولي الإمام يحيى يعيش في ظل الخوف الدائم وشرعية الغاب، وأنا على يقين بأننا إن تموضعنا في عصر الإمام يحيى، فبال تأكيد سوف ندرك أن نظام الرهائن بمقاييس الأمس وظروفه، كان ضرورة تاريخية لا مفر منها، بل أكاد أجزم أنه كان من الضرورات التي تتوقف عليها الحياة، لأن المواطن بدون نظام الرهائن وفي ظل الفوضى، والتسيب، والانفلات الأمني في المجتمع القبلي الشرس، كان اما قاتلا أو مقتولا،

وفي هذا السياق، حسبنا أن نستشهد بما كتبه الكثير من الرحالة والزائرين الأجانب الذين جاؤوا إلى اليمن، لتبيان ما جلبه نظام الرهائن من خير وفائدة لليمنيين: يقول الرحالة الألماني هانز هولفريتز، الذي علق على نظام الرهائن عند مشاهدته إياه حال زيارته لليمن: «لا ريب في أن وسع الأوضاع القائمة أن تيسر لنا سبيل تفهم الأسباب التي أدت إلى لجوء الإمام يحيى إلى وسائل نعتبرها منافية للحضارة الحديثة، فالإمام تمكن عن طريق نظام الأمن هذا من ضمان سيطرة الدولة وتنفيذ أحكامها، وهو ما لم يكن متيسرا من قبل»، ويضيف هولفريتز قائلا: «لقد تمكن الإمام من إرساء قواعد الدولة الأصلية في بلاد لم تكن تعرف شيئا إلا الفتن والثورات منذ قرون<sup>(٨٧)</sup>».

أما السياسي البريطاني هارولد إنجرامز معاون والي عدن، فيقول: «إنني عندما أبدأ بوصف تلك الرحلة التي قمت بها إلى اليمن، عندما كان الحكم الإمامي في أفضل وأقرب

حالاته العصرية، إنما أحاول أن أعطي، ليس فقط صورة عن مدى ما وفره الاستقرار في عهد الإمام من أمن شامل استفاد منه الجميع، وبالتالي مدى التمييز الواضح عن حالة الفوضى التي كانت تسود محمياتنا في الجنوب<sup>(٨١)</sup>، ويضيف قائلاً: «إن أحد الأشياء اللافتة للانتباه في اليمن مقارنة بالمحمية، هو الأمن المستتب تماماً، بالرغم من أن شراء الأسلحة والذخيرة مسموح به، ولكن لم أجد في أي مكان من يحمل السلاح إلا الجنود، حقا إن حكم الإمام صارم، وهو يحافظ على الاستقرار بطرق لا نحبذها نحن، ولكن نسبة ضئيلة فقط هي التي تعاني حقيقة من أصل مجموع السكان الذي يبلغ عدة ملايين<sup>(٨٢)</sup>».

أما الكاتب اللبناني أمين الريحاني، فيقول عند زيارته لليمن: «إن اليمن ميدان هلاك ودمار، لا يسكن فيه غبار، ولا تخمد له نار إلا في فترة عياء عام أو تفوق شخصي، مثل فترة الإمام يحيى حميد الدين، الذي ضبط الأمر بيد من حديد، وبالعادل، والرهائن<sup>(٨٣)</sup>». أما العميد الركن العراقي المتقاعد، سيف الدين سعيد آل يحيى، والذي كان عضو البعثة العسكرية العراقية التي وصلت إلى اليمن في عام ١٩٤٠م، وغادرت في عام ١٩٤٣م، فيصف حالة الأمن تحت جناح الإمام يحيى بقوله: «لم يقع في اليمن أكثر من جريمة قطع طريق واحدة، وجريمتي قتل متعمد طوال ثلاث سنوات من وجودنا في اليمن، ونحن لا ننقل وقائع هذا الأمن من صفحات الجرائد أو المجلات، ولا من صفحات التاريخ، إنما نرويها عن علم ومشاهدة<sup>(٨٤)</sup>».

وأما مفكرو اليمن ومؤرخوها في العهد الجمهوري، فقد وصفوا الأمن في عهد الإمام يحيى بقولهم:

يقول المؤرخ القاضي عبد الله الشماحي: «لقد وطد الإمام يحيى الأمن، وحكم الشريعة الإسلامية في حل الخصومات والمعاملات بين المواطنين، وأخضع لقانونها نفسه وذويه، وحصن المواطن اليمني من أي متسلط غير حكوم<sup>(٨٥)</sup>».

ويقول الكاتب الدكتور فضل علي أبي غانم: «إن القبائل كانت ومازالت ترفض الخضوع التام لسلطة الدولة المركزية، باستثناء السنوات التي تم فيها للإمام يحيى ومن بعده الإمام أحمد فرض هيبة وسلطة الدولة السياسية على الجماعات القبلية قبل الثورة<sup>(٨٦)</sup>». ويضيف قائلاً: «إن النفوذ والسلطة التي كانت تتمتع بها القبائل اليمنية، قد وصلت في السنوات الأخيرة لحكم الإمامة إلى أدنى مستوى لها منذ عدة قرون<sup>(٨٧)</sup>».

ويقول القيادي الجمهورى وأحد أركان ثورة سبتمبر ١٩٦٢م، عبد الملك الطيب: «إن الحكم الفردى للإمام يحيى كان قادرا على إخضاع الشعب، وحفظ الأمن والاستقرار، بينما وجد الحكم الفردى العسكرى بعد ثورة ٢٦ سبتمبر نفسه عاجزا عن حفظ الأمن والاستقرار، حتى فى العاصمة صنعاء نفسها<sup>(٨٨)</sup>».

ويقول شاعر اليمن عبد الله البردوني: «وهل ينبغي التأكيد على أن الشعبية الوحيدة للإمامة تأسست على تأمين الناس من الناس، فلا تقع خصومة بين قرية وأخرى إلا والحكومة أسرع من رد الصوت إلى الصائح، ولا يشتبأ، اثنان بالعصى فى أى سوق إلا أطبق عليهما القبض فورا، ولا يتشاجر حيوان فى أى قرية إلا واسكتت الحكومة الشجار بسجن رؤوس الفتنة وأيديها، وبسرعة فض الخصومات<sup>(٨٩)</sup>، حتى وصف الريفيون الإمام يحيى بأنه رقد الشاه فى بطن الذيب، كناية عن قتل البطش فى الوحش، وتأمين الضعيف منه<sup>(٩٠)</sup>».

وبعد أن حللت نظام الرهائن، وسلطت الضوء على دوره فى حفظ الأمن فى ذلك الزمان، انتقل للحديث عن أداتين أخريين لا مجال لإغفالهما، استخدمهما الإمام يحيى، إضافة إلى نظام الرهائن، بوصفها أدوات لضمان الأمن والاستقرار، وغلق باب الفتنة والاقتيال، وتأديب المتمردين على سلطة الدولة. وكعادة خصوم الإمام يحيى فى تلوين الحقائق، فقد قاموا بانتقاء جوانب معينة من هاتين الأداتين، دون الدخول فى التفاصيل، لإظهارهما على الوجه الذى يتناسب مع أجندة التشويه، ولكن دعونا نناقش التفاصيل الدقيقة، كما ناقشنا بدقة تفاصيل نظام الرهائن، لنخرج برؤية متوازنة بعيدة عن التشنج والمزايدات.

### نظام الخطاط والتنافيد:

ظل هذان النظامان ساريان فى اليمن حتى بعد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر، حيث إن صحيفة الجمهورية فى ص ٢ من عدد ١٠٧٧م، سنة ١٩٧٠م، وهى من الصحف الرسمية فى العهد الجمهورى، توضح امتعاض بعض المثقفين من استمرار سريان نظام الخطاط. أما نظام التنافيد، فيشير الدكتور محمد عبد الملك المتوكل، رئيس قسم العلوم السياسية فى جامعة صنعاء، بأنه بدأ يمارس فى ظل الحكم الجمهورى بطريقة أشد وأنكى مما كان سائدا فى عهد الإمام، بسبب عنجهية القائمين عليه من الضباط، وانعدام الضوابط التى كانت سائدة فى العهد الملكى<sup>(٩١)</sup>،

وهذا مما يدل على أن هذين النظامين لم يكونا من انتحال الإمام يحيى، بقدر ما كانا مرتبطين بالأعراف والقيم الاجتماعية السائدة المتراكمة عبر قرون، واللذين يحتاجان إلى حيز زمني لتجاوزهما، وليس بالإمكان إلغائهما من ذهنية الناس بجرة قلم، مهما ارتقت مقاصد الحكام واستنارت عقولهم.

والواقع أن الإمام يحيى كان يطبق هذين النظامين وفق ضوابط محددة، وفي حالات الضرورة القصوى فقط، كعقوبة مادية ومعنوية رادعة لكل من تسول له نفسه إثارة فتنة، أو القيام بأى شكل من أشكال التمرد أو العصيان للدولة، وتبعاً لحجم الجرم المرتكب، كحالة العصيان القبلى، أو الخروج المسلح، أو التجاء أحد الجناة أو المجرمين إلى القبيلة، أو النزاع بين القبائل، أو رفض دفع مستحقات الزكاة لبيت مال المسلمين، أو رفض المثول أمام القضاء. إلى غير ذلك من التجاوزات المخالفة للقانون، مما لا يمكن معالجتها إلا بقوة عسكرية نظامية. والسيناريو الذى كان متبعاً فى هذين النظامين كان كالآتى:

#### • نظام الخطا:

كان الإمام يبعث قوة عسكرية لتقييم كضيوف لدى القبيلة العاصية أو الجانية إقامة لا تنتهى، ما لم تنزل القبيلة إلى حكم الدولة، أو تحضر الجناة أو العصاة وتسلمهم إلى الدولة. وعلى القبيلة تقديم الطعام والشراب إلى جميع أفراد تلك القوة العسكرية التى أحكمت الطوق حول القبيلة، إلى أن تنفذ أوامر الدولة أو تسلم الجناة. وهذا النظام أشبه ما يكون بالضيافة القسرية. ومن الأمثلة التى اضطر فيها الإمام إلى تطبيق هذا النظام، حسب ما رواه أحد الشهود من أعضاء البعثة العراقية العسكرية التى كانت متواجدة فى اليمن، كان بسبب حادثة قطع طريق حصلت عام ١٩٤٠م، عندما اعتدى عدد من رجال القبائل على بعض الموظفين الحكوميين ما بين الحديدية وصنعاء، فى محاولة منهم لسلب البريد الحكومى، فما كان من الإمام إلا أن بعث قوة عسكرية إلى منطقة القبيلة التى وقع فيها حادث الاعتداء، للإقامة هناك على ضيافة القبيلة، فما كان من القبيلة المضيفة إلا أن قامت عن بكرة أبيها هى وشيخها بالبحث عن الجناة، للتخلص من عبء هذه الضيافة المكلفة، حتى تم القبض على الجناة من قبل القبيلة خلال بضعة أيام، وسلموا إلى أمر القوة العسكرية مصفدين بالأغلال<sup>(٩٣)</sup>.

ومثال آخر عن الحوادث التي اضطر فيها الإمام يحيى إلى تطبيق نظام الخطاط، وهو ما قام به الشيخ على بن مطلق، والشيخ على الجايفى من رجال قبيلة همدان فى بداية الثلاثينيات من إطلاق النيران على قصر الحكم، فى محاولة منهم لإغلاق الأمن، حيث لاذا بالفرار بعد أن أطلقا النيران، ملتجئين إلى قبيلتهما، فما كان من الإمام يحيى إلا أن أخرج لهما ثلة من الجيش خطاطا على همدان، القبيلة التى التجأ إليها، ولم تنسحب هذه القوة العسكرية من هذه الضيافة القسرية، إلا عندما سلمت القبيلة الجناة<sup>(٩٣)</sup>.

ومثال آخر، وهو ما قامت به قبيلة مراد من هجوم على مركز حكومى فى منطقة الجوبة، حيث قتلوا فيه أمر المركز وموظفين آخرين بجانبه، فأرسل الإمام إلى هذه القبيلة جيشا للخطاط، إلى أن سلمت القبيلة المعتدين إلى الدولة<sup>(٩٤)</sup>، لتنفذ حكم القصاص الشرعى فيهم.

### • نظام التنافيذ:

ومعناه أوامر الإمام أو نوابه من حكام المناطق بإنفاذ الجنود فى مفرزة تعسكر قبالة دار العاصى للدولة، مع إلزامه بإعاشة هذه المفرزة بالطعام والشراب، إلى أن يرضخ العاصى لأوامر الدولة، ومن الأمثلة على تلك الحالات التى كان يطبق فيها هذا النظام، الرضى للمثول أمام القضاء، لمواجهة قضية ما، أو دعوى ما مرفوعة من خصم<sup>(٩٥)</sup>، وفى هذه الحالة تكون كلفة إرسال الجندى لإحضار الخصم إلى القضاء على حساب الراضى للحضور. أما إذا ما حضر الخصم أو المدعى عليه طوعا، فلا يتحمل أية تكاليف. وإذا اتضح أن الدعوى من المشتكى كانت كيدية، أو باطلة على غير حق، وأن المشتكى كيدا منه لم يبلغ خصمه للحضور أمام القضاء، فعلى الكائد تحمل كافة التكاليف التى صرفت على الجندى لإحضار غريمه<sup>(٩٦)</sup>.

ومثال آخر لحالة أخرى، وهو العصيان فى تسليم حقوق بيت المال من زكوات سنوية أو واجبات شرعية، مع عدم نكران حق الراضى على الاعتراض على تخمين الموظف الحكومى الجابى، الذى حدد المبلغ الواجب دفعه، وفى حالة شعور المواطن بعسف المبلغ الواجب دفعه، حسب تقدير المخمن الحكومى، فله الحق فى أن يشتكى متظلما لحاكم المنطقة، وعلى حاكم المنطقة إنفاذ مخمن آخر يدعى بالكاشف، ومعه ثلة من الجنود لتحرى الدقة، فإن ظهر للكاشف أن الراضى للدفع كان محقا فى تظلمه، أعيد تقدير المبلغ الواجب دفعه، وإن تطابق تقدير الكاشف مع ما قرره المخمن الأول، فعلى الراضى دفع المبلغ<sup>(٩٧)</sup>، فإن لم يوافق الراضى على دفع المبلغ المفروض للمرة الثانية، فله أحد الخيارين، إما أن يؤخذ بتقديرات العام الماضى، أو يؤخذ بما يسمى بنظام الصبرة، أى بأعلى تقدير خلال الأعوام الثلاثة السابقة<sup>(٩٨)</sup>.



ولقد وجدنا الكثير من خصوم الإمام يحيى كعادتهم فى تزوير الحقائق، يتهمون الإمام يحيى بالجور فى تحصيل الضرائب، بتعميم نظام الصبرة على جميع المزارعين فى اليمن بدون الضوابط المذكورة آنفاً، إلا أنه من السهل تنفيذ تلك التهمة بالعقل والمنطق؛ لأن المنتوجات الزراعية فى عهد الإمام يحيى كانت تتسم بالوفرة، وهذا ما لا يمكن أن يتحقق لو أن المزارعين شعروا بالظلم والجور فى تحصيل الضرائب المفروضة. ومن أبسط مقتضيات المنطق، أن العسف والجور فى تحصيل الضرائب من شأنه أن يعطل حافز الإنتاجى للزراعة، ويجعلها غير مجزية اقتصادياً؛ مما سيتسبب فى هجر المزارعين لمهنتهم، وجفاف المزارع وبوارها؛ وهذا ما لم يحدث فى اليمن طيلة عهد الإمام يحيى، بل على العكس من ذلك تماماً، كانت اليمن فى عهد الإمام يحيى سلة غذائية تكفى سكان اليمن، وتصدر الفائض من الحبوب والمنتجات الزراعية إلى جوارها، حيث بلغ التصدير أطناناً من الحبوب التى كانت تصدر إلى الخارج<sup>(٩٩)</sup>، باستثناء سنوات القحط. ويكفي أن نستحضر مشاهدات الكثير من الأجانب الذين زاروا اليمن، وانبهروا بوفرة المحاصيل الزراعية فى عهد الإمام يحيى، ومنهم الرحالة الكاتب الإيطالى سلفاتور أبونتى، الذى طاف فى عموم اليمن، وسجل ملاحظاته فى كتاب اسماء (مملكة الإمام يحيى)، ذكر فيه كيف أن الزراعة فى اليمن كانت تعطى أحياناً ثلاثة محاصيل، وتغمر الوديان بكثرة جنونية، بما فى ذلك النخيل، وحقول الذرة، والقمح، والشعير، وحقول الموز، ومزروعات البن، وبساتين المانجو المتجاوزة الحد فى كثرتها<sup>(١٠٠)</sup>.

ومنهم هارولد أنجرامز، معاون والى عدن، الذى انبهر أيضاً من وفرة المساحات الزراعية فى اليمن، وعلق بعد مشاهداته للحقيقة على أن ما سمعه من انتقادات المغرضين عن نظام ضرائب الإمام يحيى على الزراعة، كان فى غير محله، وبالتأكيد يجب إسقاط دعاويه من الاعتبار، لأن هؤلاء المنتقدين - حسب قوله - يظهر أن طبيعتهم كطبيعة الإيرلنديين فى بلاده، الذين لا يرضون عن أية حكومة مهما كانت إيجابية، حتى لو عملت المستحيل لإرضائهم<sup>(١٠١)</sup>.

وإضافة إلى السهام التى وجهت إلى الإمام يحيى بخصوص نظام الصبرة، وجدنا سهاما أخرى أطلقت فيها انتقادات لاستخدام الإمام يحيى لنظام التنفيذ، كأداة لتحصيل الزكاة من المهترئين من الاستحقاقات الزكوية، بدعوى أن الزكاة أمانة، إلا أن هؤلاء المنتقدين

يظهر أنهم يحملون قدرا كبيرا من التبسيط المخمل لتعقيدات الواقع على الأرض في زمن التأسيس الذي يقرؤونه برومانسية عالية، وهم يجلسون على مقاعدهم الوثيرة في الغرف المكيفة، التي جعلتهم يعيشون في عالم المثاليات والنظريات المجردة، ولو أنهم تقلدوا الأمر، وتعاملوا مباشرة مع الواقع في ذلك الزمان، لعجزوا عن تقديم البديل الأفضل، فهل وضعوا في اعتبارهم نقفات الدولة، واستحقاقات بقائها حية؟ فمن أين وكيف كان يمكن للإمام يحيى أن يتحصل على موارد يحصن بها دولته الفتية، وينفق منها على جيشه وأجهزة دولته وهو محاصر في البر والبحر من قبل بريطانيا، ويفتقد إلى أى سند مادي، خلافا لحال غيره من الحكام العرب الذين امتدت إليهم الأيادي الحانية من بريطانيا وغيرها من الدول الكبرى بالأموال والهبات؟

وأنصح هؤلاء المنتقدين للإمام يحيى أن يقرؤوا التاريخ جيدا، ليدركوا كيف أن العظماء من الزعماء والمؤسسين لم يكونوا يتسامحون مع من يتهرب من دفع الاستحقاقات الشرعية لببيت مال المسلمين، لأن لا قوام للدولة الا بالمال، وأقرب مثال على ذلك هو الخليفة أبو بكر الصديق الذي شن الحروب على كثير من القبائل العربية التي هددت موارد الدولة الإسلامية، عندما امتنعت عن دفع الزكاة، وصرخته بأنه لن يترخص حتى في عقال بعير معروفة للجميع.

وفى عالمنا المعاصر، نجد أن الدول المتحضرة ترصد للضرائب إدارات قوية مدعومة بأجهزة أمنية خاصة، تضمن متابعة لصيقة وملاحقة للمتهربين أو المتلاعبين بحساباتهم الضريبية. وفى الولايات المتحدة بالذات، تصل عقوبة التهرب من الضرائب المستحقة لخزينة الدولة إلى السجن لعدة سنوات. وبمقارنة نظام التنفيذ في تحصيل الذمة المالية الزكوية لببيت مال المسلمين في عهد الإمام يحيى مع نظام عقوبة المتهربين من دفع الضرائب في الولايات المتحدة، يظهر لنا كيف أن نظام التنفيذ كان قمة في الإنسانية. فالإمام يحيى لم يسجن أحدا، ولم يشن الحروب على أحد، من أجل ضمان موارد الدولة الفتية، كل ما قام به، هو إنفاذ الجنود ليحلوا ضيوفا على المتهرب، مع عدم نكران حقه في المراجعة. ولا يفوتنا هنا أن الإمام يحيى لم يكن يطلب شيئا أكثر من الزكاة الشرعية لببيت مال المسلمين، وفى ظل ظروف صعبة انعدمت فيها أية موارد أخرى.

يتضح مما سبق، أن نظام الرهائن، والخطاط، والتنافيد لم تكن لإنتاجا لمرحلة تاريخية، واستجابة للواقع الذى كان يعيشه الناس فى يمن ذلك الزمان، وتلبية لمقتضيات لا بد منها، للحفاظ على الأمن وكيئونة الدولة. فكل سياسة لها سياقها الزمنى والتاريخى، بما يواكب طبيعة تحديات المرحلة، وهنا ليس بالإمكان إغفال ظروف جغرافية اليمن الجبلية، التى ركبت فى مجتمعه النزوع الدموى والعراك مع الطبيعة، لتحصيل لقمة العيش، مما جعل حكم اليمنيين وسوسهم ليس فى سهولة حكم شعوب وادى النيل، وأودية الرافدين، وبلاد الشام، الأقل حدة فى المزاج، والأقل ميلا للعنف، والأكثر تحضرا من اليمنيين.

وبالتالى لا يسع أحد الإنكار، أنه وسط تلك الظروف، والاعتبارات الميدانية، وتعقيدات الواقع على الأرض، تسقط كل دعاوى الرومانسية والأوهام فى افتراض الرقة والنعموة فى التعامل مع تلك القبائل اليمنية فى ذلك الزمان، لأن الرقة والنعموة قد تصلح للمدنيين، الذين قد تشبعوا بروح الحضارة، ورضعوا قيمها مع حليب الأم فى المجتمعات الراقية، التى أصبحت فيها المدنية مزاجا متوارثا لديها منذ أجيال، ولكنها لا تصلح لحكم المجتمعات الجلفة الغليظة الطبع، ذات النزوع الدموى، التى يكون للقبائل فيها اليد الطولى، وتكون العصبية القبيلية فيها هى الانتماء الأول للمواطن، مثل مجتمعات القبائل الزيدية فى جبال اليمن، أو القبائل الوهابية فى صحارى نجد، أو قبائل الطاجيك والبشتون فى مجاهل أفغانستان، فهؤلاء لا يستقيم حالهم إلا بالقبضة الحديدية والقوة القاهرة، لتطويعهم ودفعهم قسرا نحو المدنية والتحضر.

وبالنظر إلى حال قبائل اليمن اليوم، نستطيع أن نلمس كيف أنهم - خلافا لحال كل الشعوب العربية - ما زالوا يعيشون منذ نصف قرن، منذ قيام ثورة ٢٦ سبتمبر فى حالة من القوضى والتسيب الأمنى، ولم تتمكن الدولة حتى هذه اللحظة من لجمهم او تطويعهم وفرض السلطة عليهم، فما بالك بالنصف الأول من القرن العشرين؟! كيف كان يمكن للإمام يحيى فى زمن التأسيس إخضاع تلك القبائل الشرسة لسلطة الدولة المركزية، دون اللجوء إلى القبضة الحديدية، وهذه القبضة كانت لا تخرج عن أحد أمرين لا ثالث لهما، أما قسر القبائل على القبول بفكرة الدولة ونظمها، بقطع الرقاب، وجدع الأنوف، وغمس الأيدى فى الدماء، إلى أن يرضخوا جميعا بالقوة القاهرة العنيفة التى تفقد القدرة على الحركة، كما رأينا ذلك فى تجربة غيرالإمام يحيى من المؤسسين فى الجزيرة العربية، أو اتباع سياسة

رأدة، قد تكون شديدة الوطئة على النفوس، إلا أنها أهون الشرين، وأقل وطأة من سفك الدماء، وهذا ما فعله الإمام يحيى عندما تمكن من فرض الأمن وهيبة الدولة، وإخضاع القبائل لأول مرة فى تاريخ اليمن لسلطة مركزية واحدة بأقل التكاليف، عن طريق نظام الرهائن، والخطاط، والتنافيد، دون أن يضطر إلى غمس أيديه فى الدماء، كما فعل غيره. واتحدى الباحثين فى تاريخ الأمم أن يجدوا شخصية تاريخية واحدة مؤسدة فى امتنا العربية او الإسلامية، استغنت عن السيف وارقة الدماء فى بداية تأسيس الدولة لتثبيت الأمن والإستقرار، ولم شمل القبائل المتناحرة والإمارات المتنافسة تحت راية واحدة كما فعل الإمام يحيى.

وقد نتفهم أنه لا يمكن أن يظل هذا الطراز صالحا إلى ما لا نهاية، حيث كان من الواجب فى رأى الشخصى التخلص من هذه الأدوات فى عهد الإمام أحمد، بعد أن أصبحت كل قبائل اليمن أطوع له من بنائه، إلا أنه فى زمن الإمام يحيى نتلمس له العذر، باعتبار أن هذه الأدوات كانت منسجمة مع مناخها الثقافى والاجتماعى، ولون زمانها السياسى، وباعتبار بدائية المجتمع وتوحشه فى حقبة التأسيس. وعموما لم يفت البدر حفيد الإمام يحيى من فرصة التغيير، حيث إنه ألغى هذه الأدوات والأنظمة فى الأسبوع الأول من استلامه الحكم فى عام ١٩٦٢م.

### الموقف الريطانى إزاء عملية التوحيد لليمن:

كانت استراتيجية الإنكليز فى بداية ذلك الفصل التاريخى، الذى انسحب فيه الأتراك من اليمن قائمة على الحياء الإيجابى بين الأطراف المتنازعة فى جنوب الجزيرة العربية، يرقبون الموقف من بعيد، ويعملون على تأجيل الانفجار إلى أطول مدة ممكنة، حتى يتأكدون من حقيقة موقف الإمام يحيى السياسى تجاههم<sup>(١١٢)</sup>، ومدى مرونته فى الرضوخ إلى مطالبهم، حيث إنهم لم يمانعوا من امتداد سلطة الإدريسى نحو الصليف، على ألا تتعدى ذلك، إذ أشار المندوب السامى ستيوارت صراحة للإدريسى بألا تتقدم قواته بعد هذه النقطة<sup>(١١٣)</sup>، ولم يرغبوا فى التدخل فى الشأن الزيدى الداخلى، بالرغم من مكاتبة بعض الشخصيات الزيدية لهم بالتدخل لدعم شخصيات منازعة للإمام يحيى، ترغب فى الوصول إلى السلطة، إلا أن الإنكليز لم يستجيبوا لنصرة أى من خصوم الإمام يحيى فى الداخل الزيدى<sup>(١١٤)</sup>، كذلك لم يستجيبوا فى بداية الأمر لمشايخ اليمن الأسفل، الذين طالبوا

مساعدة بريطانيا لهم فى الخروج من تحت سلطة الإمام<sup>(١٠٥)</sup>، إلا أن الموقف تغير منقلبا ١٨٠ درجة، بعد أن تأكد الإنكليز من تصلب الإمام يحيى فى موقفه، رافضا التنازل عن ذرة من تربة اليمن الموحد، وكانت القشة التى قصمت ظهر البعير بالنسبة للإنكليز، متمثلة فى اقتحام قوات الإمام يحيى لبعض محميات الجنوب، كما أشرت إلى ذلك فى فصل سابق.

واستمرت المراسلات بشأن استمرار انتهاك قوات الإمام يحيى، ومنها خطاب رسمى أرسل للإمام يحيى من المعاون الأول للمندوب السامى البريطانى فى عدن، الميجر باريت، بتاريخ ٨ أبريل عام ١٩٢١م، يذكره فيه أن الإنكليز لم يتدخلوا بعد فى شؤون مملكته، بالرغم من طلب الكثير من المشايخ هناك المساعدة من بريطانيا، للتمكن من الانتفاضة على سلطته<sup>(١٠٦)</sup>.

إلا أن تعنت الإمام يحيى تسبب فى بدء العد التنازلى فى علاقته مع الإنكليز، وبدء الميل الإنكليزى نحو الإدريسى، وكان أول تجليات ذلك الميل، تسليم مدينة الحديدية للإدريسى فى يناير من عام ١٩٢١م<sup>(١٠٧)</sup>. وبعد أن كانت هذه المدينة فى حوزة الإنكليز منذ احتلالهم لها فى الحرب العالمية الأولى، تحولت ملكيتها نحو الإدريسى، مما جعله يمتلك اللحية، والحديدة، وباقى موائى تهامة المهمة، إضافة إلى النفوذ على قبائل تهامة، وبذلك تم عزل الإمام يحيى فى الهضبة الشمالية، دون أن يكون له منفذ على البحر<sup>(١٠٨)</sup>. وثانى تجليات موقف الإنكليز الجديد من الإمام، هو بدء المعين الذى لا ينضب من الأسلحة لحليفهم الإدريسى، إلى درجة أن سلموا له مدافع متنوعة بلغ تعدادها أربعة وثلاثين مدفعا<sup>(١٠٩)</sup>.

وثالث التجليات كان فى بدء تواصل الإنكليز مع معارضى الإمام يحيى فى الداخل ودعمهم، ويبدو ذلك واضحا فى الخطاب الذى بعثه المندوب السامى فى عدن جيمس ستيوارت إلى الحاكم البريطانى فى القاهرة، بتاريخ ٩ مارس من عام ١٩٢٠م، قائلا له: إن الحل لمشكلتنا فى اليمن هو وجود إمام صديق لبريطانيا، لذلك يجب علينا دعم مرشح آخر للإمامة، يكون صديقا لبريطانيا، وأنه حسب الملاحظات التى وردت من ضابطنا السياسى السابق فى الحديدية، الميجر ميك، أن هناك إمكانية لإسقاط الإمام يحيى، وتنصيب شخص غيره لتبؤ هذا المنصب<sup>(١١٠)</sup>. وقد استمرت استراتيجية الإنكليز الجديدة، حيث شنوا حربا

شعواء على الإمام يحيى، ودعموا خصومه ومعارضيه فى اليمن، وفتحوا الخزائن المالية والعسكرية لهم، إلى أن حققوا هدفهم الاستراتيجى فى إزاحة الإمام يحيى عن طريقهم فى عام ١٩٤٨م باغتياله، وسوف أفرد مساحة كافية فى فصل قادم عن تفاصيل مؤامرة الاغتيال هذه، التى نسجها الإنجليز بالتعاون مع شركائهم من المعارضة والإخوان المسلمين.

## تحديات لم الشمل فى منطقة تهامة:

### تمثلت التحديات التى واجهها الإمام يحيى فى منطقة تهامة فى الآتى:

#### ١ - المواجهة مع الأدارسة:

كان أول ظهور للأدارسة على الساحة السياسية فى الجزيرة العربية عام ١٩٠٦م، عندما أعلن السيد محمد بن على بن أحمد الإدريسي دعوته للإمامة فى مدينة صيبا، التى جعلها مقرا له<sup>(١١١)</sup>. وقد اعتمد السيد محمد الإدريسي على النفوذ الروحى لجده السيد أحمد الإدريسي، الذى حضر من المغرب العربى إلى مكة فى القرن التاسع عشر، ومن ثم إلى تهامة<sup>(١١٢)</sup>، حيث أقام فى صيبا للوعظ والإرشاد على الطريقة الأحمدية الصوفية، وأصبح قبره بعد مماته عام ١٨٣٧م مزارا، مما ورت لأسرته ثروة معنوية ونفوذا لدى القبائل فى تلك المنطقة المسماة بالمخلاف السليمانى<sup>(١١٣)</sup>. وقد اتسمت علاقة الإدريسي بالإمام يحيى قبل اتفاقية دعان بالتفاهم والتنسيق فى محاربة الأتراك، إلا أنه بعد أن تحالف الإمام يحيى مع العثمانيين، مال الإدريسي نحو إيطاليا التى تحالف معها، بالرغم من اعتدائها على الثغور الإسلامية فى البحر الأحمر والبحر المتوسط، فما كان من الإمام يحيى إلا أن أرسل وقدا من العلماء إلى الإدريسي فى عام ١٩١٢م، للتحقق من أمر هذا التحالف المشؤوم، والنصيحة للإدريسي بفك ارتباطه مع إيطاليا إن صح ذلك فعلا، إلا أن الإدريسي قلب ظهر المجن للوفد، رافضا التزحزح عن موقفه<sup>(١١٤)</sup>، وأصر على موقفه فى التحالف مع إيطاليا، إلى درجة التنسيق مع قواتها البحرية المرابطة قبالة شواطئ المناطق التى يحكمها، حيث قام الإدريسي بمهاجمة الأتراك برا، بالتزامن مع القصف البحرى الإيطالى للقوات التركية<sup>(١١٥)</sup>. ولم يكتف الإدريسي بحلفه مع إيطاليا الذى بدأ منذ عام ١٩١٢م، بل امتد تحالفه نحو الإنكليز بتوقيعه معهم معاهدة عام ١٩١٥م<sup>(١١٦)</sup>، بعد أن قلبت إيطاليا له ظهر المجن، حينما انتفت حاجتها إليه، بعد أن أجبرت العثمانيين على الاعتراف باحتلالها لطرابلس الغرب، ووقعت معهم صلحا مهينا<sup>(١١٧)</sup>.

وبالتحالف الجديد للإدريسى مع الإنكليز، فإنه أصبح أول أمراء الجزيرة العربية الذين لبوا الدعوة البريطانية للعرب بالاصطفاف معهم في مواجهة الأتراك، سابقا بذلك الشريف حسين وغيره من أمراء الجزيرة العربية<sup>(١١٨)</sup>. وقد استخدمه الإنكليز بعد ذلك الحلف لإشغال الأتراك، وكعامل ردع وتهديد للإمام يحيى، لمنعه من التمدد في تحالفه مع الأتراك في الحرب العالمية الأولى. يتجلى ذلك واضحا في الرسالة التي بعثها المندوب السامى البريطانى فى عدن إلى الإمام يحيى، بتاريخ ٢٠ مارس عام ١٩١٨م، مهددا إياه تهديدا مبطنا، يخبره فيه أن الإدريسى لن يهاجمكم، طالما أنكم لم تضعوا أيديكم فى أيادى الأتراك<sup>(١١٩)</sup>.

ولا يحتاج الباحث إلى كبير عناء، ليتوصل إلى الحقيقة الثابتة، من أن الإدريسى كان مجرد دمية لينة فى أيدي الإنكليز، لا يحرك ساكنا إلا بأوامرهم، ولا يفعل شيئا إلا بمشورتهم، وما المساعدة الشهرية التى يمدونه بها، وقدرها عشرة آلاف ١٠٠٠٠ جنيه، إلا تقديرا له على الطاعة المطلقة، والخدمات الجليلة التى كان يؤديها للإنكليز<sup>(١٢٠)</sup>.

لقد توافقت الأهواء بين الطرفين الإنكليزى والإدريسى، حين نصب الإدريسى نفسه حاميا للشوافع من سيطرة الزيدود، على حد تعبيره<sup>(١٢١)</sup>، حيث شكل موقفه هذا فرصة ذهبية للإنكليز للعب بورقة مذهبية حساسة يجيرونها لمصلحتهم، لذا لم يكن مستغربا أن نجد الإنكليز يحرصون على إمداد الإدريسى بالمال والمؤن طوال مدة الحرب العالمية الأولى، ويتعهدون له بالحفاظ على أراضيه واستقلاله من أى اعتداء كان، إضافة إلى تعهدهم بفتح موانئه دائما مع عدن، وفعلا أصبحت موانئه فى البحر الأحمر، هى الموانئ الوحيدة المفتوحة خلال الحرب العالمية الأولى، فى الوقت الذى كان فيه الحصار البريطانى لسواحل اليمن يطبق على أنفاس الجميع<sup>(١٢٢)</sup>. وكل هذا الدعم الإنكليزى المنقطع النظر، ساعد الإدريسى على السيطرة على كافة مناطق تهامة، إضافة إلى سيطرته على عسير، ودخوله إلى عاصمتها أبها، بعد انسحاب الأتراك منها<sup>(١٢٣)</sup>، واستيلائه على جزيرة فرسان، التى عدها جزءا من ممتلكاته<sup>(١٢٤)</sup>.

ولم يكتف الإنكليز بذلك الدعم للإدريسى، بل قاموا بتسليم مدينة الحديدية إليه بعد احتلالها فى عام ١٩١٩م<sup>(١٢٥)</sup>، فما كان من الإمام يحيى إلا أن أرسل وفدا آخر إلى الإدريسى، برئاسة النقيب الشرفى ومعه خطاب بتاريخ ٤ مارس ١٩٢١م، يطلب الإمام

فيه توضيحا لموقفه مع الإنكليز، ويعرض عليه إيقاف الحرب وإعلان السلام بينهما، بهدف تجنب المؤامرات الأجنبية، وحماية أراضي العرب والمسلمين من التدخل والانتهاكات الأجنبية. ويؤكد الإمام يحيى فى خطابه أنه ليس له هدف غير خدمة الدين، ولولا شعوره أنه من الواجب عليه الدفاع عن اعتداءات الكفار على البلاد، لما قام بأى تحرك أو نشاط يذكر.

وينصح الإمام يحيى الإدريسى فى هذا الخطاب بفك ارتباطه بالإنكليز، قائلا له: إن العهد والميثاق الذى بينه وبين الإنكليز مهما كان نوعه، فإن الإنكليز ليس لهم هدف منه سوى الإضرار بالإسلام، ومحاولات السيطرة والتسلط على المسلمين، وأنهم لا يمكن أن يقدموا الأموال والمساعدات جزافا بدون مقابل، بل بما يخدم مصالحهم. ويذكر الإمام الإدريسى بوسائل الإنكليز الخبيثة، وممارساتهم المعروفة القائمة على الخداع والمخاتلة، مؤكدا على أن السبب الذى دفع الإنكليز لمعاداته شخصيا، هو رفضه القاطع للسماح لهم بالاستيلاء على أى جزء من اليمن، وأنه لولا ذلك لما كان هناك قضية أساسا بينه وبين الإنكليز.

ويضيف الإمام قائلا: إن هذا الخطاب مرسل من أخ إلى أخيه؛ بهدف التحوط من شرور الكفار ومؤامراتهم، وبهدف تبني وسائل من شأنها رفعة الإسلام والمسلمين. ويذكره بالأسباب التى أدت بالإسلام والمسلمين إلى هذا المستوى من الضعف، وهى سيطرة الكفار، والنشاطات التى يقومون بها ضد وحدة المسلمين<sup>(١٢٣)</sup>.

فما كان من الإدريسى بعد أن استلم هذا الخطاب، إلا أن سلمه إلى الميجر سكوت، الحاكم البريطانى لعدن، مما أصاب سكوت بالدهشة من موقف الإمام يحيى المتشدد تجاه بريطانيا، وجعله يتساءل: هل فعلا صدرت هذه الرسالة من الإمام يحيى، أم أنها محاولة من الإدريسى لمنع أى تقارب بين الإمام والحكومة البريطانية؟<sup>(١٢٤)</sup> وقد رد الإدريسى على خطاب الإمام يحيى بخطاب آخر يطالبه فيه بالإنصاف والعدل، والذى بدونه لن يتحقق أى شكل من أشكال الوحدة والإخوة.

أما فيما يتعلق بعلاقة الإدريسى بالإنكليز، فيبرر الإدريسى علاقته بهم قائلا: إن الله إذا فتح باب النجاح والازدهار للإنسان، فلن يستطيع أحد أن يمنع هذا الفضل والمثنة عن هذا الإنسان. فالإنكليز قد سبق لهم أن وعدوا بمساعدة الشعوب العربية خلال الحرب العالمية



الأولى لنيل استقلالهم، وعدم التدخل في شؤونهم، ولكن للأسف فإن للعرب طموحات ووجهات نظر متعارضة، ولم يظهروا أى ميل لاقتناص الفرصة، وأظهروا عدم أهلية فى تنظيم أمورهم وضبط أنفسهم، مما جعل القوى الكبرى تنظر إليهم بعين الاحتقار<sup>(١٢٨)</sup>.

وبغض النظر عما ورد فى كتاب الإدريسي، المرسل إلى الإمام يحيى لشرح موقفه، فإن استراتيجية الإدريسي فى علاقته مع الإمام يحيى، قد ارتكزت منذ البداية - بعدما عقد الإمام يحيى اتفاقية دعان مع الأتراك - على محاولة قطع أى تواصل أو تفاهم إمامى إنكليزى، خشية أن يكون ذلك على حسابه الشخصى، وقد تجلى ذلك واضحا فى أسر الميجر جيكوب، المعاون الأول للمندوب السامى البريطانى، حيث كان أول مبعوث إنكليزى يرسل إلى الإمام يحيى بعد انسحاب الأتراك من اليمن، إلا أنه تم القبض عليه من قبل قبيلة القحرى، وهو فى طريقه إلى صنعاء، بتحريض وتآمر من الإدريسي<sup>(١٢٩)</sup>.

كذلك امتدت استراتيجية الإدريسي إلى محاولة ضرب الإمام من الداخل، بمحاولة اختراق رجال عصبية من الزيود، إضافة إلى محاولة إثارة البلبلية والتشويش على الإمام يحيى عن طريق توجيه رسائل إلى الإنكليز معدة مسبقا بالتفاهم مع بعض خصوم الإمام يحيى فى الداخل الزيدى، ومفاد هذه الرسائل، أن قبضة الإمام يحيى على السلطة قد أصبحت ضعيفة، وأن أيامه باتت معدودة. لكثرة أعدائه من الزيود الذين يسعون إلى إسقاطه، ومن تلك الرسائل الموجهة التى بعثت إلى المندوب السامى البريطانى ستيوارت فى عدن، رسالة كتبها السيد أحمد يحيى الكبسى، الذى كان عضوا سابقا فى البرلمان العثمانى، يخبر فيها الحاكم البريطانى ستيوارت عن مطالبة سيف الإسلام محمد بن محسن المتوكل بالإمامة، وأن قبائل حاشد وبكيل، ومشايخ إب والعدين، إضافة إلى الإدريسي يؤيدونه جميعا فى مطالبه، إلا أن ستيوارت لم ينخدع بهذه الرسالة، ورجح معلقا عليها بقوله: إنها مخطط من مخططات الإدريسي، ومؤامرة من مؤامراته<sup>(١٣٠)</sup>.

وقد نفى السيد أحمد بن يحيى الكبسى فى رسالته أن يكون للإدريسي أية علاقة بالأمر، مؤكدا على أن التحالف لإسقاط الإمام يحيى زيدى بحث، يقوم على حركة زيدية صرفة، إلا أنه استدرك قائلا: إن الإدريسي مطلع على المخطط، باعتباره صديق وصاحب نفوذ لدى بريطانيا، التى تأمل منها المساعدة فى خطتنا. هذا ويسترس الكبسى فى رسالته قائلا: إن سيف الإسلام محمد بن محسن المتوكل، وإن كان لا يحمل كافة الشروط لتولى

منصب الإمامة، إلا انه يجب أن يتم وضعه مرحليا فى السلطة، ريثما يتم انتخاب بديل عن الإمام يحيى، أحد الشخصيات المعتبرة من البيوتات الزيدية الهاشمية، والتي يرى أن الأوفر حظا منها، شخصيتان لا ثالث لهما، إما السيد الضحيانى، أو السيد ابن الهادى شرف الدين ابو نيب<sup>(١٣١)</sup>.

وإضافة إلى هذه الرسالة، فقد استلم المندوب السامى ستيوارت رسائل أخرى بواسطة مبعوثين يمتون بصلة قرابة للشيخ ناصر بن مبخوت الأحمر، هذه الرسائل كانت مرسلة بتاريخ ١٥ مايو من عام ١٩١٧م من السيد محمد بن يحيى بن الهادى بن المؤيد بن القاسم، ومن الشيخ يحيى بن يحيى الشايف، ومن الشريف عبدالرحمن بن حسين، وكلها بالتنسيق مع الإدريسى تنبئ عن أن قبائل حاشد وبكيل، إضافة إلى كبار السادة، قررت خلع الإمام يحيى، وتنصيب إمام من ذرية الإمام المؤيد بن القاسم، بدون أن تحدد هذه الرسائل من هو هذا الشخص المقرر تنصيبه، وتؤكد هذه الرسائل على أن هذا التحالف بين القبائل لخلع الإمام يحيى، يجب أن يكون وراءه قوة قاهرة، يفضل أن تكون بريطانية<sup>(١٣٢)</sup>. وقد علق الكولونيل جيكوب، المساعد الأول للحاكم البريطانى فى عدن على هذه الرسائل أيضا قائلا: إنه من الواضح أن الإدريسى وراء هؤلاء المبعوثين الذين سلموا هذه الرسائل إلى المندوب السامى فى عدن<sup>(١٣٣)</sup>.

أما اقتصاديا، فقد اتبع الإدريسى استراتيجية ضرب خطوط الإمداد التى كان يعتمد عليها الإمام، حيث قام بإرسال رجاله للتقطع والنهب فى تهامة، خاصة فى منطقة باجل لأية بضائع كانت فى طريقها إلى صنعاء<sup>(١٣٤)</sup>. ولم يجد الإدريسى من استراتيجية خطيرة يضرب بها الإمام يحيى أفضل من استراتيجية اللعب بالوتر الطائفي، فبعد تحذير الإنكليز له بعدم تعدى قواته منطقة الزيدية، لم يجد الإدريسى عذرا يتعلل به لتجاوز تلك المنطقة غير القول بأنه ملزم أخلاقيا ودينيا لحماية الشوافع من التسلط الزيدى، وأن طموحاته هى الوصول إلى منطقة زبيد الشافعية، والتي سيقف عندها بالتأكيد<sup>(١٣٥)</sup>، وتحقيقا لذلك، قام بالإيعاز للمشايخ فى جنوب الحديدية على بعث الرسائل والوفود إليه، لإيهام الإنكليز أن المشايخ هناك هم من يطالبونه بالدخول تحت ولايته، وليس هو الذى يسعى إلى ضمهم إليه<sup>(١٣٦)</sup>.

وإضافة إلى تلك النشاطات، فقد قام الإدريسي بإرسال الوفود بصفة سرية، لحث سكان تهامة على المطالبة بالدخول في طاعته، مثل إرساله للسيد هادي رزق، العضو السابق في البرلمان العثماني، والسيد عبده الحلبي إلى القبائل هناك، لدعوتهم للاستجابة للإدريسي، وللمركز في تلك المناطق، استعدادا للانضمام إلى الإدريسي عندما تحضر قواته إلى هناك<sup>(١٣٧)</sup>. وإضافة إلى ذلك، تفتقت ذهن الإدريسي عن فكرة تنصيب نفسه الحامي لحرية الاعتقاد والمذاهب، لإجتذاب الطائفة الإسماعيلية في منطقة حراز، وباقي الأقلية الإسماعيلية في اليمن إلى صفه<sup>(١٣٨)</sup>، مما أغرى أهل صفهان في منطقة حراز بالتواصل معه، الأمر الذي شجعه على إرسال قوات داعمة لهم بلغ تعدادها ستة ألف مقاتل، فيها الكثير من رجال قبيلة القحري<sup>(١٣٩)</sup>، ولولا تيقظ الإمام يحيى وإدراكه للخطر من استطارة هذه الشرارة الطائفية، التي سوف تملأ الفضاء بلهيبها إن تركت، لكان للطائفة الإسماعيلية شأن في اليمن، حيث أعلن الإمام يحيى النفي العام، وبعث عليهم حملة عسكرية كبيرة بقيادة أمير الجيش عبد الله بن محمد الضمين، أسدت على الإدريسي مخططاته.

وقد استمرت علاقة الإمام يحيى قاسية ومتوترة مع الإدريسي، خاصة مع استمرار محاولاته في اختراق الداخل اليمني، حيث كثف من نشاطاته الداعمة للمتمردين بإرسال قوات قبلية لشيخ منطقة ريمة محمد أمين، لإعانتته في الخروج على سلطة الإمام يحيى<sup>(١٤٠)</sup>، وبعث المكاتب إلى أهالي منطقة ملحان لحثهم على التمرد على سلطة الإمام يحيى<sup>(١٤١)</sup>، وأرسل الأموال والعدة والرجال إلى بني سعد للانتفاض على سلطة الإمام<sup>(١٤٢)</sup>، وأمد الأهالي في جبل برع بلوازم الحرب، إلى أن أصبح هذا الجبل محطة لإدارة الحروب ضد الإمام يحيى<sup>(١٤٣)</sup>، بمساعدة قبيلة القحري التي قلد الإدريسي شيخها محمد زيد مسؤولية تحويل تلك المنطقة إلى ساحة لمواجهة مع قوات الإمام يحيى<sup>(١٤٤)</sup>، إلا أن الاختراق الأكبر الذي نجح فيه الإدريسي، كان عندما وافق الإنكليز على أن يقوم بمساعدة الشيخ ناصر بن ناصر الأحمر بالمال، والعدة الحربية، والذخائر في حجة، لمساعدته على الخروج على سلطة الإمام يحيى، ويعد هذا اختراقا لمناطق الإمام يحيى التاريخية<sup>(١٤٥)</sup>.

ولقد استمر التجاذب بين الإمام يحيى والأدارسة، حتى وفاة كبير الأدارسة، السيد محمد علي الإدريسي في ٢٠ مارس من عام ١٩٢٣م، مما شكل بداية النهاية لحكم الأسرة الإدريسية، حيث خلف السيد محمد ابنه الأمير علي، الذي كان مازال صغيرا في السن،

ويتسم بضعف الشخصية، وقلة التجربة؛ مما أدى إلى المنازعات الشخصية داخل الأسرة الإدريسية، فاستقل السيد مصطفى، ابن عم الأمير الجديد بالحديدة في عام ١٩٢٤م، وقام عمه الأمير حسن بإقصائه عن الإمارة، والحلول مكانه في تصريف الأمور، مما حدا بالأمير الجديد إلى الهرب إلى عدن، الأمر الذي شجع الإمام يحيى على مواصلة زحفه على تهامة، مصمماً القضاء على الإمارة الإدريسية، واسترداد الحديدة، فما كان من باقى الأدارسة إلا أن انسحبوا إلى منطقة عسير، بعد أن دخلت قوات الإمام يحيى الحديدة، والصليف، واللحية، وميدى في عام ١٩٢٥م، وبقي الأمير حسن يقاوم محاولات زحف الإمام على مدينتى صبيا وجيزان، بالتزامن مع تجنيد الإمام لعدد كبير من الرجال، ليزحف بهم إلى عسير التي انسحب إليها باقى الأدارسة<sup>(١٤٦)</sup>.

ونتيجة لهذا التسارع فى الأحداث، فإن القنصل البريطانى فى جدة أرسل برقية فى عام ١٩٢٦م إلى وزير الخارجية البريطانى، السير أوستن شميرلن، يحذر فيها من هجوم وشيك لقوات الإمام يحيى على عسير، ويقول فى البرقية: إنه إذ انجح الإمام يحيى فى التمدد نحو عسير، فالمهمة التالية بعد عسير ستكون جزيرة فرسان، التى لا يمكن أن نفرط فيها لأهميتها الاستراتيجية بالنسبة لنا، وبسبب الامتياز الذى أعطاه الإدريسي لشركة شل، للتنقيب عن النفط هناك، إضافة إلى أن احتلال الإمام للجزيرة، سوف يتبعه نفوذ تجارى وسياسى لإيطاليا المتحالفة مع الإمام يحيى، لذا وجب علينا حماية الإدريسي من أى هزيمة، وبأى ثمن كان<sup>(١٤٧)</sup>، إلا أن الإدارة البريطانية رأت أن أفضل الحلول لمنع التمدد الإمامى نحو منطقة عسير، يكمن فى كف اليد عن مساعدة الإدريسي، حتى لا يبقى خيار أمامه سوى الدخول تحت السيادة السعودية، وفعلا بعد أن طلب الإدريسي من بريطانيا الالتزام باتفاقية عام ١٩١٧م، التى تعهد فيها الإنكليز بحماية دولة الأدارسة من أى اعتداء خارجي، تفاجأ الإدريسي بخذلان بريطانيا له، رافضين مساعدته<sup>(١٤٨)</sup>. ومع تقدم قوات الإمام يحيى، اضطر الإدريسي بعد أن أصر الإمام يحيى على إزاحته من عسير إلى أن يتصل بالملك عبدالعزيز، عارضا عليه عقد اتفاقية يتم بموجبها إعلان الحماية السعودية على عسير، مقابل الاحتفاظ بشؤونه الداخلية، فعقدت اتفاقية مكة فى ١٩ أكتوبر عام ١٩٢٦م بين الطرفين؛ مما شكل وجها جديدا فى تاريخ العلاقات السعودية اليمينية<sup>(١٤٩)</sup>.

والسؤال الذى يطرح نفسه هو: لماذا تخاذل الإنكليز عن حماية حليفهم الإدريسي من التمدد الإمامي، بالرغم من اتفاقية الحماية المعقودة معه لحمايته، فى حين أن الإنكليز التزموا باتفاقيات الحماية التى عقدها معهم أمراء الخليج، لضمان صد التمدد السعودى باتجاه إماراتهم؟ وهل كان مصادفة أن توقيت عقد الاتفاقية بين ابن سعود والأدريسي، يكون بعد أقل من شهر من توقيع الإمام يحيى اتفاقية مع إيطاليا فى شهر سبتمبر من عام ١٩٢٦م؟ إن الأمر يحتاج إلى وقفة تتجاوز التفسير السطحى للأحداث، ولا يخفى على كل ذى فراسة وعقل، أن الإنكليز كان لهم صلة ودور مباشر كبير فى دفع الإدريسي نحو ابن سعود لسببين، أولهما: الانتقام من الإمام يحيى الذى أدخل الطليان إلى منطقة نفوذهم الحصرية فى جنوب الجزيرة العربية، والسبب الآخر مصالحتهم فى أن تصبح الدولتان: السعودية والإمامية متماسكتين وجها لوجه فى مصالحهما ومطالبهما، لأن هذا التماس سيوفر أرضا خصبة للتنافس بين الحكام الطامحين، مما سيؤدى - حسب رؤية الإنكليز - إلى تجاذب وتصادم حدودى بين الدولتين السعودية واليمينية، اللتين لم تتشكل بعد حدودهما النهائية، وهذا بدوره سيشغل الإمام يحيى فى حدوده الشمالية، مما سيخفف من غلوائه فى المطالبة بحقوقه التاريخية فى المحميات الجنوبية.

## ٢- المواجهة مع قبائل الزرانيق:

تعد قبائل الزرانيق أشد القبائل التهامية بأسا وشدّة مراس، حيث لم يستطع العثمانيون إخضاعهم طوال مدة حكمهم، فهم مستقلون عن كل حكم، ويرفضون الدخول تحت أى سلطة مركزية، سواء كانت إمامية، أم إدريسية، أم إنكليزية. دأبهم العيش على النهب والابتزاز لمن يدفع أكثر، فقد كانوا يأخذون المشاهرات من الأتراك، ومع ذلك يقطعون أسلاك التلغراف، ويقومون بالتخريب<sup>(١٥٠)</sup>. ومنذ خروج العثمانيين من اليمن فى نوفمبر عام ١٩١٨م، قاومت هذه القبائل محاولات الإمام يحيى بسط سيادته على مناطقهم الممتدة من مدينة الحديدية جنوبا، باتجاه مدينة زبيد، واستمروا فى مهاجمة القوافل التجارية المارة ما بين الحديدية ومدن الداخل وسلبها، فما كان من الإمام يحيى إلا أن جرد عليهم حملة عسكرية بقيادة السيد هاشم الدعانى، الذى كان يحمل أوامر صريحة بتأسيس مركز إدارى فى عاصمتهم المسماة بيت الفقيه، وهى بين مدينة الحديدية ومدينة زبيد، إلا أنهم دخلوا فى صدام مسلح مع هذه الحملة الإمامية، بقيادة شيخهم أحمد الفتينى، وكان من

شأنها مقتل قائد هذه الحملة قرب قرية كتابة، وتشتت قوات الإمام يحيى<sup>(١٥١)</sup>. ولم يكتف الزرانيق بذلك، بل بدؤوا فى مهاجمة مخافر الجنود فى مدينة الحديدية نفسها، وغيرها من مدن تهامة، التى قتلوا فيها الجنود، وتوسعوا فى نشر الاضطراب<sup>(١٥٢)</sup>، وقاموا بقطع خطوط المواصلات السلوكية التى تربط بين مدن تهامة والجبال<sup>(١٥٣)</sup>، وقد بلغ مجموع ضحايا الزرانيق من القتل ألف من الجنود الإمامية<sup>(١٥٤)</sup>.

والواقع أن تلك الممارسات التخريبية لم تكن ببعيدة عن توجيهات الإنكليز ودعمهم؛ عقابا للإمام يحيى على عدم رضوخه وإسلاسه القيادة لهم<sup>(١٥٥)</sup>، حيث إن الإنكليز لم يألوا جهدا فى تقديم الأسلحة والأموال لهذه القبائل على مدى سنوات<sup>(١٥٦)</sup>، مما جعل خط المواجهة بين الزرانيق وقوات الإمام على هيئة قوس، يبدأ من مدينة الحديدية، مارا بمدينة باجل، منحدرًا جنوبًا باتجاه مدينة زبيد، التى لا تبعد كثيرا عن منطقة بيت الفقيه، التى تعد الموطن الأصلي والحصن الحصين لقبائل الزرانيق<sup>(١٥٧)</sup>. ولا غرابة إذا أن يتمكن الزرانيق من إنهاء القوات الحكومية لسنوات طويلة، معتمدين على حرب العصابات، ونصب الكمائن والغارات الليلية، إلى أن تمكنوا من إبادة حامية عسكرية بكاملها بالقرب من قرية المنظر، المحاذية لمدينة الحديدية، فما كان من الإمام يحيى عقب هذه التطورات، إلا أن جرد عليهم حملة عسكرية ضخمة فى عام ١٩٢٨م، قوامها عشرة آلاف مقاتل، قدموا إلى تهامة من حجة، وعبس، وبنى قيس لقتالهم بقيادة ابنه سيف الإسلام أحمد<sup>(١٥٨)</sup>.

وإدراكا من سيف الإسلام أحمد لحقيقة إمداد الإنكليز للزرانيق بالسلاح والذخائر من جهة البحر، فقد استولت قواته على ميناء غليفقة، وقامت بتدمير جميع سفن الزرانيق الشراعية، ثم انتقلت إلى وادى الحاج، ومدت سيطرتها على جميع مناطق الساحل بعد قتال عنيف، وبذلك حال سيف الإسلام أحمد بين الزرانيق والأيدى الأجنبية التى كانت تساعد<sup>(١٥٩)</sup>.

واستمرت المعارك بعد ذلك أشهرا، تمكنت قوات الإمام فى النهاية من هزيمتهم شهزيمة، مما اضطر شيخهم أحمد الفتينى إلى الفرار إلى جزيرة كمران، لاجئا لدى الإنكليز الذين كانوا يسيطرون على هذه الجزيرة. وقد حاول نائب الفتينى، واسمه الشيخ محمد حسن الفاشق المقاومة، إلا أنه فشل بعد أن سقطت عاصمة الزرانيق (بيت الفقيه) فى يد القوات الإمامية، والتى كانت آخر معقل للمعارضة<sup>(١٦٠)</sup>. ويسقط بيت الفقيه لم تقم للزرانيق

قائمة بعد ذلك، رغم محاولات الإنكليز إنعاشهم بطرائق أخرى، تتجلى في أن الشيخ الفتينى وهو لاجئ لديهم فى كمران، قد وجه برقية إلى عصبة الأمم المتحدة، يشكو فيها الإمام يحيى مما عده انتهاكا لقواته حرمة تهامة والحديدة، اللتين عدهما جزءا من أراضى الزرانيق، وليس من أراضى اليمن الموحد، فهل يتصور إنسان أن مثل هذا الشيخ الأُمى، الذى لا يعرف القراءة ولا الكتابة، أن يتواصل مع عصبة الأمم وهو غريب عن هذه المنظمة الدولية، لا يفقه معناها ولا كنهها، ولا يدرك شيئا عن طبيعة العلاقات الدولية وأدواتها، لولا أن بريطانيا كانت هى التى تدفعه فى ذلك الاتجاه<sup>(١٦١)</sup>.

### ٣- المواجهة مع مشايخ منطقة زبيد وما جاورها:

مع أن معظم أهل زبيد كانوا قد أعلنوا الولاء والطاعة للإمام يحيى منذ دخوله إلى صنعاء عام ١٩١٨م، إلا أنه ظل هناك بعض الجيوب التى أعلنت التمرد وعدم الانقياد للدولة، ومن تلك الجيوب قبيلة المعاملة، التى قاد كبيرها السيد على طاهر المواجهة مع جند الإمام فى زبيد، إلى أن انهزم وفر نحو الإدريسي<sup>(١٦٢)</sup>. هذا بالإضافة إلى جيب آخر فى منطقة وصاب، التى مكث الإمام يحيى طويلا وهو يرأسل أهلها، محاولا ترغيبهم فى الطاعة واجتماع الكلمة، إلا أنهم أصروا على العناد، رافضين الدخول تحت سيادة الدولة الموحدة، مغترين بمناعة جبلهم الذى لبثوا فيه نحو عشر سنوات، متمردين فيه على الدولة العثمانية، مما اضطر الإمام إلى إرسال حملة للقضاء على تمردهم بالقوة<sup>(١٦٣)</sup>.

وبعد تمكن الإمام يحيى من القضاء على هذين الجيبين المتمردين، ظل هناك من المشايخ فى تلك المنطقة من يمد ببصره نحو الإدريسي، ومنهم شيخ مشايخ الركب، صاحب النفوذ القوي، عوض بن على زربة<sup>(١٦٤)</sup>، الذى كان مجاورا لمدينة زبيد، ويتسلط على أهلها بقطع طريق القوافل، ونهب الأموال، وانتهاك الحرمات، والتعدى على حقوق الناس، مستغلا نفوذه القبلي. وقد توالى أعماله العدائية والاستفزازية لسلطة الدولة المركزية فى زبيد، التى كان يمثلها عامل الإمام، محمد بن على الذاري. وبعد أن تفاقم الوضع أكثر، بعد أن عقد الشيخ عوض بن على زربة حلفا مع قبائل الزرانيق، الذين أمدوه بالرجال والسلاح<sup>(١٦٥)</sup>، صمم الإمام يحيى على تجهيز حملة للقضاء على هذا الشيخ، لتفويت الفرصة على الإدريسي. والشىء الملفت للنظر فى هذه الحملة المرسله، أن الإمام استعان بمشايخ من طائفته الشافعية نفسها، حيث قاد هذه الحملة فى عام ١٩٢٠م، الشيخ حمود عبدالرب، والشيخ حميد بن على باشا، وهم من منطقة العدين، إضافة إلى بعض القادة الزيدود<sup>(١٦٦)</sup>.

والواقع أن الإمام يحيى كان قد بدأ منذ عام ١٩٢٠م بالسعى لصهر كافة طوائف ومكونات المجتمع اليمني في بوتقة الدولة الموحدة، يتجلى ذلك واضحا في تأليفه لجيش نظامى من أبناء لواء تعز أفرادا وضباطا؛ رغبة منه في توحيد الصفوف، وتأليف القلوب، بدلا من اقتتار اعتماده على أبناء طائفته الزيدية في خوض غمار التوحيد<sup>(١٦٧)</sup>. ولم يكن من المستغرب إذا أن نجد قوات يمنية أخرى تجهز بقيادة أفراد من الأسر الشافعية الكبيرة، مثل تجهيز الشيخ محمد بن أحمد نعمان في حملة إلى منطقة الصبيحة في جنوب اليمن، والشيخ عبد العزيز نعمان في حملة إلى منطقة القبيطة في جنوب اليمن<sup>(١٦٨)</sup>.

أما جوار منطقة زيد، فقد كان هناك منطقة الشيخ سعيد، التي لا تقل أهمية عن زيد نفسها، بل أهم منها استراتيجيا، لما لها من موقع حساس يطل على باب المندب، الأمر الذى دفع كل القوى الاستعمارية المنافسة لبريطانيا إلى أن تسعى للاستيلاء عليها، خاصة فرنسا التي كانت ترى أن لها حقا تاريخيا، بموجب معاهدة عقدتها فرنسا مع الدولة العثمانية عام ١٨٧٠م بحقوق شركة فرنسية في هذه المنطقة اسمها رابوزان، وهى إحدى الشركات التجارية الكبرى التي نقلت حقوق ملكيتها إلى الحكومة الفرنسية، كما هى عادة الدول الاستعمارية فى التسلل. وقد أهملت الجمهوريات الفرنسية المتتالية أمر هذه المنطقة، بعد أن عمدت الدولة العثمانية إلى التشدد مع فرنسا، للتملص من اتفاقها السابق معها، إلا أنه بعد انسحاب العثمانيون من اليمن، بدأت فرنسا تتطلع ثانية إلى استرداد حقوقها التاريخية حسب زعمهم.

أما إيطاليا فقدت كانت تطالعها إلى منطقة الشيخ سعيد تنطلق من استراتيجيتها، فى المحاولة للسيطرة على البحر الأحمر ومضائقه، لذلك وجدنا إيطاليا تقوم باحتلال الحبشة، والصومال، وجيبوتي، وتتطلع إلى الضفة الأخرى من البحر الأحمر<sup>(١٦٩)</sup>.

أما الإنكليز، فقد سبق لهم أن قصفوا منطقة الشيخ سعيد بمدافعهم البحرية، قبل انسحاب الأتراك منها<sup>(١٧٠)</sup>، فى محاولة منهم للسيطرة على المنطقة. وفى ظل هذه المعطيات، كان الشيخ ناصر العنبر، صاحب النفوذ فى منطقة الشيخ سعيد رجلا قويا من رجال العهد العثماني، يحلم فى إقامة دويلة مستقلة هناك<sup>(١٧١)</sup>، ولأنه كان على غير وفاق مع الإمام يحيى، ولا رغبة له فى الانصهار مع الدولة؛ فإنه سلك مسلك الطاعة الاسمية فقط، إلا أن الإمام يحيى كان يدرك نواياه الخفية، ويدرك أن إهمال تلك الناحية، وترك



المنطقة المطلة على باب المنذب دون مركز إدارى للدولة، يكون فيه إخلال بالمصلحة العامة، ويشكل خطراً على الاستقرار، لذلك جهز حملة بقيادة العتيق صمصام توفيق بن عبد الله، للدخول إلى منطقة الشيخ سعيد؛ مما تسبب فى خوض الشيخ العنبرى معارك مع قوات الإمام، انتهت بهزيمته، ففر إلى جيبوتى لاجئاً لدى الفرنسيين؛ وبهذا فوت الإمام الفرصة على الإيطاليين والفرنسيين الذين كانوا يرون أن لهم حقا فى تلك المنطقة، وطالما تنافسوا فيما بينهم لإيجاد موطأ قدم هناك<sup>(١٧٢)</sup>، بتقديم الدعم للشيخ ناصر العنبرى، وقصف منطقة الشيخ سعيد؛ ولكن محاولاتهم باءت بالفشل، حيث لم تلق قبولا أو استجابة من الأهالى هناك<sup>(١٧٣)</sup>.

### تحديات لم الشمال فى منطقة القبائل الشافعية فى اليمن الأسفل:

لقد ألهم نموذج السلطنات الذى صنعه الإنكليز فى جنوب اليمن حماس الطامعين من مشايخ وإقطاعيين فى شمال اليمن وبخاصة اللواء الشافعى منه، وزاد من سعار الرغبة حدة، أن معظم سلاطين الجنوب كانوا أميين وفقراء، لا يجدون غير فوطة يسترون بها عورتهم، وبالرغم من ذلك، فقد استقبلوا فى عدن كملوك، بعد أن أنعم عليهم الإنكليز بالمرتبات، والنياشين، وألقاب السلاطين، وحيثهم المدفعية بطلقاتها، واصطف لهم الجنود، وكتب لهم الوالى الإنكليزى بعبارات التفخيم والعظمة مذيلا رسالته: بخادمكم المطيع<sup>(١٧٤)</sup>، فلماذا لا يكون لمشايخ اليمن الأسفل مثل أولئك، خاصة أن لهم من الثروات ومصادر الإنتاج فى مناطقهم الخصبة ما يمكنهم من الاستغناء عن غيرهم؟! إن كل تلك الاعتبارات جعلت بعض مشايخ الشمال يحلمون ويسعون إلى خلق كيانات مستقلة، على غرار السلطنات القائمة فى الجنوب، مما شكل تحديا كبيرا للإمام يحيى لكبح جماح هذا التطلع المضربوحدة اليمن، خاصة إذا أدركنا حقيقة ما كان يملكه المشايخ والإقطاعيون من مال، وسلاح، وعدة وعتاد.

فالشىخ محمد ناصر مقبل مثلا، كان يملك ٩ مدافع ثقيلة، إضافة إلى مدفعين رشاشين، باعتبار أنه كان قائم مقام وحاكما فى منطقة ماوية منذ أيام الأتراك، والشىخ على عثمان، الذى كان حاكما فى المخا فى عهد الأتراك، لديه جملة من المدافع الكبار، وكثير من العتاد الحربى والذخيرة، ناهيك عن الثروة المالية، التى مكنته هو والكثير من الإقطاعيين من تكوين جيوش خاصة بهم، مثل أسرة الباشا الإقطاعية، التى كان لها جيش خاص بها

فى العدين تعداه أربعة آلاف جندى<sup>(١٧٥)</sup>. واستنادا إلى كل تلك المعطيات، نستطيع أن نجمل التحديات التى واجهها الإمام يحيى فى منطقة اليمن الأسفل فى الآتى:

### ١- المواجهة مع المشايخ:

تفاوتت مشاعر المشايخ فى منطقة اليمن الأسفل ما بين الوحدة والانفصال، لذا لم يكن مستغربا أن نجد هناك مشايخ يسيرون نحو الإمام برغبة صادقة للانضمام إلى دولة الوحدة، مثل كبير منطقة إب، الشيخ إسماعيل باسلامة، ومثل الشيخ عبدالواسع نعمان، أحد أبناء الأسر الإقطاعية الكبيرة، وغيرهم<sup>(١٧٦)</sup>، وفى الجانب الآخر، فإن هناك شخصيات كانت السمة البارزة فى مواقفهم التذبذب والازدواجية، فهم من جهة يظهرون الطاعة والانقياد، وعدم الممانعة من الانضمام إلى دولة الوحدة، لحالة الضعف التى يعيشونها، والتى أدت بهم إلى الخوف من استفزاز الإمام والمواطن العادي، الذى كان يرى الخلاص على يد الإمام من تسلط المشايخ، إلا أن هؤلاء المشايخ من جهة أخرى لم يتورعوا عن النكث بالعهود والمواثيق، وإحداث المشاغبات، لزعزعة سلطة الدولة الإمامية، على أمل الاستفراد بمشيخات مستقلة خاصة بهم عند أول فرصة تلوح فى الأفق، إضافة لميلهم إلى وضع شروط تعجيزية يفهم منها عدم الرغبة فى الدخول إلى بيت الطاعة، ومن هؤلاء المشايخ الذين نستطيع تصنيفهم بالمعارضين المستترين، الشيخ محمد ناصر مقبل فى منطقة ماوية، والشيخ عبد الله بن يحيى الصبرى فى منطقة صبر، وبعض المشايخ من آل الباشا فى منطقة العدين<sup>(١٧٧)</sup>.

ولتوضيح الصورة أكثر، ينبغى تسليط الضوء على تسلسل الأحداث منذ بداية انسحاب الأتراك من هناك، حيث قدم إلى صنعاء فى عام ١٩١٩م معظم مشايخ اليمن الأسفل، لتقديم فروض الطاعة والولاء، بعد أن استدعاهم الإمام يحيى إلى مقره فى صنعاء، فوصل كل من الشيخ أحمد بن على الباشا، والشيخ عبدالرحمن الحداد، والشيخ إسماعيل باسلامة، والشيخ عبدالواسع نعمان، والشيخ على ناصر الكمرانى مندوبا عن الشيخ ناصر مقبل، وأربعة من أولاد مشايخ العدين، والشيخ محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن قاسم، والشيخ محمد بن عبد الواحد بن محمد بن قاسم، والشيخ محمد بن عايض بن عقاب<sup>(١٧٨)</sup>، فأقر الإمام يحيى كل منهم حاكما على منطقته، وأخذ منهم العهود والمواثيق، وأرسل ابن عمه أحمد بن قاسم حميد الدين قبيل مغادرة المتصرف التركى لمناطقهم، فدخل إلى مدينتى تعز وإب بوصفه

ممثلاً للدولة مع قوة رمزية<sup>(١٧٩)</sup>، إلا أن ممثل الإمام فوجئ بالأعمال العدائية تواجهه منذ بداية قدومه إلى تعز، حيث أغار عليه رجال قبيلة صبر، وقطعوا عنه وعن قواته الرمزية المتمركزة هناك المياه.

أما في منطقة جبل حبيش، فقد حاصرت القبائل جنود الإمام في دار الحكومة، بقيادة الشيخ محمد عايض العقاب، ومساندة الكثير من مشايخ لواء تعز ومنطقة إب، مع العلم أن الشيخ محمد عايض عقاب كان قد قدم بنفسه إلى صنعاء، لتقديم فروض الطاعة والولاء للإمام يحيى<sup>(١٨٠)</sup>، إلا أنه انقلب على عقبيه بعد أن رجع إلى منطقته. وقد قامت القبائل الثائرة هناك، التي يرأسها الشيخ عقاب بقتل ما يزيد عن ستين جندياً إمامياً، واستولوا على مدفع كبير، ومدفعين رشاشين. ويتسلسل الأحداث، فقد اتضح بما ليس فيه مجال للشك، أن هذا التمرد في جبل حبيش لم يكن عفويا، بل جاء ثمرة لخطة مرسومة ومدروسة مخطط لها بدقة، ومدعومة بالمال والعتاد من معظم مشايخ اليمن الأسفل<sup>(١٨١)</sup>.

وإزاء تلك الحالة لم يجد الإمام بدا من إرسال نجدة عاجلة قامت بفك الحصار، والقضاء على حركة العصيان، مما أودى بأمانى الكثير من المشايخ الذين أذكوا شرارة التمرد، ودفع بالكثير منهم إلى التحول من المعارضة المستترة إلى التأييد المطلق للإمام يحيى، خوفاً من افتضاح أمرهم، ومن هؤلاء المشايخ، الشيخ حمود عبد الرب سنان، الذي كان يمد المتمردين بالمال والذخيرة سرا، بالرغم من إظهاره الولاء للإمام يحيى<sup>(١٨٢)</sup>. وبالرغم من ذلك التسليم الظاهري بسلطة الدولة الإمامية، فقد ظل هناك مشايخ آخرون، كالشيخ أحمد باشا يضمرون العداء للسلطة الإمامية، ويخططون سرا للكثير من الكمائن والاضطرابات، مثل الاضطراب الذي حصل في منطقة صبر، حيث تم حشد قوات على قمة جبل صبر، المطل على مدينة تعز، تحصنت فيه القوات المتمردة في قلعة اسمها القاهرة، وأمطرت قوات الإمام في مدينة تعز بالطلقات النارية، بهدف شن حرب استنزاف، مما اضطر الإمام إلى أن يجهز حملة أخرى للقضاء على أولئك المتمردين، مهما كلف الثمن، فدامت المعارك محتدمة ثلاثة أيام، إلى أن تم السيطرة على الموقف نهائياً، وتم تأمين مدينة تعز إلى حين<sup>(١٨٣)</sup>.

وبالرغم من هذه الانتصارات التي حققتها قوات الإمام، فقد ظل هناك بعض الاضطرابات التي نشبها بعوامل الفتنة تحت الرماد، مثل قطع بعض الطرقات، وقتل بعض الجنود الإمامية غيلة، إلا أنها لم تصل إلى مستوى الانتفاضات السابقة في جبل حبيش وجبل صبر، وإن كان هناك من المشايخ من لا يزال يتحين الفرص لبعث الفتنة من جديد.

وبعد انقضاء هذه الأحداث، استغل الإمام يحيى حالة السكون النسبي، وبدأ يعمل على استخلاص الأسلحة، والذخائر، والمدافع الثقيلة التي كانت في أيادي المشايخ، للتمكن من إرساء قواعد الدولة والأمن، وتقوية قبضة الدولة، فاستلم ما لدى الشيخ علي عثمان، والشيخ عبد الوهاب نعمان، والشيخ أحمد بن علي الباشا من أسلحة<sup>(١٨٤)</sup>.

وبقى الشيخ محمد بن ناصر مقبل في منطقة ماوية، الوحيد الذي يملك أسلحة ثقيلة، منها ٨ مدافع ضخمة، وأربع رشاشات ثقيلة، ومخازن للذخيرة، ومخزنا كاملا من البنادق<sup>(١٨٥)</sup>، إلا أن الإمام يحيى تمكن من معالجة أمر الشيخ محمد بن ناصر بسياسة النفس الطويل، القائمة على السياسة والمناورة والاستقطاب<sup>(١٨٦)</sup>.

ودخلت سنة ١٩٢٠م، والأمر مستتب نسبيا بعد أن تم التقليل من نفوذ المشايخ هناك بتطويعهم لسلطة الدولة، إلا أن الإحن والحزانات ظلت في نفوس بعض المشايخ، خاصة بعد أن أمر الإمام يحيى نائبه في لواء تعز، علي عبد الله الوزير بتحصين المواطنين من تسلط المشايخ؛ بشل أيديهم عن أي تصرف يمس المواطن مباشرة بالسوء، عن طريق ما يسمى بنظام الأمين، ليقوم مقام الشيخ بالنسبة لعلاقة المواطن بالدولة، حيث يقوم الأمين بالرفع إلى الدولة مباشرة لكل ما له علاقة بالحقوق، وحل الخصومات بين المواطنين دون الرجوع إلى الشيخ، مع الإبقاء على مخصصات المشايخ المالية، ووجهاتهم الاجتماعية، وهذا ما لم يحتملوه أبدا<sup>(١٨٧)</sup>، لأن في ذلك كسرا لاعتبارهم، وتقويضا لسلطتهم التي ورثوها لدى العامة، خاصة أن علاقة المشايخ الإقطاعيين مع رعيتهم كانت تقوم على الاستعباد، والاذلال، والاستغلال، وذلك قبل قدوم الإمام إلى مناطقهم<sup>(١٨٨)</sup>.

أما المشايخ الآخرون المصنفون كرؤساء للقبائل، فلم يكونوا ينظرون إلى مصلحة قبائلهم، بقدر ما استخدموا سلطاتهم المتوارثة، وجندوا أفراد قبيلتهم لخدمة مصالحهم الخاصة<sup>(١٨٩)</sup>، مما دفعهم إلى التبرص بالإمام يحيى، بعد أن اتخذ إجراءات رأوا فيها حدا من سلطاتهم، فعندما شعروا بأول فرصة سانحة، قاموا بإشعال فتنة جديدة في منطقة صنمات في جبل صبر، مستغلين قلة عسكر الإمام في لواء تعز، بعد أن تم إرسال الأجناد الإمامية الموجودة في مناطقهم إلى مناطق أخرى، للمساعدة في القضاء على مشاكل وفتن أخرى. وقد حاول هؤلاء المشايخ قتل خمسين جنديا حكوميا غدرا، بعد أن فرقوهم في البيوت كضيوف، فتم قتل بعض هؤلاء الجنود الحكوميين، ونجا بعضهم الآخر، ممن تمكن

من الهرب، أو الدفاع عن نفسه إضافة إلى ذلك، أشعل هؤلاء المشايخ فتنة أخرى فى منطقة جباح، بقيادة الشيخ عبد الله بن جباح، وما إن دخلت سنة ١٩٢١م إلا وقد ثارت فتنة جديدة فى منطقة القماصرة، إلا أنها لم ترقى إلى مستوى ما سبقها من فتنة، فما كان من الإمام يحيى إلا أن جهز حملات قوية تمكنت من الاجهاز على كل هذه المؤامرات والفتن<sup>(١٩٠)</sup>، بحيث لم تقم لهم قائمة بعد ذلك.

## ٢- المواجهة مع الأسر الإقطاعية:

كانت الأسر الإقطاعية تتركز بوضوح فى الجزء الجنوبى الغربى من البلاد، وبالذات فى لواء إب وتعز<sup>(١٩١)</sup>. وكان السبب فى ضيق هذه الأسر من الإمام يحيى، واستثارة سخطها عليه، هو تقليص سلطاتهم فى مناطقهم بعد انسحاب الأتراك، مما كان له أثره البالغ على إشعالهم الانتفاضات المسلحة، وتفجير المواقف التى بلغ أوجها فيما يسمى بانتفاضة المقاطرة فى عام ١٩٢١م. وقد ذكر هارولد جيكونب، المعاون الأول للمندوب السامى البريطانى فى كتابه (ملوك شبه الجزيرة العربية)، بأن الكثير من المشايخ الإقطاعيين قد اعترفوا له بأن السبب الحقيقى الذى دفعهم للسخط على الإمام يحيى، أنهم لا يستطيعون فى ظل حكمه الاستمرار فى ممارسة التسلسط والابتزاز والنهب للمواطنين، لأنه لن يسمح لهم بذلك، ولهذا فهم يفضلون حكم الأتراك، بالرغم من أن ضرائب الإمام يحيى كانت أخف بكثير من الضرائب التى كان يجبيها الأتراك منهم<sup>(١٩٢)</sup>، لأن الأتراك كانوا يتركون لهم شؤونهم الداخلية دون تدخل، مقابل الالتزام بالمعلوم لخزينة الدولة العثمانية<sup>(١٩٣)</sup>. ولقد وصلت معيشة الكثير من هؤلاء الإقطاعيين إلى درجة من الترف والبذخ، بأن تطرز أطباق وملاعق بعضهم بالذهب فى أيام الأتراك<sup>(١٩٤)</sup>، بل أصبحوا يتحكمون فى إقطاعياتهم كتحكم الأسياد فى العبيد، كما أكدت ذلك صحيفة الثورة، الناطقة باسم النظام الجمهورى فى اليمن، وأكد ذلك أيضا الكثير من المثقفين والكتاب فى اليمن، ومنهم الدكتور محمد عبد الملك المتوكل، رئيس قسم العلوم السياسية فى جامعة صنعاء<sup>(١٩٥)</sup>، والدكتور محمد على الشهاري، الذى ذكر فى كتابه (اليمن الثورة فى الجنوب، والانتكاسة فى الشمال) من أن هؤلاء الإقطاعيين كانوا يفرضون على الفلاحين الإتاوات والغرامات، ويهينون كرامتهم، ويمتهنون آدميتهم بإجراءات أقلها وضع القيود فى أقدامهم، وغير ذلك من مظاهر العسف، وضروب الاستغلال والاضطهاد<sup>(١٩٦)</sup>.

فكان من الطبيعي إذا أن يشعر الإقطاعيون أن حكم الإمام يحيى سيحرر الفلاحين من تسلطهم، وسيجر عليهم البلاء والمصيبة، لأن السلطة المركزية للدولة أخذت تنتقص من رقعة نفوذهم وتسلطهم على الأفراد، الذين بدؤوا يرون في السلطة المركزية ممثلة في شخص الإمام ضماناً لهم ضد التعسف الجائر الذي ساد لقرون متعددة.

ونستطيع أن نجمل أهم الأسر الإقطاعية التي كان لها دور في التآمر، وإشعال الانتفاضات المسلحة على السلطة المركزية الجديدة، حيث كان منهم آل نعمان، الذين كان لهم قائممقامية خاصة بهم في منطقة الحجرية أيام الأتراك<sup>(١٩٧)</sup>، وآل أبو رأس، الذين كان لهم الزعامة في منطقة ذي سفال ووادي ضبا<sup>(١٩٨)</sup>، وآل الباشا الذين كانوا من أغنى المشايخ وأوسعهم ثروة، ولهم الزعامة في منطقة تعز<sup>(١٩٩)</sup>، وإقطاعيات أخرى في منطقة العدين<sup>(٢٠٠)</sup>، حيث قاد هؤلاء تكتلاً مشيخياً مع غيرهم من المشايخ الراضين للانضواء تحت جناح الوحدة اليمنية، تحذوهم الآمال في تأسيس سلطنات مستقلة خاصة بهم تحت جناح الإنكليز، كأقرانهم من السلاطين في محميات الجنوب الذين يعدونهم أقل شأنًا منهم.

ولنأخذ موقف مشايخ آل أبي رأس في منطقة ذي سفال، الخاضعة لنفوذهم، كنموذج يوضح حالة العصاب لدى هذه الأسر الإقطاعية الراضة للدخول في كيان الوحدة اليمنية. فعند اقتراب جيش الإمام من المدينة تلقاهم شيخها الإقطاعي، النقيب حسن أبو رأس حاملاً معه شروطاً تعجيزية للدخول في الطاعة، أهمها ألا يدخل جيش الدولة مدينته التي كان قد حشد فيها الرجال والحصون، وإلا فإنه سيخوض الحرب، إلا أن ممثل الإمام على بن عبد الله الوزير، أصر على الدخول بالجيش بعد سماعه الشيخ حسن أبي رأس يقول: «هل يريد السيد على عبد الله الوزير أن يدخل هؤلاء الرعيان الحفاة العراة المدينة، والله ما دخلوها»، مما تسبب في نشوب القتال، وفرار الشيخ حسن أبي رأس وقواته من أرض المعركة بعد هزيمتهم<sup>(٢٠١)</sup>.

أما موقف الإقطاعيين من آل الباشا، فبالرغم من محاولات الإمام استقطابهم بالأعطيات المالية، والتعيينات، وقيادة الحملات العسكرية، مثل الإبقاء على الشيخ أحمد بن علي الباشا حاكماً لناحية تعز،

وتعيين الشيخ حسن بن علي باشا حاكماً على ناحية مذيخرة<sup>(٢٠٢)</sup>، وتعيين الشيخ حميد بن علي باشا قائداً لإحدى الحملات المرسله إلى زبيد<sup>(٢٠٣)</sup>، فقد تذبذبت مواقف الكثير

منهم ما بين المعارضة والترحيب بالإمام يحيى. فالشيخ أحمد الباشا مثلا، الذى كان فى حوزته أسلحة ثقيلة يعول عليها منذ أيام الأتراك<sup>(٢٠٤)</sup>، كان قطب رحى المعارضة للإمام يحيى فى أسرة الباشا، ويقوم بدعم الانتفاضات المختلفة سرا، فى الوقت الذى كان يظهر فيه الولاء، ولم يسلم بأمر الدخول تحت جناح الدولة الإمامية، إلا بعدما وجد المتمردين من رجال عصبيته وقد قتلوا جميعا أمامه، بعد معركة محتدمة فى منطقة جبل صبر، فقال حينها: الآن انتهينا<sup>(٢٠٥)</sup>.

أما كبير آل الباشا، حسن بن على باشا، صاحب الثروة والجاه، فقد ظل تحت نظر عامل الإمام فى لواء تعز، على بن عبد الله الوزير، تحرزا لأدراك مقاصده الخفية، حيث كانت الشكوك تدور حول ولائه للدولة، مما فوت عليه اقتناص أية فرصة للتحرك<sup>(٢٠٦)</sup>.

وبعد هذه المواقف الحازمة من قبل الدولة، لم يبق بعد ذلك لأى طامع من المشايخ أى أمل فى أية مشيخة مستقلة له، سوى الإقطاعى الكبير، الشيخ عبد الوهاب نعمان، الذى ظل منذ عام ١٩١٩م يتواصل سرا مع الإنكليز، ويحوك المؤامرات، ويتحين الفرص للدخول بإقطاعيته فى منطقة الحجرية تحت الحماية البريطانية<sup>(٢٠٧)</sup>، إلى أن فشل فى مشروعه التشطيرى، بإعدامه من قبل الإمام أحمد، لاشتراكه فى انقلاب عام ١٩٤٨م.

لقد حاول الإمام يحيى منذ عام ١٩١٩م استقطاب عبد الوهاب نعمان وأسرته بإبقائه حاكما على قضاء الحجرية، كما كان فى أيام الأتراك، كما أن الإمام قام بإسناد حكم منطقة المقاطرة إلى أخيه عبد الواسع نعمان، وأسند منطقة جبل حبشى إلى ابن عمه محمد بن أحمد نعمان<sup>(٢٠٨)</sup>، إضافة إلى أنه أبقى له ولأسرته وجاهته الاجتماعية، بتوليتهم قيادة الكثير من الحملات العسكرية، مثل الحملة الموجهة إلى منطقة الصبيحة التى قادها ابن عمه الشيخ محمد أحمد نعمان، والحملة الموجهة إلى منطقة القبيطة، بقيادة ابن عمه الآخر، الشيخ عبد العزيز نعمان<sup>(٢٠٩)</sup>، كما قام الإمام باعطاء كبار آل نعمان حصة معينة من موارد الزكاة، مثل غيرهم من الإقطاعيين والمشايخ المؤلفة قلوبهم<sup>(٢١٠)</sup>، إلا أن كل تلك الإجراءات لم تجد نفعا فى تقبل عبد الوهاب نعمان وبعض الموتورين من أقاربه الاندماج فى كيان الدولة الموحدة. فمواقفه الراضية للوحدة كانت مسبقا منذ تواجد الأتراك، وقبل انسحابهم من اليمن، بدليل أنه جن جنونه من موقف أخيه عبد الواسع نعمان، الذى كسر القاعدة بزيارته للإمام يحيى، لتقديم فروض الطاعة والولاء قبل خروج الأتراك، مما

مقبل لا صلاحية له علينا. إضافة إلى الشيخ عبد الرب المعمرى من منطقة الحجرية، الذى وصل إلى عدن فى محاولة لإقناع الإنكليز بالاعتراف باستقلاله تحت جناحهم، فى الوقت نفسه الذى كان عبد الوهاب نعمان يتواصل مع الإنكليز، طالبا منهم الاعتراف باستقلاله فى منطقة الحجرية نفسها، مما حدا باستيوارات الحاكم البريطانى فى عدن أن يكتب عن هؤلاء المشايخ فى أحد تقاريره المرفوعة قائلا: «إن هؤلاء المشايخ يفتقدون لوحدة القيادة؛ بسبب العداوة الدائمة فيما بينهم؛ مما لا يمكنهم من الاتفاق على رأس كبير لهم<sup>(٢١٩)</sup>». وأنه لا يعرف شيئا شافعيًا واحدا له القوة والسلطة المطلوبة، أو عدد الأتباع الضرورى لإقامة دولة مستقلة<sup>(٢٢٠)</sup>، مما كان له أكبر الأثر فى إحباط عزائم الإنكليز، لأنهم لم يجدوا الشخصية القوية التى يمكن الاعتماد عليها فى اليمن الأسفل.

### تعديات لم الشمل فى منطقة المحميات الجنوبية المحتلة:

لا يختلف اثنان على إن إمارات جنوب اليمن، التى كان يحكمها ما اصطلح على تسميتهم سلاطين، يصدق فيهم قول الشاعر (ابن رشيق القيروانى):

ألقاب مملكة فى غير موقعها كالمهر يحكى انتفاخا صولة الأسد

ذلك أنهم ما كانوا إلا شيوخ قبائل، شقهم الإنكليز على أئمة اليمن، وعلى بعضهم بعض، ليستعملونهم مطايا لتنفيذ إرادتهم وغاياتهم<sup>(٢٢١)</sup>، فتحولوا إلى دمي أو بياق، تحركهم بريطانيا فى رقعة الشطرنج الخاصة بها. وقد بلغ ضعفهم إلى درجة أن وصفهم المعاون الأول للمندوب البريطانى الميجور جي كوب، بالضعف وعدم القدرة على مواجهة قوات الإمام إن رغب بالزحف عليهم، ومن أنهم سوف يضطرون فى نهاية الأمر للدخول تحت سلطة الإمام يحيى، إن تركوا وحيدين ولم يحصلوا على دعما بريطانيا يساعدهم<sup>(٢٢٢)</sup>.

لقد وصف الرحالة السورى نزيه مؤيد العظم عينة من هؤلاء السلاطين، عندما قابل أحدهم خلال زيارته لجنوب اليمن، وهو السلطان محسن بن على سلطان الحواشب، فيقول: إنه شاب لا يتجاوز سنه سبعة عشر ربيعا، ويطلق عليه اسم سلطان وهو عارى الجسد، ما عدا منزرا يستر به نفسه، وعندما سأله عن أفضلية الاتفاق مع الإمام يحيى، بدلا من الإنكليز، أجاب السلطان ذا السبعة عشر ربيعا بأن من يملأ كفنا بالقروش هو سلطاننا الحقيقى، والإنكليز يدفعون لنا معاشا، وإذا ذهبنا إلى عدن يطلقون لنا المدافع للترحيب



بنا<sup>(٢٢٣)</sup>، لذلك إدراكا من الإمام يحيى لهذه الحقيقة، وجدناه يعد هؤلاء المشايخ بإبقائهم حكاما على مناطقهم، في ظل دخولهم في طاعته، ويعرض عليهم صرف المخصصات المالية والرواتب الشهرية بكميات أكبر مما كان يصرف لهم الإنكليز<sup>(٢٢٤)</sup>، ويعرض عليهم إقطاعهم أراض في شمال اليمن الذي يحكمه<sup>(٢٢٥)</sup>، إضافة إلى خصهم بربع العشر من زكاة مقاطعاتهم، بوصفهم من المؤلفة قلوبهم<sup>(٢٢٦)</sup>.

لقد بدأ الإمام يحيى يترجم تطلعاته عمليا نحو توحيد القطرين الشمالي والجنوبي منذ عام ١٩١٩م، وهي السنة التي استنفذ فيها كل الوسائل لاستقطاب أمراء الجنوب دون فائدة، مما حداه إلى الدفع بقواته نحو الجنوب لاحتلال منطقة قعطبة<sup>(٢٢٧)</sup>، وفي السنة نفسها تمددت قواته إلى منطقة الضالع، والقطيب، والشعيب، والعلوى، وبلاد الأجعود، ويافع العليا وأقسامها من منطقة الأميري<sup>(٢٢٨)</sup>، ثم تمددت في عام ١٩٢٣م إلى مدينة البيضاء، والجزء الأعلى من أراضي العوذلي<sup>(٢٢٩)</sup>، ثم تمددت إلى الجزء الأسفل من العوذلي في سنة ١٩٢٦م<sup>(٢٣٠)</sup>، ثم إلى منطقتي الحواشب والصبيحي في عام ١٩٢٧م<sup>(٢٣١)</sup>، ثم إلى بلاد آل قطيب في عام ١٩٢٨م<sup>(٢٣٢)</sup>، ثم إلى حريب بيحان في عام ١٩٢٩م<sup>(٢٣٣)</sup>، ثم إلى شبوة في عام ١٩٣٩م<sup>(٢٣٤)</sup>.

ولتفصيل أحداث هذا التمدد، دعونا نبدأ بعام ١٩١٩م، وهي السنة التي بدأ فيها الزحف نحو مدينة قعطبة، وخوض الحرب مع أهلها الرافضين لسلطة الإمام، والذي أسفر عن إدخالهم في الطاعة بالقوة<sup>(٢٣٥)</sup>. أما منطقة الضالع المجاورة، فاستنادا إلى ما أورده الوثائق البريطانية، فإن أمير الضالع نصر بن شايف عندما شعر بأخطار الزحف الإمامي على إمارته، قام بزيارة خاطفة إلى عدن، وحصل على وعد مكتوب من المندوب السامي البريطاني بحماية إمارته من أي تعدد خارجي<sup>(٢٣٦)</sup>، إلا أن جيش الإمام يحيى كان سباقا في التمدد نحو الضالع قبل وصول الإمدادات البريطانية إليها، خاصة بعد أن راسله الكثير من الوطنيين هناك، والرغبة تحدوهم بالدخول في دولة الوحدة، مما شكل ضغطا على أمير الضالع نصر بن شايف، فاضطر إلى الدخول في طاعة الإمام ظاهريا، ليكفي نفسه مؤونة المواجهة، ولإدراكه أن جده الأعلى كان مملوكا لبعض الأئمة الذين أمره على الضالع<sup>(٢٣٧)</sup>، إلا أنه نكث بعهده مع الإمام يحيى، بمجرد وصول الإمدادات البريطانية المتمثلة في التمويل المالي، والذخائر، والأرزاق<sup>(٢٣٨)</sup>.

ولم تتعد الفترة ما بين دخول أمير الضالع نصر بن شايف في طاعة الإمام، وبين ثورته

سوى أقل من شهر واحد، حيث دخل في الطاعة في شهر ديسمبر من عام ١٩١٩م، وفجر ثورته في شهر يناير من عام ١٩٢٠م، بعد وصول الإمدادات البريطانية<sup>(٢٣٩)</sup>. ويفند هذا ما تناولته بعض الأعلام من أن ما دفع نصر بن شايف للخروج على سلطة الإمام، بعد أن دخلها طوعا، هو العسف والمظالم التي ارتكبتها قوات الإمام وممثليه في حقه وحق مواطنيه، ففترة أقل من شهر ليست بالوقت الكافي ليخبر أمير الضالع ولا أهلها بالحكم الإمامي، إضافة إلى أن الإمام يحيى كان قد اختص أمير الضالع وغيره من حكام المحميات التي دخلها برواتب شهرية أعلى مما كان يعطيه الإنكليز، كما أشرت إلى ذلك سابقا، واختصه كذلك بربع العشر من زكاة مقاطعته، مثله مثل زملائه من حكام المناطق الجنوبية، تأليفا لقلوبهم<sup>(٢٤٠)</sup>، إلا أن أمير الضالع كان مبيت الإنية مسبقا للانفصال بإمارته، حسب ما أكدته الوثيقة البريطانية الآتفة الذكر، إلا أنه فشل في مساعيه الانفصالية، بالرغم من أن بريطانيا امتدته بالمساعدات، كما تعهدت له خطيا بذلك، عندما زار عدن قبل دخول قوات الإمام يحيى إلى إمارته<sup>(٢٤١)</sup>.

ولعله من الأهمية بمكان، أن أعيد تسليط الضوء على تعليق جيكوب، المعاون الأول لحاكم عدن، الذي وضع السبب الحقيقي في تذبذب مواقف الكثير من أمراء المحميات، ومنهم أمير الضالع نصر بن شايف، الذي دخل تحت سيادة الإمام ظاهريا بصفة طوعية، ثم نكص على عقبيه خارجا على سلطة الإمام يحيى، وهو يتوسم الدخول تحت سلطة الإنكليز، يقول جيكوب: إن أمراء المحميات قد اعترفوا له بأن السبب في سخطهم على الإمام يحيى، إدراكهم أن الإمام يحيى لن يسمح بإطلاق أيديهم في مقاطعاتهم بدون حسيب أو رقيب<sup>(٢٤٢)</sup>.

ويحلل جيكوب شخصية نصر بن شايف المتقلبة بقوله: إن حالته تشبه حالة من يقول: أينما دارت القارورة درنا، فهو دائما يسبح مع المد، فلقد سبق له أن طلب مساعدة الإنكليز أثناء الحرب العالمية الأولى لصد الأتراك عن التمدد إلى إمارته، وعندما لم يتمكن الإنكليز من مساعدته، أعلن اصطفاه مع الأتراك، وأصدر منشورا بأن معارضة الأتراك بدعة فاسدة وضلال مبين<sup>(٢٤٣)</sup>.

ولن نجد وصفا أدق لتقلبات أمير الضالع نصر بن شايف، مما ذكره القائد التركي

سعيد باشا، الذى كان يعرفه حق المعرفة إبان دخوله إلى لحج فى الحرب العالمية الأولى، حيث وصف تذبذبه بالقول: «بأنه الشخص المعتوه الأحق، أو المتذبذب المتردد، الذى لا يستطيع معرفة أفكاره الخاصة به، أو التمييز بين تصرفاته»<sup>(٢٤٤)</sup>، لذا لم يكن مستغربا من أمير الضالع أن يدخل طواعية تحت سلطة الإمام يحيى، ثم ينكث بعهدة بعد شهر من دخوله فى السيادة الإمامية، بعدما وجد الإنكليز يدفعونه نحو ذلك دفعا. والحقيقة أن الدعم الفورى الإنكليزى لأمير الضالع لم ينبع من فراغ، بل كان وراءه أسباب تتعلق بموقع الضالع الاستراتيجى، لأنها تقع على هضبة ارتفاعها ٥ آلاف قدم فوق مستوى البحر، وتشكل طريقا سريعا للوصول نحو باقى المحميات<sup>(٢٤٥)</sup>.

وبعد أن انتهى الإمام من القضاء على محاولات انفصال أمير الضالع، قام بإرسال قوات أخرى إلى منطقة الشعيب المجاورة للضالع، بهدف إدخالها فى حظيرة الدولة الموحدة، فاستنفر أهالى الشعيب قبائل منطقة يافع، مما تسبب فى حروب دامت ثمانية أيام، تم على أثرها انتصار قوات الإمام، ودخولها إلى منطقة الشعيب<sup>(٢٤٦)</sup>. بعد ذلك أرسل الإمام قواته إلى منطقة الأجعود المجاورة، فلم يجد مشايخها بدا من الدخول فى الطاعة رهبة، واضطروا اضطرارا إلى طرد أمير الضالع نصر بن شايف، الذى كان لاجئا لديهم، يحرضهم على المقاومة، فتحول نصر بن شايف ثانية نحو الإنكليز، طالبا منهم العون والنصرة، فأمدوه بالمال والسلاح، وجمعوا حوله لفيفا من المشايخ، كان من أهمهم الشيخ صالح القطيبي، شيخ منطقة قطيب<sup>(٢٤٧)</sup>، وحاكم المكلا السلطان القعيطى، ومشايخ منطقة يافع، حتى بلغ مجموع هذه القوات المتحالفة الآلاف المؤلفة، فى محاولة منهم لتحرير جميع المناطق التى احتلها الإمام يحيى فى الجنوب، وكان أول ما قامت به هذه القوات المتحالفة، الإغارة على منطقة الأجعود لاسناد أهلها على الخروج من الطاعة الإمامية التى اضطروا إليها اضطرارا، مما شجع أهل المنطقة على الثورة، وقتل جماعة من قوات الإمام يحيى الموجودين فى بلادهم، ومن ثم توجه المتحالفون نحو منطقة الشعيب، وقاموا بمحاصرة عامل الإمام هناك، فى محاولة منهم لإنهاء التواجد الإمامى، إلا أن الإمام يحيى أمد قواته برجال تمكنوا من كسر الحصار، والتحول من الدفاع عن منطقة الشعيب والأجعود إلى الهجوم على القوات المتحالفة، مما شنت شملهم، وأفضل مبتغاهم<sup>(٢٤٨)</sup>.

وعندما فشل المتحالفون في تحرير منطقة الأجدود والشعيب، تمركزوا في الجبال المحيطة في جبل حقلة، وجبل ودنة، وجبل ردفان، فتقدمت قوات الإمام نحو هذه الجبال، لطردهم من هناك، واستمرت المعارك طويلاً، خاصة بعد أن وصلت إمدادات جديدة للمتآمريين من الإنكليز، إلا أنه في نهاية المطاف تمكنت قوات الإمام من اقتحام تلك الجبال، مما أدى إلى فرار الشيخ محمد بن صالح القطيبي وعصبته، ومن ثم استسلامه واقتناعه بعد أن استنفذ كل وسائل المقاومة بالدخول في طاعة الإمام يحيى، بعد مراسلات تمت بينه وبين أمير الجيش الإمامي، لحفظ كرامته، وغيبه في الطاعة<sup>(٢٤٩)</sup>.

وبدخول قوات الإمام إلى بلاد آل قطيب، انفرط عقد التحالف الذي نسجت خيوطه بريطانيا بين الأطراف المتمرتدة في الجنوب، وباءت المحاولات في استرداد المناطق التي قضمتها قوات الإمام يحيى بالفشل، مما شجع الإمام يحيى على المضي قدماً في التمدد نحو مناطق أخرى، فتقدمت قواته نحو بلاد الصبيحة، بالرغم من تدفق الأسلحة والمؤن الإنكليزية للقبائل هناك، لحثهم على المقاومة<sup>(٢٥٠)</sup>. وفي عام ١٩٢٣م دخلت قوات الإمام إلى مدينة البيضاء، واستولت عليها، ثم تقدمت باتجاه منطقة العوذلي، ولم يدخل عام ١٩٢٤م حتى تم الاستيلاء على الجزء الأعلى من تلك المنطقة.

حينها قررت الإدارة البريطانية في عدن أن يكون لقواتها الإنكليزية دور مباشر في مواجهة قوات الإمام يحيى، خلافاً للسياسة السابقة التي اقتضت على دعم القبائل الجنوبية بال سلاح والذخيرة، دون دخول قوات بريطانية إلى ساحة المعركة لصد الزحف الإمامي، فانطلقت طائرتان من عدن، للضغط على قوات الإمام يحيى للانسحاب من إقليم العوذلي<sup>(٢٥١)</sup>، وامتد القصف بالطائرات إلى منطقة الدريجة التي احتلتها قوات الإمام، بهدف منع تمددها إلى سلطنة الحواشب<sup>(٢٥٢)</sup>، إلا أنه على ما يبدو أن القصف البريطاني لم يكن من الكثافة بمكان، لردع الإمام وإرهابه، حيث كانت بريطانيا مازال تؤمل في إرسال وفد إلى الإمام يحيى، للتفاهم حول انسحاب قواته من المناطق التي احتلها بصفة سلمية، إضافة إلى أنه يظهر أن السلطات البريطانية في عدن، لم تكن تملك الكم الوافر من الطائرات لاستخدامها، مما شجع الإمام في الاستمرار بالتقدم، إلى أن احتلت قواته أجزاء من منطقة يافع، دون الدخول إلى العمق الذي كان مقسماً إلى منطقتين يطلق عليهما يافع العليا ويافع السفلى، ولكل منهما حاكمها المستقل تحت سلطة الإنكليز. وبدأ الإمام

يحيى يجرى اتصالاته مع حاكم يافع السفلى، فى محاولة لكسبه إلى صفه، فى الوقت الذى كانت قواته تواصل الدفع باتجاه يافع العليا<sup>(٢٥٣)</sup>، وبالتزامن مع ذلك تمددت قواته إلى أن دخلت نحو منطقة اللود<sup>(٢٥٤)</sup>.

وإزاء هذه الحالة، سارع المندوب السامى ستيوارت بإرسال خطاب استغاثة إلى وزير الدولة لشؤون المستعمرات فى لندن، بتاريخ ٢٩ أبريل عام ١٩٢٥م، يحذر فيه من خطورة الوضع الميدانى، ويبين أن هدف الإمام يحيى الوصول إلى حضرموت ومينائها المكلا والشحر، إضافة إلى تطلعاته للتمدد نحو لحج وأبين، ويحث ستيوارت فى هذا الخطاب السلطات البريطانية على إمداده بستة مليون طلقة ذخيرة، لتوزيعها على أمراء المحميات، إضافة إلى مجموعة من المدافع، ليتمكنوا من مقاومة الزحف الإمامى<sup>(٢٥٥)</sup>.

حينها قررت الحكومة البريطانية أن تقوم بالمحاولة السلمية الأخيرة، لتسوية مسألة الحدود مع الإمام، قبل أن تستخدم القوة المفرطة، فأرسلت وفدا تفاوضيا إلى صنعاء فى عام ١٩٢٦م برئاسة السير جليبيرت كليتون، الذى وصل إلى اليمن بعد عودته من محادثات ناجحة مع ابن سعود حول تحديد الحدود السعودية مع الأردن وسوريا، ولكن مع تعنت الإمام يحيى وإصراره على تبعية المحميات الجنوبية له، فشلت المفاوضات<sup>(٢٥٦)</sup>. ومما زاد الطين بلة، عقد الإمام يحيى معاهدة صداقة مع إيطاليا، وهى الخصم الأول لبريطانيا فى منطقة البحر الأحمر، مما اضطر الحكومة البريطانية إلى تغيير سياستها تغييرا جذريا، بتحويل إدارة المحميات الجنوبية إلى وزارة المستعمرات، وتحويل مهمة الدفاع عن عدن من الجيش البريطانى إلى قوة سلاح الطيران البريطانى<sup>(٢٥٧)</sup>، الذى قرر امتداد القصف بالطائرات إلى كبرى المدن اليمنية، مما شكل علامة فارقة فى تاريخ العرب والمسلمين، لأنه لم يسبق لبريطانيا أن قصفت أى مدن عربية فى دولة مستقلة حتى ذلك التاريخ<sup>(٢٥٨)</sup>.

وفعلا هبط فى عدن قادما من العراق أول سرب من القاذفات البريطانية<sup>(٢٥٩)</sup>، ثم قامت لعدة أيام فى عام ١٩٢٨م ثمانى طائرات بالتحليق فوق المدن اليمنية الرئيسية، وألقت منشورات تحذيرية بقصف قوات الإمام، إن لم تنسحب من الأراضى الجنوبية التى احتلتها، وعندما لم يستجب الإمام للتهديد، قامت الطائرات بسبع وأربعين غارة جوية على كافة المدن اليمنية والحاميات الموجودة فيها، فقصفت مدينة تعز قسفا مكثفا، وقصفت منطقة المفايس، وقعطبة، والضالع، وبريم، وذمار، فاضطر الإمام إلى سحب قواته جزئيا من منطقة العوذلى السفلى، ومن منطقة الصبيحي<sup>(٢٦٠)</sup>.

ومما هو جدير بالذكر، أنه فى الوقت الذى كانت فيه الطائرات البريطانية تقصف مناطق اليمن، فقد تمت محاولة لاغتيال الإمام يحيى، عندما أطلق جماعة من قرية جدر النيران على المقر السكنى للإمام، إلا أنه قبض على الرماة وأودعوا السجن، وقد حملت تلك الحادثة شبهة دور بريطانى خفى، نظرا لتوقيتها المتزامن مع قصف الطائرات البريطانية<sup>(٢٦١)</sup>.

ومع استمرار القصف الجوى، اضطر الإمام يحيى إلى الانسحاب من باقى المناطق التى احتلها، ولم يبق تحت سيادته فى أواخر العشرينيات سوى جزء من منطقة العوادل وبيحان فى الجهات الوسطى والشرقية من الأرياف<sup>(٢٦٢)</sup>، إضافة إلى مدينة البيضاء التى استطاع الإمام الاحتفاظ بها، وضمها إلى بلاده، وشكلت لسانا فى عمق أراضي الجنوب<sup>(٢٦٣)</sup>. وبالرغم من التفوق الحربى الذى أعاد سيطرة الإنكليز على معظم محميات الجنوب، التى كان قد انتزعاها الإمام يحيى منهم، وأدخلها تحت سيادته لما يقارب التسع سنوات منذ ١٩١٩م إلى ١٩٢٨م<sup>(٢٦٤)</sup>، إلا أن الإمام يحيى لم يسلم بالأمر، وظل فى حدود قدراته وإمكانياته يهدد الإنكليز بحروب استنزاف فى وادى بيحان وأراضى الصبيحى<sup>(٢٦٥)</sup>، ويقوم بحملات دعائية وتظاهرات وحشود عسكرية لإرباك الإنكليز، لإيصال رسالة عدم خضوع فى سنة ١٩٣١م احتلت قوات الإمام مجموعة قرى جنوبية محسوبة على أمير بيحان، ثم انسحب منها بعد قيام الإنكليز بطلعات جوية تهديدية فى شمال اليمن فى منطقة رداع والجوية، وفى عام ١٩٣٣م هاجمت قواته منطقة الصبيحة، ووصلت إلى الساحل، ثم انسحبت منها فى عملية كر وفر<sup>(٢٦٦)</sup>. وفى عام ١٩٣٩م احتل الإمام منطقة شبوة، بعد أن أرسل إليها قوة مكونة من خمس مائة مقاتل وسبعمائة جمل مع أسلحة ورشاشات، فأرسلت بريطانيا بدورها طائراتها لقصف قوات الإمام، مما أجبرها على الانسحاب<sup>(٢٦٧)</sup>، وهكذا استمرت الحرب الباردة والتجاذب العسكرى بين الطرفين على الحدود الجنوبية، إلى أن استشهد الإمام يحيى فى عام ١٩٤٨م.

### تحديات لم الشمل فى منطقة القبائل الزيدية فى الهضبة الشمالية:

كثير من القبائل الزيدية التى قاتلت إلى جانب الإمام يحيى وجانب ابيه الإمام المنصور، لم تغفر للإمام يحيى صلحه مع العثمانيين فى سنة ١٩١١م، وشعرت بالامتعاض الشديد بسبب أن الغنائم التى كانت من العوامل المهمة التى تجتذبهم إلى الحرب، قد استنفذت

وضاعت خلال فترة الهدوء السلمى التى تمضى دون غنائم جديدة تروى عطشهم<sup>(٢٦٨)</sup>، إذ كان من طباع هذه القبائل القوية الميل إلى الحروب، بوصفها مصدرا اقتصاديا، لما فيها من غنائم وأسلاب، دافعهم لذلك طبيعتهم الجبلية من ناحية، وفقر مناطقهم من ناحية أخرى. ومما زاد الطين بلة، أن الرواتب التى تعهد الأتراك بدفعها للقبائل، استنادا إلى بنود اتفاقية دعان، انقطعت بعد دخول الدولة العثمانية فى الحرب العالمية الأولى، حيث عجز الأتراك عن القيام بدفع مخصصات الإمام، وجهاز دولته، ورواتب قبائله فى حاشد وبكيل<sup>(٢٦٩)</sup>، ونتيجة لذلك وجد الإمام يحيى نفسه فى موقف حرج أمام الكثير من رجال عصبيته، الذين فقدوا مواردهم المالية، فبدأ بعضهم يطلبون منه مناصب كبيرة فى الدولة، تعويضا عن النقص الذى أصابهم فى الموارد، مثل الشيخ على مطلق، كبير قبيلة همدان، الذى بدأ يمن على الإمام يحيى بحرب الأتراك، وبمساعدة الإمام فى الوصول إلى الحكم<sup>(٢٧٠)</sup>، وبدأ بعضهم الآخر من رجال عصبيته ينسلخون عنه، منضمين إلى الإدريسي، إلى درجة تفكير بعضهم فى مبايعته بالإمامة، طمعا فى عطاياه<sup>(٢٧١)</sup>، وهذا لم يكن ليحدث، لولا أن الإدريسي كان لديه من الإمكانيات المادية، والذهب الذى ظلت تمده به بريطانيا، حتى آخر رمق فى حياته<sup>(٢٧٢)</sup>، ولم يقف الأمر عند ذلك، بل بدأت بعض القبائل فى التمرد على سلطة الإمام فى منطقة حاشد<sup>(٢٧٣)</sup>.

وإضافة إلى العامل الاقتصادى الفاعل الذى دفع شيوخ القبائل للتمرد، فقد كان هناك عامل آخر لا يقل أهمية عن الأول، بل زاد الأمر حدة وتصادما مع الإمام يحيى، وهو سعى الإمام إلى بسط نفوذ الدولة، وفرض سلطتها المركزية، مما يعنى تقليص سلطة المشايخ ونفوذهم، لصالح الدولة، وهذا ما لم يحتملوه<sup>(٢٧٤)</sup>، فمشايخ القبيلة كانوا قد تحولوا عبر قرون من الفراغ السياسى قبل مجيء الإمام يحيى، إلى أصحاب سلطات مطلقة، ومصدر للأحكام الملزمة لأفراد القبيلة التى يتزعمونها، وملجأ رئيس للأفراد والجماعات فى تلك المجتمعات، لتسوية خلافاتهم، وحل منازعاتهم، مما نتج عنه، ليس فقط اضمحلال الدور والوظيفة السياسية للدولة المركزية وأجهزتها المختصة فى تلك المناطق، وإنما الأهم من ذلك، تجزؤ المجتمع إلى مناطق ووحدات قبلية سياسية متعددة، وغير خاضعة لسلطة الدولة المركزية وقوانينها المختلفة<sup>(٢٧٥)</sup>، فكيف يمكن للمشايخ أن يستوعبوا الوضع الجديد، وهم يرون سلطة جديدة تبدأ بفرض نظمها وقوانينها الرسمية<sup>(٢٧٦)</sup> المناقضة لما ألفوه،

والمهددة لسلطاتهم عبر التاريخ، ناهيك عن الإجراءات الجديدة التي بدأ الإمام يحيى يتخذها، ومنها إعادة تنظيم التقسيم الإداري للمناطق القبلية بقصد العمل على دمج القبائل ومناطقهم ضمن دائرة حكومية واحدة. فبعد أن كان الاستقلال والتخندق هو السمة البارزة بين القبائل، خاصة بين الجناحين القبليين الكبيرين حاشد وبكيل أصبحت بعض القبائل والأقسام من قبيلة بكيل مثلا بعد الإجراءات الجديدة داخلية من الناحية الإدارية الحكومية مع بعض القبائل والأقسام من قبيلة حاشد، ضمن مراكز إدارية حكومية واحدة، كانت تعرف باسم الألوية، والقضوات، والنواحي، بهدف تعزيز التلاحم والوحدة الوطنية، بدلا من التريص والترصد الذي كان سائدا بين القبائل.

وإضافة إلى ذلك، فقد حدث الاستياء من تحصين المواطن اليمني من تسلط المشايخ، الذين كما يؤكد أحد رموز النظام الجمهوري في اليمن، وهو محمد عبد الله الفسيل، أن علاقتهم مع قبائلهم كانت قائمة على الإذلال والاستغلال<sup>(٢٧٧)</sup>. وما زاد الطين بلة في نظر المشايخ، عندما بدأ الإمام يعين مسؤولين حكوميين في المراكز الإدارية في الألوية، والقضوات، والنواحي، لممارسة أدوارهم الحكومية في البت في المنازعات والشكاوى، ورد الحقوق إلى أصحابها، التي كان يعجز عنها أو يستعصى البت فيها مشايخ القبائل، مما تسبب في إزعاج المشايخ<sup>(٢٧٨)</sup>، الذين عدوا ذلك تدخلا في شؤونهم، وإدخلا لهم في مشاكل على أموال مع أناس عدوهم لا حق لهم، كما ورد على لسان الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر في مذكراته<sup>(٢٧٩)</sup>.

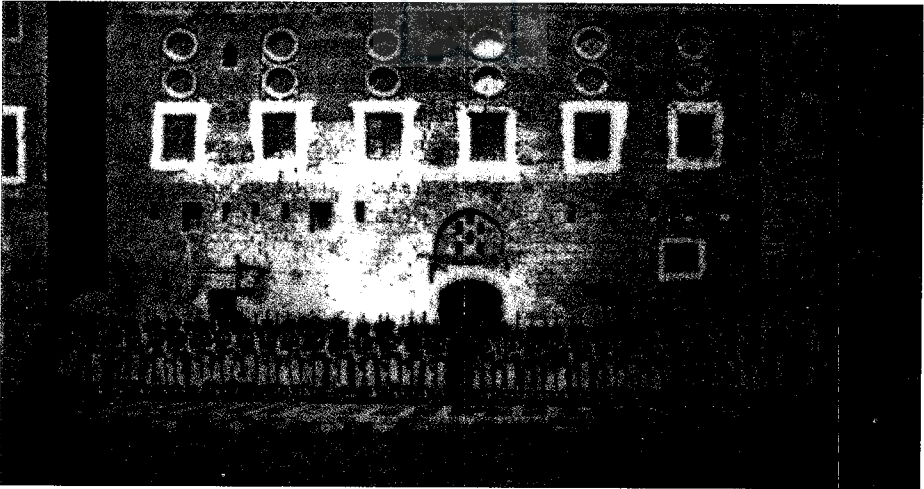
وكان قمة التدخل في الشؤون - حسب رؤية المشايخ - وضع تقليد جديد في تنصيب المشايخ على مشيخاتهم، وهو ضرورة مصادقة الإمام يحيى على منصب الشيخ، لتثبيت شرعيته<sup>(٢٨٠)</sup>، وتجريد المشايخ من حق اختيار العقال في كافة المناطق والنواحي والعزل، كما كانت العادة في المناطق الخاضعة لنفوذهم، حيث أصبحت هذه المهمة مناطة بعامل الإمام في الناحية، والذي بدأ يشجع العقال على تجاوز سلطة المشايخ، بترك الاحتكام إلى الأعراف القبلية السائدة، والرجوع إلى قوانين الدولة<sup>(٢٨١)</sup>.

إضافة إلى ذلك، فقد بدأ المشايخ بالامتناع من سياسة تجنيد أفراد قبيلتهم في جيش الدولة الفتية، حيث أصدر الإمام أوامره إلى عماله بجمع الجنود من شتى القبائل، بعد أن كانت العادة الاقتصار على طلب الأجناد من الشيخ نفسه عند النفير العام، أو الحاجة



إلى ذلك<sup>(٢٨٢)</sup>، وسبب هذا الامتعاظ، شعور المشايخ بانتقال طاعة رعاياهم من أفراد القبيلة إلى الدولة، بعد أن كانوا يدينون لهم وحدهم بالولاء. وفي صدد انتقال الطاعة للدولة على حساب المشايخ، يقول مؤرخ اليمن عبد الله الشماحي: «لقد سلب الإمام يحيى مكانة المشايخ في قبائلهم، فلقد مكنته دراسته لنفسية كل قبيلة، ومعرفته بأفرادها وأحوالهم العامة والخاصة، أن يتصل بالجماهير، ويربطهم به مباشرة، ليس بينه وبينهم صعوبة حجاب، تاركا المشايخ والأعيان بعيدين عن الوساطة بينه وبين الجماهير المرتبطين به ارتباط عقيدة، مرفقة بالمهابة والاحترام<sup>(٢٨٣)</sup>». أما أديب اليمن عبد الله البردوني، فيضيف في هذا الصدد قائلا: «إن الدافع لانخراط الكثير من رجال القبائل في جيش الدولة، كان الفرار من اضطهاد الشيوخ وسادة الأودية<sup>(٢٨٤)</sup>».

وقد اتسعت دائرة سخط المشايخ أكثر على الإمام يحيى، عندما بدأ يعتمد على الضباط الأتراك الذين تخلقوا في اليمن، حيث أحال الإمام أمر تكوين الجيش، وتدريبه، والإشراف عليه، وتوجيهه إلى الضباط الأتراك، في الوقت الذي كان فيه المشايخ يرون فيهم ظلالة للحكم العثماني نفسه، وهم الذين حاربوه وضحوا بالكثير من الرجال لدحره من اليمن<sup>(٢٨٥)</sup>.



صورة تاريخية لأحد الضباط الأتراك عام ١٩١٩م وهو يشرف على تدريب مجندين لتكوين الجيش اليمني

أما عن تحكيم الشريعة الإسلامية، فكانت مصيبة عظمى على مشايخ القبائل، لأنهم كانوا يعتمدون في حل المنازعات والقضايا بين أفرادهم وجماعاتهم على العادات والأعراف القبلية الجاهلية، أكثر من اعتمادهم على الشريعة الإسلامية في حل قضاياهم، خاصة فيما يتعلق بمسائل حساسة، كالميراث، وقضايا القتل، وإنفاذ القصاص، والديات، والجنايات. وبالرغم من فرض الإمام يحيى تطبيق الشريعة الإسلامية، وتطبيقه للإجراءات السياسية والإدارية على الوحدات القبلية، إلا أن جموح القبائل في تبني هذه الأعراف والعادات القبلية، التي تعود بجذورها إلى عهد ما قبل الإسلام، ظل مستمرا لفترة طويلة، لتمسكهم بعاداتهم ونظمهم، بوصفها جزءا من حفاظهم على كياناتهم ومصالحهم<sup>(٢٨٦)</sup>.

وكلما كانت الدولة تخطو نحو الأمام، لفرض سيادة القانون والشريعة المطهرة على حساب العرف القبلي، كانت القبائل تتحرك إلى إفشال مخطط الدولة، يتجلى ذلك واضحا في موضوع توريث النساء، الذي كان من الأسباب الرئيسية لانتفاضات بعض القبائل الزيدية على حكم الإمام يحيى، لإصراره على فرض الشريعة الإسلامية، بإعطاء المرأة حقوقها الشرعية من الميراث، في حين أن المشايخ كانوا يرون في توريث النساء خطرا كبيرا يهدد مصالحهم ومصادرهم الاقتصادية التي يعتمدون عليها في حياتهم المعيشية، لذا كانوا يقصرون التوريث على الأبناء الذكور، خاصة الأراضى، خوفا من انتقالها إلى شخص غريب. خارج لحمتهم القبلية<sup>(٢٨٧)</sup>.

وأستشهد في هذا السياق بما كتبه الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر في مذكراته، حيث يقول: «كان الإمام يحيى يخلق للعصيمات\* قضايا ومشاكل كثيرة، مثل عندكم ميراث لبيت صوفان، أو عندكم ميراث لبيت شويل، وهم أنساب جدى، حتى انتقل الإمام يحيى كوكيل للعمات يطالب لهن بالورث، وما كانت تنتهى مشكلة، إلا وابتدأ بمشكلة أخرى، وآخرها أدخلنا في مشاكل على مال مع ناس لم يكن لهم أى حق<sup>(٢٨٨)</sup>».

ويتضح من مذكرات الشيخ عبد الله الأحمر، التي يتهمك فيها على الإمام يحيى، من أنه قد نصب نفسه وكيلا لعماته، إن مسائل الشرع، بما فيها من قضايا الإرث وحقوق الناس، كانت من الأمور الأساسية التي حرص الإمام على إحقاقها لأصحابها، وعدم التفريط بها، أو المجاملة بشأنها، فالإمام يحيى لم يكن ممن يأخذ في الحق هواده، ولو أدى ذلك إلى خسارة بعض أنصاره، أو عداوة بعضهم من مشايخ القبائل المهمين.

\* العصيمات: من العاقل الرئيسية لمشائخ آل الأحمر التي توجد فيها حصونهم في منطقة حاشد.

إضافة إلى ذلك، فقد كان هناك موضوع لا يقل أهمية عن توريث النساء، وهو موضوع الديات، حيث كانت العادة المتوارثة بين المشايخ، التسلط على الرعايا بالمبالغة في تقدير الديات<sup>(٢٨٩)</sup>، كل حسب مكانته وقوة قبيلته، فالشيخ القوى ومن هو محسوب عليه، كانت ديته مضاعفة، مقارنة بباقي المواطنين، بل إن الشيخ كان عندما يقف أمام القضاء القبلي مع أحد مواطنيه، كان يحكم له بأربعة أضعاف ما يحكم به للفرد العادي، تحت العرف القبلي المسمى بالمربع، وأحيانا يحكم له بأحد عشر ضعف ما يحكم به للفرد العادي<sup>(٢٩٠)</sup>. ذلك هو العرف القبلي الذي كان سائدا في اليمن، وسعى الإمام يحيى إلى إسقاطه، والاستعاضة عنه بالشريعة الإسلامية، مما تسبب في معاداة الكثير من الأنصار والمشايخ، الذين لم يهتموا أن يروا أنفسهم على قدر المساواة مع غيرهم من المواطنين في تنفيذ أحكام الشرع<sup>(٢٩١)</sup>.

ويحضرني في هذا السياق، التحدث عن ثورة الشيخ محمد بن علي ردمان، وهو من كبار مشايخ أرحب، الذين ناصروا الإمام يحيى، وأبلوا بلاء حسنا في القتال إلى جانبه ضد الأتراك، كيف أنه انقلب على الإمام يحيى مغاضبا، لدرجة أنه أشعل ثورة على الدولة، بسبب عدم استجابة الإمام يحيى لطلبه في مضاعفة دية أحد أفراد قبيلته، الذي قتل على يد رجل من قبيلة بنى نويرة، التي يعدها الشيخ محمد ردمان أقل شأنا من قبيلة أرحب، فما كان من هذا الشيخ إلا أن قام بمكاتبة قبائل حاشد وبكيل، مستنجدا بهم، ومستصرخا همهم لنصرته في غزو قبيلة الجاني، وتثبيت حكم الطاغوت في مضاعفة دية المشايخ<sup>(٢٩٢)</sup>. مما سبق، نستطيع أن نصنف الانتفاضات المسلحة التي شهدتها اليمن خلال العشرينيات في منطقة القبائل الزيدية، بأنها كانت مجرد تمردات قبلية يقوم بها مشايخ شبه أميين، أساءتهم التحولات التي بدأت تضعف شوكتهم، وتقوض نفوذهم وأدوارهم في المجتمع، فبدأوا في الانتفاض، للضغط على الحكومة، للتخفيف من غلوها في تطبيق الشريعة، والنظام، والقانون الذي بدأ يغير الدلالة الاجتماعية لمصطلح شيخ القبيلة، وينصف المظلومين.

ونفهم من ذلك أيضا، أن هدف هذه القبائل الثائرة، لم يكن الخروج على مرجعية الإمام الدينية، أو سلطته الزمنية، أو الانقلاب على النظام الاجتماعي والسياسي القائم، أو الوصول إلى نقطة اللارجعة، ولكنها كانت ترفض التقيد بعري الطاعة الكاملة، والالتزام

بالجانب الإدارى والسياسى للدولة الفتية، بعكس هدف الانتفاضات فى منطقة القبائل الشافعية، التى لم تكن تعترف أصلا بسلطة الإمام يحيى، ولا مرجعيته الدينية، بل كانت تتآمر تآمرا منظما من أجل غاية أوسع، تهدف إلى الخروج من سلطة الإمام، إلى سلطة الإنكليز، عندما تسنح الفرصة.

ولعله من المهم، الإشارة إلى أن ما سوف أسوقه من تحديات واجهها الإمام يحيى لدى القبائل الزيدية، لا يغطى كل المواجهات التى خاضها الإمام فى تلك المناطق، بقدر ما يغطى أخطر المواجهات التى كان من شأنها تهديد جدى لكيونة الدولة واستقرارها، أما ما عداها من أحداث، فلم تكن بالنسبة للإمام يحيى بأكثر من زوبعة فئجان، أو مخالفة لمجموعة رفضت الالتزام ببعض الواجبات، أو امتنعت عن الالتزام بقوانين الدولة، فسهل على الإمام تقويم إوجاجها فى وقت قياسى، لذا لم أر أنه من الأهمية بمكان أن أتوسع فى ذكرك الأحدث التى حصلت، مثلما حدث من قبائل بنى بخيت، وأشرار الحدا من عدوان<sup>(٢٩٣)</sup>، أو ما حدث من عدوان شنه أهل عزلة همدان من بلاد المحويت<sup>(٢٩٤)</sup>، أو غيرها من الزوابع البسيطة، التى لا تستحق أن نرفعها إلى مستوى قضية.

وعموما نستطيع أن نجمل أهم التحديات التى واجهها الإمام يحيى فى معقله فى منطقة القبائل الزيدية فى الهضبة الشمالية فى الآتى:

#### ١- تحديات منافسيه من السادة الهاشميين المتطلعين للرئاسة والحكم:

يجدر بنا هنا أن نتأمل ما أورده هارولد جيكوب، المعاون الأول للمندوب السامى البريطانى فى عدن فى كتابه (ملوك شبه الجزيرة العربية)، لندرك حجم المؤامرات التى كانت تحاك ضد الإمام يحيى من أبناء عمومته المتطلعين للرئاسة والحكم، بدعم من الإدريسى، فى محاولة منهم لإزاحته، وتنصيب إمام آخر مكانه، يكون أكثر انقيادا لمصالحهم. يذكر جيكوب أسماء مجموعة من المرشحين الذين كانوا يهيئون للحلول محل الإمام يحيى، وهم محمد بن محسن صاحب حوث، ومحمد بن المتوكل صاحب السودة، ويحيى بن محمد الهادى. ويخبرنا جيكوب فى كتابه، كيف أن موضوع هؤلاء المرشحين بدأ يناقش فى عدن لدى الدوائر البريطانية مع بعض مشايخ الهضبة الشمالية، اللذين أرسلهم الإدريسى إلى هناك، فى محاولة منه لإقناع الإنكليز بدعم هؤلاء المرشحين ضد الإمام يحيى<sup>(٢٩٥)</sup>.

وإضافة إلى ما ذكره جيكوب في كتابه، يجدر بنا أن نتأمل أيضا الرسالة الإخبارية التي بعثها المندوب السامي البريطاني في عدن، لقرينه الحاكم البريطاني في القاهرة، بتاريخ ٢١ مايو من عام ١٩١٩م، والتي ذكر فيها زيارة أحد السادة، الملقب بالكبسي إلى السلطات البريطانية في عدن، وفي يده مجموعة رسائل من رؤساء الجماعات الزيدية والشافعية، تؤكد على أن معظم سكان اليمن الأسفل، وقبائل حاشد، وبكيل يؤيدون دعوة أحد أبناء عمومة الإمام يحيى، المسمى بمحمد بن محسن بن المتوكل، لتولى الإمامة<sup>(٢٩٦)</sup>، وهذا ما يفسر الإجراءات الاحترازية التي اتخذها الإمام يحيى في حق بعض أبناء عمومته الهاشميين، مثل سيف الإسلام محمد بن الهادي أبو نيب وغيره، اللذين أمر بئقائهم قيد الإقامة الجبرية في بيوتهم، سدا لباب الذرائع، في ظل هذه الظروف التآمرية الخطيرة. وبالرغم من هذه الاتصالات المكثفة والمحاولات الحثيثة من قبل المذكورين آنفا، لإقناع الإنكليز بدعم هؤلاء المرشحين، للحلول مكان الإمام يحيى، إلا أن السلطات البريطانية أثرت في بداية الأمر التحفظ من اتخاذ أى موقف يعزز من جانب أى طرف ضد الآخر، لأنها كانت ماتزال ترقب الأحداث، وتستكشف نوايا الإمام يحيى، محاولة كسبه إلى جانبها<sup>(٢٩٧)</sup>. ولم تبيت بريطانيا النية في دعم خصوم الإمام يحيى، ومحاولة إسقاطه من الحكم، إلا في شهر مارس ١٩٢٠م، عندما وجه حاكم عدن خطابا إلى زميله الحاكم البريطاني في مصر، يشكو فيه من تصلب الإمام يحيى في المفاوضات، ويوصى بضرورة إسقاطه، وإحلال آخر مكانه، آخر يكون أكثر انقيادا لبريطانيا<sup>(٢٩٨)</sup>. ومنذ تلك اللحظة، حصل إنقلاب في أسلوب التعامل البريطاني مع الإمام يحيى، فبدأت السلطات البريطانية في عدن تتبع سياسة، عمادها الدعم لأى كان من طلاب السلطة أو مثيرى الفتنة ومروجيها. وفي سياق منافسى الإمام يحيى من أبناء عمومته، السادة المتطلعين للرئاسة والحكم، يجدر بنا أن نسجل أربع مواجهات حدثت، تعد الأهم في تاريخ حكم الإمام يحيى، وهي كالتالى:

#### • مواجهة حركة الحسن بن يحيى الضحيانى:

كان الحسن بن يحيى الضحيانى من العلماء المجتهدين، الذين لا ينكر لهم فضل فى الفقه والعلوم الدينية، وكان قد سبق له فى عهد الإمام المنصور، والد الإمام يحيى، أن تبنى حركة معارضة، وجمع حوله عصابة من مشايخ خولان ورازح، فى محاولة

لرفع رأسه للإمامة، إلا أنه تراجع عن ذلك، ولم يمسه الإمام المنصور بسوء<sup>(٢٩٩)</sup>. وعندما تولى الإمام يحيى بعد وفاة أبيه عام ١٩٠٤م، رفع الضحيانى لواء المعارضة من جديد، بدعوى أن الإمام يحيى لم يبلغ الأربعين بعد، ولا يجوز له أن يكون إماما بعد أبيه، لأن فى ذلك شبهة الوراثة فى الحكم، والتي لا يقرها المذهب الزيدى<sup>(٣٠٠)</sup>، وأنه يعد نفسه أولى بالإمامة من الإمام يحيى، فأجابته بعض القبائل لنصرة تطلعاته، مثل بعض قبائل خولان، والجهوز، وبلاد رازح، وضحيان، وصعدة، وساقين، وبدأت الفتنة تسعر شررها، والمعارك تدور بين الطرفين فى منطقة صعدة وساقين ورازح، مما تسبب فى تصدع الجبهة الإمامية، فى الوقت الذى كان الإمام يحيى مايزال فى حالة حرب مع الأتراك، الذين يتربصون الساعة للانقضاض على اليمن بأسره<sup>(٣٠١)</sup>.

واستمرت الفتنة والحروب بين الطرفين، إلى أن تمكن الإمام يحيى فى عام ١٩٠٨م من محاصرة قوات الحسن الضحيانى فى منطقة جغرافية محددة فى صعدة ونواحيها، مما حد من حركته، ومنع اتصال القبائل به، الأمر الذى أثر بدوره سلبا على إمداداته من المؤن والسلاح. وقد استمر حصار الإمام يحيى له قرابة السنتين، إلى أن بدأ أنصاره بالتضجر، فما وجد الضحيانى مخرجا من حالة الحصار المضروبة عليه، سوى محاولة الاتصال بالكارمة الباطنية فى نجران، وبالغزاة العثمانيين، طالبا من كل منهما المساعدات، مقابل وعده أنه سيقاتل خصمهم الإمام يحيى، وهذه كانت الغلطة الكبرى التى ارتكبها الضحيانى فى حق نفسه، وأدت بمعظم أنصاره إلى الانفضاض من حوله<sup>(٣٠٢)</sup>.

وقد اهتبل الإمام يحيى هذه الفرصة، وجهز جيشا لملاقاة الضحيانى، بقيادة سيف الإسلام محمد بن الهادى، المعروف بأبى نيب، ولم يبق للضحيانى من مخرج سوى الاستسلام مع حفظ ماء الوجه، فترك له سيف الإسلام محمد بن الهادى مخرجا لينجو بنفسه، إلا أنه قبض على معظم قادته وأودعهم السجن، وبذلك تم القضاء على فتنة الضحيانى، التى استمرت قرابة ستة سنوات، وسمح الإمام يحيى لحسن الضحيانى بالاستقرار فى إحدى الهجر بوادى قراضة، وبقى هناك منصرفا إلى العلم والتدريس إلى أن توفى<sup>(٣٠٣)</sup>.

#### • مواجهة حركة يحيى بن ناصر شيبان:

كان يحيى بن ناصر شيبان قد تولى إمارة حجة لأكثر من عشرين عاما، وقد أوكل إليه الإمام يحيى تحصيل الواجبات، وجباية الأموال المستحقة لبيت المال فى منطقة حجة

وقضائها، ومنطقة كحلان وقضاء كوكبان، وحصل أن استدعاه الإمام إلى مقره في صنعاء سنة ١٩٢١م لمحاسبته، بعد أن أظهر تلكو في الحساب الذى أوكل إليه تحصيله لإحدى السنوات، وعندما تشدد الإمام عليه فى الحساب، وهو فى صنعاء ادعى يحيى شيبان عدم وجود دفاتر المحاسبة لديه، مما يلزمه الذهاب إلى معقله فى حجة لإحضارها، الأمر الذى رفضه الإمام يحيى، وأصر على أن يبقى سجيناً تحت نظره، حتى تحضر الدفاتر، وتنجز المحاسبة.

وعندما بلغ خبر سجن يحيى شيبان إلى أخيه محسن شيبان، الذى كان قد استناب عن عمل أخيه فى حجة، قام بإعلان العصيان، والخروج المسلح على طاعة الإمام يحيى فى منطقة حجة، وزادت خطورة ثورته أنه استنجد بعصبة من رجال قبيلة حاشد، الذين استجابوا لنصرتهم، بعد أن مكثهم من مدينة حجة وحصن نعمان، وزاد محسن شيبان على ذلك بأن أعلن ولاءه للإدريسى فى تهامة، مما يعطى الإدريسى الذريعة للنفوذ إلى معقل الإمام يحيى فى المنطقة الوسطى، وهنا سير الإمام حملة كبيرة على حجة، تولى قيادتها ابنه سيف الإسلام أحمد، الذى تمكن من القضاء على هذه الفتنة، بعد أن خاض حرباً شرسة مع مشايخ حاشد فى منطقة حجة، لإجلائهم عنها، وإعادة كل الأموال والأسلحة والذخائر التى كانت فى يد محسن بن ناصر شيبان إلى حوزة الدولة<sup>(٣٠٤)</sup>. وقد حاول الشيخ ناصر بن ناصر الأحمر الاستعانة بالإنكليز، ليخفف الضغط على نفسه من قوات سيف الإسلام أحمد، إلا أن بريطانيا لم يكن لديها الرغبة فى تلك الفترة الظهور عياناً بياناً فى صورة المناصر للمتمردين على سلطة الإمام يحيى، فوجهت الشيخ ناصر الأحمر للاتصال بالإدريسى، الذى صدرت إليه التعليمات البريطانية بإعانة ابن الأحمر بالأموال والذخائر<sup>(٣٠٥)</sup>.

#### • مواجهة حركة محمد بن على الوزير:

كانت أسرة آل الوزير من الأسر الهاشمية العريقة المشهود لها بالتفرغ للعلم والتأليف، والبعد عن الولاية، إلا أن الإمام يحيى دفع بفردين من رجال هذه الأسرة إلى الواجهة الإمامية، برفعهم إلى أعلى مراتب الولاية السياسية وأروقة السلطة، وهم عبد الله بن أحمد الوزير، وابن عمه على بن عبد الله الوزير. فبعد أن كانوا يعيشون فى الظل كعلماء فى المساجد، وليس لهم شأن يذكر فى عالم المال والسياسة، وجدناهم بعد أن

ولاهم الإمام يحيى إمارتى تعز والحديدة، يقتنصون الفرصة ليتحولوا خلافا لما كان عليه حال الإمام يحيى، وحالهم من الزهد والتواضع، إلى طبقة من الارستقراطيين العاشقين للأضواء والأبهة، واللاهثين وراء جمع الثروات<sup>(٣٠٦)</sup>، يتجسد ذلك واضحا فى مقارنات أمين الريحانى بين الإمام يحيى وآل الوزير فى كتابه (ملوك العرب)، عندما قال عند مقابلته على عبد الله الوزير، واصفا أبهته وكأنها تشبه أحد ملوك اليمن فى الزمن الغابر<sup>(٣٠٧)</sup>، فى حين أن الريحانى وصف حال الإمام يحيى فى كتابه عند مقابلته أياه قائلا: «لم أشاهد فى طريقنا إليه، لا فى الرواق، ولا فى الدرج، ولا عند الباب شيئا من تلك الأبهة العسكرية المصنوعة التى شاهدناها فى ماوية وذمار». ويقصد بماوية وذمار المدينتين اللتين تولى إمارتهما آل الوزير فى بداية عهد الإمام يحيى<sup>(٣٠٨)</sup>.

ويمكن للقارئ أن يعود إلى ما أشار إليه نجل على عبد الله الوزير، فى رسالته التى بعث بها إلى المعارض الحكيمى من باكستان، بعد لجوئه إليها، وفيها يتحسر على العز الذى تحول إلى فاقة، بعد فشل مؤامرة الانقلاب الذى نسجته أسرته فى عام ١٩٤٨م بقوله: «أين القصور، والدور، والسرائر الناعمة<sup>(٣٠٩)</sup>؟ وأين بعثرت الأموال يميننا وشمالا بدون حساب؟<sup>(٣١٠)</sup> فبعد أن كان أبوه على عبد الله الوزير أميرا على لواء تعز لمدة عشرين عاما، وعمه أميرا على لواء الحديدة لمدة عشرين عاما أيضا، ونتيجة لما تمتعوا به من ثروة وجاه فى ظل الإمام يحيى، اشربت أعناق أفراد آخرين من أسرة الوزير لطلب المزيد، ومنهم محمد بن على الوزير، الذى تعلقت نفسه بالإمارة إلى حد الهوس، وهو يسعى بتهافت ملحوظ لنيل ولاية رفيعة الشأن شبيهة بولاية أبناء عمومته، عبد الله الوزير فى الحديدة، وعلى الوزير فى تعز، إلا أن الإمام يحيى أبدى انزعاجه من تهافته الملحوظ، فصد مظامحه السياسية ناصحا إياه بالتفرغ للعلم، بدلا من اللهاث وراء سراب لن يتحقق، فما كان من محمد الوزير بعد هذا الموقف الذى خابت فيه مساعيه، إلا أن قام بجمع الرجال من حوله فى عام ١٩٢٢م، وبدأ فى تحريض المواطنين على الدولة، وبث الرسائل والمنشورات إلى كافة الجهات باسم الدين، معترضا على سيرة الإمام يحيى، تحت شعار الاحتساب<sup>(٣١١)</sup>». وبلغ به الهوس أن بدأ يدعو إلى نفسه بالإمامة فى منطقة بنى حشيش<sup>(٣١٢)</sup>، وفى مخيلته أن دعوته إلى نفسه بالإمامة، ورفع عصا الاحتساب فى وجه الإمام يحيى، هو السلاح الضاغظ الذى سوف يدفع الإمام يحيى للاستجابة لمطالبه فى ولاية كبيرة تليق بمقامه،



الذى لا يقل فى نظره عن مقام أبناء عمومته فى تعز والحديدة، وليت أن الأمر اقتصر على الاحتساب، بل وصل إلى درجة أن بدأ يتبادل إطلاق النار مع القوات الحكومية التى سعت إلى اعتقاله.

كان تمرد محمد الوزير تحت يافطة اعتراضات رفعها فى وجه الإمام يحيى، ومنها عدم تقريب الإمام أو توليته، أو استشارته لأحد من أهل الفضل، وأن الإمام يحيى ولى بدلا منهم ظلمة وقرب إليه أناسا ليس بأهل للفضل ولا صلاح، وعزل من لا يستحق العزل، وأن الإمام لم يعترض على عزف المزيكا فى الجيش، وغيرها من الأمور التى لا تستحق أن ترفع إلى مستوى قضية. والحقيقة أن أهمية معارضة محمد بن على الوزير، لا تكمن فى الرسائل والمنشورات التى بثها، ولا فى حركته من حيث اتساعها من عدمه، فقد تم احتواء تمرده بأقل ضرر، حيث ألقى القبض عليه وعلى أصحابه، وأودعوا السجن، وإنما يتجلى خطر تمرده فى أنها المرة الأولى التى تطرح فيها مسألة الاحتساب فى هذه المرحلة المبكرة من عهد الإمام يحيى، حيث أرست سابقة خطيرة تتعلق بالمساس بأمن الدولة وهيبته، والظعن فى شرعية مؤسسها، إضافة إلى المتاجرة بالدين، بإطلاق الفتاوى كيفما كان، وحث آخرين من غير أهل الاختصاص ليحذو حذو ابن الوزير، مثل محمد بن محمد زبارة، الذى نصب نفسه أيضا محتسبا وطالب بتأليف هيئة من كبار العلماء، لتنظر فى موضوع الاحتساب على الإمام يحيى<sup>(٣١٣)</sup>.

وهذا الأمر مما لا يمكن قبوله عقلا؛ لأن الاحتساب له أصوله وضوابطه، وليس بتلك الطريقة الحربية الاستفزازية الغوغائية، التى سوف تفتح بابا لتأسيس شريعة الهوى، والفوضى، والابتزاز، والافتئات لولى الأمر باسم الدين، فكان لا بد للإمام يحيى من أن يتصدى لمثل هؤلاء بالحزم، خاصة أن الإمام يحيى كان واثقا من شرعيته وتقواه، الذى لا يرقى إليه شك، ولأن التراجع أمام قضية كهذه، سوف يعنى تعبيد الطريق لكل طامح سياسى أو حامل لإحن ثأرية، بأن يرفع رأسه بإصدار الفتاوى الجاهزة لحجب الثقة عن رأس الدولة، وتحريض الدهماء، مما يحول مصطلح الاحتساب إلى لعبة بيد المغرضين، إضافة إلى أن التاريخ لم يحدثنا عن موقف جريء كهذا، واجهه أحد من الحكام العرب على يد أحد مواطنيه فى طول العالم العربى وعرضه، إلا أن الإمام يحيى كان الوحيد الذى كسر القاعدة بتسامحه ولبينه مع خصومه، الذين أمنوا عسف العقوبة الرادعة بحقهم، الأمر

الذى شجعهم وجرالكثيرين غيرهم إلى التمادي، فها هى أسرة الوزير بعد قرابة ثلاث عقود من هذه الحادثة، تقوم بمؤامرة اغتيال للإمام يحيى عام ١٩٤٨م، وها هو محمد بن على الوزير الذى احتسب على الإمام يحيى فى العشرينيات، يشترك فى مؤامرة عام ١٩٤٨م بقيادة الحملات العسكرية بين القبائل لصالح أسرته<sup>(٣١٤)</sup>.

### • التجاذبات الخلافية مع بعض رجال عصبية من القيادات الهاشمية:

وفى سياق التحديات التى واجهها الإمام يحيى مع أبناء عمومته الهاشميين، لا يفوتنا ذكر بعض الخلافات التى نشأت بين الإمام يحيى وبعض رجاله من الهاشميين، الذين كانوا يشكلون قيادات عسكرية وروحية فى الحرب الشعبية ضد الأتراك، إلا أن تلك الخلافات لم تصل فى سقفاها إلى حد المنايذة أو حرق الجسور، كما ادعى خصوم الإمام يحيى، الذين اتهموه بتذويب هذه القيادات ومجازاتهم بجزاء سنمار، وهم من قاتلوا وكافحوا معه، وكان لهم سبق الفضل فى وصول الإمام يحيى إلى منصب الإمامة، مثل سيف الإسلام محمد بن الهادى أبو نيب، وسيف الإسلام أحمد بن قاسم حميد الدين، ومحمد بن الإمام المحسن، وأحمد بن يحيى عامر، وغيرهم من المقادمة الكبار.

والواقع أنه حتى لو جارينا خصوم الإمام على سبيل الجدل، وقلنا بأن الإمام يحيى سعى إلى تذويب رجال عصبية، فإن ذلك يعد أمرا دنيويا، وليس فيه عيب خلقى، ولا انتهاك للشرع، بل هو عمل اجتهادى تقتضيه أحوال السياسة وانتظام الرئاسة فى عقد الدولة، وفيه غلق لأسباب الفرقة والتنازع. فالدولة انتقلت إلى مرحلة جديدة، بعد التخلص من الغزاة العثمانيين، ولن تستقر بوجود مراكز قوى متصارعة تسعى للتغلب والصدارة، بما تحمله من شعور بالفضل والمنة والأسبقية، حيث بدأ بعض هؤلاء الرجال يمتنون على الإمام يحيى بحرب الأتراك، ووصوله إلى الحكم بفضلهم، ويطلبون مقابل ذلك ولايات يحكمونها، ومناصب كبيرة، إزاء ذلك أدرك الإمام يحيى أنه لن يتمكن من بناء دولة حديثة إلا بدماء جديدة، وأعمدة خبراء أكفاء فى إدارة شؤون الدولة. أما المقاتلون من رجال عصبية، فقد كانوا لا يملكون الكفاءة فى المجال السياسى، أو الإدارى، أو المالى، فقدراتهم لم تكن تتعدى الفقه، والعلوم الدينية، والقدرات القتالية، والزخم عند النفيى العام، ومكانهم الطبيعى كان المساجد، ومنابر الوعظ، وحلقات التدريس، وساحات القتال وليس اروقة السلطة.

ومن ناحية أخرى، كان الإمام يحيى يدرك أن هؤلاء لن ينسجموا فى سلوكياتهم مع الواقع الجديد، حيث إنهم قد تعودوا قبل تأسيس الدولة على الجلوس على الحصر، يسيرون شؤون الناس بطريقة تقليدية، ويصدرون الأحكام القضائية، ويقيمون الحدود، ويفصلون فى المنازعات بأنفسهم دون الرجوع أو الاحتكام إلى سلطة عليا فى دولة مركزية، ناهيك عن أن ذهنياتهم وأفهامهم التقليدية المنغلقة، كانت تصر على التقيد الحرفى بالأساليب الإسلامية الأولى، وترفض استيعاب أطروحات العصر، بما فيه من تغيير وتطوير؛ بما شكل عبئا على الإمام يحيى على المستوى الدولى، إلى درجة أنهم عندما شعروا أنه بدأ يمارس مسؤولياته باتباع سلوك جديد غير مقيد بنموذجهم الذى يريدون فرضه، اتهموه بأنه قد تحول إلى ملك يعاهد الكفار، ويدخل النصارى إلى أرض اليمن، بل بلغ عدم استجابتهم لاستيعاب روح العصر إلى درجة أن اعتبروا على استخدام الإمام يحيى للآلات الحديثة، ومنعوه من ركوب السيارة التى أهديت إليه فى العشرينيات من إيطاليا<sup>(٣١٥)</sup>، مما كان يحتم الكف لأيديهم، وإلا فإن اليمن كانت ستظل حبيسة فى القرون الوسطى.

ولذلك لم يكن غريبا أن نجد الإمام يحيى وقد بدأ فى الاعتماد على غيرهم من الكفاءات الحديثة، التى اكتسبت خبرة إدارية فى المجال المالى والإدارى والسياسى، والتى لها قبول فى استيعاب المتغيرات، ومواكبة شروط التحديث. وبالرغم من اعتماد الإمام يحيى على الوجوه الجديدة، بعد دخوله إلى صنعاء، وانسحاب الأتراك منها، إلا أنه لم يكسر اعتبار رفاق سلاحه، ولا رجال عصبته، ولم يقصيه عن الحياة العامة، كما ادعى خصوم الإمام يحيى، كل ما فى الأمر أنه حيدهم وحجمهم سياسيا، دون المساس بكرامتهم، أو الاضطرار إلى منازلتهم، وهم من جهتهم اكتفوا بالمعارضة السلبية، واعتزال الحياة السياسية<sup>(٣١٦)</sup>، مع عدم اللجوء إلى العصيان، ولا إلى العنف المسلح، مما يدل على أن الأمور لم تصل بينهم إلى حد المنابذة، بل إن أكثرهم فضل التفرغ للدراسة والتدريس، مثل سيف الإسلام أبو نيب، الذى ذهب إلى منطقة الأهنوم لهذا الغرض<sup>(٣١٧)</sup>، ومثل أحمد بن قاسم حميد الدين، ومحمد بن الإمام المحسن، وأحمد بن يحيى بن عامر، الذين فضلوا النزوح إلى الهجر الريفية، لمزاولة نشاطاتهم من خلال حلقات الدرس والتدريس<sup>(٣١٨)</sup>. والسرفى ذلك السكون، لا يمكن أن يفسره المحللون إلا كنتيجة لعدم تعدى الإمام يحيى على مقاماتهم وكبريائهم، ولحرصه

على احترامهم وتقديرهم، وعدم التفريط بمراتبهم لدى الخاصة والعامّة، بالإضافة إلى مراعاة خصوصياتهم الثقافية المحافظة، وعدم استفزازهم بفتح أبواب اليمن على مصراعيه للتحديث طفرة واحدة، وبما يصاحب ذلك من دخول الآلاف من الغربيين الأجانب، الذين كان ينظر إليهم على أنهم كفار أجنبي.

وإذا سلمنا أن سبب سكونهم واعتزالهم المشهد السياسي، تعرض الإمام يحيى لهم بالسوء والاضطهاد والإرهاب، كما ادعى خصوم الإمام يحيى، فهل كانوا من الضعف وقلة الحيلة والشأن أن يقبلوا بالمهانة، على فرضية أنهم أهينوا وهم رجال أشداء، ذوى عصبية دينية ومقاتلين، لا يقع لهم بالشنان؟ وهل من المنطق ألا ينتفضوا، ثأرا لكرامتهم، كما انتفض غيرهم من شيوخ القبائل، لولا أن الإمام تمكن بحكمته من احتوائهم؟ أعتقد أن الجواب واضح لكل ذى عقل.

وعموما فهذه حالة كلاسيكية تعبر عن بشرية الإمام يحيى، ومن السنن التي تتكرر فصولها وأدوارها مع كل زعيم فى التاريخ الإنسانى. والإمام يحيى لم يكن فعله استثناء عما فعله غيره من المؤسسين مع رفاق سلاحهم عند انتقال الدولة من طور إلى طور، فإذا قلبنا صفحات التاريخ، لوجدنا كيف تم تنحية خالد بن الوليد من قبل عمر بن الخطاب، وكيف تم تنحية أبى مسلم الخرسانى من قبل أبى جعفر المنصور. وفى تاريخنا المعاصر رأينا كيف حصل الفراق بين الملك عبد العزيز ورفاق سلاحه من الإخوان بعد تأسيس المملكة العربية السعودية، ورأينا ماذا حصل بين ابن بلة وهوارى بو مدين عند استقلال الجزائر عن فرنسا، وما حصل بين جمال عبدالناصر ومحمد نجيب بعد ثورة يوليو ٥٢ فى مصر، وهكذا دواليك.

## ٢- المواجهة مع مشايخ منطقة حاشد:

كان لقبيلة حاشد دورها الفاعل فى حرب التحرير ضد الحكم العثمانى ودحره من اليمن، بل أدى أفرادها دورا بارزا فى مناصرة الأئمة عبر التاريخ فى اليمن، بما فيهم الإمام يحيى نفسه<sup>(٣١٩)</sup>، لذلك حرص الإمام يحيى فى بداية عهده على غض الطرف عن بعض تجاوزات مشايخ قبيلة حاشد، ريثما يتمكن من تشديد قبضته على السلطة<sup>(٣٢٠)</sup>، إلا أنه مع تعاظم القوة العسكرية للدولة، بدأ يشعر الشيخ ناصر بن مبخوت الأحمر، شيخ مشايخ

حاشد بانحسار نفوذه وسلطته لصالح الدولة المركزية، التي يسعى الإمام لتثبيت أركانها، فكان بداية التصادم بينه وبين الإمام يحيى، عندما طلب منه الإمام تسليم الأسلحة التركية الثقيلة التي غنمتها قبيلته من الأتراك خلال حروب التحرير<sup>(٣٢١)</sup>.

إضافة إلى ذلك، لا ننسى ما كان لقبيلة حاشد من مشاعر سلبية تجاه صلح الإمام يحيى مع الأتراك، بسبب إغلاق أبواب الرزق التي كانت تدرمن غنائم الحرب، حيث عد الشيخ ناصر بن مبخوت الأحمر ومشايخ حاشد هذه الاتفاقية بمثابة طعنة ونكث بالعهد أو النهج الذي كانوا يناصرون الإمام على أساسه، إلا أنه بالرغم من التوتر في العلاقة بين الإمام يحيى والشيخ ناصر بن مبخوت الأحمر، فقد ظل الإمام يحيى يجامله ويحترمه، متجنباً استفزازه بمطالب الخضوع الكامل لاستحقاقات سلطة الدولة المركزية<sup>(٣٢٢)</sup>، لسابقته الجهادية المناصرة في محاربة الأتراك، إلا أنه بعد وفاته، ومع ازدياد التضارب في المصالح، وإصرار الإمام يحيى على تطبيق الشرع، ومحاربة الأعراف القبلية المنافية للدين، ومساواة المشايخ والمواطنين في الحقوق والواجبات، لم يحتمل مشايخ حاشد الجدد الخضوع لسلطة الدولة وأحكامها، خاصة أنهم يعدون أنفسهم مجرد أنصار للإمام يحيى، يخضعون له روحياً فقط، ويلبون ندائه للقتال، ولكنهم ليس رعية تابعون لدولة مركزية، أو خاضعون لحكم الإمام عسكرياً، مستشهداً في هذا السياق بما كتبه الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر في مذكراته، حيث يقول: «توفي جدى الشيخ ناصر بن مبخوت الأحمر، وحاشد على ما كانوا عليه أنصاراً لا رعايا، وهذا هو الفرق، فالولاء للإمام موجود، ولكن هناك فرق بأن يكونوا أنصاراً أو رعية»<sup>(٣٢٣)</sup>.

ويضيف الشيخ الأحمر قائلاً: «بعد وفاة جدى عام ١٩٢١م، بدأ الإمام يحيى يرسل جيوشه على حاشد، وأول ما بدأه هو تقليص نفوذ أبناء ناصر بن مبخوت في قضاء حجة، في المناطق التي كان لهم فيها نفوذ، والتي كانت مصدر إمكانياتهم وتموينهم، فقد كان كثير من أسواق مناطق قضاء حجة ملكهم، وكانت بعض هذه المناطق تدفع الزكاة إليهم، إضافة إلى امتلاكهم لحصون كان فيها مجاميع من عساكر الوالد وأعمامي، والذي كان أكبرهم عمى ناصر بن ناصر»<sup>(٣٢٤)</sup>.

وهذا الكلام للشيخ عبد الله الأحمر، يدل على أن الدولة بمفهومها الحديث كان مرفوضاً لدى أسلافه. فمركزية الدولة شيء جديد ليس له أى اعتبار في نفوسهم، بل كان الاعتبار فقط لمؤسستهم القبلية، التي يعدونها المرجع الحقيقي لهم، لأنها أقدم من الدولة

فى نظرهم، لذلك لم يقبلوا بالاستحقاقات الجديدة التى فرضتها الدولة على المواطنين، ومنها واجبات الزكاة على أملاكهم فى حجة، لأن العادة جرت قبل أن يتولى الإمام يحيى السلطة، أن تجبى الزكاة لهم من المواطنين، وليس أن يدفعوا هم الزكاة للدولة<sup>(٣٢٥)</sup>.

ومع تعيين سيف الإسلام أحمد بن الإمام يحيى أميراً على لواء حجة، التى يعدها آل الأحمر معقلاً ومنطقة نفوذ حصرى لهم، ازداد الاحتكاك والتجاذب بين الطرفين فى مواقع متعددة، مثل سوق أمان، ومنطقة نجرة، وفى قلعة سنجر فى منطقة بنى موهب، خاصة مع تسلم الشيخ ناصر بن ناصر الأحمر رئاسة القبيلة، وهو المعروف بحدة الطبع، خلافاً لشخصية أبيه الهادئة، إلا أن المواجهة أخذت بعداً آخر، عندما دخل الشيخ ناصر بن ناصر فى حلف مع السيد محسن شيبان، الخارج على سلطة الإمام، كما أشرت إلى ذلك سابقاً، وقام الاثنان باحتلال قاهرة حجة، وهى من أهم مراكز الولاية الحكومية فى منطقة حجة، مستغلين غياب سيف الإسلام أحمد، الذى كان فى صنعاء، مما حدا بسيف الإسلام أحمد للعودة من صنعاء إلى حجة على رأس جيش، وقد اضطر الشيخ ناصر وابن شيبان على أثره للانسحاب من قاهرة حجة، والتوجه إلى منطقة العصيمات، وهى الحصن الحصين لآل الأحمر، بقصد الاستعداد والتمون للمواجهة التى لا مفر منها، وماهى إلا فترة محدودة حتى عاود ابن الأحمر محاولته لاحتلال مدينة حجة<sup>(٣٢٦)</sup>. ولم يكتف ابن الأحمر بذلك، بل بدأ بإقامة اتصالات سرية مع الإنكليز والإيريسى، لمساعدته بالمال، والعدة الحربية، والذخائر للخروج على سلطة الإمام<sup>(٣٢٧)</sup>.

ونتيجة لهذه الاتصالات بين الشيخ ناصر بن ناصر والإنكليز، لم يعد هناك مجال للمهادنة بين الطرفين. وكانت القشة التى قصمت ظهر البعير، وحرقت الجسور تماماً، مقتل عامل الإمام فى حصن نيسا، القاضى حمود حسن على يد الشيخ ناصر الأحمر. ورجاله، فقام الإمام يحيى بتجريد حملة عسكرية للقضاء على تمرد ابن الأحمر نهائياً<sup>(٣٢٨)</sup>، وإدخاله وقبائله إلى بيت الطاعة، فخرج جيش كبير بقيادة سيف الإسلام أحمد إلى منطقة بنى صريم وخارف والعصيمات، وهى المعقل الرئيس لآل الأحمر، ودارت المعارك هناك، وتم إرسال جيوش أخرى بقيادة عبد الله الضمين وعبد الله الوزير، إلى أن سقطت مدينة خمر، وهى عاصمة قبيلة حاشد<sup>(٣٢٩)</sup>، وبذلك سهل للإمام يحيى السيطرة على بقية قبائل حاشد، مما اضطر الشيخ ناصر بن ناصر الأحمر للهروب إلى الحجاز، والاستقرار فى مكة، إلى أن توفاه الله فيها<sup>(٣٣٠)</sup>.

### ٣- مواجهة الفتن بين قبائل حاشد وبكيل:

لحاشد وبكيل مكانتهما الخاصة في تاريخ اليمن، فهما جناحا الإمامة اللذان اعتمد عليهما الأئمة، وبواسطتهما تمكنت دولة الأئمة من التغلب على كل منافسيها من الدول المختلفة، كدولة بني زياد، ودولة بني رسول، ودولة بني نجاح، والدولة الصليحية، وغيرها من الدول التي تزامنت مع قيام دولة الأئمة، إلا أن العلاقات المتوترة بين هذين الجناحين القبليين بسبب التنافس والصراع، كان من أهم أسباب الاضطراب في البلاد عبر التاريخ، حيث غدا هذا الصراع مضرًا للأمثال في اليمن.

وفى عهد الإمام يحيى ظلت علاقات الصراع بينهما باهتة، وفي حالة كمون، نتيجة سياسة الإمام يحيى في تأليف القلوب، وكبح جماح التصادم، إلا أن الإمام يحيى لم يتمكن من القضاء على الصراعات بينهما تماما، فقام بمزج القبيلتين عن طريق التقسيم الإداري بأن ألحق الكثير من أفخاذ الطرفين وبطونهما وأراضيهما بقضوات وألوية مختلفة، تحت إدارة واحدة<sup>(٣٣١)</sup>. وبالرغم من هذه الجهود، فقد ثارت نار الفتنة بين قبائل بكيل وحاشد في عام ١٩٢٢م، بسبب نزاعات حول الحدود، مما أدى إلى معارك وقتلى بين الجانبين، شكلت خطرا على أمن الدولة، خاصة مع وجود متربصين بها، كالإنكليز في الجنوب، والأدارسة في تهامة، وغيرهم ممن كان يهتمهم انشقاق الجبهة الداخلية، التي كان يعتمد عليها الإمام يحيى ذخرا لفتوحاته المستقبلية<sup>(٣٣٢)</sup>.

كان أول ابتداء للفتنة بين حاشد وبكيل مناوشات بين قبائل عيال سريح، التابعة لقبيلة بكيل وبين قبائل حاشد، ثم دعا كل فريق سائر البطون من القبيلتين، ولما بلغ ذلك الإمام يحيى، أرسل الرسل والنصائح إليهم، ونهاهم بالحسنى عن سفك الدماء، مراعيًا لهم حق الإيواء والمنصرة في زمن الأتراك، إلا أنهم لم يستجيبوا، وتمادوا في الدعوة للتحشد، والاستنجد بالقبائل الأخرى، واستفحل الشر بينهما، وقتل من الطرفين جماعات كثيرة، فما كان من الإمام إلا أن توجه إلى ديار الفريقيين، لحسم هذا الداء، فخرج بنفسه من صنعاء ومعه رجال دولته، وجماعات من أهل الحل والعقد من علماء، ووجهاء، ومشايخ، مثل سيف الإسلام محمد بن أحمد بن قاسم حميد الدين، والسيد يحيى بن محمد بن المتوكل، والسيد على بن حسين الشامي، والسيد محمد بن محمد زيارة، والسيد القاسم بن حسين أبو طالب، والسيد أحمد بن يحيى الكبسى، والقاضى حسين بن أحمد مطهر، والقاضى أحمد بن محمد الآنسى، ولبت الإمام يحيى مع رجال دولته بين ظهرانى القبائل أياما،

وهناك شدد عليهم الصرامة بإنذارهم إن لم يضعوا السلاح، وينقادوا للسلم والصلح، فلسوف يشن عليهم الحرب، فانقادوا لأوامر الإمام بعد جهد جهيد، وتم إطفاء الفتنة التي كانت تهدد كيان الدولة بعقد الصلح بين الطرفين<sup>(٣٣٣)</sup>.

والحقيقة التي لا يمكن إغفالها، هي ندرة الموارد الاقتصادية التي كان من شأنها احترام القبائل للغزو والنهب، لتوفير أسباب العيش، مما نتج عنه انتشار ظاهرة القتل بين القبائل، والتي أورثت مطالب قبلية بالثأر. ويصف المؤرخ محمد شرف الدين في مؤلفه (البرق المتألق) حالة الخوف بين القبائل بقوله: «لا يأمن أحد منهم أن يبيت في سربه إلا ويندقيته مشحونة، وقد وضع عليها رأسه، لا يخرج من بيته إلا وهو لنفسه في حراسة، لأن بعضهم قتل الآخرين ظلما، والآخريريد الأخذ منه أو من أصحابه، وقد لا تحصل بدم عن قناعة، بل يأخذون بالواحد جماعة، فالقبائل كانت ما بين قاتل ومقتول<sup>(٣٣٤)</sup>».

### تحديات لم الشمل في مناطق القبائل الشرقية:

عاشت معظم قبائل المناطق الشرقية من اليمن حياة بدوية مستقلة عن نفوذ وسلطة الدولة المركزية، فالمشرق - بوجه عام - المحاذي لصحراء الربع الخالي، لم تطأه أقدام الاحتلال العثماني، ولا حكم دولة الأئمة لعدة قرون، حيث عاشت القبائل هناك حياة تتسم بالحرية المطلقة، يسوسون أمورهم وفق أعراف قبلية في إطار تحالفات عشائرية تخضع معظمها لتحالف قبائل مذحج. وقد كان التحدى الأكبر للإمام يحيى في تلك المناطق، يتمثل في تطويع قبيلتي مراد وعبيدة، وهما الأكثر شراسة ورفضاً للدخول تحت سلطة الإمام يحيى، حيث كان يتزعمهما الشيخ علي بن معيلي رأس قبيلة عبيدة، والشيخ علي ناصر القردعي رأس قبيلة مراد<sup>(٣٣٥)</sup>.

وقد عاشت هاتان القبيلتان حياة البدو الرحل بناحية مأرب ومنطقة حريب إلى عهد قريب<sup>(٣٣٦)</sup>، وكعادة الإمام في محاولة استقطاب المشايخ حاول احتواء مشايخ تلك المنطقة، بتثبيتهم حكاما على مناطقهم، فعين الشيخ علي بن معيلي على رأس قبيلته عبيدة، ممثلا للإمام في منطقته، وعين الشيخ علي ناصر القردعي على رأس قبيلته مراد، ممثلا للإمام على منطقته في حريب والجوبة، كما أن الإمام قد غض الطرف عن شرط القردعي الذي وضعه للدخول في الطاعة، وهو عدم نزول الجيش الإمامي إلى منطقته؛ نتيجة لذلك استمر القردعي حاكما لمنطقتة لمدة أربع سنوات في ظل دولة الإمام، إلا أن سلوكياته التي كانت



تنبئ عن تمرد ورفض مبطن للخضوع لسلطة الدولة، هي التي أشعلت الموقف بينه وبين الإمام يحيى، حيث كان القردعى يرفض الالتزام بالأوامر الصادرة إليه من مركز الدولة، ويشن الحروب على بعض القبائل المجاورة في المحميات الجنوبية وقت ما يشاء، دون مشورة الإمام، ولكأنه يعيش في إقطاعية مستقلة بيدها قرار الحرب والسلم، ويتصرف بالأموال المحصلة من ولايته على هواه، متجاوزا بذلك التعليمات، ورقابة المسؤول المالى الذى عينه الإمام يحيى فى منطقة حريب والجوبة، إضافة إلى رفضه مرارا المثل بين يدي الإمام، عندما يستدعيه إلى مقر الحكم فى صنعاء، مما أدى بالإمام إلى عزله من منصبه، ومن ثم إيداعه السجن، وتعيين حاكم جديد ليحل محله فى تلك المناطق، إلا أن قبيلة القردعى رفضت الانصياع للحاكم الجديد، وقامت بقتله هو ومجموعة إلى جانبه من موظفى الدولة فى تلك المناطق، بإشارة من الشيخ القردعى المسجون لدى الإمام يحيى<sup>(٣٣٧)</sup>، فما كان من الإمام يحيى إلا أن أرسل جيشا بقيادة الشريف عبد الله الضمين عام ١٩٢٩م، لمواجهة قبائل مراد، للقضاء على حركة التمرد فى منطقة الجوبة وحريب<sup>(٣٣٨)</sup>. وعلى مدى عامين شهدت تلك المناطق الشرقية حرب عصابات مسلحة غير منظمة، هاجمت فيها القبائل موظفى الدولة والحاميات العسكرية الإمامية فى وضح النهار، إلى أن تمكن الإمام من اعتقال رؤوس التمرد، وسوقهم إلى السجن<sup>(٣٣٩)</sup>. بعد ذلك وجه الإمام أنظاره نحو مدينة مأرب عام ١٩٣١م، فأرسل تعزيزات عسكرية إلى هناك، تمكنت من القضاء تماما على ما تبقى من تمرد لقبائل عبيدة ومراد<sup>(٣٤٠)</sup>.

وكانت خاتمة حروب الإمام يحيى فى المناطق الشرقية، حين توجهت الجيوش الإمامية نحو منطقة حرف سفيان فى عام ١٩٣٣م، وذلك لإرغام قبائل دهم للدخول تحت راية الوحدة، بعد أن أعلنت تمردها، وبعد معارك عنيفة استولت قوات الإمام يحيى على جبل برط الاستراتيجى، مما شتت قوات المتمردين، وأجبرهم على الاستسلام. وبانتهاى هذه الحرب، بسطت الدولة سلطاتها على كل مناطق المشرق، وتحققت الوحدة اليمنية فى شمال اليمن<sup>(٣٤١)</sup>.

مما سبق، يتضح مدى الصعوبات التى واجهها الإمام يحيى فى جهاده للم شتات القبائل اليمنية تحت راية واحدة، ومدى العنت الذى عاناه من هذه القبائل خلال ثلاثين

عاما، ناهيك عن محاربتة لرؤوس الفتن الطائفية، والقوى الانفصالية الاقطاعية، التي كانت تهدف إلى تشظى البلاد، إلى أن تمكن أخيرا من القضاء عليهم جميعا. وبالرغم من هذا الإنجاز التاريخي العظيم، إلا أن الشريحة نفسها من خصوم الإمام يحيى الذين دأبوا على التأويل السلبي لكل المنجزات في عهد الامام يحيى، لم يجدوا بدا من القول من أن بنيان الوحدة اليمنية الذى تحقق فى شمال اليمن على يد الإمام يحيى، ما تم إلا بفعل مصادفات سعيدة، ولم يكتف هؤلاء المتشنعين بهذا التهريج، بل لغيظهم، فإنهم خلعوا صفة المقاومة الوطنية على الانتفاضات والمؤامرات التى نسجها الانفصاليين والطائفيين ورؤوس الفتن، بهدف تفتيت وحدة اليمن، ولا أدرى ما هى المقاييس التى اعتمد عليها هؤلاء الموترين فى أقوالهم، وما الوجه لتقليلهم من شأن الوحدة اليمنية التى تحققت على يد الإمام يحيى فى شمال اليمن، الا المكابرة والرغبة الجامحة فى تجريد الإمام يحيى من أى انجاز تاريخى كان.



## المراجع

- ١ - (اليمن الإنسان والحضارة، عبد الله الشماحي، طبعة عام ١٩٧٢م، ص ١٧٠).
- ٢ - (البنية القبلية في اليمن، الدكتور فضل على أبي غانم، الطبعة الثانية، ص ٧).
- ٣ - (المصدر نفسه، ص ٤٣).
- ٤ - (المصدر نفسه، ص ١١٠).
- ٥ - (التاريخ العسكري لليمن، سلطان ناجي، غير مذكور رقم الطبعة أو تاريخها، ص ٨٣).
- ٦ - (زورق الحلوى، حمود بن محمد الدولة، الطبعة الأولى، ص ١٥٩).
- ٧ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤١٠).
- ٨ - (زورق الحلوى، مرجع سابق، ص ١٠٤).
- ٩ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٦٩١).
- ١٠ - (المصدر نفسه، ص ٦٩٨).
- ١١ - (المصدر نفسه، ص ٤٣٤).
- ١٢ - (المصدر نفسه، ص ٥٥٥).
- ١٣ - (من أول قصيدة إلى آخر طليقة، عبد الله البردوني، الطبعة الثالثة، ص ٢٤٩).
- ١٤ - (حياة الأمير علي بن عبد الله الوزير، احمد بن محمد الوزير - الطبعة الأولى، ص ١٧٣).
- ١٥ - (ملوك شبه الجزيرة العربية، هارولد جي كوب - تعريب احمد المضواحي - طبعة عام ١٩٨٣م، ص ٢٦٣).
- ١٦ - (حياة الأمير علي بن عبد الله الوزير، مرجع سابق، احمد بن محمد الوزير - ص ١٢٧).
- ١٧ - (المصدر نفسه، ص ١١٩).
- ١٨ - (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، الدكتور عبد العزيز قائد المسعودي، الطبعة الأولى، ص ١٤٤).
- ١٩ - (ملوك شبه الجزيرة العربية، هارولد جي كوب - مرجع سابق، ص ٢٧٤).
- ٢٠ - (سيرة الإمام يحيى حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، تحقيق: الدكتور محمد صالحية، الطبعة الأولى، المجلد الأول، ص ٢٣٩).

- ٢١ - (المصدر نفسه، ص ٢٧٦).
- ٢٢ - (سيرة الإمام يحيى حميد الدين، عبد الكريم بن احمد مطهر، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ١٦٧).
- ٢٣ - (المصدر نفسه، ص ١٦٩).
- ٢٤ - (الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني، قائد الشرجبي، الطبعة الأولى، ص ١٨٢).
- ٢٥ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤٥٩).
- ٢٦ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٧٠٠).
- ٢٧ - (الرحلة اليمنية، عبد العزيز الثعالبي، الطبعة الأولى، ص ١٥٨ - ١٥٩).
- ٢٨ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤١٠).
- ٢٩ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤٤٦).
- ٣٠ - (المصدر نفسه، ص ٤٥١).
- ٣١ - (المصدر نفسه، ص ٤٧٢).
- ٣٢ - (المصدر نفسه، ص ٤٤٦).
- ٣٣ - (المصدر نفسه، ص ٤٥٧).
- ٣٤ - (المصدر نفسه، ص ٤٥٨).
- ٣٥ - (المصدر نفسه، ص ٤٤٢).
- ٣٦ - (المصدر نفسه، ص ٤١١).
- ٣٧ - (تكوين اليمن الحديث، دكتور سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص ٢٢٨).
- ٣٨ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤٦٨).
- ٣٩ - (المصدر نفسه، ص ٤٧٠).
- ٤٠ - (المصدر نفسه، ص ٤٢٩).
- ٤١ - (تكوين اليمن الحديث، مرجع سابق، دكتور سيد مصطفى سالم، ص ٢٢٨).
- ٤٢ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤١٠).
- ٤٣ - (حياة الأمير علي بن عبد الله الوزير، احمد بن محمد الوزير، مرجع سابق، ص ١٢٦).
- ٤٤ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤٠٤).

- ٤٥ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤٣٨).
- ٤٦ - (المصدر نفسه، ص ٤٣٢).
- ٤٧ - (ملوك شبه الجزيرة العربية، هارولد جيكوب، مرجع سابق، ص ١٨٧).
- ٤٨ - (المصدر نفسه، ص ٤٠٦).
- ٤٩ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٦٢).
- ٥٠ - (المصدر نفسه، ص ١٥٩).
- ٥١ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤١٣).
- ٥٢ - (المصدر نفسه، ص ٤٤٤).
- ٥٣ - (المصدر نفسه، ص ٤٣٣).
- ٥٤ - (المصدر نفسه، ص ٥٤٥).
- ٥٥ - (ملوك شبه الجزيرة العربية، مرجع سابق، هارولد جيكوب، ص ١٨٤ - ١٨٥).
- ٥٦ - (ملوك العرب، أمين الريحاني، غير مذكور رقم الطبعة أو تاريخها، ص ٢٦٧).
- ٥٧ - (ملوك شبه الجزيرة العربية، مرجع سابق، هارولد جيكوب، ص ٣٠٤).
- ٥٨ - (الرحلة اليمنية، عبد العزيز الثعالبي، الطبعة الأولى، ص ٥٩).
- ٥٩ - (تكوين اليمن الحديث، دكتور سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص ١٦٢).
- ٦٠ - (المصدر نفسه، ص ١٦٢).
- ٦١ - (المنار واليمن، الدكتور حسين بن عبد الله العمري، الطبعة الأولى، ص ٩١).
- ٦٢ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٣٠١).
- ٦٣ - (ثورة اليمن الدستورية، تأليف ضباط من رؤساء خلايا القيادة العسكرية لثورة ٤٨، الطبعة الثانية، ص ٢٥).
- ٦٤ - (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، الدكتور عبد العزيز قائد المسعودي، الطبعة الأولى، ص ٤٠).
- ٦٥ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ١٢٥).
- ٦٦ - (الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني، قائد الشرجبي، الطبعة الأولى، ص ١٨٢).
- ٦٧ - (حياة الأمير علي بن عبد الله الوزير، مرجع سابق، احمد بن محمد الوزير - ص ٤٠٠).

- ٦٨ - (اليمن الجمهورى، عبد الله البردونى، ص ٢٢٩، الطبعة الأولى).
- ٦٩ - (وثائق يمنية، سيد مصطفى سالم، ص ٤٢٨، طبعة عام ١٩٨٢م).
- ٧٠ - (التاريخ العسكرى لليمن، سلطان ناجى - مرجع سابق، ص ٩٢).
- ٧١ - (البنية القبيلية فى اليمن، مرجع سابق، الدكتور فضل ابو غانم - ص ١٣٩).
- ٧٢ - (رحلة فى بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، الجزء الأول، ص ٦٤، غير مذكور رقم الطبعة أو تاريخها).
- ٧٣ - (اليمن من الباب الخلفى، هانز هولفريتز، تعريب: خيرى حماد، ص ١٥٢، طبعة عام ١٩٨٥م).
- ٧٤ - (رحلة فى بلاد العربية السعيدة، مرجع سابق، نزيه مؤيد العظم - ص ١٢٧).
- ٧٥ - (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، مرجع سابق، دكتور عبد العزيز قائد المسعودى - ص ١٢٨).
- ٧٦ - (مذكرات الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر، ص ٥١، الطبعة الأولى).
- ٧٧ - (اليمن حقائق ووثائق عشتها، الشيخ سنان أبى لحوم، ص ٣٩، الطبعة الثالثة).
- ٧٨ - (فنون الأدب الشعبى فى اليمن، عبد الله البردونى، غير مذكور رقم الطبعة أو غيرها، ص ٥٦٣).
- ٧٩ - (اليمن الجمهورى، عبد الله البردونى، الطبعة الأولى، ص ٢٦٥).
- ٨٠ - (اليمن من الباب الخلفى، مرجع سابق، هانز هولفريتز، ص ١٥١ - ١٥٢).
- ٨١ - (اليمن: الأئمة والحكام والثورات، هارولد أنجرامز، ترجمة: نجيب باوزير، الطبعة الأولى، ص ١٠).
- ٨٢ - (المصدر نفسه، ص ٣١).
- ٨٣ - (ملوك العرب، مرجع سابق، امين الريحانى - ص ١٤٣).
- ٨٤ - (تاريخ البعثة العسكرية العراقية إلى اليمن، العميد الركن سيف الدين آل يحيى، ط الأولى، الجزء الأول، ص ٩١).
- ٨٥ - (اليمن الإنسان والحضارة، عبد الله بن عبد الوهاب الشماحى، طبعة عام ١٩٧٢م، ص ١٦٧).
- ٨٦ - (البنية القبيلية فى اليمن، مرجع سابق، الدكتور فضل ابو غانم - ص ١١٥).

- ٨٧ - (المصدر نفسه، ص ١٣٨).
- ٨٨ - (المجاهد الشهيد محمد محمود الزييري، عبد الرحمن طيب بعكر الحضرمي، الطبعة الأولى، ص ٢٧٦ - ٢٧٧).
- ٨٩ - (اليمن الجمهوري، مرجع سابق، عبد الله البردوني، ص ٥١٣).
- ٩٠ - (المصدر نفسه، ص ٥٠).
- ٩١ - (الصحافة اليمنية، الدكتور محمد عبد الملك المتوكل، طبعة عام ١٩٨٣م، ص ٢٤٨).
- ٩٢ - (تاريخ البعثة العسكرية العراقية إلى اليمن، مرجع سابق، الجزء الأول ص ٩١ - ٩٢).
- ٩٣ - (مجلة اليمن الجديد، العدد الرابع، أكتوبر - نوفمبر ١٩٨١م، ص ٣٧).
- ٩٤ - (الشيخ الشهيد علي ناصر القردي، أحمد شبيرين القردي، طبعة عام ١٩٩٣م، ص ٥٢).
- ٩٥ - (اليمن في عيون البعثة العراقية، مرجع سابق، سيف الدين سعيد آل يحيى، ص ٣٠٧).
- ٩٦ - (حياة الأمير علي بن عبد الله الوزير، مرجع سابق، ص ٢٠٦).
- ٩٧ - (التاريخ العسكري لليمن، مرجع سابق، سلطان ناجي، ص ١٢٣).
- ٩٨ - (الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني، مرجع سابق، قائد الشرجبي، ص ٢١٨ - ٢١٩).
- ٩٩ - (الشعر المعاصر في اليمن، عبد العزيز المقالح، الطبعة الثانية، ص ٣٦).
- ١٠٠ - (مملكة الإمام يحيى، سلفاتور أبونتى، تعريب: طه فوزى، الطبعة الأولى ص ٢٤).
- ١٠١ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ٣٩٦).
- ١٠٢ - (تكوين اليمن الحديث، مرجع سابق، سيد مصطفى سالم، ص ٢٦٨).
- ١٠٣ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤١١).
- ١٠٤ - (المصدر نفسه، ص ٤٣٧).
- ١٠٥ - (المصدر نفسه، ص ٦٣٠).
- ١٠٦ - (المصدر نفسه، ص ٦٣٠).
- ١٠٧ - (تكوين اليمن الحديث، مرجع سابق، سيد مصطفى سالم، ص ٢٦٩ - ٢٧١).
- ١٠٨ - (المصدر نفسه، ص ٢٧٥).

- ١٠٩ - (ملوك شبه الجزيرة العربية، مرجع سابق، هارولد جيكوب، ص ٢٢٩).
- ١١٠ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤٨٨).
- ١١١ - (الوثائق البريطانية، المجلد الخامس، ص ٦١٧).
- ١١٢ - (اليمن عبر التاريخ، أحمد حسين شرف الدين، الطبعة الثالثة، ص ٢٧٧).
- ١١٣ - (تكوين اليمن الحديث، د. سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٨٨).
- ١١٤ - (الوثائق البريطانية، المجلد الخامس، ص ٦١٦).
- ١١٥ - (تكوين اليمن الحديث، د. سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ١٨٠).
- ١١٦ - (المصدر نفسه، ص ٢٥٥).
- ١١٧ - (المصدر نفسه، ص ١٨١).
- ١١٨ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٦٧٤).
- ١١٩ - (المصدر نفسه، ص ٢٧٤).
- ١٢٠ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٣٠٠ - ٣٠١).
- ١٢١ - (المصدر نفسه، ص ٤٨٣).
- ١٢٢ - (تكوين اليمن الحديث، مرجع سابق، سيد مصطفى سالم، ص ٢٢٣ - ٢٢٤).
- ١٢٣ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤١١).
- ١٢٤ - (تكوين اليمن الحديث، مرجع سابق، سيد مصطفى سالم، ص ٢٢٦).
- ١٢٥ - (المصدر نفسه، ص ٢٣٢).
- ١٢٦ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٦٤٢).
- ١٢٧ - (المصدر نفسه، ص ٦٥٨).
- ١٢٨ - (المصدر نفسه، ص ٦٤٦).
- ١٢٩ - (المصدر نفسه، ص ٤٦٤).
- ١٣٠ - (المصدر نفسه، ص ٤١١).
- ١٣١ - (المصدر نفسه، ص ٤٣٧).
- ١٣٢ - (المصدر نفسه، ص ١٠٧).
- ١٣٣ - (المصدر نفسه، ص ١١٠).
- ١٣٤ - (المصدر نفسه، ص ٤٦٩).



- ١٣٥ - (المصدر نفسه، ص ٤٨٣).
- ١٣٦ - (المصدر نفسه، ص ٤٣٧).
- ١٣٧ - (المصدر نفسه، ص ٤٦٨).
- ١٣٨ - (سيرة الإمام يحيى حميد الدين، عبد الكريم بن احمد مطهر، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٢٧٠).
- ١٣٩ - (المصدر نفسه، المجلد الثاني، ص ١٧٠).
- ١٤٠ - (المصدر نفسه، المجلد الأول، ص ٢٧٣).
- ١٤١ - (المصدر نفسه، ص ٢٧٤).
- ١٤٢ - (المصدر نفسه، المجلد الثاني، ص ١١٩).
- ١٤٣ - (المصدر نفسه، ص ١٢٩).
- ١٤٤ - (المصدر نفسه، ص ١٤٠ - ١٤١).
- ١٤٥ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤٨٢).
- ١٤٦ - (تكوين اليمن الحديث، مرجع سابق، الدكتور سيد مصطفى سالم، ص ٢٧٨ - ٢٨٠).
- ١٤٧ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ١٨٣ - ١٨٥).
- ١٤٨ - (تاريخ العلاقات السعودية اليمنية، الدكتورة فتوح عبد المحسن الخترش، الطبعة الأولى، ص ٨٥).
- ١٤٩ - (تكوين اليمن الحديث، مرجع سابق، الدكتور سيد مصطفى سالم، ص ٢٨٢).
- ١٥٠ - (المصدر نفسه، ص ٢٦٨).
- ١٥١ - (اليمن المعاصر من القبيلة الى الدولة، مرجع سابق، الدكتور عبد العزيز قائد المسعودي، ص ١٤٣).
- ١٥٢ - (تاريخ اليمن، عبد الواسع بن يحيى الواسعي، الطبعة الثانية، ص ٧٣).
- ١٥٣ - (تاريخ اليمن المعاصر، تأليف مجموعة من المؤلفين السوفيات، ترجمة محمد على البحر، ص ٣٥، طبعة عام ١٩٩١م).
- ١٥٤ - (تاريخ اليمن للواسعي، مرجع سابق - ص ٣٤١).
- ١٥٥ - (المصدر نفسه، ص ٧٢).
- ١٥٦ - (تاريخ اليمن المعاصر، مرجع سابق، تأليف مجموعة من المؤلفين السوفيات، ص ٣٥).

- ١٥٧ - (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، مرجع سابق، الدكتور عبد العزيز قائد المسعودي، ص ١٤٣).
- ١٥٨ - (المصدر نفسه، ص ١٤٤).
- ١٥٩ - (المقتطف من تاريخ اليمن، عبد الله بن عبد الكريم الجرافي، الطبعة الثانية، ص ٣١١).
- ١٦٠ - (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، مرجع سابق، الدكتور عبد العزيز قائد المسعودي، ص ١٤٦ - ١٤٧).
- ١٦١ - (تاريخ اليمن للواسعي، مرجع سابق، ص ٧٢).
- ١٦٢ - (سيرة الإمام يحيى حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، مرجع سابق، المجلد الثاني - ص ٩٩ - ١٠٠).
- ١٦٣ - (المصدر نفسه، ص ٧٣ - ٧٥).
- ١٦٤ - (المصدر نفسه، المجلد الأول، ص ٢٧٢).
- ١٦٥ - (زورق الحلوى، مرجع سابق، حمود بن محمد الدولة - ص ٢٤١ - ٢٤٥).
- ١٦٦ - (حياة الأمير علي بن عبد الله الوزير، مرجع سابق، احمد بن محمد الوزير - ص ١١٩).
- ١٦٧ - (المصدر نفسه، ص ١٢٥).
- ١٦٨ - (المصدر نفسه - ص ١٣٣ - ١٣٤).
- ١٦٩ - (تاريخ اليمن للواسعي، مرجع سابق، ص ٧٤ - ٧٧).
- ١٧٠ - (ملوك شبه الجزيرة العربية، مرجع سابق، هارولد جي كوب، ص ٢٠٧).
- ١٧١ - (حياة الأمير علي بن عبد الله الوزير، مرجع سابق، احمد بن محمد الوزير - ص ٢٧٧).
- ١٧٢ - (سيرة الامام يحيى حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٤٣٧ - ٤٣٨).
- ١٧٣ - (حياة الأمير علي بن عبد الله الوزير، مرجع سابق، أحمد بن محمد الوزير - ص ٢٧٧).
- ١٧٤ - (تاريخ اليمن للواسعي، مرجع سابق، ص ٦٤).
- ١٧٥ - (زورق الحلوى، مرجع سابق، حمود بن محمد الدولة - ص ١٣٤ - ١٣٥).
- ١٧٦ - (المصدر نفسه - ص ١٠٢).

- ١٧٧ - (حياة الأمير على بن عبد الله الوزير، مرجع سابق، احمد بن محمد الوزير، ص ٨٧ - ٨٩).
- ١٧٨ - (سيرة الامام يحيى حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٢٧٨).
- ١٧٩ - (زورق الحلوى، مرجع سابق، حمود بن محمد الدولة - ص ١٣٧).
- ١٨٠ - (حياة الأمير على بن عبد الله الوزير، مرجع سابق، احمد بن محمد الوزير - ص ٨٧ - ٨٩).
- ١٨١ - (زورق الحلوى، حمود بن محمد الدولة، مرجع سابق، ص ١٣٧ - ١٣٨).
- ١٨٢ - (حياة الأمير على بن عبد الله الوزير، مرجع سابق، احمد بن محمد الوزير - ص ٩٨).
- ١٨٣ - (المصدر نفسه، ص ١١٢).
- ١٨٤ - (المصدر نفسه، ص ١١٥ - ١١٧).
- ١٨٥ - (المصدر نفسه، ص ٩٣).
- ١٨٦ - (المصدر نفسه، ص ١١٧ - ١١٩).
- ١٨٧ - (المصدر نفسه، ص ١٢٩).
- ١٨٨ - (الصحافة اليمنية، الدكتور محمد عبد الملك المتوكل، طبعة عام ١٩٨٣م، ص ٢٧٤).
- ١٨٩ - (المصدر نفسه، ص ٢٧٢).
- ١٩٠ - (حياة الأمير على بن عبد الله الوزير، مرجع سابق، احمد بن محمد الوزير - ص ١١٩ - ١٢٣).
- ١٩١ - (اليمن الثورة في الجنوب والانتكاسة في الشمال، الدكتور محمد علي الشهاري، الطبعة الأولى، ص ١٧).
- ١٩٢ - (ملوك شبه الجزيرة العربية، مرجع سابق، هارولد جي كوب - ص ١٦٧).
- ١٩٣ - (سيرة الإمام يحيى حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٢٧٥).
- ١٩٤ - (زورق الحلوى، مرجع سابق، حمود بن محمد الدولة - ص ١٣٦).
- ١٩٥ - (الصحافة اليمنية، مرجع سابق، الدكتور محمد عبد الملك المتوكل، ص ٢٧٤).
- ١٩٦ - (اليمن الثورة في الجنوب والانتكاسة في الشمال، مرجع سابق، الدكتور محمد علي الشهاري - ص ١٧).

- ١٩٧ - (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، مرجع سابق، الدكتور عبد العزيز قائد المسعودي - ص ١٥٢).
- ١٩٨ - (حياة الأمير علي بن عبد الله الوزير، مرجع سابق، احمد بن محمد الوزير - ص ٨٩).
- ١٩٩ - (المصدر نفسه، ص ١٠٥).
- ٢٠٠ - (المصدر نفسه، ص ٨٩).
- ٢٠١ - (المصدر نفسه، ص ١٠٦ - ١٠٧).
- ٢٠٢ - (المصدر نفسه، ص ١٢٧).
- ٢٠٣ - (المصدر نفسه، ص ١١٩).
- ٢٠٤ - (المصدر نفسه، ص ١١٧).
- ٢٠٥ - (المصدر نفسه، ص ١١٢).
- ٢٠٦ - (المصدر نفسه، ص ١٠٥).
- ٢٠٧ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤٣٦).
- ٢٠٨ - (حياة الأمير علي بن عبد الله الوزير، مرجع سابق، احمد بن محمد الوزير - ص ١٢٧).
- ٢٠٩ - (المصدر نفسه، ص ١٣٣ - ١٣٥).
- ٢١٠ - (المصدر نفسه، ص ١٢٩).
- ٢١١ - (زورق الحلوى، مرجع سابق، حمود بن محمد الدولة - ص ١٠٢).
- ٢١٢ - (مذكرات دبلوماسي في اليمن، أستاخوف أنكارين، ترجمة: قائد محمد طربوش، الطبعة الأولى، ص ١٢٥).
- ٢١٣ - (زورق الحلوى، مرجع سابق، حمود بن محمد الدولة - ص ٤٤٨).
- ٢١٤ - (حياة الأمير علي بن عبد الله الوزير، مرجع سابق، احمد بن محمد الوزير - ص ١٣٧ - ١٤١).
- ٢١٥ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٦٨٢).
- ٢١٦ - (حياة الأمير علي بن عبد الله الوزير، مرجع سابق، احمد بن محمد الوزير - ص ١٧٦).
- ٢١٧ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٦٨٢).
- ٢١٨ - (حياة الأمير علي بن عبد الله الوزير، مرجع سابق - احمد بن محمد الدولة - ص ١٨٠ - ١٨٣).

- ٢١٩ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤٦٧).
- ٢٢٠ - (زورق الحلوى، مرجع سابق، حمود بن محمد الدولة - ص ٩٣).
- ٢٢١ - (رحلة فى بلاد العربية السعيدة، مرجع سابق، نزيه مؤيد العظم - الجزء الأول، ص ٣٠٧).
- ٢٢٢ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤٦٥).
- ٢٢٣ - (رحلة فى بلاد العربية السعيدة، مرجع سابق - نزيه مؤيد العظم - الجزء الأول، ص ٣٠٥).
- ٢٢٤ - (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، مرجع سابق، الدكتور عبد العزيز قائد المسعودى، ص ١٥٨).
- ٢٢٥ - (ملوك شبه الجزيرة العربية، مرجع سابق، هارولد جي كوب، ص ١٨٥).
- ٢٢٦ - (تاريخ اليمن للواسعى، مرجع سابق، ص ٧٠).
٢٢٧. (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤٣٦).
- ٢٢٨ - (تاريخ اليمن العسكرى، مرجع سابق - سلطان ناجى، ص ٨٨ - ٨٩).
- ٢٢٩ - (اليمن والغرب، أريك ماكرو، تعريب: الدكتور حسين العمري، الطبعة الثانية، ص ١١٦).
- ٢٣٠ - (المصدر نفسه، ص ١١٧).
- ٢٣١ - (سيرة الإمام يحيى حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٣٣٧).
- ٢٣٢ - (تكوين اليمن الحديث، مرجع سابق، الدكتور سيد مصطفى سالم، ص ٣٢١).
- ٢٣٣ - (المقتطف من تاريخ اليمن، عبد الله بن عبد الكريم الجرافى، الطبعة الثانية، ص ٣١١).
- ٢٣٤ - (تاريخ اليمن العسكرى، مرجع سابق، سلطان ناجى، ص ٩٣ - ٩٤).
- ٢٣٥ - (سيرة الإمام يحيى حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ١٤٣).
- ٢٣٦ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٢٨٩).
- ٢٣٧ - (سيرة الإمام يحيى حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ١٤٤).
- ٢٣٨ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤٦٩).

٢٣٩. (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٥٦٠).
- ٢٤٠ - (تاريخ اليمن للواسعي، مرجع سابق، ص ٧٠).
- ٢٤١ - (سيرة الإمام يحيى حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ١٤٤).
- ٢٤٢ - (ملوك شبه الجزيرة العربية، مرجع سابق، هارولد جيكوب، ص ١٦٧).
- ٢٤٣ - (المصدر نفسه، ص ٢٢١).
- ٢٤٤ - (المصدر نفسه، ص ٢٤٥).
- ٢٤٥ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٥٠٤).
- ٢٤٦ - (سيرة الإمام يحيى حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ١٤٦ - ١٤٨).
- ٢٤٧ - (المصدر نفسه، ص ١٤٩ - ١٥١).
- ٢٤٨ - (المصدر نفسه، ص ٢٢٤ - ٢٢٧).
- ٢٤٩ - (المصدر نفسه، ص ٣٠٦ - ٣١٠).
- ٢٥٠ - (المصدر نفسه، ص ٣٣٤ - ٣٣٥).
- ٢٥١ - (اليمن والغرب، أريك ماكرو، تعريب: الدكتور حسن العمري، الطبعة الثانية، ص ١١٦ - ١١٧).
- ٢٥٢ - (سيرة الإمام يحيى حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٣٣٧ - ٣٣٨).
- ٢٥٣ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ١٧).
- ٢٥٤ - (المصدر نفسه - ص ٢٢).
- ٢٥٥ - (المصدر نفسه ص ١٧ - ١٩).
- ٢٥٦ - (اليمن والغرب، مرجع سابق، أريك ماكرو، ص ١١٧).
- ٢٥٧ - (التاريخ العسكري لليمن، مرجع سابق، سلطان ناجي، ص ٨٩ - ٩٢).
- ٢٥٨ - (المصدر نفسه، ص ٨٩).
- ٢٥٩ - (تاريخ اليمن المعاصر، مرجع سابق، تأليف مجموعة من المؤلفين الروس، ص ٦٦).
- ٢٦٠ - (اليمن والغرب، مرجع سابق، أريك ماكرو، ص ١١٨ - ١١٩).

- ٢٦١ - (قضايا يمنية، عبد الله البردوني، غير مذكور رقم الطبعة أو تاريخها، ص ٥٣).
- ٢٦٢ - (التاريخ العسكري لليمن، مرجع سابق، سلطان ناجي، ص ٩٠).
- ٢٦٣ - (تكوين اليمن الحديث، مرجع سابق، الدكتور سيد مصطفى سالم، ص ٣٨٧).
- ٢٦٤ - (التاريخ العسكري لليمن، مرجع سابق، سلطان ناجي، ص ٨٩).
- ٢٦٥ - (اليمن والغرب، مرجع سابق، أريك ماكرو، ص ١٢٠).
- ٢٦٦ - (المصدر نفسه، ص ١٢٢ - ١٢٣).
- ٢٦٧ - (التاريخ العسكري لليمن، مرجع سابق، سلطان ناجي، ص ٩٣ - ٩٤).
- ٢٦٨ - (تكوين اليمن الحديث، مرجع سابق، الدكتور سيد مصطفى سالم، ص ١٦٠).
- ٢٦٩ - (ملوك شبه الجزيرة العربية، هارولد جي كوب، مرجع سابق، ص ٢٠٦).
- ٢٧٠ - (مذكرات زيد بن علي عنان، غير مذكور رقم الطبعة أو تاريخها، ص ٧).
- ٢٧١ - (تكوين اليمن الحديث، مرجع سابق، الدكتور سيد مصطفى سالم - ص ١٦٢).
- ٢٧٢ - (المصدر نفسه، ص ١٨٢).
- ٢٧٣ - (المصدر نفسه، ص ٣٣٤).
- ٢٧٤ - (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، مرجع سابق، الدكتور عبد العزيز قائد المسعودي، ص ١٣٨).
- ٢٧٥ - (البنية القبلية في اليمن، مرجع سابق، الدكتور فضل ابو غانم، ص ١٣٥).
- ٢٧٦ - (القبيلة والدولة في اليمن، مرجع سابق، الدكتور فضل ابو غانم، ص ٢٦٩).
- ٢٧٧ - (الصحافة اليمنية، مرجع سابق، الدكتور محمد عبد الملك المتوكل، ص ٢٧٤).
- ٢٧٨ - (البنية القبلية في اليمن، مرجع سابق، الدكتور فضل ابو غانم، ص ١٣٦ - ١٣٧).
- ٢٧٩ - (مذكرات الشيخ عبد الله الأحمر، مرجع سابق، ص ٤١).
- ٢٨٠ - (الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني، مرجع سابق، قائد الشرجبي - ص ١٧٢).
- ٢٨١ - (التاريخ العسكري لليمن، مرجع سابق، سلطان ناجي - ص ٨١).
- ٢٨٢ - (سيرة الإمام يحيى حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٤٩ - ٥٠).
- ٢٨٣ - (اليمن الإنسان والحضارة، مرجع سابق، عبد الله الشماحي، ص ١٦٨).
- ٢٨٤ - (اليمن الجمهوري، مرجع سابق، عبد الله البردوني، ص ٢٦٤).

- ٢٨٥ - (اليمن الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال، مرجع سابق، الدكتور محمد على الشهارى - ص ٢٨).
- ٢٨٦ - (البنية القبلية فى اليمن، مرجع سابق، الدكتور فضل ابو غانم، ص ١٣٧ - ١٣٨).
- ٢٨٧ - (المصدر نفسه، ص ١٨٠).
- ٢٨٨ - (مذكرات الشيخ عبد الله الأحمر، مرجع سابق، ص ٤١).
- ٢٨٩ - (سيرة الإمام يحيى حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، مرجع سابق، المجلد الأول ص ٥٨).
- ٢٩٠ - (الشرائح الاجتماعية التقليدية فى المجتمع اليمنى، قائد الشرجبى - مرجع سابق، ص ١٧٨).
- ٢٩١ - (سيرة الإمام يحيى حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٢٥٨).
- ٢٩٢ - (سيرة الإمام يحيى حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، مرجع سابق، المجلد الثانى، ص ٢٤١).
- ٢٩٣ - (المصدر نفسه، ص ٤٠).
- ٢٩٤ - (المصدر نفسه، ص ٩٨).
- ٢٩٥ - (ملوك شبه الجزيرة العربية، مرجع سابق، هارولد جي كوبر، ص ٣١٠).
- ٢٩٦ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤٣٤ - ٤٣٧).
- ٢٩٧ - (تكوين اليمن الحديث، مرجع سابق، الدكتور سيد مصطفى سالم، ص ٢٦٨).
- ٢٩٨ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤٨٨).
- ٢٩٩ - (سيرة الإمام يحيى حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ١٠٠).
- ٣٠٠ - (المصدر نفسه، ص ١٢٦).
- ٣٠١ - (المصدر نفسه، ص ١٠١).
- ٣٠٢ - (المصدر نفسه، ص ١٢٠ - ١٢٣).
- ٣٠٣ - (المصدر نفسه، ص ١٣١).
- ٣٠٤ - (سيرة الإمام يحيى حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، مرجع سابق، المجلد الثانى، ص ١٦٠).
- ٣٠٥ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤٨٢).



- ٣٠٦ - (لمحات من تاريخ حركة الأحرار، على محمد عبده، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، ص ٥٦).
- ٣٠٧ - (ملوك العرب، امين الريحاني - مرجع سابق، ص ١٠٠).
- ٣٠٨ - (المصدر نفسه، ص ١٢٩).
- ٣٠٩ - (ثورة ١٩٤٨م: الميلاد، والمسيرة، والمؤثرات، إعداد مركز الدراسات والبحوث اليمنى، الطبعة الأولى، ص ٤٨٨).
- ٣١٠ - (المصدر نفسه، ص ٤٧٤).
- ٣١١ - (سيرة الإمام يحيى حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٢٥٩ - ٢٦٠).
- ٣١٢ - (اليمن الجمهورى، عبد الله البردونى، الطبعة الأولى، ص ٣٣٥). كذلك (الوثائق البريطانية، المجلد ٦، ص ٦٧٩).
- ٣١٣ - (سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، مرجع سابق، الجزء الأول - ص ٢٦٨).
- ٣١٤ - (سيرة الإمام يحيى حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٢٦٠ - ٢٦٨).
- ٣١٥ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٤٧٨).
- ٣١٦ - (الصحافة اليمنية، مرجع سابق، الدكتور محمد عبد الملك المتوكل، ص ٥٢ - ٥٣).
- ٣١٧ - (اليمن الإنسان والحضارة، مرجع سابق، عبد الله الشماحى، ص ١٧١).
- ٣١٨ - (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، مرجع سابق، الدكتور عبد العزيز قائد المسعودى، ص ٧٦).
- ٣١٩ - (المصدر نفسه، ص ١٣٨).
- ٣٢٠ - (المصدر نفسه، ص ١٤١).
- ٣٢١ - (المصدر نفسه، ص ١٣٨).
- ٣٢٢ - (مذكرات الشيخ عبد الله الأحمر، مرجع سابق، ص ٣٣ - ٣٥).
- ٣٢٣ - (المصدر نفسه، ص ٣٤).
- ٣٢٤ - (المصدر نفسه، ص ٣٥ - ٣٦).
- ٣٢٥ - (سيرة الإمام يحيى حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٣٤٧).

- ٣٢٦ - (مذكرات الشيخ عبد الله الأحمر، مرجع سابق، ص ٣٦ - ٣٧).
- ٣٢٧ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤٨٢) انظر كذلك (المصدر نفس، ص ١٠٧).
- ٣٢٨ - (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، مرجع سابق، الدكتور عبد العزيز قائد المسعودى، ص ١٤٠).
- ٣٢٩ - (مذكرات الشيخ عبد الله الأحمر، مرجع سابق، ص ٣٨ - ٣٩).
- ٣٣٠ - (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، مرجع سابق، الدكتور عبد العزيز قائد المسعودى، ص ١٤٢).
- ٣٣١ - (اليمن الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال، مرجع سابق، الدكتور محمد على الشهارى، ص ١٨).
- ٣٣٢ - (سيرة الإمام يحيى حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٢٥٧).
- ٣٣٣ - (سيرة الإمام يحيى حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، مرجع سابق، المجلد الثانى، ص ٣٨٧).
٣٣٤. البرق المتالق، محمد شرف الدين، غير مذكور رقم الطبعة أو تاريخها، ص ١٣).
- ٣٣٥ - (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، مرجع سابق، ص ١٦٣ - ١٦٤).
- ٣٣٦ - (الشيخ الشهيد على ناصر القرdecى، أحمد شبرين القرdecى، ص ٢٩).
- ٣٣٧ - (المصدر نفسه، ص ٤٧ - ٥٢).
- ٣٣٨ - (المقتطف من تاريخ اليمن، للجغرافى / مرجع سابق، ص ٣١١).
- ٣٣٩ - (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، مرجع سابق، الدكتور عبد العزيز قائد المسعودى، ص ١٦٦).
- ٣٤٠ - (المقتطف من تاريخ اليمن، للجغرافى، مرجع سابق، ص ٣١٢، ٣١١).
- ٣٤١ - (التاريخ العسكرى لليمن، مرجع سابق، سلطان ناجى، ص ٨٣).

الفصل التاسع  
مشاريع البناء والتحديث  
في  
عهد الإمام يحيى

يقول أمين الريحاني مخاطبا الإمام يحيى بأن النهضة الخطيرة في الأمم لا تنشأ نشأة واحدة كاملة، حيث لا بد لها من خطوات إلى ذلك الكمال، وتطورات فيما يرغب فيه من وحدة الكلمة والحال<sup>(٤)</sup>. أما علماء الاجتماع فيقولون: إن التحول والتطور سنة آلهية وحتمية تاريخية في كل زمان ومكان، إلا أن الله قد جعل لذلك نواميس وقوانين تنظم حركة سيره بالتوازي مع حركة التاريخ الإنساني. ومن تلك النواميس والقوانين التي أجراها الله، استحالة فورية التبدل والتحول، ما لم يكن هناك شروط أولية وحيز من الزمان للاستيعاب والتبلور. فالبيئة بما فيها من عوامل جغرافية ومناخ فكري سائد، هما العاملان الأكثر تأثيرا في عوامل التجدد، وسرعة استيعاب أى فكرة جديدة وتبلورها في المجتمع.

ومن هذا المنطلق، فلن نتمكن من طرق موضوع بناء الدولة والتحديث في اليمن في عهد الإمام يحيى، دون أن ندرس ذلك في إطار زمن هذه التجربة، ورد أصولها إلى مصادرها، وليست هذه المصادر والأصول إلا العلل المادية والمعنوية التي تتحكم في حركة التاريخ. ومن ثم فليس من البحث العلمى فى شىء أن نقفز على الشروط الموضوعية للمكان والزمان، بجعل الإمام يحيى الفرد كل شىء، ونمحو ظروف الزمن، والجغرافيا، والبيئة، والجماعة التي أنشأته وكونته، إنما الصحيح أن نقدر الزمن، والبيئة، والجماعة، والجغرافيا، ونقدر الإمام يحيى الفرد، وأن نجتهد ما استطعنا فى تحديد الصلة بينهما، وما لكليهما من أثر. وليس من التحليل فى شىء أيضا أن نجتزئ تاريخ التحديث فى اليمن عن سياق تاريخ تحديث جواره السياسى، والثقافى، والاجتماعى، كمقارنة التغيرات مثلا بين اليمن ومصر، أو بلاد المشرق العربى على حساب المقارنة بين اليمن ومثيلاته من البلدان فى شبه الجزيرة العربية.

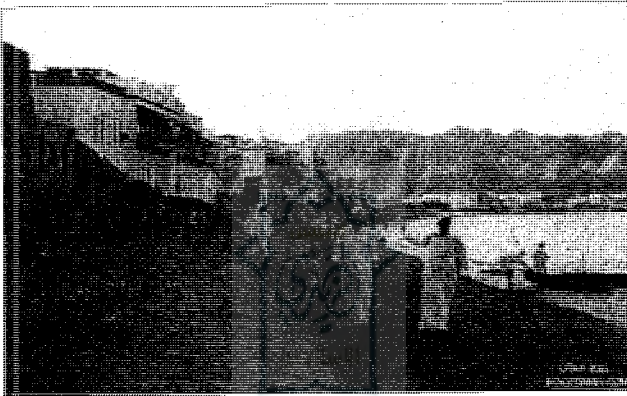
هذه المقدمة كانت ضرورية بوصفها توطئة، لإجلاء الغشاوة عن أعين الكثير من كتاب الرأي، ممن تأثر بإعلام السلطة العسكرية فى اليمن عبر أكثر من نصف قرن، والذين تناولوا تاريخ الإمام يحيى تناولوا غير منصفاً بتحميله كفرد وزر تخلف اليمن، بدعوى الفجوة الحضارية بين اليمن ومصر وبلاد المشرق العربى، وهذه مغالطة وقياس باطل، فالصحيح هو مقارنة الأوضاع فى اليمن مع محيطه من البلدان فى شبه الجزيرة العربية فى

ذلك الزمان، وليس مع الدول العربية التي سبقت جزيرة العرب في عملية التحول والتبدل بقرن من الزمان، بسبب صفة نابليون على سفح الأهرامات، والتي أيقظت المجتمعات هناك من سباتها العميق. والسؤال الذي يطرح نفسه: هل كان اليمن في عهد الإمام يحيى متأخرا عن جواره في جزيرة العرب، أم أن الجميع كانوا يعيشون في المربع الحضارى نفسه؟ وهل الفجوة الحضارية التي نشهدها اليوم بين اليمن ومحيطه سببها الإمام يحيى أم من جاء بعده من العسكر على أنقاض نظامه الملكى فى اليمن؟





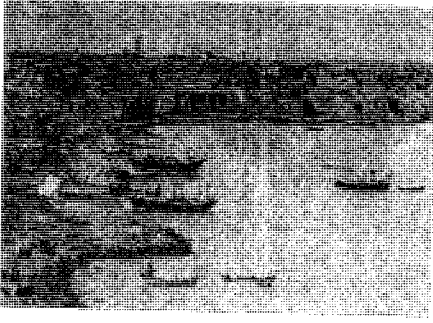
صنعاء في الأربعينات



مسقط في الأربعينات



الرياض في الأربعينات



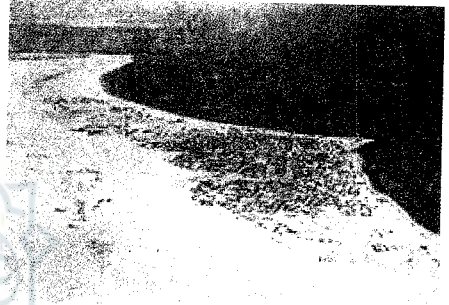
قطر فى الأربيعينات



الكويت فى الأربيعينات



دبى فى الأربيعينات



أبو ظبى فى الأربيعينات

أيا كان الجواب، فإن هناك نقضا هائلا فى المعلومات، وحجبا متعمدا للوثائق المتعلقة بمشاريع البناء والتحديث التى شهدتها اليمن فى عهد الإمام يحيى، والسبب فى ذلك، كما فسره اديب اليمن وشاعرها البردونى، بقوله: «إن تمجيد الثورة تسبب فى تعرية الأزمان التى سبقتها من حلية الثقافة والتعليم والعمران<sup>(٢٧)</sup>»، وهذا - للأسف الشديد - حالة عامة فى عالمنا العربى، الذى لم نجد فيه نظاما سياسيا يعترف بإيجابيات من سبقه من الأنظمة، حتى لو برزت ألوف الأدلة والبراهين للعيان، فإنهم سيقولون مكابرة وعنادا: إنما سكرت أبصارنا.

وفى اليمن كان حتما على السلطة العسكرية إخراس كافة الألسن والأقلام عن الإفصاح بأى حقائق إيجابية عن حركة التحديث والبناء فى عهد الإمام يحيى وأسرته، بهدف

ترسيخ صورة نمطية في أذهان الجماهير، عمادها عداء الإمام يحيى للتحديث والتقدم، وسعيه إلى تجهيل الشعب في اليمن وإبقائه بعيدا كل البعد عن الاتصال بالعصر، والاستفادة من منتجاته الحديثة، ولقد ساعد على شيوع هذا الزور والبهتان تكاتف جملة من العوامل والأسباب المترامية، أولها استهداف بريطانيا للإمام يحيى دون غيره من الحكام العرب بحملات تشويه لامتثل لها منذ العشرينيات، ومرورا بالثلاثينيات، وانتهاء بالأربعينيات من القرن الماضي، لرفضه التحالف مع المشروع البريطاني، ولطبيعتهم في طمس الرموز الدينية والوطنية وتشويهها، ممن يعارضون مخططاتهم الخبيثة.

وجاء بعد الإنكليز الإعلام الناصري، الذي كان سيد الساحة الإعلامية في فضائنا العربي، حيث تلقف الكرة في تشويه صورة الإمام يحيى وأسرته طوال فترة الستينيات، كردة فعل طبيعية على الحرب التي خاضتها مصر لنصرة الجمهورية أمام القيادات الملكية من نزية الإمام يحيى. ومع سيادة نظام العسكر في اليمن في مستهل السبعينيات، ترسخت الصورة السلبية أكثر، لأن أيديولوجيا السلطة هي المهيمنة دائما، والناس أتباع لها، وبدخول حقبة الثمانينيات وحتى اليوم، لم يجد أعلام السلطة في اليمن حلا لتبرئة ساحة الحكم العسكري من الفشل وتجلياته الواضحة في اتساع الفجوة الحضارية التي ظهرت بين اليمن ومحيطه الخليجي، سوى ذر الرماد على العيون، والتمسك بذهنية الضحية لمخلفات العهد البائد، الذي أصبح شماعة يعلق عليها كل رزايا الحاضر اليمني.

أما الكتاب العرب المعاصرون، فمنهم من ساير سلطة العسكر في تشويه صورة الإمام يحيى، لا لشيء سوى التكبس المادي، ومنهم من حايد بتلقى الصورة السلبية عن الإمام يحيى على عواهنها، بالاعتماد على مطبوعات السلطة العسكرية في اليمن، دون تحليل أو تحقيق، أما الأكثرية الساحقة من الكتاب، فقد انعدم لديهم حافز البحث والتنقيب عن الحقيقة، بل تعددت الحوافز لديهم، لإبقاء تجربة الإمام يحيى التحديثية في دائرة الصمت والظلمات، لافتقادهم للتمويل، فما الثمرة المرجوة من الكتابة عن محاسن الإمام يحيى، ما دام أنه لم يعد هناك من يرفد بالأموال لرفع ذكره؟ ومما زاد الطين بله، كان عدم عناية الإمام يحيى بالإعلام وفن العلاقات العامة مما فوت عليه فرصة الرد على الإتهامات، كما وضح حقيقة ذلك الرحالة نزيه مؤيد العظم في كتابه (رحلة في بلاد العربية السعيدة)،



واخيرا هناك صمت ذرية الامام يحيى المعاصرين وسلبيتهم فى الذود عن تاريخ جدهم ،  
مما أخلى الساخة للخصوم واصحاب اجندات التشويه ، ليسرحوا ويمرحوا ويعبثوا بتاريخ  
الامام يحيى قسا ولزقا وشطبا وتزويرا ، ونتيجة لكل تلك الأسباب المتراكمة ، ظل العالم  
يتلقى صورا غير منصفة عن الإمام يحيى لفترة لا تقل عن تسعين عاما.

وما هذا الفصل من الكتاب الا محاولة لتصحيح الصورة ، بنفض الغبار عن حقائق لم  
تطرق بعد عن مشاريع تحديثية ، قام بها الإمام يحيى لبناء الدولة اليمنية ، وقد حرصت  
على أن أوثق خبر هذه المشاريع بمراجع تاريخية وكتابات محايدة ، حتى لا أتهم بالميل  
والدعاية الكاذبة للإمام يحيى . وكما ينبغى الحذر من تلقى أى معلومة أو قبولها على  
عواهنها دون تحليل أو تحقيق ، فإنى أدعو القراء إلى الرجوع إلى تلك المراجع والكتب ،  
لتحرى صدق ما سوف أخطه فى هذا الفصل.

بقى كلمة أخيرة ينبغى توضيحها قبل الشروع فى الكتابة عن مشاريع البناء والتحديث  
فى عهد الإمام يحيى ، وهى ألا نتغافل عن العصر الذى حكم فيه ، وهو النصف الأول من  
القرن العشرين ، الذى لم يكن له نظير فى التاريخ الإنسانى ، حيث كان - بحق - أكثر  
العصور تعقيدا . فبعد أن كان إيقاع التحول الحضارى والفكرى قبل عصر الإمام يحيى قرنيا  
أو ألفيا ، وجدناه فى عصر الإمام يحيى يكاد يكون شبه يومى ، بما فيه من سرعة تكاد تشبه  
الخيال ، لوتيرة المعطيات ، وحركة الاختراعات والمكتشفات ، والتطورات الخارقة للصناعة  
والاقتصاد والفكر والسياسة ، مما كان له أثره على بطن عملية الاستيعاب ، وحدوث الصدمة  
الحضارية ، وألا نتغافل عن الظروف غير الطبيعية المتمثلة فى قيام حربين عالميتين فرضتا  
حالة طوارئ ، وتسببتا فى شلل حركة المواصلات العالمية .

وألا نتغافل أيضا عن معاناة التأسيس ، بما فيها من تحديات تتعلق بتراتب أولويات  
إثبات الوجود السياسى ، والمحافظة على كينونة الدولة ، والتي قطعا تختلف عن طبيعة  
تحديات الدولة فى عالمنا المعاصر ، بعد أن أرسيت قواعدها وأطرها السياسية والقانونية ،  
بما لا يدع هناك مجالا للخوف من تلاشيها .

وألا نختزل الحركة الحضارية فى عهد الإمام يحيى فى المظاهر المادية ، ومظاهر  
الاستهلاك والترف ، كما هو حاصل فى عصرنا الحالى ، حيث نعيش نقلة نوعية غير

مسيبوقة، وحالة تنعم ورخاء ودعة في العيش، قل نظيرها في التاريخ الإنساني على الصعيد المادي، مقارنة ببساطة الحياة في زمن الإمام يحيى، بل الأصح أن نضع في اعتبارنا ظروف وإمكانيات ومقاييس بيئته، وزمانه، ومحيطه في الجزيرة العربية، وإلا سوف نفكر بمنطق من ينقد الإمام يحيى، لعدم إدخاله خدمة الإنترنت إلى اليمن.

وباعتبار أن لكل مرحلة تاريخية معطياتها وظروفها الخاصة التي تملئ عليها خط سير محدد، يستحسن بنا أن نقسم حركة البناء والتحديث للدولة اليمنية في عهد الإمام يحيى إلى ٣ مراحل، تمتد عبر ٣ عقود، ابتداء من فترة العشرينيات، ومرورا بفترة الثلاثينيات، واختتامها بفترة الأربعينيات، حيث استشهد الإمام يحيى في عام ١٩٤٨م.

وقد يتساءل البعض عن السبب في إغفال مرحلة ما قبل العشرينيات، بالرغم من أن الإمام يحيى كان قد تولى الإمامة في اليمن منذ عام ١٩٠٤م، إلا أن السبب في ذلك يعود إلى أن سلطة الإمام يحيى، كانت ما تزال تخوض غمار الصراعات والحروب مع الأتراك، لإجلائهم عن اليمن، ولم يتم له الأمر فعليا في حكم البلاد كاملة، إلا بعد جلائهم نهائيا عن اليمن في عام ١٩١٨م.

### البناء والتحديث في مرحلة العشرينيات:

كانت الأولوية بالنسبة للإمام يحيى في ذلك المفصل التاريخي، هي الإعداد لما يستطيع من قوة ومن رباط الخيل، فالدولة لم يكن قد اكتمل بعد عقد نموها ولا بناؤها السياسي، حيث كانت ما تزال تخوض غمار الحروب والمنازعات الدائمة مع جوارها من القوى الإقليمية والعالمية، لتحديد معالم الحدود والكيان، كصراع الإمام يحيى مع ابن سعود، والأدريسى، والإنكليز المحتلين لنصف اليمن، والمتربصين بالنصف الآخر، فبادر الإمام يحيى في تلك المرحلة، حال انسحاب الأتراك من اليمن بالمشاريع التالية:

#### • بناء الجيش:

لقد بلغ إلى مسامع الإمام يحيى أن الإنكليز في عدن ما برحوا يسألون عن أمرين من أحوال دولته، أولهما انتظام جيشه وتدريبه، والثاني هو المعمل الذي تركه الأتراك لإصلاح السلاح والمدافع<sup>(٣)</sup>، والقائم عليه مهندس من طائفة المجر اسمه جورجى، كان قد استبقاه الإمام يحيى في اليمن بعد انسحاب الأتراك، لإعادة تشغيل المعمل<sup>(٤)</sup>.

وعلى الرغم من إصرار الإنكليز على المطالبة بإفراغ اليمن من جميع الكفاءات العسكرية التركية، التي رجع الإمام يحيى بقاءها في اليمن، لمعاونته في بناء جيش نظامى حديث للبلاد، إلا أن الإمام يحيى تمكن من الإبقاء على جماعة من قياداتهم، وقليل من جنودهم، الذين باشرُوا عملية التأسيس والتدريب للجيش اليمني، ابتداءً من عام ١٩٢٠م<sup>(٦)</sup>.

وإضافة إلى ما سبق، فقد أصدر الإمام أوامره إلى عماله في مناطق مختلفة من اليمن بتجنيد القبائل للدخول في السلك العسكرى، ووفر لهم المباني التي كان يسكنها الجنود الأتراك، ونظم تجمعاتهم على قواعد الجيش التركى، وأسند إمارة الجيش اليمنى إلى الشريف عبد الله الضمين، وهو من منطقة الجوف فى اليمن، وكان قد خدم فى صفوف الدولة العثمانية قبل قيام دولة الإمام يحيى، ومنحه الأتراك لقب بيكباشى، لانضباطه وإخلاصه فى خدمة الدولة<sup>(٧)</sup>. ولما كان الإمام يدرك أن إقامة الضباط والجنود الأتراك مؤقتة، إذ لا بد أن يغادروا فى نهاية الأمر، فقد سعى إلى سد حاجة الجيش من الضباط اليمنيين، وذلك بافتتاح المدرسة الحربية التي كان نظام الدراسة فيها وفق المنهج التركى<sup>(٨)</sup>.

وعملية التدريب والتنظيم للمجندين على يد من بقى من كبار المسؤولين الأتراك، وفى مقدمتهم آخر والى عثمانى محمود نديم بك، وشوكت بك، وكنعان بك، وغيرهم من الكفاءات التركية<sup>(٩)</sup>. وعلى الرغم من مساعى الإمام يحيى لتطوير قدرات جيشه الى درجة استقدمه لبعض الكفاءات العسكرية من سوريا، ممن كانوا قد خدموا فى الجيش التركى، ووصلوا إلى مرتبة أركان حرب، مثل مصطفى وصفى باشا، وحسن تحسين باشا<sup>(١٠)</sup>، إلا أن بريطانيا كانت تراهن على نفاذ كمية الذخيرة الموجودة لدى الإمام، وخاصة بعد إحكامها الحصار على شواطئ اليمن<sup>(١١)</sup>، مما شكل ضغطاً دفع بالإمام يحيى إلى أن يسارع فى ضم جماعات من أهل اليمن إلى مهندس الميكانيكا جورجى النمساوى، ليتعلموا فنون الصنعة والتشغيل للمصنع الذى بناه العثمانيون فى صنعاء خلال فترة الحرب العالمية الأولى.

وقد بادر المهندس النمساوى بإعادة عمليات التصنيع العسكرى، بما فى ذلك آلات تعنى بتجهيز مادة البارود المشتعل، ومقذوفات التفجير، وقابسونات المدافع والرصاص. ولما كانت مادة البارود موجودة فى اليمن، فقد كان العمل على ترقية صناعتها، بحيث يمكن الاستغناء عن البارود الأفرنجى. ومن نشاطات المصنع كذلك إعادة إصلاح المدافع، والرشاشات، والبنادق التى أصابها العطل، بالإضافة إلى تطوير القدرات القتالية للمدافع بتطوير مقاسات التهديد، وجعلها أقوى وأقدر على بلوغ مسافات بعيدة<sup>(١٢)</sup>.

وعلى الرغم من كل هذه المبادرات، إلا أن الإمام يحيى أدرك أنه بدون الاستعانة بنصير خارجي، أو قوى عظمى منافسة لبريطانيا، تساعد على كسر طوق الحصار المفروض عليه، وتمده بالوسائل الحديثة، فإنه لن يتمكن من المضي قدما في مشروع بناء الدولة، والتخلص من الابتزاز البريطاني، لذلك بادر بالاتصال بإيطاليا بأن أرسل دعوة رسمية لحكومتها عام ١٩٢٦م، بأن تبعث مندوبيها إلى اليمن لعقد مباحثات بين الطرفين، وبالفعل لبثت إيطاليا الدعوة بحرارة في شهر سبتمبر من تلك السنة، فوصلت بعثة إيطالية برئاسة حاكم أسمره غاسباريني، وسافرت إلى صنعاء لمقابلة الإمام يحيى، الذى استقبلها بحفاوة بالغة، بعد أن أمر أكبر صنعاء وسائر الطبقات والعساكر باستقبالها.

وكما يقول الدكتور سيد مصطفى سالم فى كتابه (تكوين اليمن الحديث): «كان الاهتمام الزائد بالبعثة الإيطالية يعبر عن موقف اليمن حينئذ، لا من إيطاليا فحسب، بل من إنجلترا أيضا، إذ كان الإمام يرى أن تقربه لإيطاليا، هو الأمل الكبير لتحقيق مطالبه فى الجنوب العربى، فهى قوة يستمد منها السلاح، ويساوم بها إنجلترا حتى تقبل مطالبه<sup>(١٢)</sup>».

كان من ثمرة تلك الزيارة أن عقدت معاهدة اقتصادية سياسية بين الطرفين، تعد الأولى من نوعها فى تاريخ اليمن، حيث إنها فتحت أبواب البلاد لعمليات التحديث، ابتداء من الصفر، فتدفق على اليمن الفنيون، والأطباء، والميكانيكيون، والأسلحة الحديثة، والأدوات الفنية، مثل المعامل، وآلات الطحين، والتلغراف، والتلفونات اللاسلكية، والطائرات<sup>(١٣)</sup>. وقد سبق أن شرحت فى فصول سابقة، حجم الأدوات والأسلحة والطائرات التى استلمها الإمام يحيى من إيطاليا، إلا أن ما يهمنا فى هذا الفصل تنفيذ الافتراءات التى أُلصقت بالإمام يحيى، من أن هدفه كان عزل الشعب اليمنى عن العالم بإغلاق أبواب اليمن عن كل ما يمت بصلة للعصر.

وفى مبادرة من الإمام يحيى لتعزيز علاقته بإيطاليا، أرسل ابنه سيف الإسلام محمد على رأس وفد حكومى رفيع المستوى إلى إيطاليا فى زيارة رسمية، بتاريخ ٢٤ يونيو ١٩٢٧م استمرت شهرا، للاطلاع على المنشآت الصناعية فى مختلف نواحي إيطاليا، وكان لهذه الزيارة نتائج اقتصادية مهمة، فقد أبرم الطرفان اتفاقية تجارية إضافية خاصة بشراء اليمن للأسلحة من إيطاليا<sup>(١٤)</sup>.

ويشير تقرير ورد في الوثائق البريطانية إلى أن هذه المعاهدة قد وفرت للإمام يحيى الدعم، دون أن يضطر إلى تقديم أى تنازلات تنتقص من الاستقلال والسيادة لليمن، وبموجبها استطاع بثقة متزايدة مواجهة جبهتين مفتوحتين فى شمال بلاده وجنوبها، مما مكّنه من إعلان سياسته المتعلقة باستعادة كل المناطق التى حكمها أجداده فى الجزيرة العربية، بما فى ذلك عدن<sup>(١٥)</sup>.

#### • إحياء الهجر العلمية:

كان الإطار المعرفى فى حقبة العشرينات قاصرا على العلوم الدينية والتراثية، فالثقافة الدينية والتراثية فى بداية عهد الإمام يحيى بجوانبها الفقهية والفكرية والأدبية، كانت تعد أجل العلوم وأعلاها شأنًا فى المجتمع اليمنى، لذلك حرص الإمام منذ استلامه للحكم إلى إحياء الهجر العلمية الدينية التى كانت قد اختفت معالمها فى مختلف أنحاء اليمن، واندثر دورها العلمى، بسبب قرون من الصراع اليمنى العثمانى. ولقد أولى الإمام يحيى المناطق الوسطى عناية خاصة، فكلف الكثير من العلماء بالانتقال إلى هذه الهجر، لنشر العلم فيها، وتدرّس فنونه المختلفة، وإقامة الدعوة، والتذكير والإرشاد، والجمعة والجماعة. ولقد خصص الإمام يحيى الأموال لهذه الهجر من واردات الأوقاف للقيام بواجباتها على أكمل وجه، ومن هذه الهجر - على سبيل المثال وليس الحصر - هجرة سناع من بلاد البستان القريبة من صنعاء، والتى قامت بدورها على أكمل وجه بعلمائها المكلفين بالتدرّس، وهجرة حصن كحلان فى منطقة حجة، وهجرة بلاد الحيمة<sup>(١٦)</sup>. وبفضل تلك الهجر العلمية زحرت بحور العلم، وانتعشت الثقافة الأدبية واللغوية والدينية، وفاضت القرائح، وازدهرت الأقلام، ونبغ رعييل مثقف فى اليمن، انتقل إلى المدن الكبرى، وخاصة صنعاء للالتحاق بدور العلم الرسمية الأكثر تخصصًا، للاستزادة من العلوم، مما كان له أثر عظيم فى الرخاء الثقافى فى اليمن<sup>(١٧)</sup>، إلى درجة أن كل الرموز الفكرية، والوجوه الثقافية لليمن عبر القرن العشرين، كانوا من خريجي مدارس الإمام يحيى، ولم تنجب اليمن مثلهم حتى اليوم، بعد خمسين عاما من عمر ثورة ٢٦ سبتمبر.

#### • المشروعات الصناعية:

كان من أهم مخرجات زيارة سيف الإسلام محمد بن الإمام يحيى إلى إيطاليا إقامة أول ورشة حديثة للسلاح فى الجزيرة العربية فى العشرينيات من القرن العشرين، لتحل محل

المعمل القديم للرصاص، الذى كان يديره جورجى النمساوى فى صنعاء، والذى لم يعد يفى بالغرض، مع تعاظم التهديدات البريطانية. وقد قام الإمام باستيراد الماكينات، واستقدام المهندسين الإيطاليين لإقامة هذا المشروع، حيث بلغ عدد المهندسين الميكانيكيين عشرين مهندسا، راتب الواحد منهم ١٠٠٠ ريال فضة فرانصى فى الشهر، أما عمال الورشة، فقد بلغوا حوالى ٢٠٠ عامل يمنى، ممن تعلموا مبادئ الميكانيكا. وقد عنيت هذه الورشة بإصلاح الأسلحة بأنواعها، وإنتاج طلقات الرصاص للأغراض العسكرية، أما للأغراض المدنية، فقد احتوت الورشة على مكينات الحدادة والنجارة، وإصلاح عربات النقل<sup>(١٨)</sup>.

ولم تقتصر نشاطات المهندسين الإيطاليين على إنشاء هذه الورشة، بل تعدى إلى غير ذلك من المشاريع التقنية، ومنها إنشاء مصنع للقطن فى صنعاء، ومصنعين آخرين لتنظيف القطن وحلجه<sup>(١٩)</sup>، بعد أن نجحت التجارب فى زراعة القطن فى اليمن، بالاستعانة بعالم نباتات إيطالى، مما ساعد على الاستغناء عن استيراد هذا المنتج، وحقق الاكتفاء الذاتى منه لليمن<sup>(٢٠)</sup>. إضافة إلى ذلك، فقد قام المهندسون الإيطاليون بإنشاء مضخات للمياه ومسح للطرق بين المدن الكبرى، تمهيدا لشقها<sup>(٢١)</sup>، وتبعاً لذلك بدأت تتدفق الأدوات الفنية إلى اليمن، مثل المعامل وآلات الطحين والتلفونات اللاسلكية التى توزعت فى جميع أنحاء البلاد<sup>(٢٢)</sup>.

وبالرغم من أن إيطاليا كان لها النصيب الأكبر فى الإشراف على كافة المشاريع الصناعية فى اليمن، إلا أن الإمام يحيى استعان كذلك بخبرات بعض المهندسين والتقنيين الأمريكيين، الذين توافدوا إلى اليمن بدعوة خاصة منه، للقيام ببعض المشروعات الخدمائية، مثل بناء جسور وطواحين هوائية وغيرها من الأدوات الخدمائية<sup>(٢٣)</sup>.

#### • طرق المواصلات:

بدأ المهندسون الإيطاليون فى شق طرق للمواصلات منذ نهاية العشرينيات من القرن الماضى مباشرة، بعد توقيعه الاتفاقية مع إيطاليا، وحسب ما ورد فى الوثائق البريطانية، فإن إيطاليا قد قامت بشق طريق للسيارات بين المخا، ومدينة تعز، ومنطقة ماوية لأغراض تجارية<sup>(٢٤)</sup>. وإضافة للمهندسين الإيطاليين، فإن الإمام قد استعان ببعض المهندسين الأمريكيين تحت إشراف المهندس توتشل، فى شق طرق أخرى ما بين مدينة الحديدة ومدن أخرى، مثل ضريمة والطايف<sup>(٢٥)</sup>، كما قام المهندسون الأمريكيون بتخطيط وتعبيد

طريق من العاصمة صنعاء إلى مدينة حجة، وتبعاً لذلك أصبحت الطرق صالحة لنقل البضائع بالسيارات، التي ازداد عددها في آخر العشرينيات ومطلع الثلاثينيات، فصارت بال عشرات، بينما كانت تعد بالآحاد منذ بضعة سنوات<sup>(٣٦)</sup>. وتم ترتيب وصول المهندسين الأمريكيين إلى مناطق أخرى لمسح الطرق، ومن هذه المناطق التي تم مسحها، ومن ثم شقها، طريق معبر، والطريق ما بين الحديدية وحجة. وإضافة إلى الطرقات التي شقها المهندسون الأمريكيون، فقد قاموا كذلك ببناء جسر على الطريق الموصلة إلى صنعاء<sup>(٣٧)</sup>. والأقرب إلى العقل، أن الطرقات التي شقها المهندسون الإيطاليون والأمريكيون ربما كانت ترابية، حيث إن الأسفلت لم يكن قد دخل بعد إلى اليمن، ولا إلى غيرها من دول الجوار في مرحلة العشرينيات من القرن الماضي.

#### • وسائل الاتصالات:

بدأ مهندسو الاتصالات الإيطاليون يمدون أسلاك الاتصالات السلكية واللاسلكية، بعد إنزال السفن الإيطالية لصناديق تحتوي على الأسلاك الخاصة بذلك<sup>(٣٨)</sup>، وكان البدء في مد الأسلاك من الحديدية امتداداً إلى باجل، ومناخة، وصنعاء<sup>(٣٩)</sup>. ويصف الرحالة السوري نزيه مؤيد العظم أحد مراكز التلغراف اللاسلكي في الحديدية، والتي بدأت بوصول اليمن بالعالم الخارجي، بقوله: إن هذا المركز يديره الأخصائيون من الطليان، للتواصل مع مصوع وأسمره في الساحل الأفريقي<sup>(٤٠)</sup>.

ولقد امتد التطوير في وسائل الاتصالات اللاسلكية إلى أن أصبح هناك شبكة اتصالات دولية متكاملة<sup>(٤١)</sup>. أما مصلحة التلغراف في صنعاء، فيقول عنها نزيه مؤيد العظم: إنها تابعة لمصلحة البريد، ويمكن للمرء أن يتخبر بالتلغراف مع من شاء في جميع أطراف اليمن بسهولة تامة، وبأجور بخسة، بالإضافة إلى وجود مركز لاسلكي للتلغراف، أسسه الطليان بأمر الإمام يحيى، وصار من السهل أن يتخبر الإنسان من صنعاء مع العالم الخارجي عن طريق مصوع. وعلاوة على ذلك،

فقد اشتركت حكومة الإمام في التلغراف الدولي (كابلو)، عن طريق منطقة الشيخ سعيد، حيث صار بالإمكان مخابرة اليمن من جميع أطراف العالم<sup>(٤٢)</sup>. ولقد حرص الإمام يحيى على افتتاح مدرسة للتلغراف خاصة بتعليم الكوادر اليمنية، ليتسنى للإمام الاستغناء عن الكوادر الإيطالية<sup>(٤٣)</sup>، سيما وقد انتشر التلغراف، وتوزعت التلغرافات اللاسلكية في جميع أنحاء اليمن<sup>(٤٤)</sup>.

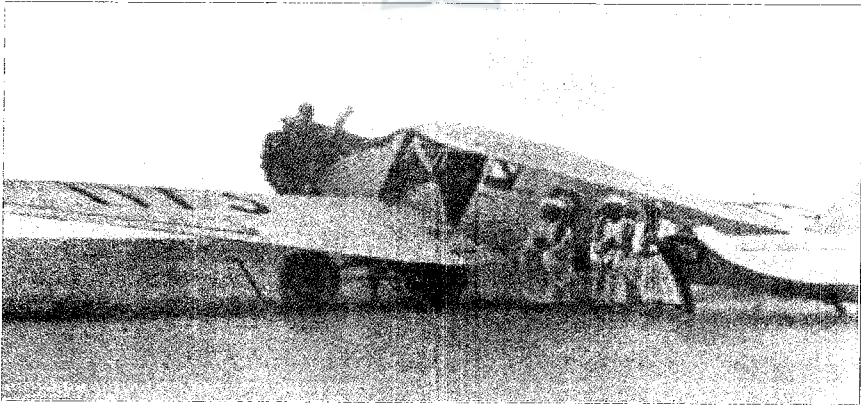
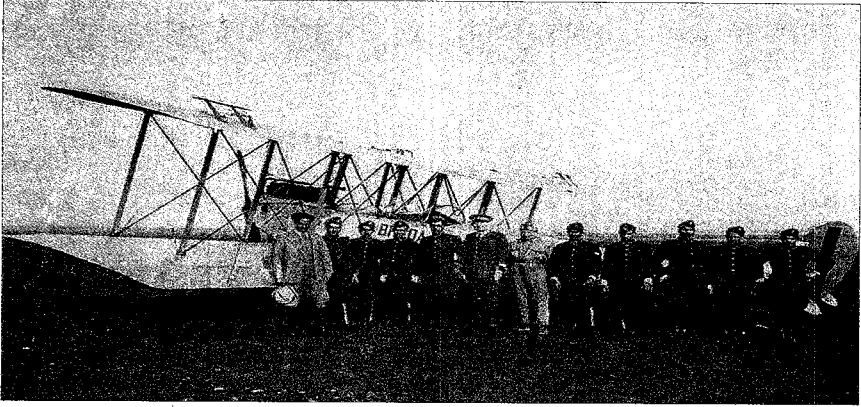
## • البعثات الدراسية:

كانت اليمن الدولة الأولى على مستوى الجزيرة العربية التي بادرت بابتعاث الطلبة إلى الخارج في فترة العشرينيات، حيث إن أول دفعة كانت تتألف من عشرة طلاب، أرسلوا إلى أسمره الخاضعة لإيطاليا، لدراسة علم الطيران، وتم اعتماد منهج منتظم لهم<sup>(٣٥)</sup>، ومن ثم أرسلت الدفعة الثانية في بعثة أخرى إلى إيطاليا عام ١٩٢٦م قوامها ١٢ طالبا للغرض نفسه، وعادوا إلى اليمن في أواخر عام ١٩٢٩م، بعد حصولهم على شهادة الطيران<sup>(٣٦)</sup>. ولقد صادف أثناء زيارة نزيه مؤيد العظم إلى اليمن وصول الخريجين من إيطاليا، مما أتاح له فرصة الحديث معهم، فأخبروه عن إتقانهم فن ميكانيكا الطائرات وقيادتها بدون الحاجة إلى مرافقين إيطاليين<sup>(٣٧)</sup>. وإضافة إلى بعثة الطيران اليمنية في العشرينيات، فقد تم إرسال بعثة صحية إلى أسمره<sup>(٣٨)</sup> وبعثات دراسية أخرى إلى إيطاليا ومصر لدراسة الطب<sup>(٣٩)</sup>.

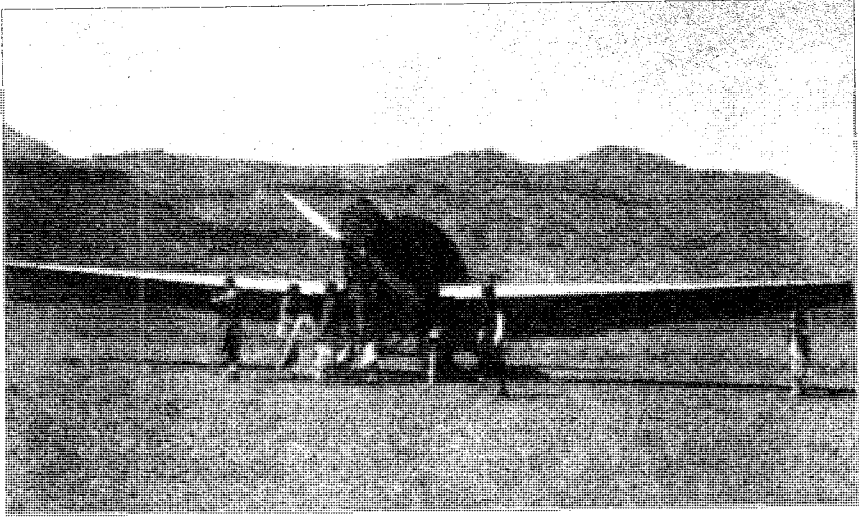


الطلاب اليمنيون في أول بعثة لتعلم الطيران في إيطاليا على مستوى العالم العربي في عام ١٩٢٦م





أول دولة في الجزيرة العربية تشتري الطائرات، وتبتعث الطلاب إلى الخارج لدراسة الطيران



مخرجات بعثة الطيران بعد تخرج الطلاب اليمنيين من إيطاليا

## • الخدمات الطبية:

كان من حتمية انسحاب الأتراك، خلو اليمن من أى عارف بفن الطبابة، شأنها فى ذلك شأن كل الدول فى جزيرة العرب فى ذلك الزمان، فلم يكن الناس يعنون كثيرا بالطب والأطباء، وخصوصا القبائل، حيث كانت تداوى معظم الأمراض بالكى والنار، وبعض الوصفات العشبية التى توارثها الأبناء عن آبائهم، إلا أنه كان هناك بعض الأطباء الأتراك فى صنعاء أيام التواجد العثمانى، فرأى الإمام يحيى لزوم استبقاء بعضهم للمصلحة العامة، ولا سيما بعد أن ترك العثمانيون من الأدوية شيئا كثيرا، كانت مودعة فى مخازن المستشفى العسكري، ومخزن المستشفى البلدى، فتم الأمر على بقاء رئيس أطباء المعسكر العثمانى عزيز بك، وحسنى بك من ذوى المهارة، وسليمان بك، وغيرهم من الجراحين، حيث رتب لهم الإمام المرتبات الواسعة، وانتظم أمر المستشفى بالأطباء، والصيدالة، والجراحين، والخدم القائمين على أمور المرضى ومصالحهم، كما كان فى أيام الدولة العثمانية.

وقد أمر الإمام بقبول ذوى الفقر والحاجة من المرضى فى المستشفى بدون أجر، فمكث فيه المريض للمعالجة وأدويته وكفايته تسلم إليه مجانا، وبدون عوض. وقد خصص الإمام جماعة من الجيش وغيرهم لتعلم فن الطبابة من الأطباء الأتراك المذكورين آنفا<sup>(٤١)</sup>، فتم افتتاح مدرسة طبية فى صنعاء فى شهر يونيو من سنة ١٩١٩م تحت إدارة الكولونيل التركى عزيز بك<sup>(٤٢)</sup>.

إلا أن النقلة النوعية فى الخدمات الطبية، كانت بعد توقيع الإمام يحيى اتفاقته مع إيطاليا، حيث بدأ الأطباء الإيطاليون فى التدفق على اليمن منذ نهاية العشرينيات، وأستشهد فى هذا السياق بما كتبه نزيه مؤيد العظم فى كتابه (رحلة فى بلاد العربية السعيدة)، واصفا الحال فى اليمن عند زيارته لمدينة الحديدة، حيث يقول: «مرض أحد خدمنا، فسألنا إذا كان يوجد طبيب فى البلد، فقيل لنا: نعم، يوجد طبيب إيطالى، ويوجد مستشفى للحكومة يشرف عليه هذا الطبيب، وهو موظف رسمى فى حكومة الإمام، ويتناول راتبه من بيت مال المسلمين، والحكومة تنفق على المستشفى، وتأذن

لجميع الأهلين بدخوله مجانا، كما أنها تعطي الفقير منهم الأدوية مجانا\* . وقد زرت هذا المستشفى، فوجدته في غاية من النظافة والترتيب، وفيه غرفة فنية للعمليات الجراحية، وأدوات جراحية كاملة، وصيدلية كبيرة مملوءة بالعقاقير، ويساعد الطبيب الإيطالي بعض المساعدين من الأحباش، جلبوا من مصوع. استدعينا هذا الطبيب، فوجدناه على غاية من الظرف واللطف، أنيس المعشر، رقيق العبارة، وبعد أن طبب مريضنا، وأعطاه الأدوية اللازمة، دار حديث طويل بيننا وبينه، سألناه فيه عن الصحة العامة في اليمن، فأجاب: إنه قد صار له في اليمن عدة سنوات يخدم حكومة الإمام، وقد طاف كثيرا في بلاد اليمن، ووقف على أحوال أهلها وأمراضهم<sup>(٤٢)</sup>.



صورة لأحد المستوصفات الطبية التي بدأت تنتشر في مناطق اليمن بإدارة الأطباء الإيطاليين والروس في خلال النصف الثاني من عشرينات القرن الماضي، ويظهر في الصورة ممرضة يمنية من الطائفة اليهودية وهي تعمل في احد المستوصفات

\* كانت سياسة الدولة في عهد الإمامين يحيى وأحمد تقديم الخدمات الطبية وصرف العلاجات للفقراء والمساكين مجانا، فإضافة لشهادة الرحالة نزيه مؤيد العظيم في هذا الشأن، هناك شهادة الدكتور الروسي أوليغ بيريسيبيكين في مذكراته عن اليمن (اليمن واليمنيون في ذكريات دبلوماسي روسي) حيث شهد بأن المرضى الفقراء كانوا يتعالجون في المستوصفات والعيادات الطبية السوفياتية مجانا بأمر الامام يحيى، إضافة إلى شهادات أخرى سوف اسلط الضوء عليها لاحقا.

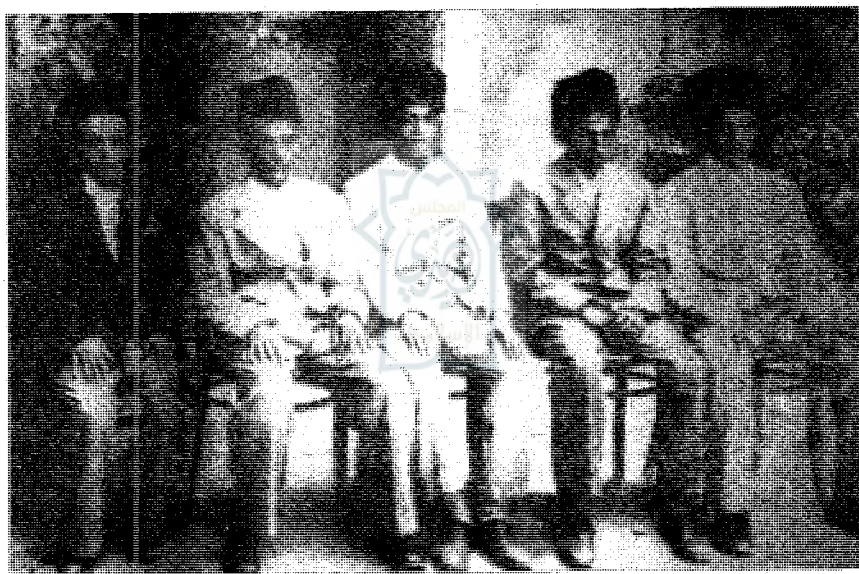
إلا أن النفور من الأطباء الإيطاليين كان ظاهرة منتشرة عند اليمنيين، الذين لم يعودوا على وجود أطباء من غير جنسهم ودينهم، إضافة إلى أن اليمنيين شأنهم شأن كافة القبائل العربية في العشرينيات من القرن الماضي، لم يكونوا يؤمنوا بالطب والتطبيب الحديث، بل كان الطب الشعبي هو السائد.

أما عن الصيدليات في العشرينيات، فيقول نزيه مؤيد العظم واصفا الحال: «أول شيء استرعى نظري في أحياء صنعاء، هو صيدلية البلدية التي تبعد بضعة أمتار عن باب شرارة، وقد وضعت عليها لوحة مكتوبة باللغة التركية، دخلت إليها، فرأيت رجلا نحيف الجسم، أسمر اللون، جالسا إلى كرسي وأمامه غلام يقرأ ورقة، فطلبت منه بعض العلاجات، مثل كينا، وأسيرين، وصبغة يود، وملح إنكليزي.. إلخ، فقدمها لي حالا، فنظرت إلى زجاجة أقراص الكينا، فإذا بها من معمولات شركة ويلكم الإنكليزية، فقلت: يظهر أنكم تجلبون عقاقيركم من بريطانيا العظمى، فقال: عندنا علاجات مختلفة، جلبنا بعضها من بريطانيا، وبعضها من فرنسا، وبعضها من إيطاليا وألمانيا. أجلت البصر في هذه الصيدلية الوحيدة من نوعها في صنعاء، فرأيتها على غاية من النظافة والترتيب، لا تقل رقيا وترتيبيا عن متوسط الصيدليات في بلادنا، فقلت له: من دواعي سروري أن أرى صيدليتكم تضارع الصيدليات الراقية في ترتيبها، فقال: أشكرك على هذا التقدير، هلم تفضل، وانظر مستودع العلاجات في الدور العلوى، وصعد في سلم حجري نظيف، فصعدت خلفه، فوجدت ثلاث غرف كبيرة قد كدست فيها أنواع مختلفة من العقاقير والأجزاء الطبية، وجميعها مرتبة أحسن ترتيب، ونزلت ثانية إلى الصيدلية، فوجدت الغلام مكبا على قراءة ورقة، فأخذتها بيدي وتأملتها، فإذا فيها أسماء علاجات كثيرة مكتوبة باللغة الإيطالية، التي يتقنها الغلام ووالده بعد أن تعلمها عقب مجيئ الأطباء الطليان إلى اليمن. وسألت الصيدلي: كم ثمن هذه العلاجات التي أخذتها؟ فقال: كذا بالعملة اليمنية، فقدمت له المبلغ، وهو في الحقيقة زهيد جدا، فقلت له: يظهر لي أن أثمانكم بخسة جدا، فقال: يجب أن تكون بخسة، لأننا لم نفتح هذه الصيدلية بقصد الربح، الله يحفظ جلاله الإمام وحكومته، لأن قصدهما من فتحها المنفعة العامة ليس إلا، ونحن لا ندفع على علاجاتنا جمركا، لأنها تخص الحكومة، وقد أمرتنا الحكومة بأن نعطي العلاجات إلى الفقراء مجانا، وأن نتقاضى من الأغنياء ثمن العلاج دون أقل ربح،



لذلك تجد أثماننا بخسة إلى هذه الدرجة. ثم سألته: هل يوجد في جميع أطراف البلاد صيدليات على هذه الصورة؟ فأجاب: كلا، لا توجد صيدليات، ولكن يوجد أطباء طليان فى الحديدية، وحجة، وتعز، وغيرها من المدن، ويرافق كل طبيب خبير كيماوى، يمكنه أن يركب العلاجات بحسب أمر الطبيب<sup>(٤٣)</sup>.

إلا أنه بعد توقيع اليمن اتفاقية عام ١٩٢٨م مع الاتحاد السوفياتى، افتتحت الكثير من الصيدليات الخيرية فى نهاية العشرينيات فى مدينة الحديدية وصنعاء، إضافة إلى عدد من المستشفيات التى كان يديرها أطباء روس<sup>(٤٤)</sup>. لعلاج المواطنين ولإقامة دورات للعاملين وللطلبة اليمنيين فى المجل الطبى<sup>(٤٥)</sup>.



طلاب يمنيون فى أول بعثة إلى نابولى لدراسة الطب فى عام ١٩٢٦م

## • الصحافة:

منذ أن تولى الإمام يحيى الحكم، حرص على تأسيس صحيفة لتعبر عن لسان الدولة ومواقفها الرسمية، وتعزز من الحماس الوطنى والتماسك فى الجبهة الداخلية، فى مواجهة الحملات الإعلامية التى كان يقوم بها المستعمر البريطانى، لتمزيق وحدة البلاد، لذلك بادر بإنشاء أول صحيفة رسمية للدولة فى عام ١٩٢٦م، سماها صحيفة الإيمان، والتى صدرت مباشرة بعد توقيع الاتفاقية اليمنية الإيطالية. وكالعادة التى درج عليها خصوم الإمام يحيى فى محاولة طمس أى أثر إيجابى له، اعتبروا أن هذه الصحيفة لم تكن سوى أوراق صفراء بلا مضمون، همها مدح الإمام وعائلته، إلا أن الدكتور محمد عبد الملك المتوكل، رئيس قسم العلوم السياسية فى جامعة صنعاء فند هذه الأكاذيب، بتأكيدده على أن الصحيفة تابعت الأحداث العالمية، وسجلت رأيها فى كثير منها، ونشرت مقالات طويلة فى مواضيع اقتصادية، واجتماعية، وثقافية، وتصدت للاستعمار، وتابعت بإعجاب حركات التحرر فى الصين والهند وغيرها من دول العالم. وفى الجانب الاقتصادى، يؤكد الدكتور المتوكل على أن صحيفة الإيمان دعت إلى محاربة الاستيراد للسلع من الخارج، وإلى تطوير الإنتاج، وإلى التعاون وبناء الشركات الصناعية والزراعية والتجارية، كما كان للجريدة دور كبير فى توحيد صفوف اليمنيين، بمحاربة دواعى التفرقة الطائفية والعنصرية<sup>(٤٦)</sup>.

وبالرغم من أن جريدة الإيمان كانت الجريدة الوحيدة التى أسسها الإمام يحيى فى ذلك الزمان، إلا أننا يجب ألا نتغافل عن ظروف المرحلة، حيث كانت الصحافة برمتها فى الجزيرة العربية تتسم بالتواضع، وعدم الشبوع فى تلك المرحلة، لانعدام الوعى والتعليم، وشح الإمكانيات، فكم من صحيفة يا ترى كانت تصدر فى دول شبه الجزيرة العربية فى تلك المرحلة؟! وهل من العقلانية أن نقارن الحال فى تلك المرحلة بصحافة اليوم؟!

## • الثقافة والتعليم:

لا يمكننا أن نتحدث عن الثقافة والتعليم فى اليمن بمعزل عن المناخ الثقافى والاجتماعى السائد فى الجزيرة العربية، والذى لم يخرج عن إطار الثقافة الإسلامية التقليدية التى اقتصرت على القرآن، والتراث، والأدب العربى القديم. وهذا الاتجاه إن كان هو الغالب فى الجزيرة العربية، فهو الوحيد فى القطر الشمالى، لاعتبارات تتعلق بظروف اليمن

التاريخية، والجغرافية، والسياسية التي لم تساعده على التواصل والتبادل مع محيطه الحدائشي فى العالم العربي، لوعورة الجغرافيا، وصعوبة المواصلات، مما جعل طريقة التعليم مصبوغة بالصبغة التقليدية البحتة.

وبالرغم من التركيز على العلوم الدينية والتراثية التي انتعشت فى فترة العشرينيات والثلاثينيات<sup>(٤٧)</sup>، إلا أن ذلك لا يعنى انعدام اليمن من التعليم والثقافة الحديثة، وفى ذلك يقول اديب اليمن وشاعرها البردوني: «إن ما قبل الثورة لم يكن قفرا من الثقافة، وإنما كانت هناك ثقافة قد لا تكون وفيرة، ولكنها كانت أثرى نفعاً على قلتها<sup>(٤٨)</sup>». ويتسائل البردوني بقوله: «كيف نفسر وفرة الأعلام المتفوقين الذين نبغوا فى ظل حكم الإمام يحيى، لولا الازدهار والرخاء الثقافى الذى تفتحت فيه الثقافة القديمة بالثقافة المستحدثة، مما مهد الطريق لبروز الأعلام المتفوقين الذين نبغوا فى ظل حكم الإمام يحيى، ومنهم نماذج كأحمد عبد الوهاب الوريث مؤسس مجلة الحكمة، ومحمد محمود الزبيرى، الشاعر والمؤلف السياسى، وعبد الكريم مطهر المؤرخ والشاعر، ومحمد على الأكوخ المؤرخ المحقق، وزيد المشكى الشاعر، وعبد الكريم الأمير الشاعر الصحفي، وعلى عقبات الخطيب الشيعى، وإبراهيم الحضرانى الشاعر اللماح، وعبد الله الشماحى المؤرخ الخطيب الشاعر، وأحمد المرونى شاعر الجيش، وأحمد عبد الله السالمى الشاعر العواد، ويحيى محمد الأريانى القاضى العلامة، وعبدالرحمن الشامى العالم المحدث، وزيد على الديلمى العالم المجتهد، ومحمد الحجرى المؤرخ الشعبى، إلى جانب العشرات فى كل الميادين الثقافية الأدبية، واللغوية، والدينية<sup>(٤٩)</sup>».

وهؤلاء جميعاً تخرجوا من المدارس التى أسسها الإمام يحيى فى فترة العشرينيات، أما ما قبل العشرينيات، وبالذات فى فترة ما بعد اتفاقية دعان، المبرمة مع الأتراك عام ١٩١١م، فقد كان جهد الإمام يحيى منصبا على إحياء الهجر العلمية فى مختلف أنحاء اليمن.

ولتفنيده مقولة انعدام المدارس فى اليمن فى فترة العشرينيات فى عهد الإمام يحيى، أستشهد بما سجله الرحالة نزيه مؤيد العظم خلال مشاهداته إبان رحلته إلى اليمن فى عام ١٩٢٦م واصفا مدرسة المكتب الرشدى المتوكلى فى الحديدة، بقوله: «زرت المكتب الرشدى المتوكلى، ومديره سليم بك الفاخورى، وأساتذته أحمد أفندى الكثيرى، والفقهاء



حمود الكستبان، ومحمد أفندي صادق البخارى، وسليمان صادق البخارى وغيرهم. ويبلغ عدد الطلاب فيه نحو مائتين، يتعلمون القراءة، والكتابة، والصرف، والنحو، والقرآن، والحساب، والجغرافيا، إلى غير ذلك من العلوم الابتدائية. ولقد أبدى لى سمو سيف الإسلام محمد بن الإمام يحيى رغبته الشديدة فى جلب بعض المعلمين من سوريا، ليدرّسوا الأولاد، ويشرفوا على هذا المكتب وغيره من المكاتب، وعند عودتى إلى مصر اقنعت الأخ الصديق عادل الحامدى الطرابلسى بلزوم ذهابه إلى اليمن، وتسلم مديرية مكتب الحديد، فلبى طلبى - حفظه الله - وسافر إلى اليمن فوراً<sup>(٥٠)</sup>.

أما فى صنعاء، فكان هناك المدرسة العلمية، وهى أول دار علوم تنفق عليها الدولة، وتمنّج دراستها، وتصرف رواتب أسبوعية لطلبتها مدة سنوات الدراسية<sup>(٥١)</sup>. ولهذه المدرسة الفضل فى حفظ جودة القضاء والقضاة لمدة تقرب من خمسين عاماً، كما أشار إلى ذلك حسين المقبلى، وهو أحد المعارضين السياسيين لحكم الإمام وأسرته<sup>(٥٢)</sup> ويصف نزيه مؤيد العظم هذه المدرسة العلمية بقوله: رأيت التلاميذ يأتون إليها أفواجا، وجميعهم بعمائم بيضاء، ويلبسون ألبسة جميلة وثمينة، تدل على أنهم من أبناء الطبقة الغنية، وقفت أنظر إليهم وأتأمل بملامحهم، فجاءنى بعضهم وبدأت أسألهم عن عدد الطلبة، وعن العلوم التى يدرسونها، وأوقات الدرس، إلى غير ذلك من الأسئلة، فأجابنى أحدهم: إنهم يدرسون من الصباح إلى الظهر، ومن ثم يستريحون نحو ساعة من الزمان يتغدون خلالها، فيذهب الطلبة النهاريون إلى بيوتهم، ويتعشى الطلبة الداخليون فى المدرسة.

أما عدد الطلبة فيبلغ نحو خمسمائة طالب، والقسم الكبير منهم داخليون، وهم رهائن عند جلالة الإمام، ويدرسون القرآن، والصرف، والنحو، والفقه، والحديث، وجميع العلوم الدينية، والإنشاء، والبيان، والعروض، والحساب، والجغرافيا، وغير ذلك من العلوم والفنون<sup>(٥٣)</sup>. وقد كان مقر هذه المدرسة فى السابق سكنا وسيعا للولاة العثمانيين، ثم حولها الإمام يحيى بعد رحيلهم إلى مدرسة، وزاد فى توسيع بنائها بإضافات عديدة فى جهاتها الغربية والجنوبية، وفيها أماكن للمدير، والمدرسين، وأعوان المدير، والمراقبين، ومحلات للنوم لطلبة الأقسام الداخلية الذين كانوا يبيتون فيها، والأكل، والطباخين وغيرهم من المستخدمين، وفيها المسجد المزود بالمطهر المعدة للوضوء والاعتسال<sup>(٥٤)</sup>.

ومما ينبغي تسجيله للإمام يحيى، إضافة للمدرسة العلمية فى خدمة العلم والأدب وجمع التراث، بناؤه فى عام ١٩٢٦م المكتبة الكبرى فى الجامع الكبير بصنعاء، وجمعه لها من الكتب النفيسة من كل فن، وإضافته إليها خزائن كتب الوقف القديمة، إضافة إلى تأسيسه فى صنعاء مدرسة الأيتام، التى كان تعداد طلابها سبعمائة طالب، وفر لهم الإمام كل ما يلزم من المأكل والملبس<sup>(٥٥)</sup>، إلى جانب الإعاشة، ونفقات الدراسة والرعاية الصحية<sup>(٥٦)</sup>، حيث كان النظام فيها داخليا، ووفر لها مرافق إدارية، كالمطبخ، ومسكن الخدم، ومرافق صحية، وكانت تعد من أرقى المؤسسات التعليمية فى اليمن بعد المدرسة العلمية، وكان المتفوقون من خريجها يرشحون لبعض الوظائف الإدارية، أو يوفدون فى بعثات دراسية إلى خارج اليمن، ومنهم الكثير من رموز اليمن الجمهوري، الذين ابتعثهم الإمام للدراسة فى الخارج بعد تخرجهم، مثل محى الدين العنسي، وأحمد حسين المروني، وعبد الله السلال، وزيد على عنان، وحمود الجايغي، وأحمد الحورش، وحسن العمرى، وأحمد الأنسي، وحمد العلفى<sup>(٥٧)</sup>.

أما المدن الأخرى التى بها معاهد علمية على شاكلة ما هو موجود فى صنعاء، فقد كانت منتشرة فى مدينة تعز، وحجة، والمدان، وصعدة، وثلا، والسودة، وحوث، ومناخة، وريمة، وزبيد، وذمار، ويريم، وإب، وجبله<sup>(٥٨)</sup>.

وبالرغم من وجود هذه المدارس، إلا أنه كان من الصعب فى تلك الحقبة الهضم خلال سنوات معدودة لثقافة أكاديمية حديثة، لتحل محل ما هو متوارث من ثقافة دينية تقليدية ترسخت خلال احدى عشر قرنا من حكم الأئمة فى اليمن، فذهنية أفراد المجتمع لم تكن قد تشكلت بعد على النموذج المعاصر، لذا كان انتشار ما يسمى بالمعلومات أكثر شيوعا من المدارس الأكاديمية الحديثة. والعلامة كانت عبارة عن عدة صفوف أو مستويات تعليمية متعاقبة يدرس فيها الطلبة العلوم التقليدية من قرآن، وفقه، ولغة عربية، حتى يبلغ التلميذ درجة تؤهله للالتحاق بالمعاهد العليا العلمية<sup>(٥٩)</sup>.

#### • الاقتصاد والتجارة:

كانت معظم النشاطات التجارية فى فترة العشرينيات بيد التجار الهنود، وبعض التجار الأتراك، بالإضافة إلى تاجر يونانى واحد ألف شركة دعاها ليفراتو، كانت تبتاع معظم محاصيل اليمن من البن، وتصدره إلى أمريكا، وبريطانيا، وفرنسا<sup>(٦٠)</sup>. ويعزى السبب فى

عدم اتساع التجارة إلى أن الدولة كانت ما تزال في طور التشكل، ولم تستقر قواعدها ولا حدودها بعد، إضافة إلى افتقاد الدولة في بدايتها إلى الأمن وطرق المواصلات الحديثة، ناهيك عن أن معرفة اليمينيين بالعالم الخارجي وأسواقه كانت محدودة، إن لم تكن منعدمة، بسبب قرون من الحصار العثماني، الذي حرم اليمن من أى تبادل تجارى أو ثقافى، إلا أنه مع انفتاح اليمن على العالم الخارجى، وخاصة بعد توقيع اتفاقية عام ١٩٢٨م مع الاتحاد السوفياتى، افتتح الكثير من الشركات والوكالات التجارية السوفياتية فى كل من زبيد، وباجل، واللحية، والحديدة، وكلها مدن ساحلية، بالإضافة إلى العاصمة صنعاء.

وقد تدفق الوكلاء السوفيات إلى هذه المدن، وفيهم ممثلو الصحف، والمحاسبون، والموظفون الإداريون، والوكلاء التجاريون، والصيادلة... إلخ، ووصلت البواخر الروسية المحملة بالبضائع إلى الحديدة بخطوط سير منتظمة، قادمة من البحر الأسود، وأوديسا، وفيلادفوستوك، والخليج<sup>(١١)</sup>، مما أغرق الأسواق اليمنية بالبضائع والسلع السوفياتية الرخيصة جدا، مع إعطاء تسهيلات فى الدفع لم يسبق لها مثيل، قائمة على المدفوعات الآجلة<sup>(١٢)</sup>.

وقد امتدح نزيه مؤيد العظم الشركة التجارية الروسية التى رآها فى العشرينيات تكسر الاحتكار، وتضارب تجار البن الأجانب وغيرهم من التجار بشتى البضائع، حيث يقول: رأيت السماسرة السوفيات فى الطريق يبتاعون البن رأسا من القرويين، وقد جلبوا شيئا من السلع المختلفة، كالسكر، والأرز، والدقيق، والكاز، والخشب، والكبريت، والأقمشة، إلى غير ذلك من البضائع الكثيرة، واستولوا كذلك على الأسواق التجارية، وثبتوا أثمان الحاجيات، بعدما كان التجار يتلاعبون بها كيفما شاؤوا، وقد كان لهذه الدعاية البلشفية أثر بعيد فى اليمن، وقد أخذ بها معظم الناس، وصاروا يمتدحون هذه الشركة، ويثنون عليها أطيّب الثناء. وقد اهتمت الحكومة الروسية كثيرا بأمر اليمن، وصارت تسيّر بوآخرها من أوديسا فى البحر الأسود إلى خليج فارس فى العجم، فتمر هذه البواخر بالبحر الأحمر، وتقف بالحديدة فى ذهابها وإيابها، تنقل البضائع والحجاج بأثمان بخسة لا تزاخم، وقد ضربت بعملها هذا السفن التجارية الصغيرة التى تسيّر بين شواطئ البحر الأحمر ضربة قاضية، لأن أصحاب هذه السفن كانوا يستنزفون أموال التجار، ويتقاضون منهم أجورا غير معقولة لنقل بضائعهم، ولا أكون مغاليا إذا قلت: إنهم يتناولون أجرة الطن من عدن إلى

الحديدية، كما تتناول السفن الكبيرة أجرة الطن ما بين عدن ونيويورك، ولذلك حينما أتت هذه الشركة الروسية، حول التجار نظرهم نحوها، وانصرفوا عن غيرها، ولا تأتي سفينة روسية إلى الحديدية اليوم إلا وهي مملأى بشتى البضائع والحاجيات، وتعود من الحديدية مملأى بالجلود والبن<sup>(٦٣)</sup>».

### البناء والتحديث فى مرحلة الثلاثينيات:

لقد ذهب الكثير من الكتاب والنقاد الثوريين إلى الرأى بأن الساحة قد خلت تماما للإمام يحيى فى فترة الثلاثينيات من أى تحديات داخلية وخارجية، وخاصة منذ عام ١٩٣٤م، التى عقد فيها الإمام يحيى اتفاقيات حدود مع بريطانيا والمملكة العربية السعودية، أمنت جانب اليمن من الأخطار والاضطرابات، وأرست حدود البلاد الدولية، ومنحت الإمام يحيى فرصة ذهبية لاستقرار نظامه السياسى، والنهوض باليمن بمشاريع تحديثية وخطط تنموية، إلا أن الإمام بزعمهم لم يحسن استغلال هذه الفرصة، فبدلا من أن يقوم بتطوير البلاد بشىء من السرعة، حتى يعوض ما فاتته، فإنه جنح إلى الخمول والركون إلى النوم، مكثفيا بما حققه من ترسيخ لمملكة خاصة به وبذريته.

وفى مقابل هذا الرأى السلبي فى حق الإمام يحيى، كان هناك رأى آخر لجهات محايدة، ومنها ما عبر عنه إستاخوف، رئيس البعثة السوفياتية التى وصلت إلى صنعاء عام ١٩٢٨م، لعقد اتفاقية تجارية مع حكومة اليمن، فلقد عبر عن مشاهداته قائلا: «إن أقل مبادرة إصلاحية يتجرأ الإمام عليها، يستقبلها المشايخ المتنفذون وفتة السادة بمقاومة ضارية، وبصعوبة بالغة يتمكن الإمام من إجراء هذه أو تلك من التجديدات، مثل استخدام السيارة، والدراجة البخارية، والسماح بوصول الأطباء الأجانب، وبعث الطلاب إلى الخارج، حيث قوبلت تلك الإجراءات بمقاومة عنيدة من قبل هؤلاء، وتحققت بعد مناورات صعبة طويلة<sup>(٦٤)</sup>».

والواقع أن الإمام يحيى، بالرغم من الواقع الصعب الذى واجهه فى مقاومة المجتمع الضارية للتغيير والاستيعاب لمتطلبات التحديث، إلا أنه لم يركن إلى هذا الواقع، بل أجاد فن المناورة، باتباع سياسة موازنة دقيقة ما بين حسابات الريح والخسارة أو بالأحرى ما بين المصالح والمفاسد، ذلك انه تفاعلى الانفتاح العشوائى الغير منضبط الذى ما يصاحبه عادة اعراض مرضية خطيرة، وحرص على اتباع سياسة التدرج دون أن يضطر إلى استفزاز التيار المحافظ أو قلب الطاولة على من فيها.

ولو تتبعنا الشواهد على الأرض، لوجدنا الكثير من الأدلة الوافية التي تفند ادعاءات الخمول والنوم، وتثبت بما لا يدع مجالاً للشك، سعى الإمام يحيى الحثيث للاستفادة من تقنيات العصر، ولكن استناداً إلى المنظور الشرعي، القائم على التروى والتبصر، حتى لا تقع اليمن في براثن الدول الاستعمارية، خلافاً لما كان يراه معارضو الإمام يحيى، ومنهم المنتسبون إلى حزب الأحرار، الذين أرادوا انفتاح اليمن على مصراعيه للاستغلال والنفوذ الأجنبي، وخاصة البريطاني دون حذر، أو دراسة لحاجات البلاد، حتى لو أدى ذلك إلى التفريط في استقلال البلاد وسيادته، فهذا هو مجلتنا الرابطة العربية والصدقة المدعومتان ما ليا من قبل حزب الأحرار، تدعوان صراحة إلى ربط اليمن بالتاج البريطاني، باعتبارها وسيلة الإصلاح الوحيدة<sup>(٦٥)</sup>.

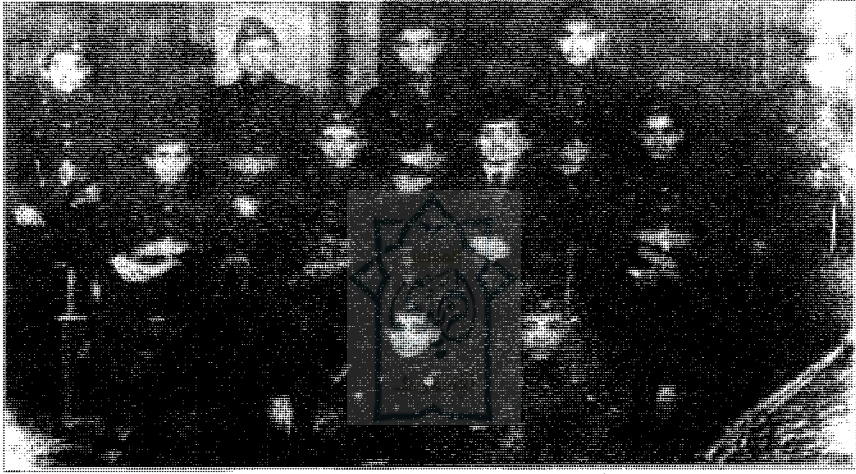
وأسوق للقارئ قرائن تفند ادعاءات النوم والخمول التي تم رشق الإمام يحيى بها، وتدلل على حقيقة المشاريع التي تم إطلاقها ما بين عام ١٩٣٤م، حتى قيام الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩م.

#### • تحديث الجيش:

إن التقرير الذي رفعه الضابط السوري أركان حرب مصطفى وصفى باشا إلى الإمام يحيى في منتصف الثلاثينيات عن أحوال الجيش، كان له أثر كبير في إقناع الإمام يحيى بأهمية إرسال البعثات العسكرية التدريبية إلى الخارج، حيث يقول مصطفى وصفى في تقريره: إذا كانت الحكومة تنوى خلق جيش قوي، ليتماشى مع روح العصر الحديث، ويحافظ على استقلال البلاد والأمة، فإنه يجب تسريح الجيش الحاضر، وتشكيل جيش آخر من أبناء العشائر، الذين لم يسبق لهم الخدمة في الجيش، ثم أضاف: ويجب أن يتولى تدريب الجيش ضباط متعلمون من خريجي المدرسة الحربية، بعد تزويدهم بالعلوم النافعة، والتربية الصحيحة، حتى لو اضطرت الحكومة اليمنية أن تستعين بالحكومات العربية في هذا المضمار<sup>(٦٦)</sup>.

لذلك رأى الإمام يحيى أن التدريب في المدرسة الحربية، التي أسسها السوريين وبقياء الأتراك، لم تعد تفي بالغرض، فأرسل أول بعثة ضباط يمنيين إلى العراق عام ١٩٣٦م، ثم أرسل بعد ذلك بعام

بعثة أخرى، ولسخرية القدر، فقد كان ضمن أفراد هذه البعثات الكثير من الضباط الذين قاموا بالتآمر على الإمام يحيى، باشتراكهم في انقلاب عام ٤٨، الذى أودى بحياته. وبالرغم من احتضان الإمام يحيى لهم، ليكونوا من الرواد فى مسيرة التحديث والنهضة لليمن، وجدناهم يقلبون ظهر المجن للإمام يحيى، ويتآمرون على قتله، ومن هؤلاء: عبد الله السلال أول رئيس جمهورية لليمن، وحسن العمري رئيس الوزراء، وقائد القوات المسلحة فى العهد الجمهورى، وأحمد الثلثيا قائد المحاولة الانقلابية لإسقاط حكم الإمام أحمد بن الإمام يحيى فى عام ٥٥، وحمود الجائفي وزير الحربية، وعضو مجلس قيادة الثورة اليمنية، وأحمد المرونى أول مدير عام لوزارة الخارجية فى العهد الجمهورى وغيرهم<sup>(٦٧)</sup>.



مجموعة من الطلبة المتبعثين إلى العراق فى أول بعثة عسكرية لتدريب الجيش

اليمنى فى عام ١٩٣٦م

### • تطوير الزراعة:

كان لتوقيع معاهدة الصداقة والإخوة بين اليمن والعراق عام ١٩٣٧م أثر فعال فى توسيع علاقة اليمن بالعراق، ومن ذلك تبادل الوفود والبعثات المختلفة، ومنها وصول بعثة زراعية عراقية تتكون من خبراء زراعيين عراقيين لمساعدة اليمن فى تطوير قدراته الزراعية<sup>(٦٨)</sup>، إضافة إلى ذلك فقد جلب بعض الفنيين الزراعيين من سوريا<sup>(٦٩)</sup>، حيث ساهموا

فى افتتاح مدرسة زراعية عام ١٩٣٦م، برئاسة المستشار الزراعى السورى أحمد وصفى زكريا، وقد جلب الألوؑ من المشاتل والغرس على اختلاف أنواعها من مصر، والشام، وإيطاليا لزرها فى اليمن<sup>(٧٠)</sup>.

وقد اهتم سيف الإسلام عبد الله بن الإمام يحيى اهتماما شخويا بالزراعة فى اليمن، حيث كان يطوف شخويا على المشاريع الزراعية فى اليمن مع المستشار الزراعى السورى أحمد وصفى زكريا فى أرجاء اليمن<sup>(٧١)</sup>، ويتفحص الأراضى والمزروعات من كئب، ويصدر أوامره للعمال والمزارعين باتباع وصايا الخبراء الزراعيين، ويوزع المطبوعات والكراريس الزراعية على الفلاحين مجانا<sup>(٧٢)</sup>. ومن فرط عناية سيف الإسلام عبد الله بالزراعة، فإنه طلب مهندسا زراعيًا بريطانيا متخصما فى شؤون الري، لدراسة أفضل السبل لتأسيس مشروعات الري وتحسينها، وتقديم تقارير فى هذا الشأن<sup>(٧٣)</sup>، كما تم استقدام مهندس ألماني لبناء سد فى مدينة تعز، بغرض تطوير زراعة الحمضيات وسقى المزارع<sup>(٧٤)</sup>.

ولا يفوتنا استقدام الإمام يحيى لبعض المهندسين الزراعيين العرب، وخاصة من لبنان، للمساعدة على تطوير الزراعة<sup>(٧٥)</sup>. ومما هو جدير بالذكر، أنه قد سبق الاستعانة بخبراء أجانب لتطوير الزراعة فى العشرينيات، عند دخول الإيطاليين إلى اليمن، حيث إنه تم التعاقد مع عالم نباتات إيطالى عام ١٩٢٧م، لعمل تجارب على زراعة القطن فى اليمن<sup>(٧٦)</sup>. ولذا لم يكن من المستغرب أن تحقق اليمن أمنا غذائيا واكتفاء ذاتيا من الحبوب والمنتجات الزراعية، مما مكنها من تصدير الفائض إلى الخارج<sup>(٧٧)</sup>، بما فى ذلك إلى محمية عدن التى لم تستغن عن منتجات شمال اليمن، بالرغم من عدم التوافق السياسى مع دولة الإمام يحيى<sup>(٧٨)</sup>، إلا أن هذه الوفرة فى المنتجات الزراعية تراجعت خلال فترتين من عهد الإمام يحيى، بسبب الجفاف الذى ضرب الجزيرة العربية برمتها نتيجة انقطاع الأمطار. فالفترة الأولى التى ضربت اليمن بأزمة الجفاف وانقطاع الأمطار، كانت ما بين عام ١٩٢٠م وعام ١٩٢٢م<sup>(٧٩)</sup>، والفترة الثانية كانت ما بين عام ١٩٤٣م وعام ١٩٤٤م، الأمر الذى تسبب فى كساد الزراعة، ونفاذ المحاصيل والحبوب، مما أحدث مجاعة تمددت فى أصقاع كثيرة من الجزيرة العربية، بما فى ذلك اليمن<sup>(٨٠)</sup>. ومما زاد الطين بلة، حصول بعض الزلازل التى دمرت مدن وقرى يمنية فى منطقة صعدة وشهارة<sup>(٨١)</sup>.

وإذا أضفنا إلى ذلك الحصار البريطاني المضروب على الموانئ اليمنية، بسبب مواقف الإمام يحيى المتعنتة مع الإنكليز<sup>(٨٢)</sup>، وانعدام التضامن الدولى فى ذلك الزمان، الذى لم يلتفت فيه أحد إلى أزمات المجاعة العالمية، بسبب انشغال الدول الكبرى بانتصارات هتلر فى الحرب العالمية الثانية، التى أصابت المواصلات العالمية بالشلل، ناهيك عن وعورة الجغرافيا، وبدائية وسائل المواصلات فى مطلع العشرينيات والأربعينيات فى اليمن، وانعدام مؤسسات الإغاثة العالمية، التى لم تكن قد تشكلت بعد فى العالم، ولا كان قد برز بعد مبدأ المساعدات الخارجية والإنسانية لضحايا الكوارث، كما هو حاصل اليوم تحت مظلة الأمم المتحدة، التى لم تكن قد تأسست بعد، ومن ثم وجد الإمام يحيى نفسه وحيدا فى العراق، يواجه هذه الأزمة بموارد شحيحة، وإمكانيات بدائية ضمن حدود المتاحة والطاقة والمقدرة. وإن كانت الدول اليوم، وهى أوفر إمكانات، وأحدث وسائل، لا تستطيع أن تقوم بعمليات الإغاثة بمفردها دون الاستعانة بالأسرة الدولية والمنظمات الإنسانية العالمية، التى تهب هبة رجل واحد للمساعدة، فما بالك بحال الإمام يحيى قبل سبعين عاما؟!

وكعادة خصوم الإمام يحيى فى التعلق بأدنى شبهة، فإنهم وجدوا فى المجاعتين اللتين حصلتا فى فترة العشرينيات والأربعينيات فرصة ذهبية للتشنيع والضرب للإمام يحيى، فى واحد من أعز مقوماته وأركانه الشرعية بإظهاره فى كتاباتهم متخليا عن واجباته تجاه رعاياه فى مثل هذه الظروف، فاتهموه بالتسبب فى موت الآلاف من اللاجئين، الذين بدؤوا يتوافدون كالسيل إلى العاصمة صنعاء، لأنه منع إخراج الحبوب من مخازن الدولة حسب زعمهم، وافتروا عليه بالقول انه صعر خذه للناس قائلا: من مات فهو شهيد، ومن عاش فهو عتيق كما صرح بذلك زورا وبهتانا محمد محمود الزبيرى، إلا أنه من السهل تنفيذ هذه الفرية التى لا تستند على دليل أو برهان، بإحكام لغة العقل، وبدراسة مواقف الإمام يحيى التاريخية الموثقة التى تدحض مثل هذه الاتهامات الكاذبة، فإذا كان الإمام يحيى قد لى نداء الواجب الإنسانى، والأخلاقى، والدينى مع إخوانه الأتراك أيام عسرتهم، وهم محاصرين فى اليمن من قبل الإنكليز أثناء الحرب العالمية الأولى، ودفعته نخوته، وحميته، ومسؤوليته الدينية إلى نجدتهم دون مقابل، بالصرف عليهم لأكثر من أربعين شهرا، بالرغم من قلة إمكانياته، وعداوته السابقة لهم<sup>(٨٣)</sup> وبالرغم من المحاذير التى



كان من شأنها استعداد بريطانيا العظمى، فكيف يحتكم فى العقل أن يتخلى الإمام يحيى عن نجدة شعبه المسؤول عنه شرعا، وهو لم يتخل عن الأترك غير المسؤول عنهم شرعا فى محنتهم؟! فكيف نفسر إقدامه مع الأترك، وإحجابه مع مواطنيه اليمينيين، لولا أن هذه التهمة رخيصة وملفقة لا تنسجم مع الواقع، ولا تخرج عن إطار كذب الهجاء السياسى الذى جبل عليه خصوم الإمام يحيى لتشويه سمعة الإمام يحيى.

#### • محطات الكهرباء:

تم بناء ثلاث محطات رئيسة متوسطة الحجم لتوليد الطاقة الكهربائية فى المدن الرئيسية الثلاث: صنعاء، وتعز، والحديدة، بمساعدة إيطاليا التى زودت اليمن بالمعدات والخبراء الفنيين الإيطاليين<sup>(٨٤)</sup>، مع العلم أن أول محطة كهرباء افتتحت فى المستعمرة البريطانية عدن كان عام ١٩٢٦م<sup>(٨٥)</sup>.

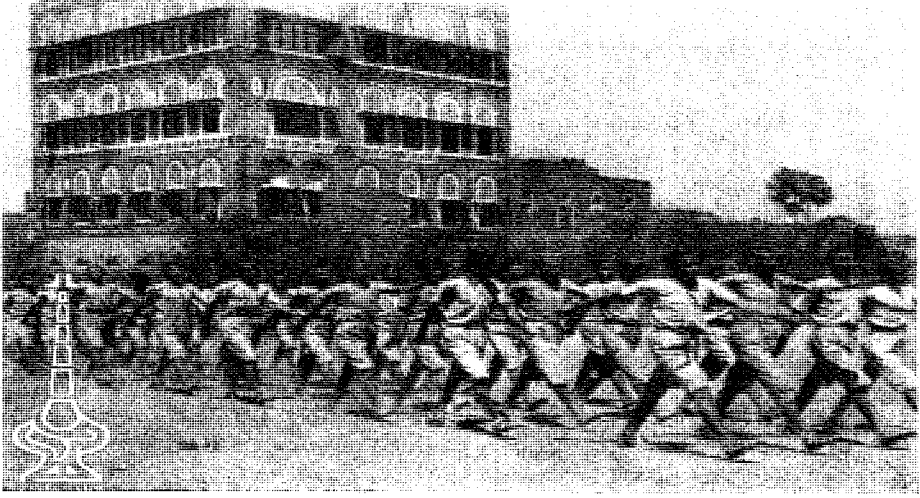
#### • الثقافة والتعليم:

تم استقدام بعثة عراقية تتشكل من خبراء فى حقل التعليم، لدراسة أوضاع اليمن التعليمية، واحتياجات البلاد من المعلمين والمدرسين<sup>(٨٦)</sup>، وبناء على ذلك، تم تشكيل وزارة المعارف عام ١٩٣٤م، وتم تعيين سيف الإسلام عبد الله بن الإمام يحيى وزيرا للمعارف<sup>(٨٧)</sup>، وجلب مستشارون عرب لمساعدة وزارة المعارف على تنظيم المدارس، إضافة إلى استقدام بعض الكفاءات اليمنية ذوى الخبرة فى التربية والتعليم، ممن اشتغلوا بالتدريس فى عدن، وتم البدء فى وضع مناهج التعليم بتشكيل اللجان، وتأليف الكتب المدرسية<sup>(٨٨)</sup>، وبدئ فى افتتاح المدارس الثانوية بإشراف المستشارين العرب<sup>(٨٩)</sup>.

كما تشكلت فى صنعاء دار المعلمين لتخريج معلمين ذوى كفاءة ودراية، وبدأ انتشار المدارس الابتدائية فى الحواضر والبادي، وخاصة فى الأطراف والجهات التى لم يكن للتعليم فيها نصيب<sup>(٩٠)</sup>، وبدأت الدولة تحث مواطنيها على إدخال أبنائهم المدارس، إلى درجة أن بدأت جموع القبائل تشعر بالانزعاج من ذلك، معتبرين أن هذا النهج تدخلا فى شؤونهم، ومحاولة تزويب وتدجين لهم<sup>(٩١)</sup>. وقد بلغ عدد المدارس فى اليمن الثلاثينيات ٢٠٠ مدرسة، تضم كافة المراحل الدراسية<sup>(٩٢)</sup>.

وتوسعت علاقات اليمن التعليمية مع مصر، وسوريا، والعراق، ولبنان، حيث تم استدعاء مدرسين عرب للاستعانة بخبراتهم العلمية للتدريس في المدارس اليمنية<sup>(٩٣)</sup>، كما استوردت الحكومة الكتب الدراسية اللازمة من مصر، وسوريا، والعراق، ولبنان، وتم تطوير التعليم بإضافة مواد حديثة إلى المناهج، مثل مادة الحساب والهندسة، والتاريخ، والجغرافيا<sup>(٩٤)</sup>. وإضافة لذلك، فقد تم إرسال بعثات علمية للالتحاق بدار المعلمين في بغداد، في محاولة لتطوير كفاءة المعلمين اليمنيين<sup>(٩٥)</sup>. أما البعثات الدراسية، فإضافة لما سبق إرساله في العشرينيات، فقد أرسلت بعثات دراسية أخرى للطلبة اليمنيين إلى مصر، وسوريا، والعراق<sup>(٩٦)</sup>.

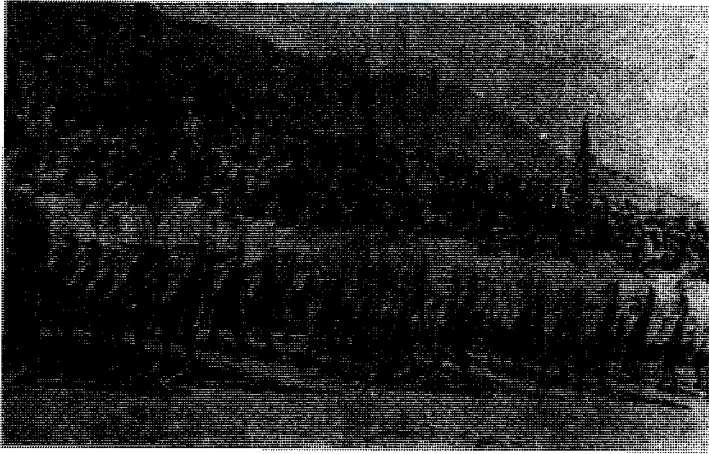
وفي هذا السياق، يتذكر رئيس الوزراء اليمنى الأسبق في العهد الجمهورى، الدكتور حسن مكى تجربته الدراسية في اليمن الثلاثينيات، حيث يقول في مذكراته التي نشرت مؤخرا: «كانت البداية مع الدراسة الحديثة من خلال الالتحاق بالمدارس التي بدأت تجد طريقها إلى النظام التعليمى اليمنى فى تلك المرحلة. وكانت بدايتى فى الحديدية فى مدرسة النخيل، ثم فى مدرسة بيت الشريف، إلى أن بنى سيف الإسلام عبد الله بن الإمام يحيى فى عام ١٩٣٧م ثلاث منشآت رئيسة فى مدينة الحديدية، ومنها مقرا لمكتب التربية والتعليم بالمحافظة، والمدرسة السيفية، حيث تلقيت تعليمى الأول، حتى تم إيفادى ضمن البعثة اليمنية التى اتجهت لتلقى تعليمها فى لبنان. وكانت المناهج السيفية تتنوع لتضم التربية الإسلامية، والرياضيات، والجغرافيا، والتاريخ، والتدريبات الرياضية السويدية، واللغة العربية. ولقد درسنا على أيدى أساتذة من مصر، عملوا على تطوير تدريس الجغرافيا، والتاريخ، والتربية الرياضية، وكان الأساتذة المصريون على مستوى عال من الكفاءة والخبرة، وكان عملهم فى اليمن يتسم بالجدية، إذ إنهم كانوا يعتبرون أنهم جاؤوا إلى اليمن لكى يؤدوا رسالة مقدسة، تساهم فى إخراج بلد عربى إسلامى من التخلف الذى يعانى منه<sup>(٩٧)</sup>».



**Long-legged San'a Schoolboys with GI Haircuts Stride down a Recreation Field**

Yemen's 50,000 pupils include several thousand orphans and some sons of minor officials whose education is paid for by the royal treasury. Classes in San'a range from 96 pupils in lower grades to 12 in advanced bookkeeping and algebra. The Imam's youngest son and several sons of Princes sit beside commoners (p. 669).

مقال في مجلة National Geography الأمريكية الصادرة في عام ١٩٤٨م، يتحدث عن المدارس الحديثة التي بدأت تأخذ طريقها الى اليمن، ويؤكد على ان عدد الطلاب اليمنيين بلغ اكثر من خمسين الف طالب على مستوى اليمن في نهاية الأربعينات، ويظهر في الصورة طلاب لأحد المدارس الثانوية في صنعاء وهم يمارسون الرياضة في ساحة المدرسة



طلاب المدارس الاعدادية في مدينة تعز وهم يشاركون في أحد المناسبات الوطنية



سيف الإسلام عبد الله في زيارة لمقر البعثة اليمنية في القاهرة، ويظهر في الصورة رئيس وزراء اليمن في العهد الجمهوري حسن مكي، الذي كان مبتعثًا على نفقة الدولة الإمامية

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن الدكتور حسن مكي ابتعث إلى إيطاليا للدراسة فيها، بعد تخرجه من المرحلة الثانوية، حيث كان ضمن البعثة اليمنية في الخمسينيات مع مجموعة من الطلاب على نفقة الدولة الإمامية، مثل عبدالرحمن أحمد نعمان، وعبد الوهاب الشامي، ومحمد الظفري، وسعيد على عرب<sup>(٩٨)</sup>، وعلى حسين المقصص، وأحمد الشامي<sup>(٩٩)</sup>. وقد نال حسن مكي شهادة الدكتوراه في الاقتصاد ونال زميله عبدالرؤوف رافع شهادة متخصصة في اقتصاديات النفط<sup>(١٠٠)</sup>.

ولم يكن هؤلاء الوحيدون الذي ابتعثوا من قبل الدولة لنيل هذا المستوى العالي من التأهيل العلمي في عهد الإمامة، بل كان هناك الكثير غيرهم، ممن أصبحوا لاحقاً من أركان النظام الجمهوري، بعد قيام الثورة، ومنهم رئيس وزراء اليمن الأسبق محسن العيني، الذي ابتعث أولاً إلى لبنان، ثم إلى مصر<sup>(١٠١)</sup>، ثم أخيراً إلى فرنسا، للدراسة في جامعة السوربون هو وزملاؤه اليمنيون، أمثال يحيى جعمان، الذي أصبح وزيراً للخارجية في العهد الجمهوري، ومحمد الرعدى، وأحمد مفرح، اللذين أصبحا وزراء ومسؤولين رفيعي المستوى<sup>(١٠٢)</sup>.



محسن العيني الذي أصبح لاحقاً رئيساً للوزراء في العهد الجمهوري، وعن يمينه ويساره زملائه يحيى جفمان الذي أصبح وزير خارجية في العهد الجمهوري، ومحمد الرعدى الذى أصبح رئيس البنك اليمنى للإنشاء والتعمير في العهد الجمهوري، صورة جامعة لهم وهم مبتعثون للدراسة في باريس منذ منتصف الخمسينيات على نفقة الدولة الإمامية، والأمر الباعث للسخرية أن هؤلاء الثلاثة في الوقت الذي كانوا فيه مبتعثين، كانوا يتآمرون على الإمام أحمد بدفع من الأحزاب البعثية واليسارية، التي وقع في فخ شعاراتها الكثير من الشباب العرب، ولم يكتف هؤلاء بالتآمر على وطنهم، بل قابلوا الإحسان بالاسائة والمعروف بالجحود بترويجهم للمقولة: إن الأئمة يحيى وأحمد كانوا يحاربون العلم، ويحرصون على تجهيل الشعب اليمنى

إضافة إلى عبدالرحمن البيضاني، نائب أول رئيس جمهورية في اليمن، الذى درس فى الجامعة الأمريكية فى القاهرة على حساب الدولة الإمامية، حتى حصل على ليسانس حقوق عام ١٩٥٠م<sup>(١٣)</sup>، ثم أكمل دراسته فى ألمانيا، حتى نال شهادة الدكتوراه فى الاقتصاد السياسى على نفقة الدولة الإمامية<sup>(١٤)</sup>. والمفارقة هنا أن الإمام يحيى ونظامه كان ضحية إنجازاته وعنايته بابتعاث الطلبة للتحصيل العلمى فى الخارج، ولسوف يصاب القارئ بالدهشة حينما يعلم قدر عناية الإمام يحيى بالمبتعثين بعد عودتهم من الابتعاث، حيث كان يأمر كل موظفى الدولة بالخروج إلى مشارف صنعاء لاستقبالهم مع الموسيقى العسكرية، ويقدم لهم الاحتفالات وخطابات الترحيب<sup>(١٥)</sup>.

أما إذا وضعت أمام القارئ عينة أخرى من أسماء مسؤولين يمنيين بارزين، تبوؤوا مناصب رفيعة فى العهد الجمهوري، بعد أن دفع بهم الإمام يحيى وابنه الإمام أحمد

نحو آفاق العلم، بابتعاثهم للدراسة في الخارج على نفقة الدولة الإمامية، فلسوف يصاب القارئ بالذهول من الافتراءات التي روجها حكم العسكر في اليمن عن سياسة التجهيل المتعمد التي مارسها الإمامان يحيى وأحمد في حق الشعب اليمني حسب زعمهم، مع العلم أن المبتعثين الذين أرسلهم الإمام للدراسة في الخارج، لم يكونوا من أبناء النخب أو الأسر المتنفة، أو القريبين من دوائر القرار والسلطة، أو من أبناء الطائفة الهاشمية، التي كان ينتمى إليها الأئمة، بل كانوا طلبة يمنيين من أواسط الناس، متنوعى الأعراق والمذاهب، من كافة المحافظات في اليمن، بل كان الكثير منهم من خريجي مدرسة الأيتام، مثل رئيس الوزراء السابق محسن العيني، ومنهم من كان ينحدر من أضعف حلقات المجتمع في منطقة تهامة، مثل وزير التربية والتعليم السابق، أحمد جابر العفيف، ورئيس الوزراء السابق حسن مكى، مما يدل على عدالة الإمام يحيى، وعدم محاباته في توزيع حصص الابتعاث، التي لم يحصرها على قراباته، أو المحسوبين عليه، كما حصرها النظام العسكرى في اليمن في أبناء العشائر المتنفذين، وأبناء المسؤولين القريبين من دوائر القرار والسلطة، فما كان جزاء الإمام يحيى وابنه الإمام أحمد يا ترى على تبنيهم وعنايتهم بهؤلاء، وتعويلهما عليهم للعودة إلى اليمن بعد تخرجهم للمشاركة في نهضة البلاد، كان جزاؤهم الجحود والافتراء على الإمامين، مجارة للتيار الثورى السائد بتسويق المقولة، من أن الإمام يحيى وابنه الإمام أحمد، حرصا على محاربة العلم والتجهيل للشعب اليمني.

وأسوق للقارئ عينة من أهم رموز النظام الجمهورى، وغيرهم من المتآمرين الذين ابتعثهم الإمام يحيى للدراسة في الخارج:

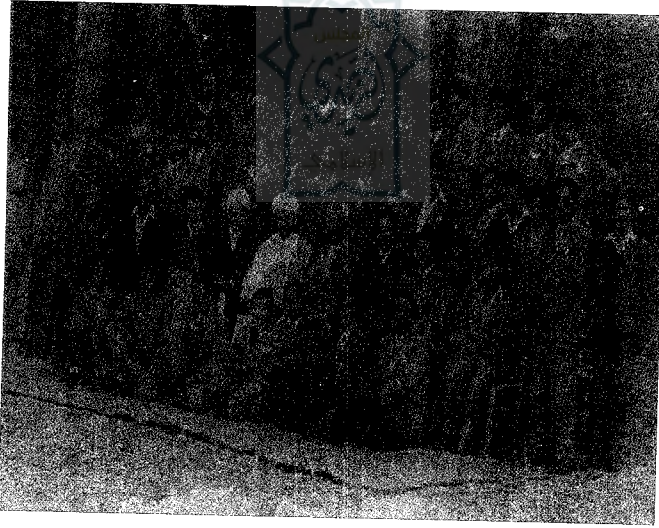
### عينة من طلاب ابتعثوا إلى العراق فى الثلاثينيات، وأصبحوا من الثوار والرموز للنظام الجمهورى:

- ١ - عبد الله السلال، أول رئيس لجمهورية اليمن.
- ٢ - حسن العمرى، رئيس الوزراء فى العهد الجمهورى.
- ٣ - أحمد حسين المرونى، وزير الإعلام ووزير التربية فى العهد الجمهورى.
- ٤ - حمود الجائفى، أول وزير للحربية فى العهد الجمهورى، ومن ثم رئيس للوزراء.
- ٥ - أحمد الثلايا، قائد الانقلاب العسكرى فى عام ١٩٥٥م على حكم الإمام أحمد.
- ٦ - محى الدين العنسى، اشترك فى مؤامرة اغتيال الإمام يحيى.
- ٧ - أحمد الحورش، اشترك فى مؤامرة اغتيال الإمام يحيى<sup>(١٠٦)</sup>.



عينة من طلاب ابتمعثوا إلى مصر فى الأربعينيّات، وأصبحوا من الشوار والرموز  
للنظام الجمهورى:

- ١ - محمد قائد سيف، عضو مجلس قيادة ثورة ٢٦ سبتمبر.
- ٢ - عبدالغنى على، وزير الخزانة فى العهد الجمهورى.
- ٣ - محمد أنعم، وزير التربية والتعليم فى العهد الجمهورى.
- ٥ - عبد الله جزيلان، عضو مجلس قيادة ثورة ٢٦ سبتمبر.
- ٦ - عبداللطيف ضيف الله، عضو مجلس قيادة الثورة.
- ٧ - محمد الأهنومى، وزير الداخلية فى العهد الجمهورى.
- ٨ - على سيف الخولانى، وزير الشؤون الاجتماعية فى العهد الجمهورى.
- ٩ - عبد الرحيم عبد الله، وزير الطيران فى العهد الجمهورى.
- ١٠ - محمد جبارى، وزير الاقتصاد فى العهد الجمهورى<sup>(١٠٧)</sup>.



طلاب فى مقر البعثة اليمينية فى مصر ويظهر بينهم الوزير  
حسن إبراهيم

عينة من طلاب ابتعثوا إلى لبنان في الأربعينيات، وأصبحوا من الشوار والرموز للنظام الجمهورى:

- ١ - عبد الله الكرشى، وزير الأشغال العامة فى العهد الجمهورى.
- ٢ - محسن السرى، وزير الاقتصاد فى العهد الجمهورى.
- ٣ - يحيى جفمان، وزير الخارجية فى العهد الجمهورى.
- ٤ - أحمد بركات، وزير الإعلام فى العهد الجمهورى.
- ٥ - محمد الرعدى رئيس البنك اليمنى للإنشاء والتعمير.
- ٦ - محسن العينى، رئيس الوزراء فى العهد الجمهورى<sup>(١٨)</sup>.



طلاب يمنيون فى مقر البعثة اليمنية فى لبنان عام ١٩٤٦م مع مشرفهم  
اليمنى



## • الصحافة:

تم جلب مطبعة جديدة إلى اليمن في مطلع الثلاثينيات، بتكليف من الإمام يحيى لابنه سيف الإسلام محمد البدر<sup>(١١٠)</sup>، وصدرت أول مجلة يمنية في عام ١٩٣٨م، اسمها مجلة الحكمة، بتمويل من الدولة، وقد ساهمت في تعبئة الشعور الوطني، والرد على ما ينشر في الخارج ضد اليمن. وقد أشرف على هذه المجلة وزير المعارف، سيف الإسلام عبد الله بن الإمام يحيى<sup>(١١١)</sup>. وقد بحثت المجلة في الشؤون الإسلامية، والأدبية، والتاريخية، وتناولت كافة الأخبار والمواضيع<sup>(١١٢)</sup>. ولم يصدر عقب ذلك أى صحف جديدة في فترة الحرب العالمية الثانية، غير ما هو موجود، بسبب شح الورق خلال فترة الحرب<sup>(١١٣)</sup>، إلا أنه بعد انتهاء الحرب الثانية أسس الإمام يحيى في عام ١٩٤٧م صحيفة سبأ، لتتخطى باسم الحكومة المتوكلية في جنوب اليمن، في مواجهة الصحف التي أسسها حزب الأحرار المعادين لسياسة الإمام<sup>(١١٣)</sup>.





مجموعة من الصحف اليمنية الصادرة في عهد الإمامين يحيى وأحمد

وبعد ذلك تكاثرت الصحف والمجلات الممولة من الدولة في شمال اليمن في بداية عهد الإمام أحمد بن الإمام يحيى حميد الدين، ومنها صحيفة النصر الناطقة الرسمية لحكومة الإمام أحمد، وصحيفة الظليعة الموجهة لمحاربة الدعايات البريطانية، والتي صدرت تحت إشراف مكتب تحرير الجنوب، الذي أسسه الإمام أحمد في مدينة تعز<sup>(١١٤)</sup>. هذا وقد تم الاستعانة بالكثير من الكفاءات العربية التي جلبت إلى اليمن، للمساعدة في التطوير الصحفي، ومواكبة التحديث، مثل الفلستيني طلعت يعقوب الغصين<sup>(١١٥)</sup>، والصحفي اللبناني رشيد سنو<sup>(١١٦)</sup>، كما تم استيراد مطابع جديدة ابتداء من عام ٥١ إلى أواخر الخمسينيات، حيث بدأ الطبع بمطابع أوتوماتيكية مزودة بكافة الأدوات الحديثة، مما زاد من إنتاجية الصحف<sup>(١١٧)</sup>، إضافة لذلك فقد تم تمويل وتأسيس صحف أخرى في جنوب اليمن لتتطوّر باسم الإمام أحمد، كجريدة الذكرى الصادرة في عدن<sup>(١١٨)</sup>.

## • طرق المواصلات:

شهدت فترة الثلاثينيات تسابقا محمومًا بين الدول العظمى، لإجراء اتصالات مع حكومة الإمام وتوقيع معاهدات، مما حتم وصول الكثير من ممثلي الدول الأجنبية، كما شهدت اليمن افتتاح الكثير من الوكالات التجارية الأجنبية، مع تدفق غير مسبوق للبضائع، سواء الإيطالية، أو السوفياتية، أو غيرها، كما أشرت إلى ذلك سابقا، مما تطلب شق طريق رئيس للمركبات مباشر من الحديدية إلى صنعاء، حيث إن معظم الوفود وجميع البضائع كان ورودها عن طريق مدينة الحديدية، التي تعد ميناء اليمن الطبيعي، وفعلا شقت هذه الطريق في فترة ستة شهور، مما سهل طرق التجارة والمواصلات<sup>(١١٩)</sup>.

ويعلق رايلي حاكم عدن البريطاني في خطاب وجهه إلى وزارة المستعمرات في عام ١٩٣٤م، واصفا الطريق الذي اجتازه خلال زيارة قام بها إلى صنعاء للتباحث مع حكومة الإمام، قائلا بأن هذا الطريق يعد إنجازا هندسيا مميّزا، حيث إنه يصعد إلى مرتفعات اليمن وجبالها المهيبية إلى ارتفاع ٧٧٠٠ قدم، ومن ثم ينحدر إلى نجد، ليربط منطقة المعبر مع طريق ذمار - يريم - صنعاء<sup>(١٢٠)</sup>.

وفي تقرير آخر بعثه لايك، السكرتير السياسي في عدن في عام ١٩٣٤م، حيث وصف طريقا جديدا أمر الإمام يحيى بشقه، ليربط بين منطقة سيان ومدينة تعز، إذ يقول لايك بأنه الأفضل، وأنه شخصا ذهل من التحسينات التي أضيفت إليه منذ رحلته الأولى إلى اليمن عام ١٩٣٢م، وأنه من الواضح أن مجهودا كبيرا بذل فيه، مما جعل رحلته مريحة وقيادة مركبته انسيابية<sup>(١٢١)</sup>. إضافة إلى ذلك، فقد تم الانتهاء في نيسان عام ١٩٣٢م من بناء جسر حديدي بمسربين في الطريق بين الحديدية وصنعاء، بطول ٣٧١م على وادي لعاء، لمنع السيول من قطع الطريق، وقد قام ببناء هذا الجسر مهندسون أمريكيون، تحت إشراف مهندس الجسور الأمريكي دينيس غوري<sup>(١٢٢)</sup>.

## • الخدمات الطبية:

اتسمت فترة الثلاثينيات، وخاصة بدايتها بتدفق الأطباء الروس، بعد أن عقد الإمام يحيى معاهدة عام ١٩٢٨م مع الاتحاد السوفياتي، والتي لم تقتصر ثمارها على النشاطات التجارية، بل امتدت لتشمل جانب الخدمات الطبية، حيث قام السوفيات بافتتاح الكثير

من المراكز الصحية والمستوصفات الخيرية في كل من صنعاء والحديدة، مما حدا بالسلطات الإيطالية الطلب من الإمام السماح لهم بافتتاح مستشفيات ومستوصفات خيرية إسوة بالسوفيات، خشية من المنافسة<sup>(١٢٣)</sup>.

وفعلا أرسل الإيطاليون بعثات طبية وزعت خدماتها على ست مدن كبيرة<sup>(١٢٤)</sup>. وبالرغم من نبالة الخدمات الطبية التي كانت تقوم بها البعثات الطبية الإيطالية، إلا أنها لم تكن خيرية محضة، حيث كان من ورائها أهداف سياسية، لنشر الفكر الفاشي وترسيخ النفوذ الإيطالي، ولمحاولة اختراق اليمن عن طريق نسج علاقات خاصة مع الشخصيات البارزة فيه من أمراء، وأعيان، ومشايخ، ومسؤولين.

ولتوضيح مدى النجاح الإيطالي في الاختراق، أورد مقتطفات من رسائل اخبارية وردت في الوثائق البريطانية كان قد ارسلها وكيل بريطانيا السياسي في الحديدة، صالح جعفر، ومنها خطابا ارسله في مارس ١٩٣٨م إلى السكرتير السياسي البريطاني في عدن، يحذر فيه من تزايد النفوذ الإيطالي في اليمن عبر البعثات الطبية، ويسلط الضوء على نشاطات الدكتور ديببوزي، رئيس الأطباء الإيطاليين بقوله: إن هذا الشخص استطاع أن يبني علاقات شخصية حميمة مع كافة الشخصيات البارزة في اليمن، عن طريق خطة نسجها مع زملائه الأطباء في مستشفى صنعاء، عمادها الأمر بتحويل كافة الشخصيات المهمة من مشايخ ومسؤولي دولة، من الذين يتلقون العلاج في المستشفى إلى منزله، لـصرف العلاجات لهم بالمجان، ومن ثم بدء الاختراق بتقديم الهدايا والمعونات المالية<sup>(١٢٥)</sup>.

وفي خطاب آخر وجهه حاكم عدن البريطاني في يونيو ١٩٣٨م إلى وزير الخارجية البريطاني، يقول فيه: «إن الدكتور ديببوزي قد أصبح رأس النشاطات السياسية الإيطالية في اليمن، وهو - بلا شك- له قدرات مكنته من نيل محبة الإمام وكافة الأعيان في اليمن، إلا أنه غادر اليمن أخيرا بعد أن قضى فيه أكثر من عشر سنوات، وخلفه بعد سفره الدكتور باسيرا وعمره ٥٣ عاما، قادمًا من أرتيريا لاستلام مهامه قبل فترة وجيزة من مغادرة الدكتور ديببوزي، وحيث إن الدكتور الجديد قد وصل وفي معيته سكرتير إيطالي اسمه فيراري، لا يمت بصلة إلى الطب والطبابة، فإن ذلك يرجح أنه سكرتير سياسى، شأنه شأن كيسوسى السكرتير الآخر المرافق للدكتور باتريك، الذى أصبح له سنة يعمل مع الأطباء الإيطاليين<sup>(١٢٦)</sup>».

وتوضح هذه المراسلات المذكورة أنفا القلق البريطاني من النفوذ الإيطالي المتزايد في اليمن من خلال الخدمات الطبية المقدمة، والذي حفز المندوب السامى البريطانى فى عدن على الاستجابة الفورية لطلب الإمام يحيى، بإرسال بعثة بريطانية طبية برئاسة الدكتور بترى، الذى خدم فى اليمن هو وبعثته لفترة ٦ سنوات من عام ١٩٣٨م إلى عام ١٩٤٣م<sup>(١٢٧)</sup>. وفى برقية أرسلها المندوب السامى لحكومته، تتضح الصورة أكثر، حيث ينصح المندوب السامى فى عدن المسؤولين البريطانيين بالاستجابة لكل طلبات الإمام الطبية، مع وجوب إرسال معدات جراحية وعقاقير لمعالجة الفقراء والضعفاء، لأن من شأن ذلك تعزيز نفوذ بريطانيا فى مواجهة النفوذ الإيطالي المتزايد. وقد أيد موقف المندوب السامى وزير الخارجية البريطانى بقوله: إن سماح الإمام بوصول بعثة بريطانية إلى بلاده يعد نقلة نوعية، خلافا لمواقفه السابقة المتحفظة تجاهنا<sup>(١٢٨)</sup>.

وفى مراسلات أخرى بين حاكم عدن البريطانى ووزير الخارجية البريطانية، نستطيع أن نتلمس ماهية الخدمات التى قدمتها البعثة الطبية البريطانية برئاسة الدكتور بترى لليمنيين، والتى تشعبت لتشمل الجراحة وطب العيون، حيث يقول الحاكم البريطانى فى عدن: «إنه منذ وصول الدكتور الإيطالى باسيرا إلى اليمن، اتسم تحركه بالنشاط فى مستشفى صنعاء العام، لإزاحة كل الأطباء الأجانب غير الإيطاليين، ومنهم محسوبنا الدكتور باترى، الذى تمكن من الحصول على سمعة طبية كجراح بريطانى، مما دفع الدكتور باسيرا إلى قصقة أجنحته وتحجيمه، بنقله من قسم الجراحة إلى قسم العيون، ليخلو الجو للأطباء الإيطاليين، مثل الدكتور سنتابونى الطامح لأن يكون مسؤولا عن كافة العمليات الجراحية فى مستشفى صنعاء، وليتمكن الطليان من إجلاء كافة الأطباء الأجانب، واحتكار كافة الخدمات الطبية فى اليمن. وبالرغم من معاناة الدكتور بترى وشكواه لى مما يواجهه من تأمر إيطالى، فلقد نصحته بضبط النفس، لأننى لن أتمكن من فعل أى شىء تجاهه حتى ينتهى عقده مع الحكومة اليمنية فى فبراير القادم، وحتى ذلك الحين يجب ان يخضع لتعليمات وزارة الصحة اليمنية<sup>(١٢٩)</sup>».

والواقع أن تصوير البعثة البريطانية وكأنها ضحية للإيطاليين فيه اعتساف للحقائق، فبالرغم من أن الكثير من الكتابات والمصادر التاريخية انبرت للدفاع عن البعثة الطبية البريطانية، بتصويرها بالإنسانية البحتة البعيدة عن الأغراض السياسية، ومن تلك المصادر

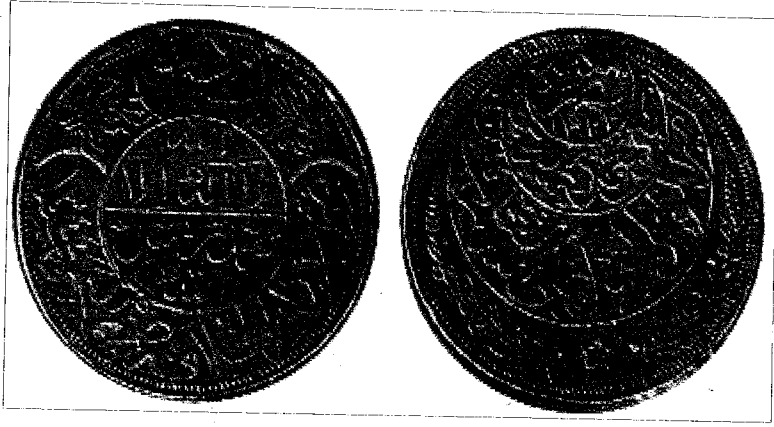
كتابات بعض الضباط العراقيين الذين خدموا في اليمن من خلال البعثة العسكرية العراقية في اليمن، مثل العميد سيف الدين آل يحيى الذى أكد على أنه في خلال ٣ أعوام من تواجده في صنعاء، لم يسمع أحدا يتهم البعثة البريطانية بالقيام بأى نشاط غير مرغوب به في اليمن<sup>(١٣٢)</sup>، إلا أن ذلك لا يعنى أن الإنكليز لم يكونوا مثلهم مثل الإيطاليين، الذين يبذلون قصارى جهودهم فى محاولات الاختراق لمرامى سياسية بعيدة المدى، تتعلق بتعزيز النفوذ البريطانى، وبغض النظر عن تلك الأهداف الاختراقية لكل من بريطانيا وإيطاليا، إلا أنه لا يمكن أن ننكر لحقيقة استفادة اليمن من خدماتهم الطبية منذ نهاية العشرينيات، وعبر الثلاثينيات، وامتدادا إلى الأربعينيات. وبشهادة العميد سيف الدين سعيد، الذى أكد أن الخدمات التى قدمتها البعثات الطبية أجنبية قد استفاد منها الآلاف من المرضى اليمنيين، ومن أن البعثة البريطانية بالذات قامت بواجبها خير قيام<sup>(١٣١)</sup>.

ومهما يكن من أمر، فإن الإمام يحيى كان متيقظا وغير بعيد فى تفكيره عما كان يجول فى عقول الإيطاليين والبريطانيين من محاولات اختراق، فسعى لإرسال بعثات يمنية لدراسة الطب فى مصر وإيطاليا<sup>(١٣٢)</sup>، وحرص على التنوع بطلب بعثات طبية عربية وروسية جديدة، حيث وصل فى عام ١٩٣٣م الكثير من الأطباء العرب من الجنسية العراقية والمصرية للخدمة فى اليمن، ومنهم الدكتور سيد الوتري، والدكتور توفيق رشدي، والدكتور محمد فكري، والدكتور عرفان بيك، كما وصل بعدهم دكتور روسى مع زوجته اسمه مرزان ميران<sup>(١٣٣)</sup>، ثم التحق بهؤلاء بعثة طبية سورية برئاسة جميل مردم بيك<sup>(١٣٤)</sup>، كان من ضمن أفرادها الدكتور محمد عثمان، والدكتور هاشم الحسينى<sup>(١٣٥)</sup>، الذين قاموا بتجهيز وإدارة مستشفى فى صنعاء<sup>(١٣٦)</sup>.

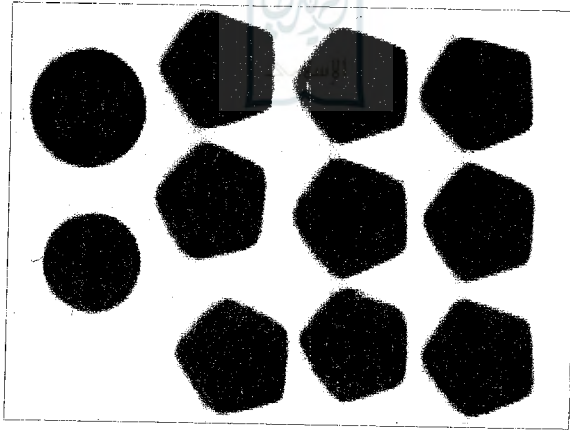
#### • الاقتصاد والتجارة:

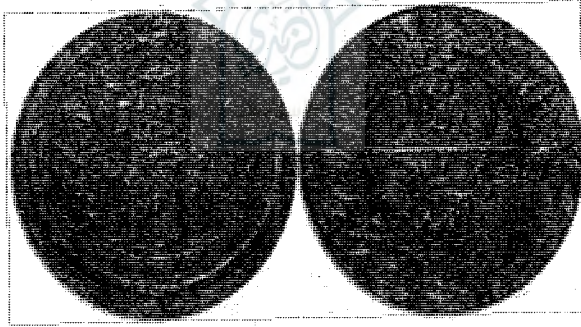
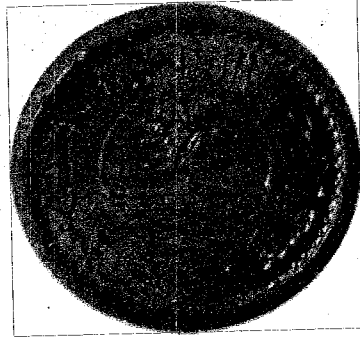
بالرغم من أزمة الاقتصاد العالمى التى استمرت من عام ١٩٢٩م إلى عام ١٩٣٣م، فقد قام الإمام يحيى فى الثلاثينيات بصك النقود الفضية الخاصة باليمن<sup>(١٣٧)</sup> للتداول الداخلى، أما خارجيا فكان المعول الأساسى للنظام النقدى للحكومة اليمنية، هو رياتل مريا تيريزا الفضية، شأن اليمن فى ذلك كشأن جواره من دول الجزيرة العربية، التى اعتمدت عليها، ولم تصدر عملات ورقية نظامية إلا فى نهاية عام ١٩٥٨م بريادة الملكة العربية السعودية، التى طرحت أول إصدار ورقى للعملة فى ذلك العام.





صور لمجموعة من النقود الفضية التي صكها الإمام يحيى للتداول الداخلي





عملات ذهبية صكها الامام أحمد للتداول الخارجى والداخلى



أما عن البنوك فقد سبق لبعض الشخصيات العربية المرموقة، كالخديوى عباس أن سعوا لفتح بنوك في اليمن في فترة الثلاثينيات، إلا أن الإمام يحيى لم يقبل بالشروط التى عرضت عليه<sup>(١٣٨)</sup>، خوفاً من شبهة الربا، ثم كانت المحاولة الثانية لفتح بنوك في اليمن في فترة الأربعينيات، حيث وافق الإمام يحيى على خطة اقتصادية متكاملة بإشراف الإخوان المسلمين، تشمل إقامة بنك مركزى في صنعاء<sup>(١٣٩)</sup>، إلا أن اغتيال الإمام يحيى حال دون قيام ذلك المشروع حتى فترة الخمسينيات، التى بدأت فيها البنوك بالافتتاح فى عهد الإمام أحمد.

وشهدت اليمن أيضاً فى فترة الثلاثينيات استمرار تدفق رجال الأعمال الأجانب والوفود التجارية، ويصف الرحالة نزيه مؤيد العظم مشاهداته بقوله: «إنه لا يوجد أجانب متوطنون، ولكن يوجد بعض الأجانب كوكلاء لشركات تجارية، أو كأطباء وعمال ميكانيكيين مستخدمين بموجب اتفاقيات خاصة مع حكومة الإمام يحيى»<sup>(١٤٠)</sup>. إلا أن معظم هؤلاء الأجانب كان محسوباً على الاتحاد السوفياتى ودول المحور، التى فتح الإمام يحيى أبواب اليمن لهم جميعاً، مفضلاً التعامل معهم على التعامل مع الأجانب المحسوبين على بريطانيا وفرنسا اللطختين بالاستعمار.

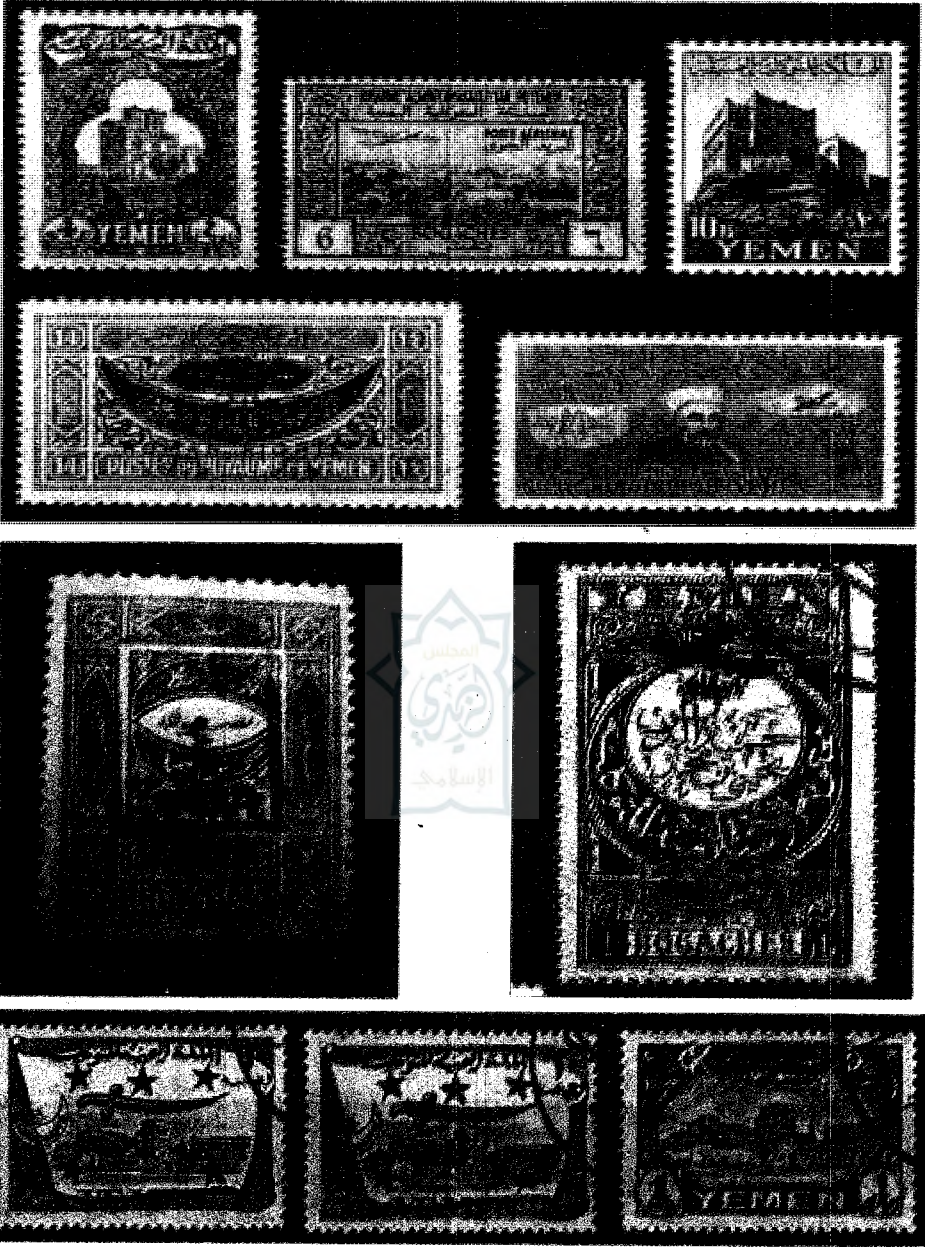
ومن مواطنى دول المحور المرحب بهم أيضاً فى اليمن، كان هناك الألمان الذين بدؤوا فى التدفق لافتتاح مقر لشركاتهم، ومنها شركة ميسرز التى افتتحها المهندس الألمانى جوزف هانسون، وتولى مسؤولياتها بالتعاون مع هيرمان ديتريخت، الذى عاش ٦ سنوات فى اليمن لإدارة الشركة<sup>(١٤١)</sup>، إضافة إلى الهر ديتريش الذى استقر فى اليمن، وأستاجر منزل سيف الإسلام محمد بن الإمام يحيى للإقامة فى صنعاء مندوباً عن شركة ألمانية مقرها مدينة هامبورج<sup>(١٤٢)</sup>. وكذلك كانت هناك بعض الشركات الألمانية التى قامت ببيع طائرات ألمانية لليمن، وأرسلت طياراتها للقيام بعروض جوية بين صنعاء والحديدة<sup>(١٤٣)</sup>.

وقد عينت ألمانيا هتلرية وزيراً مفوضاً لها فى اليمن<sup>(١٤٤)</sup>، قام بتكثيف نشاطاته، بهدف تعزيز نفوذ بلاده عبر رجال الأعمال الألمان، وممثلى الشركات الألمانية، ومن ثم فقد شغلت ألمانيا واحداً من المواقع الأولى فى التجارة الخارجية لليمن فى سنوات ما قبل الحرب<sup>(١٤٥)</sup>. وإضافة لألمانيا، فإن اليابان كان لها نشاط تجارى كبير مع اليمن بين عامى ١٩٣٣م و١٩٣٩م، واستطاعت أن تحتكر نحو ٨٥٪ من تجارة المنسوجات، تاركة الباقى لبريطانيا

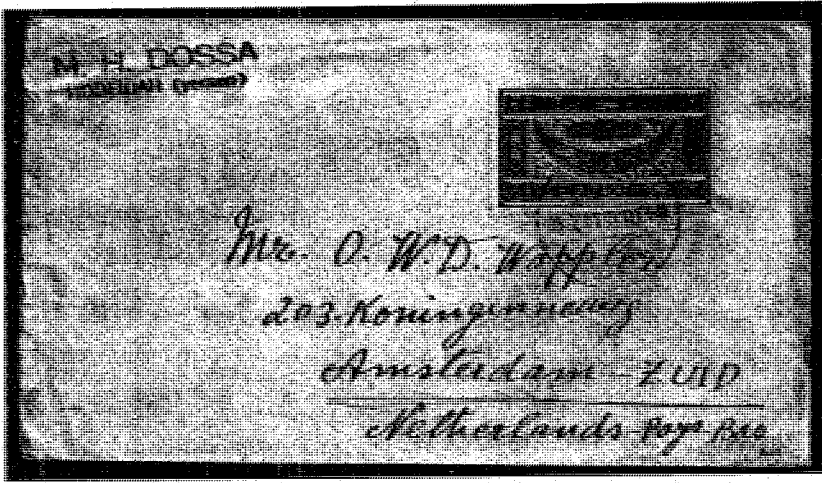
العظمى، والولايات المتحدة الأمريكية، وإيطاليا. والواقع أن معظم المصنوعات القطنية، والصوفية، والحريرية الواردة إلى اليمن قبل سنة ١٩٣٠م كانت ترد من اليابان<sup>(١٤٦)</sup>. أما المنتوجات السوفياتية فقد استمرت في غمر الأسواق اليمنية منذ نهاية العشرينيات، وأضيف إليها منذ مطلع الثلاثينيات معارض دائمة للآلات الزراعية، وقطع الأثاث المنزلي، والروائح، والأحذية في الحديدية وصنعاء، تحت إشراف البعثات التجارية السوفياتية<sup>(١٤٧)</sup>. إلا وتستقبل اليمن سفن الأسطول التجارى السوفياتي، حاملة معها الدقيق، والأخشاب، والسكر، والكورسين، ومختلف البضائع<sup>(١٤٨)</sup>، فأصبحت اليمن تستورد من الاتحاد السوفياتي ٦٢٪ من احتياجاتها من الكيروسين، و٣١٪ من السكر، و٥٠٪ من الدقيق، و٢٧٪ من الكبريت، و٨٠٪ من الأسمنت<sup>(١٤٩)</sup>. وقد قصد الإمام يحيى من توسيع التعاون التجارى مع الاتحاد السوفياتي، الخروج من حلقة الضغط البريطانية، حيث كانت تشكل عدن ٩٠٪ من تجارة الصادر والوارد.

#### • مصلحة البريد:

استنادا لما ذكره الرحالة نزيه مؤيد العظم من مشاهدات في اليمن، فإن الإمام يحيى أسس مصلحة للبريد منذ مطلع الثلاثينيات، حيث كان لمصلحة البريد نوعان من الطوابع بيضاء وصفراء، مصنوعة في صنعاء من الورق العادي، ويتقاضى عن الرسالة العادية الداخلية من عامة الناس نحو قرشين، ومن الجند قرشا واحدا. ويأتى البريد الداخلى إلى صنعاء من سائر أنحاء البلاد مرة كل أسبوع، وأما البريد الخارجى، فيأتى غالبا مرة كل أسبوعين، ويتوقف ذلك على مجيئ إحدى البواخر التابعة لشركة القهوجى من عدن إلى الحديدية. وكانت هذه البواخر تحمل البريد الذى يجتمع فى عدن من جميع أطراف العالم بصورة غير رسمية، إلى أن اشتركت حكومة الإمام يحيى بصورة رسمية فى اتحاد البريد الدولى فى منتصف الثلاثينيات، فصار بالإمكان إرسال الرسائل من صنعاء إلى جميع أطراف العالم، بوضع طابع اليمنى صنعت حكومة اليمن كمية كبيرة منه فى ألمانيا، منذ دخلت فى اتحاد البريد الدولى<sup>(١٥٠)</sup>.



مجموعة من الطوابع التي كانت مستخدمة في عهد الإمامين يحيى وأحمد



رسالة صادرة في عهد الإمام يحيى من اليمن إلى امستردام في هولندا



رسالة صادرة في عهد الإمام يحيى من اليمن إلى الولايات المتحدة الأمريكية

## • الصناعة:

شهدت اليمن في فترة الثلاثينيات إنشاء أول مدرسة صناعية ، وأول مصنع للنسيج في الجزيرة العربية ، تحت إشراف بعض الخبراء المصريين الذين استقدمهم الإمام لهذا الغرض<sup>(١٥١)</sup>. وكان الإمام قد سبق واستورد مكائن لهذا المصنع ، بعد أن حدد موقعه للتشغيل مع مدرسة صناعية أخرى في شرق صنعاء ، مما حقق الاكتفاء الذاتي لكافة أنواع الملابس في اليمن<sup>(١٥٢)</sup> ، وإضافة لذلك فقد افتتح بعض الورش الحرفية ، وثلاث مدارس لإعداد العمال المهرة لتدريب اليمنيين على بعض الصناعات الخفيفة<sup>(١٥٣)</sup>.

إلا إن المبادرة الكبرى التي قام بها الإمام يحيى في عقد الثلاثينيات إزاء احتياجات التقدم والنهوض لليمن ، تمثلت في إرسال الوفد الحكومي اليمني الرفيع المستوى برئاسة ابنه سيف الإسلام الحسين إلى اليابان عام ١٩٣٨م ، لعقد مباحثات مع الحكومة اليابانية ، على أمل الوصول إلى معاهدة ، لمساعدة اليمن في إقامة مشاريع تدخل البلاد إلى عالم الحداثة. فبعد أن فقد الإمام يحيى الأمل في إيطاليا ، بعد تكشف نواياها ، وخبث مقاصدها ، مع توالي الانتكاسات التنموية على يدها ، ومنها سقوط الطائرات ، ورداءة الأسلحة ، وعدم صلاحية الكثير من المعدات والأجهزة الفنية والميكانيكية التي بيعت لليمن بأسعار باهظة<sup>(١٥٤)</sup> ، ولّى الإمام يحيى وجهه شطر الشرق ، لبناء الجسور مع اليابان ، التي كانت دولة عظمى ترفع شعار الشرق للشرقيين ، ولم تتورط في تاريخ استعماري ، أو خداع للعالم الإسلامي ، إضافة إلى أنها كانت عدوة لدودة لبريطانيا.

وقد أمضى الوفد اليمني في اليابان فترة قاربت الثمانية شهور ، بالرغم من أن استضافة الحكومة اليابانية لهذا الوفد رسميا لم تتعد الأسبوعين فقط ، أجرى خلالها سيف الإسلام الحسين مباحثات مع رئيس الوزراء الياباني ، ووزير الخارجية ، ووزير الداخلية ، ووزير الحرب<sup>(١٥٥)</sup> ، ثم استقبله إمبرطور اليابان هيروهيتو في القصر الإمبرطوري في يوم ١٣ مايو عام ١٩٣٨م<sup>(١٥٦)</sup> ، بعد ذلك تضمن برنامج الزيارة جولات على القواعد العسكرية اليابانية البحرية والبرية ومصانع الأسلحة<sup>(١٥٧)</sup>.

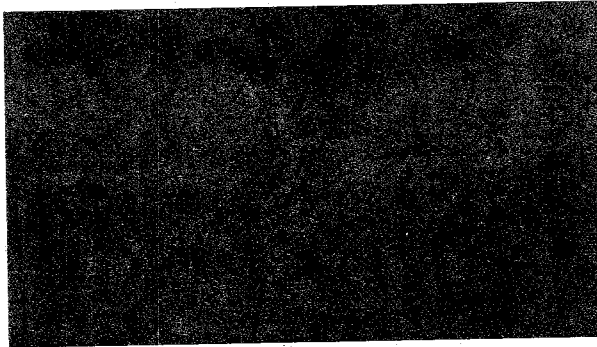




سيف الإسلام الحسين في القصر الإمبرطوري مع رئيس المراسم الإمبرطورية في طريقه لمقابلة الإمبرطور هيروهيتو



سيف الإسلام الحسين في حفل استقبال رسمي اعدته الحكومة اليابانية في مدينة طوكيو للتعرف برجال السياسة والصناعة والأعمال



قصاصة أحد الجرائد اليابانية تتحدث عن استقبال قائد البحرية اليابانية لسيف الإسلام الحسين



سيف الإسلام الحسين في حفل افتتاح أول مسجد في اليابان في  
العاصمة طوكيو



سيف الإسلام الحسين في حفل استقبال تقليدي لمقاتلي  
الساموراي، أعدته له الحكومة اليابانية للتعرف على التراث  
الياباني



القائد العام للجيش اليابانية، الجنرال ماتاسووي يحيى الوفد الإسلامية المناوئة للإستعمار  
الغربي ويظهر في الصورة وفد اليمن



حفل عشاء رسمي للوفد اليمني بحضور وزراء الحكومة اليابانية



وقد سبب برنامج هذه الزيارة إزعاجا وقلقا لدى الحكومة البريطانية، وخاصة مع تطلع الوفد اليمني إلى عقد صفقات لتزويد اليمن بالسلاح بأنواعه المختلفة، أما إيطاليا فقد ضربت حول سيف الإسلام الحسين دائرة من خلال مترجمه شكرى أفندى التركي، ومجموعة القناصل الذين حرصوا على تقصى أنشطة الوفد اليمني، وتسريبها إلى روما بناء على توجيهات وزارة الخارجية الإيطالية<sup>(١٥٨)</sup>. والملاحظ أن فترة زيارة الوفد اليمني إلى اليابان استمرت من ٧ مايو ١٩٣٨م حتى ٤ يناير ١٩٣٩م<sup>(١٥٩)</sup>، ولنا أن نتساءل: ماذا كان يفعل الوفد اليمني برئاسة سيف الإسلام الحسين في اليابان لفترة ثمانية شهور؟ وهل يعقل أن تكون رحلته إلى اليابان عبثا؟ وكيف يمكن أن تكون عبثا، والإمام يحيى متهم من قبل خصومه السياسيين بالتقتير الشديد في المصاريف، فهل كان سيوافق الإمام يحيى على أن تتحمل خزينة الدولة التكاليف الباهظة، للصراف على الوفد الرسمي اليمني في اليابان لمدة ثمانية اشهر، من أجل الترفيه، أو الاستجمام، أو لقضاء إجازة، أم أن الهدف من امتداد فترة الزيارة لثمانية اشهر، كان لأمر جليل، ولمهمة تاريخية تتعلق بمد جسور، ونسج علاقة محورية مع قوى عظمى منافسة لبريطانيا، لن تمنع في مساعدة اليمن، والأخذ بيده للدخول إلى عالم الحضارة وآفاق الحداثة، وخاصة أن اليابان لم تكن في يوم ما على وفاق مع بريطانيا العظمى؟

وللجواب عن هذا التساؤل المطروح على بساط البحث، يجدر بنا أن نستشهد بما كتبه معارض الإمام يحيى الأول، وخصمه التاريخي اللدود محمد محمود الزبيري، في خطاب وجهه للقنصل الأمريكي شيلدز في جدة بتاريخ ١٧ نوفمبر من عام ١٩٤٥م، جاء فيه «إذا رسمنا لكم الصورة والحقائق بالتفصيل يا صاحب السعادة، سوف تصابون بالرعب لفظاعات الإمام يحيى، ولن نستطيع إعطاءكم مثلا أصدق لفظاعات وأحقاد حكومة الإمام يحيى تجاه شعبها، مثل حقيقة ذهاب سيف الإسلام الحسين بن الإمام يحيى إلى اليابان، وقضائه معظم جولاته هناك لدراسة طريقة الإدارة والنظام الياباني، من أجل تطبيقه في اليمن»<sup>(١٦٠)</sup>. وواضح من فحوى هذا الخطاب الموجه للقنصل الأمريكي في جدة، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أن مقصد الزبيري، التحريض والوقيعه والإفساد للعلاقة التي كان الإمام يحيى يهدف إلى شبكها مع الولايات المتحدة الأمريكية، لمساعدة اليمن على التنمية. وفي زعم الزبيري، فإن الولايات المتحدة سوف تعدل عن مساعدة الإمام يحيى، وتقطع

اتصالاتها معه بسبب ماضيه الحميم مع اليابان، التي كانت في حالة حرب مع الحلفاء، وما درى الزبيرى أن تعريضه بالإمام يحيى بتلك الطريقة، التي حاول فيها استعداد أمريكا عليه، ما هو إلا شهادة تاريخية حية توثق مسار الإمام يحيى الجاد في دفع اليمن نحو التطور، ومعالجة الخلل بالافتداء بتجربة النهوض اليابانية.

وعودة إلى المباحثات بين الوفد الحكومى اليمنى والحكومة اليابانية، فقد كان من ثمره هذه المباحثات، أن وافقت اليابان على القيام بعدة مشاريع تنموية، ومنها شق الطرقات ما بين المدن الرئيسية صنعاء، والحديدة، وصعدة، وتعز، وإب، ومأرب، والمخا، وإنشاء ميناء بحرى فى الحديدة، وآخر فى المخا، وفتح ثلاثة مطارات فى صنعاء والحديدة وتعز، وإنشاء مصانع للأسمنت، والحديد، والغزل والنسيج<sup>(١٦٦)</sup>، وهذا مما يحسب للإمام، لأنه كان الرائد الأول من حكام العرب فى عصره، الذين بادردوا إلى نسج علاقة محورية مع اليابان، لينأى ببلاده عن محاور الاستقطاب الغربى، التي كانت تسعى إلى احتكار منطقة الشرق الأوسط. وفى الوقت الذى أعلنت فيه كافة البلدان العربية الحرب على اليابان فى الحرب العالمية الثانية، كان الإمام يحيى هو الحاكم العربى الوحيد الذى رفض إعلان الحرب عليها، إلا أن الرياح جرت بما لا تشتهيئه سفن الإمام يحيى، حيث هزمت اليابان وانهار التحالف بين دول المحور، مما أدى إلى تعثر هذه المشاريع، التي لو نفذت، لكان لليمن شأن آخر،

يقول حسين الكبسى فى هذا السياق، وهو أحد أعضاء الوفد الحكومى اليمنى المرسل إلى اليابان، ولاحقاً أحد أعضاء انقلاب عام ٤٨، الذى عين فيه وزيراً للخارجية، تكريماً له على إصداره فتوى بوجوب قتل الإمام يحيى، يقول: لم تخسر بلدة عربية فى الحرب العالمية الثانية مثلما خسرت اليمن، فلو لم تنشب الحرب، أو لو لم تدخل فيها اليابان، ونفذت المشاريع العمرانية، والصناعية، والاقتصادية التي كانت قد وافقت على إنجازها، ومساعدة اليمن بها، لأصبحت اليمن فى خلال خمس سنوات دولة مزدهرة قوية مع سيادتها واستقلالها<sup>(١٦٧)</sup>. وهذه الشهادة من حسين الكبسى، الذى أفتى بوجوب قتل الإمام يحيى، هى الرد الشافى على كل أولئك الخراصين، الذين ألصقوا بالإمام يحيى تهمة السعى إلى إغلاق اليمن وإبعاده عن كل ما يمت بصلة إلى العصر، من أجل أن يحافظ على عرشه.

## البناء والتحديث في مرحلة الأربعينيات:

شهد النصف الأول من أربعينيات القرن الماضي احتدام الحرب العالمية الثانية، والانشغال بتداعياتها التي مكنت هتلر من اكتساح أوروبا، مما تسبب في اهتزاز الحلفاء، وشعورهم بالخطر المحدق، الأمر الذي جعل جل اهتمامهم ينحصر في سباق التسليح، والحفاظ على منابع النفط، وتأمين طرق مواصلاتها، وهذه المعطيات أدت إلى تجميد كافة المشاريع، وبرامج التنمية على مستوى العالم، حيث تفرغت المصانع ومراكز البحوث العالمية إلى المجهود الحربي، مما أدى بدوره إلى حرمان اليمن من المشاريع التي كان من المزمع أن تقوم بها اليابان، بسبب حصار الحلفاء الذي أغلق البحار في وجه دول المحور، فما كان للإمام من خيار في هذه المرحلة، سوى الانصياع للواقع البعيد عن الأمان والآمال، وقصر مشاريع التحديث على ما هو ممكن من الفرص المتاحة، ومن تلك المشاريع - على قلتها في خلال فترة الحرب العالمية الثانية - نستطيع أن نجمل الآتي:

### • البعثة العسكرية العراقية:

لم يكتف الإمام يحيى بإرسال البعثات العسكرية اليمنية إلى إيطاليا والعراق، بل استمر في سياسة التحديث والتطوير للجيش، بأن استقدم بعثة عراقية وصلت إلى اليمن عام ١٩٤٠م، برئاسة العقيد إسماعيل صفوت، مكونة من أربعة ضباط وأحد عشر ضابط صف، أما الضباط الأربعة، فهم جميل جمال، المسؤول عن تدريب المدفعية، ومحمد حسن المسؤول عن تدريب المخابرة، وعبدالقادر الفاطمي المسؤول عن تدريب الجيش الدفاعي، والملازم أول سيف الدين المسؤول عن التدريبات الحربية والرشاش، ومما هو جدير بالذكر أن أحد أعضاء هذه البعثة، وهو جميل جمال لم يغادر اليمن، كما فعل باقي أعضاء البعثة بعد انقضاء الثلاث سنوات، التي أدت فيها البعثة مهمتها، بل طلب من الإمام شخصياً أن يبقيه كمدرّب للجيش اليمني<sup>(١٦٣)</sup>.

وحيث إن ذلك الطلب كان محل سرور الإمام يحيى، فقد وافق فوراً على بقاءه في اليمن، دون أن يدرك المقصد الحقيقي من ذلك الطلب، إذ كان له من النشاطات السرية الخارجة عن نطاق التدريب للجيش اليمني لصالح بريطانيا، ومنها تسريب المعلومات عن اليمن وجيشه، والتخاير مع الحكومة البريطانية للتخضير لانقلاب عام ١٩٤٨م<sup>(١٦٤)</sup>، إضافة

إلى بثه الروح الثورية فى نفوس الضباط اليمىيين، الذين كان يقوم بتدريبيهم، إلى أن بلغت به الجرأة أن يشترك فى انقلاب ابن الوزير عام ١٩٤٨م، للإطاحة بحكم الإمام يحيى، وقام شخصيا بقتل اثنين من أبناء الإمام يحيى، وهم سيف الإسلام المحسن، وسيف الإسلام الحسين، فما كان من الانقلابيين إلا أن كافأوه على خيانتة للأمانة، وانتهاكه لكل القيم الدينية والأخلاقية، بتوليته قائدا عاما للجيش اليمىي، ومديرا للأمن العام خلال فترة الانقلاب<sup>(١٦٥)</sup>.

### • الثقافة والتعليم:

بالرغم من هيمنة الثقافة التقليدية المتوارثة على الثقافة الأكاديمية الحديثة، إلا أن فترة الأربعينيات لم تخل من إرسال الكثير من الطلبة فى بعثات تعليمية إلى مصر ولبنان، ومن ذلك بعثة لتهيئة موظفين للسلك الدبلوماسى ومنسوبة وزارة الخارجية اليمىية، ليتعلموا النظام الخارجى فى مصر، وبعثة تعليمية أخرى إلى لبنان برئاسة يحيى أحمد المضواحي، ضمت حوالى ٤٥ طالبا<sup>(١٦٦)</sup>، كان من ضمن خريجياتها من أصبحوا لاحقا فى العهد الجمهورى وزراء ورؤساء وزارات، كما أشرت إلى ذلك سابقا، كما تم التوسع فى استقدام المستشاريين التعليميين من مصر، مثل الأستاذ عبدالقادر علام، والأستاذ الجوهري<sup>(١٦٧)</sup>. وقد ذكرت أسماء الكثير من المتخصصين التربويين والتعليميين المصريين الذين وصلوا إلى اليمن فى مذكرات البعض من قيادى ثورة ٢٦ سبتمبر، الذين تتلمذوا على أيديهم. وكما ورد فى كتاب (لمحات من ذكريات الطفولة) للواء عبد الله جزيلان، عضو مجلس قيادة الثورة، فقد كان من ضمن هؤلاء التربويين، محمد إسماعيل، الذى عين للتدريس فى مدينة تعز، وإبراهيم عيسى الذى عين للتدريس فى مدينة الحديدة، وحلمى عثمان الذى عين للتدريس فى العاصمة صنعاء، إضافة إلى مدرسين للعلوم والرياضيات، ومنهم أحمد زكى حسن، المعين فى مدينة تعز، وعمر الروبى المعين فى مدينة الحديدة، ورياض الجندى المعين فى العاصمة صنعاء، والأستاذ أحمد جمال الدين عمار، والأستاذ على هيكل، والأستاذ عبدالحميد محمد<sup>(١٦٨)</sup>، والدكتور محمد موافى، ومحمد عبدالمنعم. وإضافة إلى هؤلاء، فقد تم استقدام بعض المثقفين اليمىيين، الذين تخرجوا من معاهد المستعمرة البريطانية فى عدن، للتدريس فى شمال اليمن بعقود تقضى بأن يكونوا مساعدين للأساتذة، ثم تنتدبهم الحكومة اليمىية إلى مصر لإكمال دراساتهم الجامعية على نفقتها، على أن يعودوا للعمل فى اليمن بعد التخرج، كل فى حقله<sup>(١٦٩)</sup>.

وكان من ثمرة تلك السياسة التعليمية، أن أسس الكثير من المدارس النموذجية، ومنها المدرسة السيفية، ومدرسة الإصلاح، ومدرسة الإرشاد<sup>(١٧٠)</sup>، والمدرسة العالية في الحديدية<sup>(١٧١)</sup>، والمدرسة الثانوية في صنعاء، التي أنشأتها البعثة التعليمية العراقية<sup>(١٧٢)</sup>، والمدرسة الأحمدية في تعز، التي قامت على أسلوب التعليم الحديث والأسس التربوية المطورة، حيث زودت هذه المدرسة بمكتبة، واحتوت الفصول على الصور والخرائط، وبدأ الطلاب فيها بتعلم اللغة الإنكليزية<sup>(١٧٣)</sup>. وقد بلغ التوسع في افتتاح المدارس إلى أن أصبح عددها في نهاية عهد الإمام يحيى في عام ١٩٤٨م أكثر من ٥٣٥ مدرسة، تشمل كافة مراحل التعليم<sup>(١٧٤)</sup>، بما يتناسب مع ظروف ذلك الزمان، الذي كانت الأمية في مصر يربح في ظلها ثلثا الشعب المصري<sup>(١٧٥)</sup>، وكان عدد المدارس الثانوية في العراق لا يتجاوز ٩٥ مدرسة فقط<sup>(١٧٦)</sup>.

وفي سياق تطوير التعليم في اليمن الأربعينيات، يصف أحد رموز النظام الجمهوري في مذكراته، وهو اللواء عبد الله جزيلان، الفصول الدراسية الحديثة التي بدأت تنتشر في أرياف اليمن، حيث يقول تحت عنوان: لمحات من ذكريات الطفولة: «التحقت أنا وأخي منصور بمدرسة الزمر، وهي مدرسة جديدة تتكون من عدة حجرات وفصول لها نوافذ زجاجية، تطل على حديقة واسعة، وقد كتب على كل حجرة بيانات توضح أنها فصل كذا من السنة كذا، وبها مقاعد خشبية لجلوس التلاميذ، وأدراج وكراس، وسبورة<sup>(١٧٧)</sup>. وبعد أن استقر المقام بأبي في تعز، انتظمت في مدرسة الأشرفية وإدارتها نفس إدارة مدرسة دار الذهب، وكان الأستاذ في المدرسة يشرح لنا الدروس بطريقة جديدة وأسلوب مبتكر، حبيب إلينا العلم».

ولفرط اهتمام الحكومة الإمامية بانتشار المدارس الحديثة، يؤكد اللواء الجزيلان قدوم ولي العهد سيف الإسلام أحمد بنفسه لزيارة المدرسة بين الفينة والأخرى<sup>(١٧٨)</sup>. أما أحمد الشامي، فيذكر في كتابه (رياح التغيير في اليمن) استقدام الإمام يحيى لبعثة ثقافية لبنانية إلى اليمن برئاسة الدكتور عدنان الترسيسي، خريج السوربون في فرنسا، لتعنى بتطوير التعلم والثقافة في اليمن<sup>(١٧٩)</sup>. وقد ضمت هذه البعثة بين جناباتها مجموعة من المدرسين اللبنانيين<sup>(١٨٠)</sup>، ويدل هذا على مدى عناية المسؤولين في ذلك العهد بدفع البلاد في اتجاه التعليم الحديث، والتوسع في افتتاح المدارس النموذجية.

ومن المؤشرات الأخرى التى تدعو إلى التأمل، ما كان يصدره الإمام يحيى من أوامر وتعليمات يكلف فيها جميع موظفى الدولة والأهالى بالخروج إلى مشارف العاصمة صنعاء، لاستقبال البعثات اليمينية المتخرجة، حال عودتها إلى اليمن من الخارج، مع حرصه على إقامة الاحتفالات لهم، وعزف الموسيقى الحماسية، ترحيباً بهم، مع إلقاء الخطابات الحماسية<sup>(١٨١)</sup>، فهل ينسجم ذلك مع صفات حاكم يحارب العلم والتعليم، أم أنها من صفات الحاكم الحريص على تعليم شعبه!؟

ومع تولى الإمام أحمد للسلطة بعد استشهاد أبيه، حصل تطور نوعى فى سلك التعليم، حيث تم افتتاح أول مدرسة للإناث فى صنعاء عام ١٩٥٠م، تحت إشراف معلمات فلسطينيات، مثل السيدة نزيهة النوباني، وشهيرة قدورة<sup>(١٨٢)</sup>، وافتتحت مدرسة أخرى للبنات فى تعز، تدرس فيها العلوم الابتدائية، والشؤون المنزلية، والخياطة، والتطريز<sup>(١٨٣)</sup>.

#### • الخدمات الطبية:

كان من شأن الحرب العالمية الثانية أن فرضت بريطانيا حصاراً على البحر الأحمر، لمقاومة النفوذ الفاشي، وإبعاد أى إمكانية تغلغل ألماني أو ياباني إلى أرض اليمن، مما قلص من إمكانية استدعاء بعثات طبية جديدة محسوبة على دول المحور، فما كان من الإمام يحيى إلا أن تحول نحو البعثات الطبية المحسوبة على دول التحالف، ومنها فرنسا، فتم استدعاء ٩ أطباء من فرنسا فى مختلف التخصصات<sup>(١٨٤)</sup>.

ثم وصلت بعد ذلك بعثة طبية فرنسية أخرى يقودها عدد من الأطباء الفرنسيين، عهد إليهم الإمام بإنشاء مستشفى جديد فى صنعاء<sup>(١٨٥)</sup> أطلق عليه اسم المستشفى الفرنسى<sup>(١٨٦)</sup>. وتروى الفرنسية لوسيل فيفريه، وهى إحدى عضوات هذه البعثة الطبية طرفة تبعث على الضحك فى كتاب ذكرياتها عن هذا المستشفى، تدل فيها على قلة مدارك الناس فى اليمن الأربعينيات عن طبيعة التطبيب فى المستشفيات، حيث تقول: " كان جميع المرضى مستقلقين على أسرهم، واطلع والدى الطبيب (الذى هو رئيس البعثة)، اطلع على الدفتر الموجود لدى الممرضة، والذى تسجل فيه أسماء المرضى وأعمارهم، وعلاج كل واحد منهم، ثم أعد على الفور استمارات تشخيص، وقام بتعليقها فى أطراف الأسرة، كما هو الحال فى جميع المستشفيات العالمية، وفى اليوم التالى بينما كان يطلع والدى عند زيارة المرضى على الاستمارات المعلقة فى طرف سرير كل مريض، ذهل بعد أن اكتشف أن إحدى

استمارات التشخيص تحتوى على معلومات تشير إلى إصابة المريض بكسر فى ساقه، وأن عمره ٥٠ عاما، فى حين أن الشخص الذى أمامه شاب عمره ١٨ عاما مصاب بالملاريا، وحين استجواب الممرضة اعترفت له بأن المرضى يغيرون أماكنهم تبعاً لرغباتهم، أو بغرض التجاور، وأن هكذا هو الحال دائما.

ولما لم يستطع الدكتور ثنى المرضى عن هذه العادة، ومن أجل تمييزهم، جعل كل واحد منهم يحمل سوارا قطنيا موضحا فيه رقم السرير الذى فيه استمارة تشخيصه. وتضيف لوسيل فيفريه طريقة أخرى بقولها: «كان المرضى يستأوون من تجرع الأدوية الطبية المحضرة، فخطرت للصيدلى الإيطالى الذى يعمل فى المستشفى فكرة إضافة أصباغ للأدوية، مما أصفى لونا جميلا اقنع المرضى بجودته، فبدؤوا بتجرع الأدوية عن طيب خاطر»<sup>(١٨٧)</sup>.



الدكتور الفرنسى فيفريه مؤسس المستشفى الفرنسى  
فى صنعاء مع بعض المرضى اليمينيين، وأفراد من جهازه الطبى



أطباء المستشفى الفرنسي بصنعاء وهم يرتدون الزي اليمني التقليدي

وإضافة إلى البعثة الطبية الفرنسية، فقد كان هناك أطباء آخرون غير محسوبين على أي طرف، سواء من الحلفاء أو من دول المحور، مثل بعض الأطباء الدنماركيين<sup>(١٨٨)</sup> . والهولنديين<sup>(١٨٩)</sup> وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بدأ توافد الأطباء الألمان مثل الدكتور الجراحة أيفو هويك التي قدمت الى شمال اليمن في عام ١٩٤٧م وخدمت فيه بضعة سنوات قبل ان تنتقل الى حضرموت في جنوب اليمن.







صورة مختلفة للطبيبة الألمانية ابغا هويك وهي تعالج المواطنين اليمنيين  
البسطاء



أما البعثة البريطانية التي سبق أن وصلت في نهاية الثلاثينيات إلى اليمن، فقد مدد الإمام عقدها ليستمر الدكتور بترى في رئاستها، بعد أن قدمت خدمات جوهرية لآلاف المرضى اليمنيين<sup>(١٩٠)</sup>، وصرفت الأدوية والعقاقير من الصيدلية الملحقة بعياداتهم<sup>(١٩١)</sup>. ولتوسيع الخدمات الطبية البريطانية، فقد تم التعاقد مع طبيبين بريطانيين آخرين، هما الدكتور ولكار، والدكتور كروسكيرى<sup>(١٩٢)</sup>.

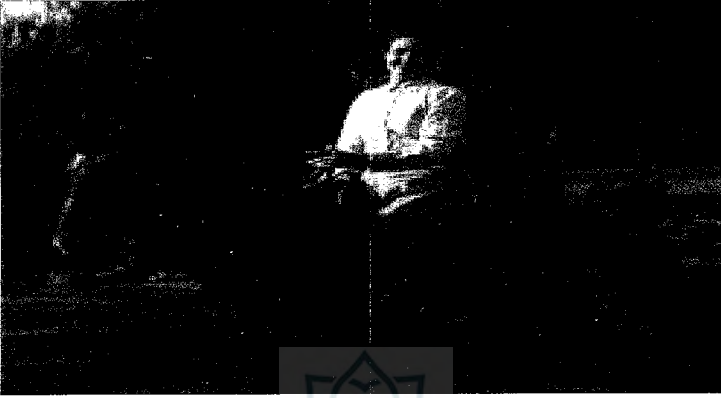
أما عن الأطباء العرب، فقد استدعى الإمام يحيى الكثير منهم، الذين وصلوا في بعثات مختلفة، مثل البعثة اللبنانية التي تشكلت من بعض التقنيين والمستشارين في مختلف الاختصاصات، ومنهم أطباء وصيادلة، مثل الجراح رضوان مروة، وزوجته التي كانت طبيبة نسائية، والصيادلة حسن شهاب، وألبير قايم<sup>(١٩٣)</sup>.

ولم يمض عقد الأربعينيات إلا وفي اليمن ٣ مستشفيات، تضم أكثر من ألفى سرير، بإدارة أطباء أجانب متعاقدين مع حكومة الإمام يحيى<sup>(١٩٤)</sup>، وهي مستشفى في صنعاء، ومستشفى في الحديدة، ومستشفى في تعز<sup>(١٩٥)</sup>، وسمح لبعض الأطباء العرب بمزاولة النشاطات الطبية الخاصة، ومنهم الدكتور السوري أحمد السمان، الذي عمل في اليمن لمدة سبع سنوات<sup>(١٩٦)</sup>، والدكتور ممدوح حسن تحسين السوري الجنسية، الذي افتتح عيادة لطب الأسنان في صنعاء، ومارس مهنة التدريس لطب الأسنان، وقد تخرج على يديه مجموعة من أطباء الأسنان اليمنيين<sup>(١٩٧)</sup>.

وبعد أن سردت جانباً من الحقائق الإيجابية التي كانت مكتومة عن الخدمات الطبية في عهد الإمام يحيى، أتعجب من الادعاءات الكاذبة التي أطلقها أعلام العسكر في اليمن، ومن لف لفهم من الكتاب المأجورين وحملة المباخر، من أن اليمن في عهد الإمام يحيى وابنه الامام احمد انعدمت فيها الخدمات الطبية، إلى درجة أنه لم يكن فيها مستشفى واحد لعلاج المواطنين، ولا أطباء، ولا أدوية، ولا شيء يذكر، إلا أن ظهور كتب ومطبوعات انتشرت في فترة الثمانينيات في المكتبات العامة، تتحدث عن سيرة الكثير من الرحالة الأجانب الذين وفدوا إلى اليمن، وشهدوا على وجود الخدمات الطبية للمواطنين في عهد الإمام يحيى وابنه الإمام أحمد، إضافة إلى مذكرات بعض الأطباء الأجانب الغربيين، الذين تعاقبوا مع حكومة الإمام للخدمة في البلاد، لم يترك للمعرضين مجالاً لتكذيب حقيقة الخدمات الطبية، سوى التزوير في ترجمة تلك المذكرات، كما فعل الوزير السابق محسن العيني الذي كان سباقاً منذ عام ١٩٦٠م في تزوير ترجمة مقاطع من كتاب الدكتورة الفرنسية كلودين فاين (كنت طبيبة في اليمن)\* بما يتناسب مع اجندياته السياسية الخاصة في تشويه سيرة الامام يحيى واسرته.

\* ولن يريد التأكيد من تزوير ترجمة محسن العيني لبعض مقاطع الكتاب، عليه أن يقرأ كتاب (اليمن في عيون البعثة العسكرية العراقية) للعميد الركن سيف الدين آل يحيى، الذي خدم في اليمن لمدة ثلاث سنوات، وأكد في كتابه على أنه قرأ ترجمة العيني للكتاب فوجد أن ٢٥٪ على الأقل مما ورد فيه غير صحيح.

وليت أن محسن العيني اكتفى بالتزوير في ترجمة الكتاب، بل أضاف إليه الكثير من الزيادات والصور بما يظهر الامام واسرته ولكأنهم ظلمة اصحاب غرائز حيوانية، جل اهتماماتهم اشباع ملذاتهم الحسية وشهواتهم البهيمية على حساب الشعب اليمني وكرامته.



صورة الدكتورة كلودي فيان على صهوة جوادها في مدينة تعز عام

١٩٥١م

أما غير محسن العيني من المعرضين الذين أسقط في أيديهم بعد انتشار الكتب والمذكرات المذكورة آنفاً، فلم يجدوا من حل للالتفاف على تلك الحقائق الإيجابية، سوى اللجوء إلى التأويل الغبى، بالادعاء أن هؤلاء الأطباء الأجانب الذين وفدوا إلى اليمن، اقتصرتم خدماتهم الطبية على أسرة الإمام يحيى وحاشيته، التي احتكرت التطبيب لنفسها دون أن تفكر في الشعب، إلا أن الرد الشافى على هؤلاء الخراصين، يتمثل ايضاً في كتاب (اليمن في عيون البعثة العسكرية العراقية) للعميد سيف الدين سعيد آل يحيى، الذى خدم في اليمن، وشهد على استفادة الآلاف من المواطنين اليمنيين العاديين من خدمات هؤلاء الأطباء، إضافة إلى شهادة كل من الدكتور عبدالرحمن البيضانى الذى كان موظفاً فى السفارة اليمنية فى القاهرة وأكد فى كتابه (أزمة الأمة العربية وثورة اليمن) على توافد المرضى اليمنيين الى القاهرة للعلاج على نفقة الدولة فى عهد الامام احمد<sup>(١٩٨)</sup> وشهادة العقيد عبدالرحيم عبد الله، عضو مجلس قيادة الثورة، ووزير الطيران فى العهد الجمهورى، الذى

كان طيارا فى العهد الملكى ووثق فى مذكراته عن حقيقة ابتعاث الإمام أحمد للمواطنين اليمنيين للعلاج فى ايطاليا على نفقة الدولة<sup>(١٩٩)</sup>، ومن هؤلاء المواطنين القاضى محمد صالح الحمدي، والد الرئيس السابق إبراهيم الحمدي، الذى أرسله الإمام أحمد للعلاج فى روما كما ورد فى مذكرات عبدالرحمن الاريانى رئيس الجمهورية السابق<sup>(٢٠٠)</sup> ولا يفوتنا أخيرا شهادة اللواء محمد بن على الأكوخ الذى وثق فى مذكراته قصة مشاهدته للإمام أحمد وهو ينحني بكل تواضع لتقبيل يد الدكتور لبي الايطالى لإخلاصه فى معالجة أكثر من ١٥٠ مريضا يمينا فقيرا مصابون بالجذام الى ان تم شفائهم تماما، فهل تنسجم كل تلك الشهادات الايجابية مع ما اورده محسن العيني وغيره من المغرضين من افتراءات واكاذيب تظهر الامام أحمد ولكأنه غير معنى بالآلام شعبه ولا متطلبات علاجه، وهل يحتاج محسن العيني وأمثاله من المثقفين لمن يلفت انظارهم الى ان حال الخدمات الطبية فى جوار اليمن فى فترة الأربعينات والخمسينات من القرن الماضى لم يكن يتعدى قيد انملة عما كان سائدا فى اليمن ان لم يكن أسوأ، واليوم نرى الآية وقد انعكست فى العهد الجمهورى ليصبح الجوار سابقا لليمن بمائة عام.



مقال فى مجلة National Geography الأمريكية الصادرة فى عام ١٩٥٣م يتحدث عن وصول بعثة طبية أمريكية الى اليمن بناء على طلب الامام أحمد لدراسة المشاكل الصحية فى اليمن بهدف رفع مستوى الخدمات الطبية فى اليمن، ويظهر فى الصورة الأطباء الأمريكان وهم يقومون بمهمتهم فى أحد المختبرات الصحية فى مدينة تعز

## • مشاريع التجارة والتنمية المحلية:

بعد أن توالى مجيء البعثات العربية إلى اليمن في عقد الأربعينيات، لاحت الفكرة في ذهن الإمام يحيى للاستعانة بقدرات بعض المستشارين العرب، ذات الاتجاه الإسلامي والوطني، ممن يمكن أن يساعدوا اليمن في الانطلاق نحو مشاريع تنمية، ورسم برامج وخطط لتأسيس شركات أهلية تكون إطارا لمشاريع خدمتية تحرك عجلة الاقتصاد، وتشرك التجار ورجال الأعمال اليمنيين في عملية التحديث والتطوير للبلاد، وقد اختار الإمام يحيى لإنجاز هذا الغرض بعض الشخصيات المنتدبة من قبل حسن البنا وغيره، مثل الفضيل الورتلاني، وحسن نشأت باشا، وجميل مردم بك، وتحسين بك العسكري، وسامى الخورى، الذين باثروا في دراسة أوضاع اليمن، ورسم الخطط اللازمة للانطلاق نحو آفاق التنمية<sup>(٢٠١)</sup>.

وقد قدم الفضيل الورتلاني تقريرا شاملا لخطط اقتصادية ناقشها في عدة جلسات، حضرها الإمام يحيى بنفسه، وبموجب الخطط تم الموافقة على تأسيس شركات أهلية، لتكون نواة لمشروعات تنموية في مجالات التجارة، والصناعة، والزراعة، والنقل، يقوم بها القطاع الخاص مدعوما من الحكومة<sup>(٢٠٢)</sup>، مثل شركة التجارة الوطنية<sup>(٢٠٣)</sup>، والشركة اليمنية للتجارة والصناعة والزراعة والنقل، التي تم إصدار مرسوم حكومي بتشكيلها والموافقة على قانونها، وتم افتتاح باب الاكتتاب العام، ليساهم فيها التجار ورجال الأعمال اليمنيين، وفعلا ساهم في هذه الشركة الكثير من البيوتات التجارية البارزة، أمثال آل السنيدار، وآل عسلان، وأسرّة غمضان، وأسرّة اليماني، وأسرّة الثور، وغيرهم<sup>(٢٠٤)</sup>، وتم رصد مبلغ مليوني جنيه مصري كرأسمال لهذه الشركات<sup>(٢٠٥)</sup>، كما تم تكليف الفضيل الورتلاني للسفر إلى مصر لاختيار خبراء، ومستشارين، وموظفين فنيين، ومحاسبين ماليين<sup>(٢٠٦)</sup> للقدوم إلى اليمن لتأسيس نشاط صناعي يمني قائم على الأسس الإسلامية<sup>(٢٠٧)</sup>، ولم يدر بخلد الإمام يحيى أنه سيكون ضحية ثقته في ذوى القربى، وتوسله بالرابطة الإسلامية التي دفعته للاستعانة بالإخوان المسلمين والتعويل عليهم لتأسيس شركات إسلامية تدفع باليمن نحو آفاق التنمية.

## • مشاريع التنمية الأمريكية لليمن:

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، حدث نوع من الانفراج فى العلاقات الدولية، وظهرت الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتى على الساحة الدولية، بوصفهما قوى عظمى جديدة غير ملطخة أياديهما بتاريخ استعمارى كريه، إضافة إلى ذلك، تأسست منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥م، برعاية الولايات المتحدة، والتي ساهمت فى دعم استقلال الشعوب، وحجمت من الدور الدولى للدول الاستعمارية، وخاصة بريطانيا وفرنسا اللتين بدأت شمسهما فى الغروب، مما أدى إلى تسارع وتيرة الاستقلال للشعوب العربية المستعمرة، ابتداء من سوريا ولبنان اللتين استقلتا رسميا عام ١٩٤٦م، بخروج آخر جندى فرنسى، وكل تلك التطورات على الساحة الدولية أدت إلى انقشاع سحب الاستعمار، وتعزيز اتجاه الشعوب العربية نحو الاستقلال التام، مما دفع الإمام يحيى إلى التخفيف من غلوائه فى سياسة التحفظ والتحرز التى كان يمارسها خلال عقدى العشرينيات والثلاثينيات، تحت وطئة العقدة من المستعمر الأجنبى، فانتقلت اليمن بذلك إلى طور جديد من مرحلة تتقدم فيها أولويات الأمن والاستقلال، إلى مرحلة جديدة من القبول، والاستيعاب، والانفتاح على المعطيات الجديدة الناتجة عن الواقع الدولى الجديد. لقد توجه الإمام يحيى فى هذه المرحلة بأنظاره نحو الولايات المتحدة الأمريكية، بعد أن أيقن أن حالة السلم قائمة فعلا، وأن كافة العلاقات الدولية، بما فى ذلك العلاقة مع الولايات المتحدة، ستكون قائمة على الندية فى التعامل، وتبادل المنافع بصدق وأمانة، وأن محور الاتفاقات والخصومات بين الدول، سيكون مرجعيتها نظام قانونى دولى، وأعراف دبلوماسية ثابتة، لا يمكن اختراقها أو التلاعب بها، كما كانت تفعل بريطانيا، وفرنسا، وإيطاليا فى منطقتنا العربية.

والحقيقة وإن كان الإمام يحيى قد اندفع نحو الولايات المتحدة الأمريكية بقوة عقب هذه التطورات بعد الحرب العالمية الثانية، إلا أنه سبق له قبل هذه المرحلة أن أقام اتصالات رسمية مع الولايات المتحدة الأمريكية منذ عام ١٩١٨م، عندما أعلن الرئيس الأمريكى ويلسون نفسه نصيرا للشعوب المتطلعة للحرية والاستقلال، وصرح بحق تقرير المصير للشعوب المستعمرة، فبعث له الإمام يحيى فى ذلك الحين خطابا يطلب من حكومته الاعتراف باليمن مستقلة تماما، وبوضعه كإمام وملك على اليمن، إلا أنه لم يتلق ردا على رسالته، وكرر الإمام يحيى المحاولة ثانية ببعث رسالة أخرى فى كانون الثانى عام ١٩١٩م إلى القنصل الأمريكى فى عدن، شارحا رغبته فى مساعدة اليمن فى عرض مطالبه

الاستقلالية على مؤتمر السلام الذى سيعقد فى باريس<sup>(٢٠٨)</sup>، إلا أن كل تلك المحاولات لم تثمر عن شىء، حيث أشار المسؤولون الأمريكيون إلى أن هناك مشكلة محتملة تتعلق بامتعض بريطانيا من أى اتفاق يمكن أن يبرم مع الإمام يحيى<sup>(٢٠٩)</sup>، لا سيما وأن المندوب السامى البريطانى ستيوارت فى عدن، كان قد عبر صراحة عن استيائه من محاولات الإمام الحثيثة للتواصل مع الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق القنصلية الأمريكية فى عدن من وراء ظهره، حيث قال: إن تلك المحاولات تشكل انتهاكا فاضحا لمكانته التى يتمتع بها لدى حكومته البريطانية<sup>(٢١٠)</sup>، ولم يكتف ستيوارت بذلك، بل عندما بلغه محاولة الإمام يحيى الحصول بصفة فردية عن طريق بعض رجال الأعمال الأمريكيين، مثل كونى هولبرغ، على بعض المعدات والطائرات، عارض ستيوارت تزويد الإمام يحيى بأى من طلباته<sup>(٢١١)</sup>.

وليس بخاف على أدنى متابع أن أحد أسباب العصاب البريطانى فى إجهاض أى محاولة تواصل أو تعاون بين اليمن والولايات المتحدة، هوردة فعل الإنكليز على فشلهم فى إيجاد موطأ قدم تجارى لهم فى اليمن الشمالى منذ العشرينيات، حيث سبق أن حاول المندوب السامى ستيوارت ذلك عبر معاونه الأول جيكوب، الذى بعثه إلى صنعاء فى عام ١٩٢٣م ليقنع الإمام يحيى بفتح أبواب اليمن لأمر تجارية بحثة مع بريطانيا، تتصل بتنفيذ مشروع تمديد سكك حديدية، واستخراج معادن من قبل شركة إنجليزية أطلق عليها اسم الشركة الزيدية، تزلفا وتملقا للإمام يحيى، إلا أن الإمام يحيى رفض رفضا قاطعا هذا المشروع، وزاد على ذلك بأن رفض فتح أى باب يمكن أن تنفذ من خلاله بريطانيا إلى شمال اليمن.

وفى سياق ذلك الرفض، صرح الإمام يحيى لرجاله حين التأم مجلسه، بعد مغادرة جيكوب بأنه لا بد من أخذ الحيطة والحذر من الساسة البريطانيين، ولا سيما جيكوب الموصوف بالدهاء والمكر والخديعة، وذكرهم الإمام يحيى بأن استعمار بريطانيا لشبه القارة الهندية أول ما ابتدأ، كان عن طريق تشكيل شركة سموها الشركة الهندية، التى تعاطت أعمال التجارة فى الهند، واتسعت أعمالها حتى إذا حانت الفرصة، أعلنت الشركة بيع أملاكها ومسالحتها للحكومة البريطانية، التى أسرعت بعد ذلك إلى الاستيلاء على نحو سبعين مملكة فى البلاد الهندية<sup>(٢١٢)</sup>.



ولقد عبر الإمام يحيى للحالة السورى نزيه مؤيد العظم عن موقفه تجاه بريطانيا ومحاولاتها، مع غيرها من الدول الاستعمارية فى اختراق اليمن بقوله: «إننى أفضل أن نبقى أنا وشعبى فقراء، نأكل القصب على أن أدخل الأجانب، أو أمنحهم امتيازات، مهما كان فى إدخالهم للبلاد من الفائدة والثروة»<sup>(٢١٣)</sup>، إلا أن هذه المقولة للإمام يحيى لم تكن قناعة تامة، بقدر ما كانت ردة فعل وتنفيسا عن الغضب لما كان يشاهده ويلمسه من أحوال العالم الإسلامى والعربى المستضعف تحت قبضة الاستعمار البريطانى والفرنسى، بدليل أن الإمام يحيى فتح أبواب اليمن لغرماء بريطانيا من الروس، والإيطاليين، والألمان، ليمارسوا الأعمال التجارية، وليؤسسوا المشاريع الصناعية والخدماتية، إضافة إلى موقف الإمام يحيى الإيجابى تجاه الولايات المتحدة الأمريكية، عندما عبر لنائب القنصل الأمريكى فى عدن فى خطاب وجهه إليه، يرحب فيه بقدم رجال الأعمال الأمريكيين، وتقديم التسهيلات لهم لفتح شركات فى اليمن، حيث ورد فى الخطاب الآتى: «إنه من المعروف أن أى كان يرغب فى العمل باليمن بإخلاص واحترام للقانون، وأن يكون قلبه نظيفا، ونيته طيبة، يجب أن لا يمنع، خاصة بالنسبة للتاجر الأمريكى الذى كتبت لنا عنه، وأنا سنعمل أقصى طاقتنا لمنحه كل التسهيلات الممكنة»<sup>(٢١٤)</sup>، وفعلا كان من ثمرة هذا الخطاب أن بدأ ممثلون لشركات أمريكية فى التدفق إلى اليمن ما بين عام ١٩٢٦م وعام ١٩٢٧م، ومنهم مديرون تنفيذيون بارزون لهم سمعتهم الدولية، مثل تشالز كرين، وكارل توتشيل، ومعهما حفنة من الخبراء الأمريكان، من المهندسين، والمساحين، والفنيين الذين قاموا ببعض المشاريع البسيطة، مثل بناء جسور صغيرة، وشق طرق ترابية، وإنشاء طواحين هواء، ومضخات<sup>(٢١٥)</sup>.

لقد عبر الإمام يحيى لتشالز كرين حال وصوله إلى اليمن، وهو رجل الأعمال الأمريكى البارز، صاحب النفوذ القوى لدى الإدارة الأمريكية، عبر له الإمام عن رغبته فى الحصول على مهندسين مختصين فى المعادن، ليقوموا بدراسة ما هو موجود منها فى اليمن<sup>(٢١٦)</sup>، وأجرى معه مباحثات أكد له فيها رغبته القوية فى عقد اتفاقية صداقة مع الولايات المتحدة الأمريكية، يحصل بموجبها على آلات وغيرها من التقنيات.

ولحرص الإمام يحيى على إنجاز هذه الاتفاقية، فقد تواصل مع نائب القنصل الأمريكى فى عدن، متوسلا دعمه لدى حكومته لإنجاز هذه الاتفاقية، إلا أن الحكومة الأمريكية خذلت الإمام يحيى ثانية، وبلغت رسميا فى عام ١٩٢٨م قنصلها فى عدن، رفضها عقد أى اتفاقية مع الإمام يحيى، تحت ذريعة أن تجارة أمريكا فى اليمن محدودة جدا، وليس



لها مصالح اقتصادية أو سواها<sup>(٢١٧)</sup>، فما كان من تشالز كرين إلا أن قام بصفة فردية خارجة عن إطار التكليف الحكومي الرسمي بتكليف مهندسيه بالسفر إلى اليمن، للقيام بدراسة علمية وفنية في منطقة الصليف، التي وجدوا فيها طبقات جيولوجية تشير إلى إمكانية وجود البترول فيها، مما شجع على وصول مبعوثين لإحدى الشركات الأمريكية للتباحث مع الإمام يحيى لإمكانية عقد اتفاقية لاستخراج ثروات الأرض<sup>(٢١٨)</sup>.

إلا أن المباحثات في هذا الشأن لم تسفر عن نتيجة<sup>(٢١٩)</sup>، والواقع أن هناك عدة عوامل تسببت في عدم إثمارها، منها وقوف بريطانيا بالمرصاد لأي مشروع قد يعزز من عضد الإمام يحيى<sup>(٢٢٠)</sup>، والأمر الثاني أن منطقة جنوب الجزيرة العربية لم تكن واعدة لاستخراج النفط بكميات تجارية، تشجع الولايات المتحدة الأمريكية على المجازفة بعلاقاتها الودية مع بريطانيا<sup>(٢٢١)</sup>، والأمر الثالث هو الشروط المجحفة التي وضعها تشالز كرين وشركاؤه لامتياز التنقيب عن المعادن، ومنها بنود تتعلق بتأجير مناطق في شبه جزيرة الصليف لمدة ٩٩ عاما، بقيمة ألف ريال في السنة، واقتصار حق اليمن على ٣٪ ضرائب على التصدير، و١٠٪ من رأس مال الشركة للإمام يحيى<sup>(٢٢٢)</sup>.

وإذا أضفنا إلى ذلك عاملا آخر مهما يتعلق بالخصائص الثقافية التي كانت تحكم المجتمع اليمني في ذلك الزمان، سيتضح لنا كيف أن المشاريع الكبرى العظيمة عادة ما تتعطل بفقدانها لحظتها التاريخية. ومشروع استخراج المعادن والنفط في اليمن العشرينيات من القرن الماضي استبق لحظته التاريخية، بسبب أن المجتمع ورموزه الدينية كانوا بحاجة أولا إلى التهيئة الثقافية والذهنية، وكيف كان يمكن أن يتسموا بالتلقائية في قبول تأجير أراض يمنية لمدة ٩٩ سنة، وهم يرون أن إدخال النصارى إلى اليمن يعد نوعا من الكفر والزندقة، وأستشهد في هذا السياق بالحوار الذي أجراه الكاتب أمين الريحاني مع أحد اليمنيين العاملين في أحد بيوت الضيافة الحكومية في عهد الإمام يحيى، وهو يقوم بخدمة وفد فرنسي زائر لليمن، والذي يبين طبيعة النظرة المحلية للمجتمع اليمني تجاه النصارى، وكيف أن العامل الديني المتأصل في تربة اليمن، كان يشكل حاجزا بين اليمن وانفتاحه الكامل على الغرب، يقول أمين الريحاني: "كان في البيت إزاء بيتنا، الوفد الفرنسي الذي وصل إلى صنعاء يوم كنا هناك، وكان احد الخدم يجيئ ليأخذ لهم ماء من الشاذروان، فسألته مرة: لمن الماء؟ فقال: للخنازير النصارى. فقلت: أليس في بيتهم ماء للغسل؟ فقال: هم يشتهون الماء للشرب، فقلت: أتسقونهم من ماء الشاذروان؟ فراح يحمل الجرة ويقول: هؤلاء خنازير نصارى لا يستحقون أحسن منه<sup>(٢٢٣)</sup>.

وكيف كان يمكن للإمام يحيى أن يتصف بالبرجماتية والهضم لتداعيات دخول الآلاف المؤلفّة من العمال، والخبراء، والكوادر الأمريكيين التابعين لشركات المعادن والنظّم مع عوائلهم الذين سيحملون معهم الرغبة في افتتاح المدارس والمراكز الترفيحية، وما إلى ذلك من المتطلبات التي لا غنى عنها للجاليات الأجنبية وسلطة الإمام يحيى تقوم على الشرعية الدينية، وما يتبع ذلك من نظرة الزيود إليه بوصفه أميراً للمؤمنين من ذرية الرسول، يجلس على كرسي خلافة، وأستشهد في هذا السياق بما سجله الرحالة الألماني هانز هولفريتز من ملاحظات في هذا الشأن، عند زيارته لليمن، حيث يقول: «إن عملية تحويل تلك الدولة الدينية القديمة إلى دولة جديدة تصلح للعصر، لم تكن بسيطة كما هي الحال بالنسبة إلى الدول الشرقية الأخرى، التي كانت أقدم اتصالاً بأوروبا. فالشروط الأولية اللازمة لمثل هذا التحول مفقودة في اليمن، كما أن الأساس الذي تقوم عليه سلطة الإمام يحول دون هذا التحول، حيث إن هذا الأساس ديني في طبيعته بصورة كلية»<sup>(٢٢٤)</sup>.

والملاحظ أنه حتى على مستوى التواصل والتحدث مع الفرد الأجنبي النصراني، أن ذلك كان محسوباً بدقة لدى الإمام يحيى، مراعاة لرجال عصبته الذين كانوا يستكثرون عليه مجرد الاحترام والمجاملة للنصراني، الذي يعد كافراً في نظرهم، وفي هذا السياق يقول رجل الأعمال الأمريكي تشالز كرين: «إن الإمام يحيى وإن أبدى لي حين مقابلته مزيداً من المجاملة، وأباح لي الحديث على غاية الإخلاص، لم ير أنه من الحكمة أن يظهر فرط العناية بي أمام الجمهور، إذ كان من الضروري له أن يحتفظ بمقام الاستقلال العظيم، بل بشيء من الاستخفاف بالأجانب، مراعاة للقبائل الحربية المتعصبين»<sup>(٢٢٥)</sup>.

وللاستزادة في شرح صعوبة دخول واستقرار النصراني في اليمن في ذلك الزمان، أشير إلى حوادث عام ١٩٢٦م، المتزامنة مع مباحثات شالز كرين مع الإمام يحيى، حيث وصل عشرة قناصل غربيين إلى صنعاء، ممثلين عن بعض الدول الغربية، فظن أهل صنعاء في قدومهم مقدمة لدخول النصراني إلى اليمن، وحصل لذلك هرج ومرج من العامة، الذين هموا بالاعتداء على الممثلين الأجانب وقتلهم، لولا أن الدولة تداركت الأمر بنقلهم على وجه السرعة من صنعاء إلى قصر الإمام في بئر العزب لحمايتهم<sup>(٢٢٦)</sup>.

وما حصل أيضاً مع بداية دخول الكوادر الإيطالية إلى المدن اليمنية الكبرى، مثل صنعاء، وتعز، والحديدة على أثر اتفاقية عام ١٩٢٦م، التي وقعها الإمام يحيى مع إيطاليا، فبالرغم من أن عدد الإيطاليين لم يكن يتعدى العشرات، إلا أن الإمام يحيى بالكاد استطاع ضبط مشاعر الحنق والرفض لدى الزيود، بدليل الشكاوى التي بثتها الكوادر

الإيطالية إلى حكومتهم من أنهم يشعرون بالغبرة، والخبوف من أن تقطع رؤوسهم، بسبب شعورهم بأن تواجدهم فى اليمن غير مرغوب فيه<sup>(٢٢٧)</sup>، وخاصة بعدما وصلهم من أخبار تتعلق بمقتل الكثير من الغربيين الذين سبقوهم فى زيارة اليمن، مثل المستشرق الألماني بركار، والماركيز الإيطالى ديبوزي، وغيرهم من الفرنسيين والإنكليز<sup>(٢٢٨)</sup>.

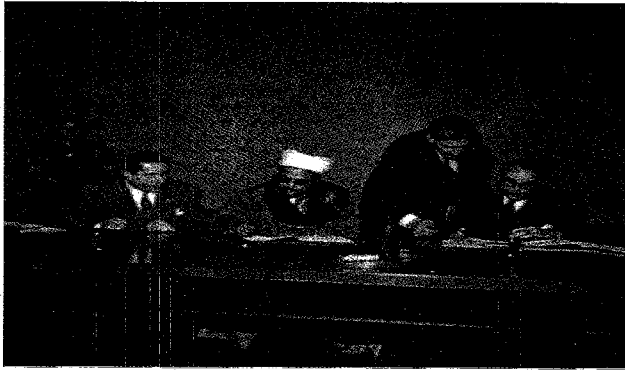
وهذه المعطيات كان لها أثر، ولا شك فى امتناع الإمام يحيى عن المجازفة بتأجير جزء من بلاده لشركات تتبع الولايات المتحدة الأمريكية لمدة ٩٩ عاما، وهنا لا يمكن أن نتغافل عن سلطة المجتمع، التى غالبا ما تكون أقوى من سلطة الدولة، وليجبنى المشككون فى ذلك عن السبب فى امتناع الدولة السعودية حتى اليوم من السماح للمرأة بقيادة السيارة، أو السماح بافتتاح دور للسينما، مما حتم على الحكومة السعودية عدم الإلحاح إلى مثل هذه المسائل، حتى لا تصطدم بالمجتمع الذى رغم شيوع التعليم فيه، إلا ان معظمه لا يزال خاضعا لمطارق المؤسسات الدينية التقليدية المهيمنة على المشهد الثقافى، ولم يقترب المجتمع بعد من الوعى بمفهومه الحضارى التنويرى الحديث، فما بالك بالإمام يحيى قبل ثمانين عاما، هل كان بإمكانه الاصطدام بالمجتمع، أم أنه كان محكوما بسقف قيمى، لا يخرج عن طوعه إلا من حكم على نفسه بالفناء؟

وبالتالى، فإن مشروعا كبيرا كاستخراج المعادن والنفط فى ذلك الزمان المصنف بفترة التحول التاريخى، كان يتطلب أمرين لا ثالث لهما، إما حيز من الزمان لاستيعاب الفكرة وتبلورها، حتى تنهيا التربة، ويصلح المناخ، وتتشرب الذهنية، كمن يعطى المريض جرعات صغيرة ليتعافى، أو عملية جراحية تحسم الأمر بالقوة، وتحرق المراحل، وتتجاوز سنة التدرج، كمن يعطى المريض جرعة كبيرة واحدة قاتلة، والتى ستؤدى - بلا شك إلى مفاصلة مع التيار المحافظ، والرموز الدينية والقبلية، وأنى للإمام أن يحسم الأمر بالقوة، فى الوقت الذى كان ما يزال فيه تحت وطئة التهديد البريطانى المتربص لأى فرصة سانحة للوثوب، انتقاما من الإمام يحيى، الذى رفض التسليم بالوجود البريطانى فى جنوب اليمن، وبالتالى لم يكن هناك من خيار للإمام يحيى فى تلك المرحلة التاريخية، سوى التريث، والمهادنة، والمهاودة بعدم الإلحاح على مثل هذا المشروع، استجابة لظروف المرحلة.

ولكن مع تغيير الواقع على الأرض بتوالى الأيام ومرور الزمان، بعد أن عزز الإمام يحيى من قبضته على البلاد تعريزا كاملا، بتطويع قبائل اليمن تطويعا تاما، وبعد أن بدأ اليمنيون يتعافون تدريجيا من ندوب الصدمة الحضارية وآثارها، بملامسة تخوم المعاصرة عبر التدفق التدريجى للغربيين إلى اليمن، خلال أكثر من عشرين عاما، إلى درجة أن أصبح لهم فى

عام ١٩٤٧م فى صنعاء حى متكامل فى منطقة بئر العزب<sup>(٢٢٩)</sup> وبعد أن تراجع الخوف من السقوط فى الشراك الاستعمارية، بخروج الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عظمى بعد الحرب العالمية الثانية، حجمت من الدور البريطانى المنافس على الساحة الدولية، التقط الإمام يحيى تلك اللحظة التاريخية، وعمل بمقتضيات الزمن الجديد، بأن قام بنفسه بالتواصل ثانية مع الحكومة الأمريكية، التى لم تمنع هذه المرة من تحدى المصالح البريطانية، والوقوف فى وجه الإنكليز بإرسال قنصلها فى عدن هارلن كلارك إلى صنعاء عام ١٩٤٦م لعقد مباحثات رسمية مع الإمام<sup>(٢٣٠)</sup>، كان من شأنها إصدار اتفاقية سياسية تجارية بين اليمن وأمريكا فى ٤ آيار من عام ١٩٤٦م<sup>(٢٣١)</sup>.

وفى أيلول من العام نفسه أرسلت الولايات المتحدة السفير ريفز شايلدنز، لتقديم أوراق اعتماده كوزير مفوض لبلاده فى اليمن، وبرفقته موظفون من السفارة الأمريكية فى جدة<sup>(٢٣٢)</sup>، وتبع ذلك أن طلب الإمام يحيى بصفة رسمية من رجل الأعمال ومهندس التعدين كارل توتشيل إحياء مباحثات اليمن السابقة، المتعلقة بإعطاء امتياز للشركات الأمريكية للتنقيب عن المعادن والنفط. وللتعجيل فى الوصول إلى هذا الهدف، بعث الإمام يحيى ابنه سيف الإسلام عبد الله فى زيارة رسمية إلى الولايات المتحدة عام ١٩٤٦م، للتباحث مع الحكومة الأمريكية فى هذا الشأن<sup>(٢٣٣)</sup>، فقابل سيف الإسلام عبد الله وزير الخارجية الأمريكى جورج مارشال، والرئيس الأمريكى ترومان<sup>(٢٣٤)</sup>، وعقد اجتماعات ومحادثات مع الكثير من الشركات الأمريكية، التى تم تفويضها بفتح اعتمادات مالية لها مع البنوك لتنفيذ مشاريع عديدة فى اليمن<sup>(٢٣٥)</sup>.



سيف الإسلام عبد الله يوقع اتفاق مع هيئة الأمم، للمساعدة التقنية والفنية



سيف الإسلام عبد الله مع الرئيس الأمريكي ترومان، بعد أن بعثه الإمام يحيى إلى الولايات المتحدة عام ١٩٤٦م لعقد اتفاقية سياسية تجارية مع الحكومة الأمريكية، للمساعدة على نهضة اليمن واستخراج النفط

الإسلام



سيف الإسلام عبد الله يعقد اتفاقية انضمام اليمن لهيئة الأمم المتحدة كعضو مؤسس

وكان من ثمرة هذه الزيارة، أن حصلت اليمن على الاعتراف بها كدولة مؤسسة في منظمة الأمم المتحدة، حيث أصبحت اليمن العضو السادس والخمسين في هذه المنظمة الدولية في ٢٥ أيلول عام ١٩٤٧م، وأسست أول ممثلية لليمن في نيويورك<sup>(٢٣٦)</sup> إضافة إلى ذلك، عقدت الحكومة اليمنية عدة مباحثات واتفاقيات مع الولايات المتحدة للقيام بالمشاريع التالية:

- ١ - مشاريع للتنقيب عن النفط مع عدة شركات أمريكية، ومنها شركة فيليب بترولسيوم<sup>(٢٣٧)</sup>.
- ٢ - مشروع إنشاء ميناء الحديد<sup>(٢٣٨)</sup>.
- ٣ - مشروع إنارة مدن صنعاء، والحديدة، وتعز<sup>(٢٣٩)</sup>.
- ٤ - مشروع لتوريد شاحنات ومضخات ومعدات فنية<sup>(٢٤٠)</sup>.
- ٥ - مشروعات طرق، وري، وموانئ، ومطارات<sup>(٢٤١)</sup>.
- ٦ - قرض بقيمة مليون دولار للحصول على معدات عسكرية<sup>(٢٤٢)</sup>.
- ٧ - قرض بقيمة ثلاثة مليون دولار ترصد لمشاريع التنمية والتحديث<sup>(٢٤٣)</sup>.
- ٨ - بناء مستشفيات، وشبكات مواشير مياه، وحفر آبار<sup>(٢٤٤)</sup>.
- ٩ - مساعدة في مشاريع التنمية الاقتصادية، لإنعاش التجارة الخارجية في اليمن<sup>(٢٤٥)</sup>.
- ١٠ - بناء خطوط سكك حديدية<sup>(٢٤٦)</sup>.
- ١١ - شراء مجموعة من طائرات النقل<sup>(٢٤٧)</sup>.

وما إن بلغت تلك التطورات إلى مسامع الانقلابيين في اليمن، خاصة ممن يسمون أنفسهم بحزب الأحرار، حتى جن جنونهم ولم يحتملوا أن يروا الإمام يحيى وقد انتزع حجتهم، وأبطل دعواهم التي طالما اتكأوا عليها في المعارضة، فما ذريعتهم الآن بعد أن سحب الإمام يحيى البساط من تحت أرجلهم، إلا أنهم لم يعدموا الحيلة، فقاموا بالتشويش، والإرجاف، وإثارة الشبهات، وشن الحملات الدعائية، لتعطيل هذا المشروع العظيم<sup>(٢٤٨)</sup>، إلا أن الإمام يحيى والولايات المتحدة الأمريكية لم يعيراهما اهتماما، بل مضيا قدما في تنفيذ بنود الاتفاقية، فافتتح مقر البعثة الدبلوماسية الأمريكية في تعز، واستقبلت أول بعثة تمثيلية يمنية في واشنطن في يوليو عام ١٩٤٧م<sup>(٢٤٩)</sup>، وافتتحت الإذاعة اليمنية رسميا في ١٥ تموز من عام ١٩٤٦م بمساعدة المهندسين الأمريكيين<sup>(٢٥٠)</sup>، وبدأت عمليات

المسح لبناء ميناء الحديدية بالتنسيق ما بين المهندس المصرى محمد خطاب بك، المسؤول عن هندسة ميناء الإسكندرية، والذي طلبه الإمام يحيى للقوم إلى اليمن<sup>(٢٥١)</sup>، وبدأت عملية مسح أخرى لتخطيط موقع مساحته ١٥٠٠ كلم مربع بالقرب من منطقة الصليف، وبالقرب من جزيرة كمران وتهيئته لوصول مهندسى البترول الأمريكان<sup>(٢٥٢)</sup>.

إلا أن هذا المشروع تعطل باغتيال الإمام يحيى، ولم يكتف قاتلوه باغتياله جسديا، بل حرصوا على اغتياله معنويا، بعد أن شق عليهم أن يسجل التاريخ للإمام يحيى مساعيه وتطلعاته لإنهاض اليمن باستخراج النفط، فتهكموا عليه بالقول: إنه لم يعي أهمية استخراج النفط لبلاده، إلا بعد ان طاب له النوم لأكثر من عشرين عاما، واستشهدوا بتجربة الملك عبدالعزيز فى اقتناص الفرصة التاريخية فى استخراج النفط لمملكته دون تردد منذ منتصف الثلاثينيات، مقابل تردد الإمام يحيى حسب زعمهم، الذى بدأ فى التفاوض مع مهندسى التعدين الأمريكيين قبل الملك عبدالعزيز بخمس سنوات، دون أن يحقق أى ثمرة ملموسة، ومن أولئك المتهمين محمد عبد الله الفسيل، الذى كان من أقطاب متآمري انقلاب عام ١٩٤٨م، وكتب فى جريدة الثورة اليمنية مقالا يتهم فيه على الإمام يحيى بقوله: صح النوم، ردا على مقال لى فى جريدة الشرق الأوسط، كنت قد وضحت فيه مساعى الإمام يحيى الجادة لاستخراج النفط فى اليمن، ولكنى أنصح الفسيل وأمثاله من أصحاب القصور فى الرؤية، أن يقرؤوا التاريخ بتمعن، ليدركوا أنه لا يوجد قالب واحد يمكن تعميمه للتعامل مع كل تجربة سياسية، فكل تجربة سياسية محكومة بظروفها الزمانية والمكانية، ومن غير الممكن تحليلها بمعزل عن الوقائع على الأرض، وأنه لولا ذلك لما قنن علماء الاجتماع والتاريخ والسياسة ما يسمى بالعوامل الجيوتاريخية والجيوسياسية التى تحكم كل مسيرة، وتفسر كل ظاهرة.

فإضافة إلى ما سبق أن أشرت إليه عن واقع الإمام يحيى التاريخى الاستثنائى النادر، المصنف فى خانة الظروف غير العادية، مقارنة بباقي حكام العرب، الذين لم يشد أحد منهم إرثا فكريا محافظا عمره ١١٠٠ عام، كما شد الإمام يحيى، ينبغى ألا يفوتنا اختلاف ظروف الملك عبدالعزيز على الأرض، فالملك عبدالعزيز لم يستخرج النفط إلا بعد أن حمى ظهره بعقد اتفاقية عام ١٩٢٧م مع بريطانيا، والتى أمنت جانبه بأقل الخسائر، وساعدته

على القضاء على التيار المتطرف المتمثل فى الإخوان الراضين للانفتاح والحدائة، ومركة السبلة فى عام ١٩٢٩م تقف شاهدا على ذلك\* .

أما الإمام يحيى فهل كان من الحكمة أن يشن حربا على المتطرفين الراضين للانفتاح والحدائة، وظهره كان مكشوفاً للإنكليز المتربصين به على الأبواب؟ وهل كان هناك من فرصة ذهبية للإنكليز أفضل من فتح الإمام جبهة داخلية يجيرونها لصالحهم؟ وهل كان يمكن للإمام يحيى أن يعقد اتفاقية صداقة مع الإنكليز فى نهاية العشرينيات تؤمن جانبه بأقل الخسائر، وهم مصرون على انتزاع إعتراف منه باحتلالهم لعدن وباقى المحميات؟ وهل جاءت اتفاقية عام ١٩٣٤م، التى عقدها الإمام يحيى مع الإنكليز عفوا، أم أنها عقدت تحت ظروف قاهرة، أجبرت الإمام يحيى وهو يواجه جبهتى حرب مفتوحتين فى شمال بلاده وجنوبها؟ اترك الجواب للقارئ.

يتضح مما سبق، بالاستناد إلى الوثائق التاريخية التى لم يدخل عليها تحرير أو تأويل، وبالتعويل على كتابات الرحالة الذين زاروا اليمن، ولم تطال كتاباتهم التزوير، أنه بالرغم من أن عهد الإمام يحيى واكب حربين عالميتين صرفتا اهتمام دول العالم عن كل شىء عدا الأمن، وبالرغم من أن الإمام يحيى كان قد وصل إلى السلطة، واليمن تفتقد إلى المكونات الأساسية والشروط الأولية للنهضة، بسبب حقائق الجغرافيا التى أخرجت اليمن من ذمة التاريخ لعدة قرون، وبالرغم من حرمان شعب اليمن من الحد الأدنى من الجاهزية والتهيؤ الذهنى إلى قبول أى جديد، بسبب الانتقال الفجائى بدون مقدمات من طور القرون الوسطى إلى طور القرن العشرين، وبالرغم من عبء التراث الدينى المحافظ المتجذر فى تربة اليمن لأكثر من ألف ومائة عام، والقائم على أكتاف الإمام يحيى بطريقة استثنائية نادرة، وبالرغم من ظروف الاستضعاف والخناق الذى أحكمته بريطانيا حول الإمام يحيى لأكثر من ثلاثين عاما، لمنعه من النهوض باليمن المستقل، وبالرغم من تواضع إمكانيات الإمام يحيى وموارده المالية، مقارنة بجواره النفطى، وبالرغم من افتقاد الإمام يحيى لأى سند أو شريك دولى يدعمه حق الدعم، مقارنة بالمظلات الأمنية للدول الكبرى التى ساندت كل الأنظمة العربية المعاصرة للإمام يحيى دون استثناء؛ أقول: بالرغم من وطأة كل تلك الظروف القاهرة، والمعوقات المهولة

\* معركة السبلة كانت الحدث المفضل فى تاريخ الدولة السعودية، والتى لولاها لبقيت الملكة العربية السعودية حبيسة للقرون الوسطى، حيث تمكن عبد العزيز من تصفية أكثر من الفين متطرف فى هذه المركة كانوا بذريعة الحفاظ على الدين يقفون حجر عثرة فى طريق انفتاح الدولة السعودية ودخولها إلى عالم الحدائة.



التي شكلت حالة استثنائية معقدة لا مثيل لها على امتداد العالم العربي، وجدنا الإمام يحيى يتمكن من امتصاص كل تلك المعوقات، ويطوع كل التحديات، شاقا طريق اليمن نحو التحديث والتطوير، والأخذ بأسباب التمدن تدريجيا عبر ثلاثة عقود، ابتداء من العشرينيات التي مد الإمام يحيى يده فيها نحو إيطاليا التي خذلته بعد عقده معها اتفاقية عام ٢٦، ومرورا بالثلاثينيات التي استقدم فيها الإمام يحيى الخبراء العرب والأجانب الغربيين، وحاول مد الجسور مع اليابان، للمساعدة في إنهاء اليمن وتحديثه، واختتاماً بالأربعينيات التي تواصل فيها الإمام يحيى مع الولايات المتحدة، وعقد معها اتفاقية عام ٤٦ للنهوض الشامل باليمن، وكان من شأنها قتله على يد عملاء بريطانيا.

وقد تكون تلك المظاهر الحدائثية التي أسسها الإمام يحيى متواضعة بمعايير اليوم، بما فيه من خطط خمسية، ومشاريع صناعية جبارة، إلا أنها كانت منسجمة - بلا شك - بمقاييس عصر الإمام يحيى، ورائدة بمقاييس جوار اليمن في ذلك الزمان، ويثبت هذا بما لا يدع مجالاً للشك، أن النية الصادقة للتطوير كانت موجودة، وأن المشروع الحضارى المتكامل كان في أجندة الإمام يحيى، وفي دائرة اهتماماته الشخصية، وأن الولوج في روح العصر كان يسير بثبات على قدم وساق في تودة وتبصر، وبخطوات متدرجة ورزينة، بدليل أن الأوضاع في اليمن في عهد الإمام أحمد بن الإمام يحيى بدت منسجمة تماما مع منطق الخمسينيات، وصيرورة الأشياء التي أدارت عجلة التحديث والانفتاح بوتيرة أسرع، مما كانت عليه الحال في الثلاثينيات والأربعينيات، فقد تم تحديث جهاز الحكم في أول الخمسينيات بتشكيل حكومي يختلف عن التشكيل الذي كان قائما في عهد أبيه، بزيادة عدد الوزراء والنواب من غير أسرته في مختلف مناطق اليمن، بصلاحيات واسعة<sup>(٢٥٣)</sup>، وتم رفع مراتب موظفي الدولة أضعاف ما كان سائدا في عهد الإمام يحيى<sup>(٢٥٤)</sup>، وتم تشكيل مجلس وزراء وأجهزة تنفيذية بدأت تمارس صلاحياتها على نحو جديد، وتشكيل الاستحداثات في المجالين الاقتصادى والاجتماعي، وتوسيع عملية انتداب الشباب إلى الخارج، في سبيل التحصيل العلمى في المؤسسات العلمية العليا فى البلدان العربية، وأوروبا الغربية، والولايات المتحدة الأمريكية<sup>(٢٥٥)</sup>، ودول الكتلة الاشتراكية، خاصة تشيكوسلوفاكيا التي أرسل إليها بعثات كبيرة لدراسة الطب والهندسة<sup>(٢٥٦)</sup>، والاتحاد السوفياتى وألمانيا لاكتساب الخبرات الفنية<sup>(٢٥٧)</sup>.



صورة لمدينة تعز في مطلع الخمسينيات، حيث كانت مقر حكم الإمام أحمد،  
الذي اتخذها عاصمة سياسية له بعد توليه السلطة

أما عن الصحة، فقد حصل التوسع في المستشفيات، واستكمل بناء كافة الأقسام الطبية فيها، إلى أن أصبحت كاملة الخدمات، تيسر العلاج والتطبيب بطريقة حديثة في كافة الأقسام<sup>(٢٥٨)</sup>. أما عن التعليم فقد تم التوسع في افتتاحه، حيث لم يشمل المدن فقط، بل تعدى ليشمل القرى، وكان أهم حدث تعليمي في عهد الإمام أحمد، أن التعليم أصبح إجبارياً، رغم نفور الأهالي من سوق أولادهم إلى المدارس، إضافة إلى افتتاح أول مدرسة للإناث في اليمن عام ١٩٥٠م، تحت إشراف معلمات من الجنسية الفلسطينية<sup>(٢٥٩)</sup>، مما كان له دور في وصول بعض الفتيات إلى آفاق ثقافية واسعة، مثل حفيظة الجيلاني التي أصبحت في عام ١٩٦٠م محررة صحفية في صحيفة سبأ الحكومية، وتم تخصيص ركن خاص بالمرأة أشرفت بنفسها على تحريره<sup>(٢٦٠)</sup>. وتم التوسع في العلاقات الدبلوماسية مع دول العالم، والمشاركة في المنظمات العالمية، والمؤتمرات الدولية<sup>(٢٦١)</sup>.

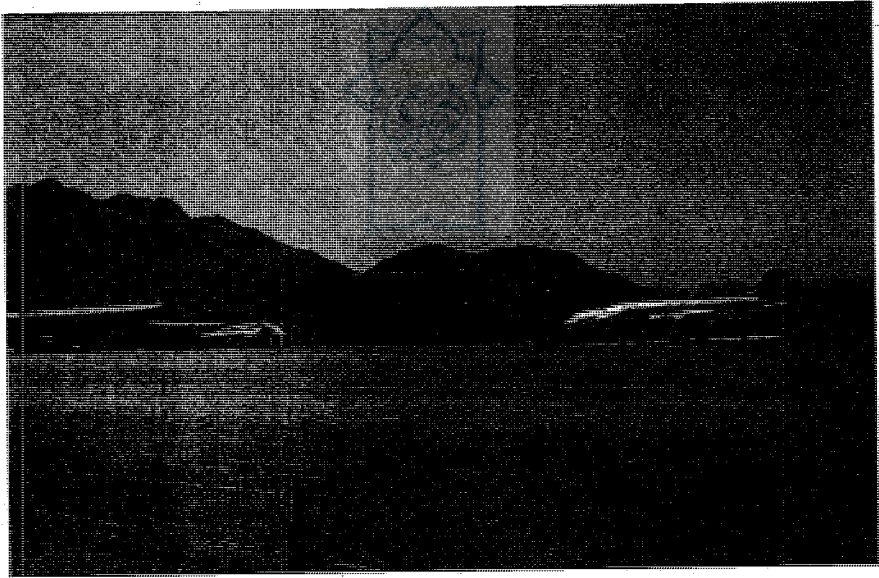


يظهر في الصورة سيف الإسلام الحسن ممثلاً لحكومة اليمن في عهد الإمام أحمد، ويظهر بجانبه ممثل المملكة العربية السعودية الأمير فيصل بن عبد العزيز في مؤتمر عدم الإنحياز في بندونج عام ١٩٥٥م



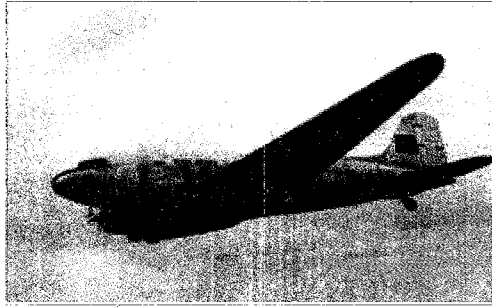
يظهر في أقصى يسار الصورة سيف الإسلام الحسن ممثلاً لحكومة اليمن في عهد الإمام أحمد في مؤتمر عدم الإنحياز في بلغراد عام ١٩٦١م

وأيضاً تم التوسع في إنشاء المرافق والخدمات، خاصة في مجال الكهرباء، حيث أنشئت ثلاث شركات كهرباء جديدة في كل من صنعاء، وتعز، والحديدة<sup>(٢٦٢)</sup>، إضافة إلى التوسع في البنى التحتية، مثل بناء ميناء الحديدة، وشق الطرقات الأسفلتية بين المدن اليمنية الكبرى<sup>(٢٦٣)</sup> فكل ذلك أدى إلى عودة التجار القادمين من المهجر إلى اليمن، لتأسيس الشركات التجارية الأهلية المساهمة، مما جعل المدن اليمنية تشهد نوعاً من التوسع، وتخرج الأعمال التجارية من أسلوب المزاولة الفردية إلى تشكيل شركات القطاع الخاص، فأُسست شركة الخطوط البرية، وشركة المحروقات اليمنية التي كان من مهامها استيراد البترول وتوزيعه<sup>(٢٦٤)</sup>، وشركة الملاحة البحرية التي قامت بشراء مجموعة من السفن لتأسيس خطوط للملاحة اليقينية<sup>(٢٦٥)</sup>، وشركة الخطوط الجوية اليمنية التي اشترت مجموعة من الطائرات التجارية<sup>(٢٦٦)</sup> ليقودها طيارون يمنيون، إضافة إلى بعض الطيارين اليوغسلاف والسويديين<sup>(٢٦٧)</sup>. وقد تم بناء مطارات في صنعاء، والحديدة، وتعز، وصعدة، وورش لصيانة الطائرات<sup>(٢٦٨)</sup>.



صورة لطار مدينة تعز في منتصف الخمسينيات



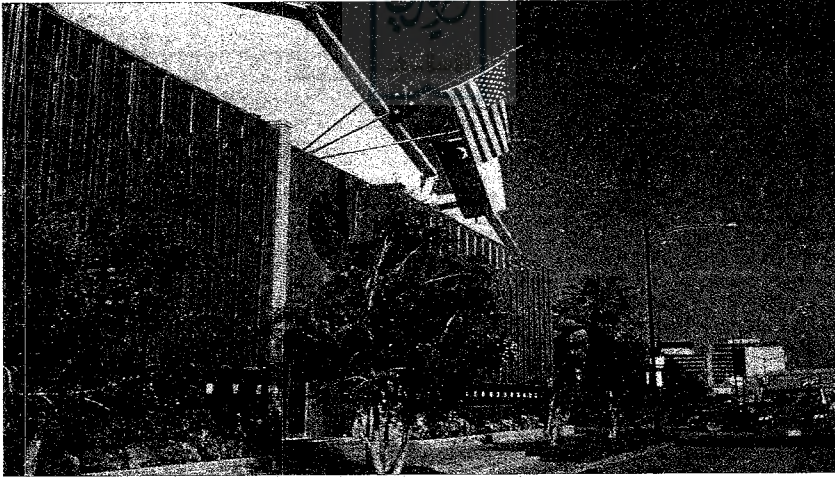


مجموعة من طائرات الخطوط الجوية الملكية اليمنية  
التي تأسست في مطلع الستينيات

ونتيجة لذلك بدأت تتشكل طبقة من التجار الرأسماليين الذين ساهموا عن طريق شركاتهم في دفع عجلة الاقتصاد، مثل شركة هائل سعيد أنعم، وشركة محمد الزغير، وشركة الوجيه، وشركة مطهر سعيد، وشركة الجبلي، وغيرهم<sup>(٢٦٩)</sup>.

وازداد صدور الصحف في اليمن، وافتتح الكثير من المكتبات، وازداد عدد الصيدليات، وتم التوسع في إدخال الكهرباء إلى المدن، ودخلت الولايات المتحدة الأمريكية على خط التنمية في اليمن، تحت عنوان مشاريع النقطة الرابعة، فقامت بمد شبكات المياه إلى المدن المهمة<sup>(٢٧٠)</sup>، وشق الطرقات عبر المدن اليمنية، مثل طريق تعز - الحجرية - إب - البيضاء، وإرسال البعثات اليمنية الدراسية إلى الجامعات الأمريكية، سواء في بيروت أو في الولايات المتحدة الأمريكية<sup>(٢٧١)</sup>، وتم الاستعانة بمنظمة الأمم المتحدة، بعدما وقع الإمام أحمد اتفاقية المساعدة الفنية معها، مما أدى إلى تكثيف الاستعانة بالخبرات الأجنبية<sup>(٢٧٢)</sup>.

أما عن المشاريع السوفياتية لتنمية اليمن، فلقد تم توقيع اتفاقية تعاون اقتصادي بين البلدين في عام ١٩٥٦م، تم على اثرها وصول أكثر من ١٥٠ اختصاصيا سوفياتيا لبناء وإدارة بعض المشاريع، كمشروع ميناء الحديد ومشروع خزانات النفط ومشروع مصنع الاسمنت<sup>(٢٧٣)</sup> إضافة الى وصول خبراء لبناء شبكات ري واستصلاح اراضي زراعية<sup>(٢٧٤)</sup> ولتعليم اليمنيين وتدريبهم على الآليات والتقنيات الزراعية<sup>(٢٧٥)</sup> ووصول اطباء لرفع مستوى الخدمات الطبية<sup>(٢٧٦)</sup>.



علم المملكة المتوكلية اليمنية يرفرف عاليا في مركز المؤتمرات في مدينة هيوستن في منتصف الخمسينات اثناء انعقاد جلسات مباحثات مشاريع التنمية الأمريكية لليمن



ممثل الحكومة اليمنية في الأمم المتحدة احمد زياره يوقع في عام ١٩٦٠م اتفاقية تمويل  
لمشاريع التنمية الأمريكية في اليمن



أحمد محمد زياره مبعوث الإمام أحمد وصهره في زيارة لمقر البعثة الطلابية اليمنية في  
موسكو عام ١٩٦٠م



الوزير حسن ابراهيم يتراس وفدا يمنيا الى المانيا الغربية لتوقيع اتفاقية تعاون وشراء معدات ثقيلة من حكومة المانيا الاتحادية، ويظهر على يسار الصورة المهندس احمد قائد بركات مرافقا للوفد وهو من خريجي البعثات الدراسية التي كان يبتعثها الامام احمد للدراسة في الخارج حيث تخرج من بريطانيا كمهندس بترول ومناجم عام ١٩٥٩م، وبعد قيام الثورة تبوأ الكثير من المناصب الوزارية منها منصب وزير الإقتصاد والصناعة

ومع استلام الإمام البدر للسلطة، والتي حكم فيها لفترة أسبوع واحد، بعد وفاة أبيه الإمام أحمد في عام ١٩٦٢م، وجدنا أن توجهه كان مبشرا بالخير، ومنسجما مع منطق الستينيات والسيرورة التاريخية، حيث عفى عفوا كاملا عن كل السجناء السياسيين، وألغى نظام الرهائن، والخطاط، والتنافيد، وعتق كافة الرقاب في اليمن، ممن كانوا يشكلون طبقة من العبيد، وكون مجلسا استشاريا مكونا من أربعين عضوا، نصفهم ينتخبون، والنصف الآخر يعينون، وأنشأ مجالس بلدية في كل المدن، بمعدل عضو لكل خمسة آلاف مواطن<sup>(٢٧٧)</sup>، كل ذلك حققه خلال فترة أسبوع واحد، فهل تركت له الفرصة الكافية؟

وبالتالي، فإن الزعم بأن اليمن لم تعرف التحديث في عهد الأئمة، وأنها كانت مغلقة بسور حديدية، وتعيش في ظلام دامس، ولم تدب في أوصالها مظاهر التحضر والانفتاح إلا بعد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر، يعد زعما باطلا، فالمسألة كانت مسألة وقت ليس إلا، ومربط



الفرس هنا، هو الصدق مع الله، وروح المسؤولية، وتوافر الشروط الأولية التي لا يمكن لدولة النهوض بدونها، وهى الأمن الشامل، والاستقرار السياسى، وسيادة النظام والقانون، وحرمة الأموال العامة، وامتلاك السيادة والقرار (وهذه الشروط الأولية مفقودة تماما فى اليمن منذ قيام ثورة ٢٦ سبتمبر)، وما عدا ذلك لا يهم، لأن التطور والتحول حتمية تاريخية، وسمة من سمات الوجود، بل هو سنة إلهية تسير وفق قانون ثابت يجرى فى كل زمن ومكان، واليمن ليس استثناء عن قوانين التطور البشرى، فكما تحول وتطور جوار اليمن الملكى سلميا بالخضوع إلى سنة التدرج، كانت اليمن الملكية ستتطور سلميا، لولا نكبة ٢٦ سبتمبر التي أهلكت الحرث والنسل ودمرت البلاد، ومن ينكر هذه الحقائق أو يتغافل عنها، فهو إما مكابر مستفيد من فساد الأوضاع فى اليمن، أو محدود فهم، مغيب عقله عن الوعى بحركة التاريخ ودورة الزمن.

ولتبيان الحقيقة التي سوف تغنينا عن الكثير من الكلام، وإتعب النفس فى الجدل حول استيعاب الإمام يحيى لعمق التحولات بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، واستشعاره لمدى حاجة اليمن إلى التطوير والتحديث والتطوير، مواكبة للعصر، أسوق للقارئ شهادات موثقة وردت على لسان الكثير من رموز الثورة اليمنية، وغيرهم من الشخصيات الأجنبية المحايدة فى ثنايا كتبهم ومذكراتهم، وأدعوا القارئ أن يتأملها تأمل الصادق المنصف.

يقول القاضى عبد الله الشماحي، وهو من أقطاب الانقلاب فى عام ٤٨: «كان هناك اتجاه فى اليمن يطالب بالإصلاح، إلا أنه يربطه بإحياء الدعوة الزيدية وإمامتها، وبذلك فهو يرى أن يطالب الإمام يحيى بإصلاح جهاز حكومته والإدارة المتبعة، بأن يدخل فى جهاز الحكم والإدارة عناصر قوية من ذوى الكفاءة والنزاهة، القادرين على التقدم باليمن، وحماية الدعوة الزيدية من التعثر أو الاستثارة، وقد أبدى الإمام يحيى تجاوبه مع هذه الخطة»<sup>(٢٧٨)</sup>.

أما أحمد الشامى، وهو كذلك ممن اشترك فى انقلاب عام ٤٨، وأصبح فيما بعد سفيرا لليمن الجمهورى فى باريس ولندن، فيقول: «عندما رجعت من عدن، كنت قد اقتنعت وأيقنت بأن الوسيلة المثلى لإخراج اليمن من غبش الجهالة، هو الدعوة إلى الإصلاح داخل اليمن بالموعظة الحسنة والحكمة، وألا نحارب الحكام، بل نبصرهم ونصحهم، وألا نشعرهم بأننا نريد إزالتهم، وأن تكون دعوتنا بالتى هى أحسن، وأقولنا لينة تحبيب إليهم ما ندعو إليه، ولقد لقينا استجابة، بل إن الحكام أنفسهم، وفى مقدمتهم ولى العهد سيف الإسلام أحمد، قد أظهروا الاقتناع بضرورة تطوير اليمن إلى الأفضل»<sup>(٢٧٩)</sup>.

أما حسين الكبسي وزير خارجية الانقلابيين في عام ٤٨، فيقول: «لم تخسر بلدة عربية في الحرب العالمية الثانية مثلما خسرت اليمن، فلو لم تنشب الحرب العالمية الثانية، أو لم تدخل فيها اليابان، ونفذت المشاريع العمرانية، والصناعية، والزراعية، والاقتصادية التي كانت قد وافقت على إنجازها، ومساعدة اليمن بها، لأصبحت بلادنا في خلال خمس سنوات دولة مزدهرة قوية، مع سيادتها واستقلالها»<sup>(٢٨٠)</sup>.

أما عن المخططات الجهنمية التي وضعها خصوم الإمام يحيى للحيلولة دون نهضة اليمن على يد الإمام يحيى وأسرته، فأسوق للقارئ الشهادات التالية لعينة من المتآمرين، الذين كانوا يروجون المقولة بأن الإمام يحيى وابنه الإمام أحمد، كانا يحاربان التحديث والإصلاح، بهدف إبقاء اليمن في دائرة الظلمات:

يقول القاضي عبد الله الشماحي: «أن المناضلين قاموا بوضع خطة مضادة لإحباط أي توجه إصلاحى يقوم به الإمام يحيى، وعماد هذه الخطة، هو محاولة تسريب رجالهم من المتآمرين إلى جهاز الحكم، وإلى قمته إن أمكن، لضربه من داخله، وإثارة بعضهم ببعض، لإرباك الإمام يحيى، وإثارة الخلاف بينه وبين معظم رجالات الحكومة»<sup>(٢٨١)</sup>.

ويقول: «اتفق حزب الأحرار وغيره من المنظمات المعارضة على هدف واحد وهو نسف حكم الإمام يحيى وأسرته، وإذا أتى الإمام وأسرته بمصلحة لليمن فما هي في نظرنا إلا وسيلة لفساد يدبرونه، هذا ما جرى مع سيف الإسلام عبد الله، فقد حاول استخراج الثروات المعدنية، وأقنع أباه، وجاء ببعثة أمريكية، فأثرنا ضده أخاه ولي العهد، حتى تجمدت العملية، قاومنا فكرة عبد الله، لأننا نرى فيها تدعيماً لحكم آل حميد الدين، الذى يجب أن ينتهى»<sup>(٢٨٢)</sup>.

ويقول العميد محمد علي الأكوغ، وهو ممن اشترك أيضاً في انقلاب ٤٨: «إن المتآمرين، وخاصة أحمد محمد نعمان وابنه ينفرون إلى حد الرعب من تمكن سيف الإسلام عبد الله، الممتدة أجنحته عبر الأسر الهاشمية، والمستفيدة وراء إعادة ضخ الإمامة بقوة جديدة من الإصلاح والتطوير الشكلى المتضامن مع الولايات المتحدة الأمريكية والغرب، مما يصعب معه كسر عنفوان تجدد طاقتها، ولا يمكن الوصول من خلال كل ما قد يقدمه سيف الإسلام عبد الله من التحديث، الذى سيخلب العقول والأبصار»<sup>(٢٨٣)</sup>، ويضيف قائلاً: «كان حزب الأحرار يقاومون مشاريع سيف الإسلام عبد الله بن الإمام يحيى ومحاولاته لتنفيذها، كى

يجعلها ستارا ودعاية لصالح حكم العهد الإمامي عامة وبيت حميد الدين، فقد كانت جريدة الأحرار صوت اليمن تتصدى لأى بارقة أمل من المشاريع التى يسعى إليها عبد الله، وتتهمه بالعمالة لأمريكا»<sup>(٢٨٤)</sup>.

أما حسين محمد القبلي، وزير الإعلام، ووكيل وزارة الخارجية فى العهد الجمهورى، وهو ممن اشترك فى انقلاب عام ٤٨، فيقول فى مذكراته: «كان الزبيرى يحبذ العمل السياسى الثورى الذى يوصلنا إلى تفجير الموقف، وانتزاع الحكم من أيدى أسرة حميد الدين، لهذا فلا يجوز أن نسمح بأن يدخل آل حميد الدين شركات البترول إلى اليمن، ولا نسمح بالتنقيب عن المعادن أيا كان نوعها، ولا حتى الشركات الزراعية، وأن نحول بين أسرة حميد الدين وبين خلق الدولة الحديثة أيا كانت مقوماتها، كان مصدر هذا التفكير أن هذه الأسرة جاهلة وغير خيرة، ولا يمكن أن يصلح نظام حكم فى اليمن وعلى رأسه واحد من تلك الأسرة»<sup>(٢٨٥)</sup>.

أما رئيس الجمهورية السابق عبدالرحمن الاريانى وهو ممن اشترك فى انقلاب عام ١٩٤٨م ايضا، فلقد عبر فى مذكراته عن قلقه وخشيته من امكانية تلقى الامام أحمد مساعدات عرضتها عليه الحكومة الأمريكية، ويعلل الاريانى سبب خشيته بالقول ان هذه المساعدات سوف تطيل من عمر حكم اسرة حميد الدين الذى يجب ان ينتهى<sup>(٢٨٦)</sup>.

أما حسن مكى رئيس وزراء اليمن الأسبق، فقد عبر عن حيرته بعد تخرجه من البعثة الدراسية اليمنية التى أرسله فيها الإمام إلى إيطاليا، وحصوله على شهادة الدكتوراه فى الاقتصاد، فهو من جهة يشيد فى مذكراته بنجاح مشاريع التنمية التى كانت قد بدأت تأخذ طريقها فى اليمن بالتمدد والتوسع منذ نهاية الخمسينيات، ومن جهة أخرى يشعر بالحيرة إزاء ذلك التطور والتقدم بقوله: إن تلك المشاريع تصطدم باتجاهات المتآمرين، لأنهم يرون أنها تعمل لتقوية النظام الإمامي<sup>(٢٨٧)</sup>.

هذه الشهادات لرموز بارزة فى النظام الجمهورى، قد صدمت الكثير من المتآمرين الحاقدين على الإمام يحيى وأسرته، لأنها تشي بحقائق مكروهة تزعم وترعب، لأنها بكل بساطة سوف تضع هؤلاء المتآمرين على طاولة التشريح، التى سوف تجردهم من دعاوى الهم الوطني، الذى كانوا يتذرعون به فى محاربة الإمام يحيى وابنه الإمام أحمد، وسوف تسقط عنهم ورقة التوت فى جريمة اغتيالهم للوطن، قبل اغتيالهم للإمام يحيى، فلقد

بات واضحا الآن من هو الذى كان يقف حجر عثرة فى طريق الإصلاح والتقدم والتطوير، ويريد إبقاء اليمن فى دائرة الظلمات، طالما أن أسرة حميد الدين ما زالت قائمة على سدة الحكم، فهل ينبغى أن نمر على هذه الشهادات المذكورة آنفا مرور الكرام، وهى صادرة من أقطاب المتآمرين، أم أن هذه الشهادات ينبغى أن تسجل للتاريخ، وتطرح للدراسة والبحث والتوثيق الجاد؟

ولم يجد المصدومون من هذه الشهادات الإيجابية فى حق الإمام وأسرته حلا للالتفاف عليها، سوى المغالطة والحرب الشرسة على كل من تسول له نفسه فضح المتآمرين وتعريتهم، فنشروا فى كتبهم، ومقالاتهم، وندواتهم، ومحاضراتهم المقولة من أن الإمام يحيى لم يكن فى حقيقة الأمر جادا فى الاستجابة للمطالب الإصلاحية، وأن ما أظهره من استجابته ظاهرية، ما هو إلا تمويه وتمثيل منه لذر الرماد على العيون، وفى ذلك يقول محمد عبد الله الفسيل، وهو من أحد أبرز الحاقدين على الإمام يحيى: «لقد كان الإمام يحيى ممثلا بارعا فى وقفاته مع زوار اليمن من الشخصيات البارزة، أتقن دور التمثيل، وأبدع ما شاء له فنه فى المغالطة والتمويه، فهو يعلل أسباب انزاله عن العالم، وابتعاده عن كل وسائل الحضارة والإصلاح، بسبب تمسكه بالاستقلال، ومحافظة على الدين الإسلامى وشريعته الغراء، فإذا شرح له هؤلاء الزوار حقيقة الأمر، وبينوا له أن سياسة العزلة والجمود، هى نفسها مجلبة للاستعمار، وأقنوه بإمكان الإصلاح والنهوض بالأمة، مع المحافظة على استقلال البلاد. أظهر لهم الاستعداد التام لقبول كل نصيحة وإرشاد، وطالبهم برسم برامج الإصلاح العملى، وناشدهم وضع تقارير حكيمة يتبعها ويسير على ضوئها، وحملهم واجب التعاون معه لخدمة البلاد والإسلام والمسلمين، وهنا تتجلى عبقرية المستبد فى إحكام التمثيل، إذ يطرق برأسه إلى الأرض كأنه مستغرق فى التفكير، وتتغير ملامحه، وتفيض عيناه بالدموع، ويصعد الزفرات والآهات، ويخاطب الزوار الكبار مظهرا الجهل بكل حقيقة عرضوها عليه، شاكيا قلة الرجال الذين يعتمد عليهم، متأسفا على فوات الماضي، قائلا لهم: أما الآن فقد وجبت الحجة... الآن وجبت الحجة، فاكتبوا لنا آراءكم ونصائحكم، ليكون العمل بها فى أقرب وقت إن شاء الله»<sup>(٢٨٨)</sup>.

وبقراءة منطق الفسيل العجيب المذكور آنفا عن براعة الإمام يحيى فى التمثيل، يتضح لنا كيف ان خصوم الإمام يحيى، فى سبيل الوصول الى أغراضهم الخبيثة فى التضييل والتغطية

على الحقائق، لا يتورعون عن الكذب والاستخفاف بالعقول، فإرسال الإمام يحيى أبناء اليمن في بعثات دراسية إلى إيطاليا ومصر ولبنان والعراق منذ العشرينات في القرن الماضي، واستقدامه للمهندسين والفنيين الإيطاليين لإنشاء المصانع وتدشين المدارس المهنية وتأسيس وسائل الإتصالات ومحطات توليد الكهرباء، ما هو إلا براعة في التمثيل، واستقدامه للأطباء العرب والإيطاليين والفرنسيين لتأسيس المستشفيات والخدمات الطبية، وافتتاحه للمستوصفات الطبية على يد الأطباء الروس على امتداد اليمن، واستقدامه للمدرسين والاستشاريين التعليميين العرب لتطوير التعليم في اليمن، ما هو إلا ذرا للرماد على العيون، وإرساله أنجاله إلى إيطاليا واليابان والولايات المتحدة لشبك علاقات استراتيجية مع دول كبرى تساعد اليمن على النهوض واستخراج الثروات ما هو إلا مغالطة وتمويه.

وبالرغم من محاولات الفسيل وأمثاله من الحاقدين التذاكي لدفن الحقيقة، أو تحويرها بالمغالطة والتأويلات المضحكة، إلا أن الحقيقة لم تضيع، فها هو الدكتور المصري أحمد فخري، عالم الآثار المعروف، الذي كان مرافقا لوفد الإخوان المسلمين، الذين قدموا إلى اليمن أثناء أحداث انقلاب عام ٤٨، وكان قبل ذلك على علاقة بمشروع اعتمده الإمام يحيى لتأسيس شركة يمنية مصرية، يقوم على عاتقها إدخال الكثير من المشاريع التنموية، أقول: ها هو الدكتور فخري يسقط دعاوى التمثيل التي اخترعها الفسيل، ويشهد على صدق الإمام يحيى في استجابته لنصائح الصادقين والغيورين على مستقبل اليمن، مفندا افتراءات الفسيل وأمثاله، حيث يقول: «منذ عام ١٩٤٥م أخذ الإمام يحيى يرسل الدعوات للحاج محمد سالم (وهو من رجال الأعمال المصريين المحسوبين على التيار الإسلامي)، ومن يحب للسفر إلى اليمن، لاستشارته فيما تريد اليمن إدخاله من إصلاحات، فأرسل اثنين من خاصته ليدرسا الحالة في اليمن، ويسمعا من الإمام ما يريد إدخاله من إصلاحات، وقد تألفت أثناء وجودهما هناك شركة يمنية للتجارة والصناعة والنقل، وليس صحيحا أن هذه الشركة لم تحصل من الإمام الراحل على ما تريده، بل العكس تماما، فإنه كان من أكبر مساهميهما، كما أعطاه امتياز احتكار البترول والسكر لمدة ثلاث سنوات، كما كان يميل إلى أنها تقوم بجميع الأبحاث اللازمة عن المعادن، وكان الإمام هو أكبر مناصريها»<sup>(٢٨٩)</sup>.

ويضيف الدكتور فخري قائلا: «ولقد وضع قانون الشركة، وتم اختيار مجلس إدارتها، واجتمعت الجمعية العمومية للمؤسسين، وأرسل الإمام يحيى بطلب المديرين والموظفين

لهذه الشركة، وأرسل خطابا لرئيس وزراء مصر النقراشي باشا، يطلب منه يد المساعدة من الحكومة المصرية، وتم اختيار الدكتور حسن إسماعيل، والذي كان مستشار مصر التجاري في وسط أوروبا لإدارة هذه الشركة»<sup>(٢٩١)</sup>.

وإذا أضفنا إلى شهادة الدكتور أحمد فخرى شهادات أخرى من أقطاب المتأمرين، فسوف يتضح لنا من الطرف الذي كان متمرسا في التمثيل، ولم يكن معنيا بالإصلاح، ولا بنهوض اليمن، بقدر عنايته باتخاذ الإصلاح ستارا لأهدافه الخفية، ومشاريعه التخريبية، فهذا هو تقرير رفعه وزير دفاع انقلاب عام ٤٨ الضابط العراقي جميل جمال إلى حكومته العراقية، يقول فيه بأن الشركة العربية التي أقنع المتآمرون الإمام يحيى بتأسيسها، ما هي إلا غطاء لغرض سياسى نسجه المتآمرون أنفسهم لمجيبى الفضيل الورتلانى إلى اليمن، لتحقيق هدف المؤامرة، وليس للقيام بمشاريع<sup>(٢٩١)</sup>. وها هو أيضا الأديب أحمد الشامى يشهد فى كتابه (رياح التغيير)، بأن ممثل الإخوان المسلمين الفضيل الورتلانى، لم يزر اليمن تحت ستار إنشاء شركة للتجارة، والصناعة، والزراعة، والنقل إلا بعد أن اتفق مع المتآمرون حسين الكبسى، وعبد الله بن على الوزير، والزيبري، ونعمان على القيام بانقلاب فى اليمن، بمباركة حسن البنا فى مصر<sup>(٢٩٢)</sup>.

وها هو حسين محمد المقبلى، يبين فى مذكراته من هو الصادق الذى كان معنيا بالاستجابة لاستحقاقات الاصلاح والتطوير، ومن هو الكاذب الذى اتخذ من فكرة الاصلاح والتطوير ستارا لتنفيذ اجنداته الخاصة، حيث يقول «وصل الفضيل الورتلانى يحمل مشعلا هو تنفيذ خطط الاخوان المسلمين، اما فكرة انشاء فرع لشركة محمد سالم المصرية فقد كانت ستارا فقط، رغم الأموال اليمنية التى جمعت فعلا، ورغم درس نظام الشركة بعناية من قبل اصحاب رؤوس الأموال، ورغم تنفيذ الجانب اليمنى المطلوب بصدق»<sup>(٢٩٣)</sup>.

ومما يستحق التنويه فى نهاية هذا الفصل، أن أبين للقارئ أنه فى خلال ٤٤ عاما من حكم الإمام يحيى لليمن، لم يكن لدى الإمام عمليا من فترة حقيقية يستطيع أن يتفرغ فيها تفرغا كاملا لعملية التحديث والتنمية سوى ٨ سنوات متقطعة، حيث إن الفترة الأولى من حكمه منذ عام ١٩٠٤م إلى عام ١٩١٨م، وإن كان إماما على اليمن، إلا أنه كان ما يزال تحت السيادة العثمانية، والفترة الثانية بعد انسحاب الأتراك من عام ١٩١٨م إلى عام ١٩٣٤م، كان ما يزال منشغلا بحروب التوحيد داخليا، وحروب التحرير خارجيا، ولم

يستقر ويستتب له الأمر فعليا، إلا بعد أن أمن جانب حدوده الجنوبية والشمالية، باتفاقه مع الإنكليز وابن سعود في عام ٣٤. إذا نستطيع أن نخلص إلى أن فترة الخمس سنوات من عام ٣٤ - ٣٩، تعد هي الفترة الأولى التي كان يمكن للإمام يحيى فيها أن يتفرغ فيها لعملية التحديث، وهي الفترة التي بدأ يستقدم فيها البعثات العربية والأجنبية المتخصصة، ويقيم اتصالاته مع اليابان في محاولة منه للنهوض باليمن، بعد أن وصل إلى طريق مسدود مع إيطاليا التي خذلت أحلامه،

إلا أن قيام الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩م أجهض كل محاولات الاستعانة باليابان، ثم جاءت فترة الثلاث سنوات الأخيرة من حياته، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية من عام ٤٥ - ٤٨، وهي الفترة التي بدأ فيها الإمام يحيى يجرى اتصالاته بالولايات المتحدة الأمريكية، في محاولة أخرى منه للنهوض باليمن، إلا أن محاولته الثانية للنهوض بالاستعانة بالولايات المتحدة الأمريكية ضاعت في زحام التآمر البريطاني، الذي اغتال الإمام يحيى بالتواطؤ مع المتآمرين، فهل كانت فترة ٨ سنوات متقطعة، يتخللها كم هائل من المحدقات البريطانية، والمكر الإيطالي، والتآمر الداخلي كافية زمنيا لاستيعاب التحول، لتنتقل اليمن من حالة المجتمع البدائي إلى مستوى مصر وبلاد المشرق العربي، الذي لم يصل إلى ما وصل إليه، إلا بعد مخاض تاريخي طويل، تخلله الكثير من الكبوات والعثرات عبر أكثر من قرن ونصف؟ أعتقد أن ذلك أبعد ما يكون عن الموضوعية والتفكير السليم، وأنه من يملك ذرة عقل، يدرك أن ذلك كان ضربا من المستحيل.

## المراجع

- ١ - (ملوك العرب، أمين الريحاني، غير مذكور رقم الطبعة أو تاريخها، ص ٢٢٤).
- ٢ - (الثقافة والثورة في اليمن، عبد الله اليردوني، طبعة عام ١٩٩١م، ص ٦٧).
- ٣ - (سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، الجزء الثاني، عبد الكريم بن أحمد مطهر، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد صالحية، الطبعة الأولى، ص ٦٤).
- ٤ - (المصدر نفسه، ص ٥٥).
- ٥ - (المصدر نفسه، ص ٤٦).
- ٦ - (المصدر نفسه، ص ٥٠ - ٥٢).
- ٧ - (المصدر نفسه، الجزء الأول، ص ١٩٧).
- ٨ - (المصدر نفسه، الجزء الأول ص ١٨٣).
- ٩ - (التاريخ العسكري لليمن، سلطان ناجي، غير مذكور رقم الطبعة أو تاريخها، ص ١١٠ - ١١١).
- ١٠ - (سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، الجزء الأول، عبد الكريم بن أحمد مطهر، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد صالحية، الطبعة الأولى، ص ١٩٠).
- ١١ - (المصدر نفسه، ص ٢٠٤ - ٢٠٥).
- ١٢ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص ٣٠٣).
- ١٣ - (المصدر نفسه، ص ٣١٤ - ٣١٥).
- ١٤ - (المصدر نفسه، ص ٣١٩).
- ١٥ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٤٩).
- ١٦ - (سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، الجزء الأول، عبد الكريم بن أحمد مطهر، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد صالحية، الطبعة الأولى، ص ١٨٥ - ١٨٦).
- ١٧ - (اليمن الجمهوري، عبد الله اليردوني، الطبعة الأولى، ص ٢٠٣ - ٢٠٤).
- ١٨ - (التاريخ العسكري لليمن، سلطان ناجي، غير مذكور رقم الطبعة أو تاريخها، ص ١٢٨ - ١٢٩).



- ١٩ - (تاريخ اليمن المعاصر، مجموعة من المؤلفين السوفيات، طبعة عام ١٩٩١م، ص ٣٠).
- ٢٠ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٢٣١).
- ٢١ - (اليمن والغرب، إريك ماكرو، تعريف الدكتور: حسين العمري، الطبعة الثانية، ص ١٣٦).
- ٢٢ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص ٣١٤).
- ٢٣ - (العلاقات الأمريكية اليمنية في عهد الإمام يحيى حميد الدين، الدكتور محمود الجبارت، الطبعة الأولى، ص ١٦١ - ١٦٢).
- ٢٤ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ١٦٣).
- ٢٥ - (المصدر نفسه، ص ٣٨٣).
- ٢٦ - (رحلة في بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، الجزء الأول، غير مذكور رقم الطبعة أو تاريخها، ص ٧٨).
- ٢٧ - (العلاقات اليمنية الأمريكية في عهد الإمام يحيى، الدكتور محمود الجبارت، الطبعة الأولى، ص ١٦٢).
- ٢٨ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ١١٢).
- ٢٩ - (المصدر نفسه، ص ١٠٨).
- ٣٠ - (رحلة في بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، الجزء الأول، غير مذكور رقم الطبعة أو تاريخها، ص ٣٨).
- ٣١ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ٢٢٣).
- ٣٢ - (رحلة في بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، الجزء الأول، غير مذكور رقم الطبعة أو تاريخها، ص ١٢٢).
- ٣٣ - (العلاقات اليمنية الأمريكية في عهد الإمام يحيى، الدكتور محمود الجبارت، الطبعة الأولى، ص ١١٨).
- ٣٤ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص ٣١٤).
- ٣٥ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ١٣٦).
- ٣٦ - (وثائق ودراسات، محمد الشعبي، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، ص ١٢١).
- ٣٧ - (رحلة في بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، الجزء الأول، مرجع سابق، ص ٢٣٢).

- ٣٨ - (أحداث ثورة ١٩٥٥، محمد على الأكوغ، الطبعة الأولى، ص ١٦٨).
- ٣٩ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص ٤٨٦).
- ٤٠ - (سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، الجزء الثاني، عبد الكريم بن أحمد مطهر، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد صالحية، الطبعة الأولى، ص ٥٩-٦٠).
- ٤١ - (الوثائق البريطانية، المجلد السادس، ص ٤٤١).
- ٤٢ - (رحلة في بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، الجزء الأول، مرجع سابق، ص ٢٦).
- ٤٣ - (المصدر نفسه، ص ١٢٩ - ١٣٠).
- ٤٤ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٤٢٩).
- ٤٥ - اليمن واليمنيون في ذكريات دبلوماسي روسي، د. اوليغ بيريسبيكين، ص ٦٧، الطبعة الثانية).
- ٤٦ - (الصحافة اليمنية، الدكتور محمد عبد الملك المتوكل، ١٩٨٣، ص ٣٩-٤١).
- ٤٧ - (من أول قصيدة إلى آخر طليقة، عبد الله البردوني، الطبعة الثالثة، ص ٣٤).
- ٤٨ - (الثقافة والثورة في اليمن، عبد الله البردوني، ١٩٩١م، ص ٦٦).
- ٤٩ - (اليمن الجمهوري، عبد الله البردوني، الطبعة الأولى، ص ٢٠٣ - ٢٠٤).
- ٥٠ - (رحلة في بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، الجزء الأول، مرجع سابق، ص ٣٥ - ٣٦).
- ٥١ - (الثقافة والثورة في اليمن، عبد الله البردوني، ١٩٩١م، ص ٤١٧ - ٤١٨).
- ٥٢ - (مذكرات القبلي، حسين القبلي، الطبعة الأولى، ص ٤٧).
- ٥٣ - (رحلة في بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، الجزء الأول، مرجع سابق، ص ١٢٦ - ١٢٧).
- ٥٤ - (العلامة سيف الإسلام الحسين، الدكتور محمد عيسى صالحية، ٢٠٠٩م، ص ١٥ - ١٧).
- ٥٥ - (تاريخ اليمن للواسعي-عبد الواسع بن يحيى الواسعي، الطبعة الثالثة، ص ٣٣٨).
- ٥٦ - (رياح التغيير في اليمن، أحمد الشامي، الطبعة الأولى، ص ٤٧).
- ٥٧ - (اليمن في عيون البعثة العسكرية العراقية، العميد سيف الدين سعيد آل يحيى، الطبعة الأولى، ص ٢٨١).

- ٥٨ - (وثائق ودراسات، محمد الشعبي، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، ص ٩٦).
- ٥٩ - (اليمن فى عيون البعثة العسكرية، العميد سيف الدين سعيد آل يحيى، الطبعة الأولى، ص ٢٨٠).
- ٦٠ - (رحلة فى بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، الجزء الأول، غير مذكور رقم الطبعة أو تاريخها، ص ٣٤).
- ٦١ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٤٤٤ - ٤٤٦)
- ٦٢ - (المصدر نفسه، ص ٤٥٥).
- ٦٣ - (رحلة فى بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، الجزء الأول، غير مذكور رقم الطبعة أو تاريخها، ص ٨٠).
- ٦٤ - (مذكرات دبلوماسى فى اليمن، إستاخوف أنكارين، ترجمة: الدكتور محمد طربوش، الطبعة الأولى، ص ١٥٧).
- ٦٥ - (اليمن الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال، الدكتور محمد على الشهاري، الطبعة الأولى، ص ٧٣).
- ٦٦ - (التاريخ العسكرى لليمن، سلطان ناجى، غير مذكور رقم الطبعة أو تاريخها، ص ١١١).
- ٦٧ - (المصدر نفسه، ص ١١٩).
- ٦٨ - (تاريخ اليمن المعاصر، مجموعة من المؤلفين الروس، ترجمة: محمد على البحر، ١٩٩١، ص ٥٩-٦٠).
- ٦٩ - (اليمن عبر التاريخ، أحمد حسين شرف الدين، الطبعة الثالثة، ص ٣٠١).
- ٧٠ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص ٤٤٨).
- ٧١ - (أحداث ثورة ١٩٥٥م، محمد على الأكوغ، الطبعة الأولى، ص ٢٣٦).
- ٧٢ - (انقلاب عام ١٩٥٥ فى اليمن، حيدر على ناجى العزى، ٢٠٠٤، ص ٧٨).
- ٧٣ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ٢٤٣)
- ٧٤ - (أحداث عشتها فى اليمن، لوسيل فيفرييه، ترجمة: خالد طه، الطبعة الأولى، ص ٢٩).
- ٧٥ - (رياح التغيير فى اليمن، أحمد الشامى، الطبعة الأولى، ص ١٦٩).

- ٧٦ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٢٣١)
- ٧٧ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ٧٣٤)
- ٧٨ - (المصدر نفسه، ص ٧٣٦).
- ٧٩ - (اليمن الجمهورى، عبد الله البردونى، الطبعة الأولى، ص ٢١٥).
- ٨٠ - (الوثائق البريطانية، المجلد التاسع، ص ٦٨٢)
- ٨١ - (رياح التغيير فى اليمن، أحمد الشامى، الطبعة الأولى، ص ٨٤).
- ٨٢ - (اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة، الدكتور عبد العزيز قائد المسعودى، الطبعة الأولى، ص ٢٥٤).
- ٨٣ - (سيرة الإمام يحيى حميد الدين، عبد الكريم بن أحمد مطهر، مصدر سابق، الجزء الأول، ط الأولى، ص ١٤٢).
- ٨٤ - (تاريخ اليمن المعاصر، مجموعة من المؤلفين السوفيات، ١٩٩١م، ص ٣٠).
- ٨٥ - (مقدمة المجلد السابع للوثائق البريطانية عن اليمن).
- ٨٦ - (لمحات من تاريخ حركة الأحرار اليمنيين، على محمد عبده، الجزء الأول، الطبعة الأولى، ص ١٢٢).
- ٨٧ - (الثقافة والثورة فى اليمن، عبد الله البردونى، طبعة عام ١٩٩١م، ص ١١٤).
- ٨٨ - (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، الطبعة الأولى، ص ٤٥)
- ٨٩ - (ثورة اليمن الدستورية، تأليف ضباط من رؤساء القيادة العسكرية لثورة ١٩٤٨م، الطبعة الثانية ن ص ٤٥)
٩٠. تاريخ اليمن للواسعى، عبدالواسع بن يحيى الواسعى، الطبعة الثالثة، ص ٣٤٥).
- ٩١ - (اليمن حقائق ووثائق عشتها، سنان ابو لحوم، ص ٤٧)
- ٩٢ - (احداثك ثورة ١٩٥٥م، محمد على الأكوع، الطبعة الأولى، ص ٢٣٥).
- ٩٣ - (تاريخ اليمن للواسعى، عبد الواسع بن يحيى الواسع، الطبعة الثالثة، ص ٣٥٤).
- ٩٤ - (اليمن فى عيون البعثة العسكرية، العميد سيف الدين سعيد آل يحيى، الطبعة الأولى، ص ٢٨١).
- ٩٥ - (تكوين اليمن الحديث، د. سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص ٤٦٧)

- ٩٦ - (تاريخ الواسعي، مرجع سابق، ص ٣٥٥)
- ٩٧ - (ايام وذكريات، د. حسن مكى، الطبعة الأولى، ص ٢٤ - ٢٥)
- ٩٨ - (مذكرات عبدالرحيم عبد الله السرورى، عضو مجلس قيادة الثورة، الطبعة الأولى، ص ٣٠).
- ٩٩ - (المصدر نفسه، ص ٥٠)
- ١٠٠ - (ايام وذكريات، د. حسن مكى، الطبعة الأولى، ص ٧١)
- ١٠١ - (أزمة الأمة العربية وثورة اليمن، الدكتور عبدالرحمن البيضانى، الطبعة الثانية، ص ٤١).
- ١٠٢ - (معارك ومؤامرات ضد قضية اليمن، محسن العينى، غير مذكور رقم الطبعة أو تاريخها، ص ١٢٤ - ١٢٧).
- ١٠٣ - (أزمة الأمة العربية وثورة اليمن، الدكتور عبد الرحمن البيضانى، الطبعة الثانية، ص ٤٣).
- ١٠٤ - (المصدر نفسه، ص ٨١).
- ١٠٥ - (أحداث ثورة ٥٥، العميد محمد على الأكوع، الطبعة الأولى، ص ٢٣٦).
- ١٠٦ - (ثورة اليمن الدستورية، تأليف ضباط من رؤساء خلايا القيادة العسكرية لثورة عام ١٩٤٨، الطبعة الثانية، ص ٤٣ - ٤٤).
- ١٠٧ - (ازمة الأمة العربية وثورة اليمن، د. عبد الرحمن البيضانى، الطبعة الثانية، ص ٤١)
- ١٠٨ - (رياح التغيير فى اليمن، احمد الشامى، الطبعة الأولى، ص ١٧١)
- ١٠٩ - (المصدر نفسه، ص ٧٨)
- ١١٠ - (الصحافة اليمنية، الدكتور محمد عبد الملك المتوكل، طبعة عام ١٩٨٣، ص ٤٥).
- ١١١ - (المصدر نفسه، ص ٤٩).
- ١١٢ - (المصدر نفسه، ص ٥١).
- ١١٣ - (مجلة اليمن الجديد، العدد الأول: فبراير - مارس ١٩٨١م، ص ٥٨).
- ١١٤ - (الصحافة اليمنية قبل ثورة سبتمبر، علوى عبد الله طاهر، ١٩٨٥، ص ٣٥ - ٣٧).

- ١١٥ - (الصحافة اليمنية، الدكتور محمد عبد الملك المتوكل، ١٩٨٣م، ص ٦٦).
- ١١٦ - (المصدر نفسه، ص ٤٨).
- ١١٧ - (الصحافة اليمنية، محمد عبد الملك المتوكل، ١٩٨٣م، ص ٢٠).
- ١١٨ - (مجلة اليمن الجديد، العدد الأول: فبراير - مارس ١٩٨١م، ص ٥٨).
- ١١٩ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٤٢٢)
- ١٢٠ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ٥٣)
- ١٢١ - (المصدر نفسه، ص ١٠٣).
- ١٢٢ - (العلاقات اليمنية الأمريكية في عهد الإمام يحيى حميد الدين، د. الطبعة الأولى، ص ١٦١).
- ١٢٣ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٤٢٩)
- ١٢٤ - (العلامة سيف الإسلام الحسين، الدكتور محمد عيسى صالحية، ٢٠٠٩م، ص ١٠٦).
- ١٢٥ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ٣٢٧ - ٣٢٨)
- ١٢٦ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ٣٣١)
- ١٢٧ - (اليمن في عيون البعثة العسكرية العراقية، العميد سيف الدين سعيد آل يحيى، الطبعة الأولى، ص ٢٥٩).
- ١٢٨ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ٢٩٠)
- ١٢٩ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ٣٣٦ - ٣٣٧)
- ١٣٠ - (اليمن في عيون البعثة العسكرية العراقية، العميد سيف الدين سعيد آل يحيى، الطبعة الأولى، ص ٢٥٩).
- ١٣١ - (المصدر نفسه، ص ٢٥٩).
- ١٣٢ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص ٤٨٦).
- ١٣٣ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٤٢٧)
- ١٣٤ - (العلامة سيف الإسلام الحسين، الدكتور محمد عيسى صالحية، طبعة عام ٢٠٠٩م، ص ٨٩).

- ١٣٥ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ٣٣٢)
- ١٣٦ - (ثورة ١٩٤٨ الميلاد، والمسيرة، والمؤثرات، ص ٣٠٠ إعداد مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط الأولى).
- ١٣٧ - (المصدر نفسه، ص ١٢٤)
- ١٣٨ - (رحلة في بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، الجزء الأول، ملرجع سابق، ص ١٢٥).
- ١٣٩ - (مجلة الحكمة اليمانية، عدد ٨٦، ص ٢٣).
١٤٠. (رحلة في بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، الجزء الأول، مرجع سابق، ص ٢٢٣).
- ١٤١ - (الوثائق البريطانية، المجلد الثامن، ص ٣٣٢)
- ١٤٢ - (اليمن من الباب الخلفي، هانز هولفريتز، تعريب: خيرى حماد، ص ١٢٩، طبعة عام ١٩٨٥م).
- ١٤٣ - (رحلة في بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، الجزء الأول، مرجع سابق، ص ٢٢٩).
- ١٤٤ - (اليمن والغرب، إريك ماكرو، تعريب: الدكتور حسين العمري، الطبعة الثانية، ص ١٥٣).
- ١٤٥ - (تاريخ اليمن المعاصر، تأليف مجموعة من المؤلفين الروس، ١٩٩١م، ص ٥٩).
- ١٤٦ - (اليمن والغرب، إريك ماكرو، تعريب: الدكتور حسين العمري، الطبعة الثانية، ص ١٤٧).
- ١٤٧ - (المصدر نفسه، ص ٢٢١).
- ١٤٨ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص ٣٥٣).
- ١٤٩ - (الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٤٢٤)
- ١٥٠ - (رحلة في بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، الجزء الأول، مرجع سابق، ص ١٢١ - ١٢٢).
- ١٥١ - (اليمن الثورة في الجنوب والانتكاسة في الشمال، الدكتور محمد علي الشهاري، الطبعة الأولى، ص ٣٢).

- ١٥٢ - (أحداث ثورة ١٩٥٥م، محمد علي الأكوع، الطبعة الأولى، ص ٢٣٦).
- ١٥٣ - (ثورة ٤٨ الميلاد والمسيرة، إعداد مركز الدراسات والبحوث اليمنى، الطبعة الأولى، ص ٣٠٠).
- ١٥٤ - (رحلة في بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، الجزء الأول، مرجع سابق، ص ٢١٥ - ٢١٦).
- ١٥٥ - (العلامة سيف الإسلام الحسين، الدكتور محمد عيسى صالحية، طبعة عام ٢٠٠٩، ص ١٥٩).
- ١٥٦ - (المصدر نفسه، ص ١٥٦).
- ١٥٧ - (المصدر نفسه، ص ١٦٦).
- ١٥٨ - (المصدر نفسه، ص ١٥٠).
- ١٥٩ - (المصدر نفسه، ص ١٥١).
- ١٦٠ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ١٨٥).
- ١٦١ - (رياح التغيير في اليمن، أحمد الشامي، الطبعة الأولى، ص ١٧٦).
- ١٦٢ - (المصدر نفسه، ص ١٧٩).
- ١٦٣ - (التاريخ العسكري لليمن، سلطان ناجي، غير مذكور رقم الطبعة أو تاريخها، ص ١٢٠ - ١٢١).
- ١٦٤ - (وثائق ودراسات، محمد الشعبي، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، ص ٣٥).
- ١٦٥ - (التاريخ العسكري لليمن، سلطان ناجي، غير مذكور رقم الطبعة أو تاريخها، ص ١٢٢).
- ١٦٦ - (مذكرات المقبل، حسين المقبل، الطبعة الأولى، ص ٩٢).
- ١٦٧ - (تاريخ اليمن للواسعي، عبد الواسع بن يحيى الواسعي، الطبعة الثالثة، ص ٣٥٤).
- ١٦٨ - (لمحات من ذكريات الطفولة، عبد الله جزيلان، الطبعة الثانية، ص ١١٦).
- ١٦٩ - (رياح التغيير في اليمن، أحمد الشامي، الطبعة الأولى، ص ١٦٨ - ١٦٩).
- ١٧٠ - (أحداث ثورة، محمد علي الأكوع، الطبعة الأولى، ص ٢٣٥).
- ١٧١ - (ثورة اليمن الدستورية، تأليف ضباط من رؤساء القيادة العسكرية لثورة ١٩٤٨م، الطبعة الثانية، ص ٥).



- ١٧٢ - (دور فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨م، سلطان ناجي، الطبعة الأولى، ص ١٢).
- ١٧٣ - (لمحات من ذكريات الطفولة، عبد الله جزيلان، الطبعة الثانية، ص ١١٩).
- ١٧٤ - (انقلاب عام ١٩٥٥ في اليمن، حيدر علي ناجي العزي، ٢٠٠٤م، ص ٧٨).
- ١٧٥ - (جريدة الشرق الأوسط، العدد ١٢٣٢٤، تاريخ ٢٥ - ٨ - ٢٠١٢م، ص ١٢).
- ١٧٦ - (جريدة الشرق الأوسط، العدد ١١٩٠٥، تاريخ ٣ - ٧ - ٢٠١١م).
- ١٧٧ - (لمحات من ذكريات الطفولة، عبد الله جزيلان، الطبعة الثانية، ص ٣٩).
- ١٧٨ - (المصدر نفسه، ص ٩٠).
- ١٧٩ - (رياح التغيير في اليمن، أحمد الشامي، الطبعة الأولى، ص ١٦٩).
- ١٨٠ - (مذكرات القبلي، حسين القبلي، الطبعة الأولى، ص ٢٥٤).
- ١٨١ - (انقلاب عام ١٩٥٥م في اليمن، حيدر علي ناجي العزي، طبعة عام ٢٠٠٤م، ص ٨٠).
- ١٨٢ - (الصحافة اليمنية، الدكتور محمد عبد الملك المتوكل، طبعة عام ١٩٨٣م، ص ٢٢٣).
- ١٨٣ - (وثائق ودراسات، محمد الشعبي، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، ص ٩٥).
- ١٨٤ - (كنت طبيبة في اليمن، كلودي فايان، الطبعة الثالثة، ص ٢٧).
- ١٨٥ - (اليمن من الباب الخلفي، هانز هولفريتز، تعريب: خيرى حماد، ١٩٨٥م، ص ١٥٦).
- ١٨٦ - (أحداث عشتها في اليمن، لوسيل فيفرييه، ترجمة: خالد طه، الطبعة الأولى، ص ٢٠).
- ١٨٧ - (المصدر نفسه، ص ٨٣ - ٨٤).
- ١٨٨ - (صلاة في الجحيم، محمد محمود الزبيرى، الطبعة الثانية، ص ١٥١).
- ١٨٩ - (أحداث ثورة ١٩٥٥م، العميد محمد بن علي الأكوع، ص ١٢، الطبعة الأولى).
- ١٩٠ - (اليمن في عيون البعثة العسكرية، العميد سيف الدين سعيد آل يحيى، الطبعة الأولى، ص ٢٥٩).
- ١٩١ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ١٦).
- ١٩٢ - (المصدر نفسه، ص ١٥).

- ١٩٣ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ٢٢٣)
- ١٩٤ - (الحركات الاجتماعية والسياسية في اليمن، د. صادق عبده علي، ص ٩٨).
- ١٩٥ - (مجلة اليمن الجديد، العدد الرابع: أكتوبر - نوفمبر، ١٩٨١م - ص ٥٠).
- ١٩٦ - (اليمن في عيون البعثة العسكرية، العميد سيف الدين سعيد آل يحيى، الطبعة الأولى، ص ٢٦٠).
- ١٩٧ - (الثقافة والثورة في اليمن، عبد الله البردوني، طبعة عام ١٩٩١م، ص ٢٧).
- ١٩٨ - (ازمة الأمة العربية وثورة اليمن، د. عبد الرحمن البيضاني، ص ٤٢، الطبعة الثانية)
- ١٩٩ - (مذكرات العقيد عبدالرحيم عبد الله، الطبعة الأولى، ص ٩٧).
- ٢٠٠ - (مذكرات الرئيس عبدالرحمن الارياني، الطبعة الأولى، الجزء الأول، ص ٣٢٨)
- ٢٠١ - (مجلة الحكمة اليمانية، العدد ٨٦، تاريخ أبريل - مايو، ١٩٨٠م، ص ٢٢).
- ٢٠٢ - (رياح التغيير، أحمد محمد الشامي، الطبعة الأولى، ص ٢٠٦).
- ٢٠٣ - (الصحافة اليمنية، الدكتور محمد عبد الملك المتوكل، طبعة عام ١٩٨٣م، ص ٢٥٨).
- ٢٠٤ - (رياح التغيير في اليمن، أحمد الشامي، الطبعة الأولى، ص ٢٠٦).
- ٢٠٥ - (مصراع الابتسامة، حميد أحمد شحرة، الطبعة الأولى، ص ١٢٧).
- ٢٠٦ - (رياح التغيير في اليمن، أحمد الشامي، الطبعة الأولى، ص ٢٠٨).
- ٢٠٧ - (الفكر والموقف: الأعمال الكاملة، محمد أحمد نعمان، الطبعة الأولى، ص ٣٩٣).
- ٢٠٨ - (العلاقات الأمريكية اليمنية في عهد الإمام يحيى، الدكتور محمود الجباريات، ط الأولى، ص ١٠٠ - ١٠١).
- ٢٠٩ - (المصدر نفسه، ص ١٤٨).
- ٢١٠ - (المصدر نفسه، ص ١٠١ - ١٠٢).
- ٢١١ - (المصدر نفسه، ص ١٥٠).
- ٢١٢ - (سيرة الإمام يحيى، المجلد الأول، عبد الكريم أحمد مطهر، مرجع سابق، ص ٣٧٧ - ٣٧٨).
- ٢١٣ - (رحلة في بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، الجزء الأول، مرجع سابق، ص ١٨٤).
- ٢١٤ - (العلاقات الأمريكية اليمنية في عهد الإمام يحيى، الدكتور محمود الجباريات، ط الأولى، ص ١٤٠ - ١٤١).

- ٢١٥ - (المصدر نفسه، ص ١٦٢).
- ٢١٦ - (المنار واليمن، الدكتور حسين العمري، الطبعة الأولى، ص ١١٦).
- ٢١٧ - (العلاقات اليمنية الأمريكية في عهد الإمام يحيى حميد الدين، د. الطبعة الأولى، ص ١٣٠).
- ٢١٨ - (رحلة في بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، غير مذكور رقم الطبعة أو تاريخها، ص ٢٤٢).
- ٢١٩ - (العلاقات اليمنية الأمريكية في عهد الإمام يحيى حميد الدين، د. الطبعة الأولى، ص ١٣٨).
٢٢٠. (المصدر نفسه، ص ١٥٢).
- ٢٢١ - (اليمن والغرب، إريك ماكرو، تعريب: الدكتور حسين العمري، الطبعة الثانية، ص ١٤٦).
٢٢٢. (رحلة في بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، الجزء الأول، مرجع سابق، ص ٢٤٢).
- ٢٢٣ - (ملوك العرب، أمين الريحاني، غير مذكور رقم الطبعة أو تاريخها، ص ١٨٧).
٢٢٤. (اليمن من الباب الخلفي، هانز هولفريتز، ١٩٨٥م، ص ١٤٩).
- ٢٢٥ - (المنار واليمن، الدكتور حسين العمري، الطبعة الأولى، ص ٤٩٩).
٢٢٦. (العلاقات اليمنية الأمريكية في عهد الإمام يحيى، الدكتور محمود الجباريات، الطبعة الأولى، ص ٤٠).
- ٢٢٧ - (تكوين اليمن الحديث، الدكتور سيد مصطفى سالم، الطبعة الرابعة، ص ٤٤٢).
- ٢٢٨ - (رحلة في بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص ١٠٦).
- ٢٢٩ - (أحداث عشتها في اليمن، لوسيل فيفرييه، ترجمة: خالد طه، الطبعة الأولى، ص ٥٥).
- ٢٣٠ - (العلاقات اليمنية الأمريكية في عهد الإمام يحيى، الدكتور محمود الجباريات، الطبعة الأولى، ص ٢٣٣).
- ٢٣١ - (المصدر نفسه، ص ٢٧٣).

- ٢٣٢ - (المصدر نفسه ، ص ٢٣٤).
- ٢٣٣ - (المصدر نفسه ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥).
- ٢٣٤ - (المصدر نفسه ، ص ٢٨٣).
- ٢٣٥ - (المصدر نفسه ، ص ٢٩٠).
- ٢٣٦ - (المصدر نفسه ، ص ٢٥٧).
- ٢٣٧ - (المصدر نفسه ، ص ٢٥٥).
- ٢٣٨ - (المصدر نفسه ، ص ٢٩٠).
- ٢٣٩ - (المصدر نفسه ، ص ٢٩٠).
- ٢٤٠ - (المصدر نفسه ، ص ٢٥٣).
- ٢٤١ - (احداث ثورة ١٩٥٥م ، محمد على الأكوغ ، الطبعة الأولى ، ص ٢٤٥).
- ٢٤٢ - (العلاقات اليمنية الأمريكية فى عهد الإمام يحيى ، الدكتور محمود الجبارات ، الطبعة الأولى ، ص ٢٨٧).
- ٢٤٣ - (المصدر نفسه ، ص ٢٨٩).
- ٢٤٤ - (الوثائق البريطانية ، المجلد العاشر ، ص ١٩٩ )
- ٢٤٥ - (المصدر نفسه ، ص ٢٠٠).
- ٢٤٦ - (المصدر نفسه ، ص ٧٧).
- ٢٤٧ - (المصدر نفسه ، ص ١٩٩).
- ٢٤٨ - (اليمن الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال ، الدكتور محمد على الشهارى ، الطبعة الأولى ، ص ٧٢).
- ٢٤٩ - (ثورة ١٩٤٨م الميلاد ، والمسيرة ، والمؤثرات ، إعداد مركز الدراسات والبحوث اليمنى ، ط ١ ، ص ٢٩١).
- ٢٥٠ - (العلاقات اليمنية الأمريكية فى عهد الإمام يحيى ، الدكتور محمود الجبارات ، الطبعة الأولى ، ص ٢٨١).
- ٢٥١ - (المصدر نفسه ، ص ٢٤٩).
- ٢٥٢ - (الوثائق البريطانية ، المجلد العاشر ، ص ٢٠٥ )
- ٢٥٣ - (اليمن الجمهورى ، عبد الله البردونى ، الطبعة الأولى ، ص ٢٤٦).

- ٢٥٤ - (المصدر نفسه، ٣٩٥).
- ٢٥٥ - (ثورة ٤٨ الميلاد، والمسيرة، والمؤثرات، إعداد مركز الدراسات والبحوث اليمنى، ط الأولى، ص ٢٧٠).
- ٢٥٦ - (اليمن والغرب، إريك ماكرو، تعريب: الدكتور حسين العمرى، الطبعة الثانية، ص ٢٢٦).
- ٢٥٧ - (اليمن ووسائله الإعلامية، الدكتور عبد الله الزين، الطبعة الثانية، ص ١٩٦).
- ٢٥٨ - (ذكريات وحقائق للتاريخ، حسين عبد الله المقدمى، الطبعة الأولى، ص ١٩).
- ٢٥٩ - (الصحافة اليمنية، الدكتور محمد عبد الملك المتوكل، ١٩٨٣م، ص ٢٢٣ - ٢٢٤).
- ٢٦٠ - (المصدر نفسه، ص ٢٢٩).
- ٢٦١ - (اليمن الجمهورى، عبد الله البردونى، الطبعة الأولى، ص ٢٤٦).
- ٢٦٢ - (الشرائح الاجتماعية التقليدية فى المجتمع اليمنى، قائد نعمان الشرجبى، الطبعة الأولى، ص ١٩٨).
- ٢٦٣ - (اليمن الجمهورى، عبد الله البردونى، الطبعة الأولى، ص ٤٠٢).
- ٢٦٤ - (الشرائح الاجتماعية التقليدية فى المجتمع اليمنى، قائد نعمان الشرجبى، الطبعة الأولى، ص ١٩٨).
- ٢٦٥ - (المصدر نفسه، ص ٤٩).
- ٢٦٦ - (الشرائح الاجتماعية التقليدية فى المجتمع اليمنى، قائد نعمان الشرجبى، الطبعة الأولى، ص ١٩٨).
- ٢٦٧ - (وثائق ودراسات، محمد الشعيبي، الجزء الثانى، الطبعة الأولى، ص ١٢٠ - ١٢٤).
- ٢٦٨ - (اليمن والغرب، إريك ماكرو، تعريب: الدكتور حسين العمرى، الطبعة الثانية، ص ٢٢٧).
- ٢٦٩ - (الشرائح الاجتماعية التقليدية فى المجتمع اليمنى، قائد نعمان الشرجبى، الطبعة الأولى، ص ١٩٨).
- ٢٧٠ - (مذكرات أحمد محمد نعمان، الطبعة الأولى، ص ٢٣٦).
- ٢٧١ - (الحركات الاجتماعية والسياسية فى اليمن، الدكتور صادق عبده على، مرجع سابق، ص ٢١٠).

- ٢٧٢ - (الصحافة اليمنية، الدكتور محمد عبد الملك المتوكل، ١٩٨٣م، ص ٢٦٠).
٢٧٣. اليمن واليمنيون فى ذكريات دبلوماسى روسى، د. اوليخ بيرسيبييكين، ص ٧٩
- ٨٠- (الطبعة الثانية)
- ٤٧٤ - (المصدر نفسه، ص ١٤٨)
- ٢٧٥ - (المصدر نفسه، ص ١٥٢)
- ٢٧٦ - (المصدر نفسه، ص ٣٣)
- ٢٧٧ - (اليمن: الأئمة، والحكام، والثورات، هارولد أنجرامز، ترجمة: نجيب باوزير، ص ١١٧).
- ٢٧٨ - (اليمن الانسان والحضارة، عبد الله الشماحى، طبعة عام ١٩٧٢م، ص ١٧٦).
- ٢٧٩ - (رياح التغيير فى اليمن، أحمد الشامى، الطبعة الأولى، ص ١٦٨).
- ٢٨٠ - (المصدر نفسه، ص ١٧٩).
- ٢٨١ - (اليمن الانسان والحضارة، عبد الله الشماحى، طبعة عام ١٩٧٢م، ص ١٨١).
- ٢٨٢ - (المصدر نفسه، ص ١٩٨).
٢٨٣. (أحداث ثورة ١٩٥٥م، العميد محمد على الأكوع، الطبعة الأولى، ص ٢٨٠).
- ٢٨٤ - (المصدر نفسه، ص ٣٥).
- ٢٨٥ - (مذكرات القبلى، محمد حسين القبلى، الطبعة الأولى، ص ٣٢٩).
- ٢٨٦ - (مذكرات الرئيس عبد الرحمن الاريانى، الطبعة الأولى، الجزء الأول، ص ٢٨٢)
- ٢٨٧ - (أيام وذكريات، الدكتور حسن مكى، الطبعة الأولى، ص ٨٤).
- ٢٨٨ - (كيف نفهم القضية اليمنية نحو النور، محمد عبد الله الفسيل، الطبعة الأولى، ص ١١٠).
- ٢٨٩ - (مصرع الابتسامة، حميد أحمد شحرة، الطبعة الأولى، ص ٢٩٧).
- ٢٩٠ - (المصدر نفسه، ص ٣٠٣ - ٣٠٤).
- ٢٩١ - (الوثائق البريطانية، المجلد العاشر، ص ٧٨)
- ٢٩٢ - (رياح التغيير فى اليمن، أحمد الشامى، الطبعة الأولى، ص ٢٠٩).
- ٢٩٣ - (مذكرات القبلى، حسين القبلى، مرجع سابق، ص ٩٥)

## قائمة المحتويات

الصفحة

الموضوع

### الجزء الأول

٤	الإهداء :
٥	المقدمة :
٨	تمهيد :
١١	الفصل الأول : نسب الامام يحيى ونشأته وطبيعة بيئته
٢٠	الفصل الثانى : مدرسة الامام يحيى الفكرية
٥٣	الفصل الثالث : الجذور التاريخية لدولة الأئمة الزيدية فى اليمن
٨٢	الفصل الرابع : الدولة القاسمية فى اليمن
٩٧	الفصل الخامس : بيعة الامام يحيى
١١٦	الفصل السادس : حروب الامام يحيى مع الأتراك
١٥٨	الفصل السابع : حروب الامام يحيى مع الانكليز
٢٧٤	الفصل الثامن : حروب الامام يحيى الداخلية لتوحيد اليمن
٣٦٥	الفصل التاسع : مشاريع البناء والتحديث فى عهد الامام يحيى

### الجزء الثانى

٣	الفصل العاشر : استشهاد الامام يحيى فى انقلاب عام ١٩٤٨ م
١٦٣	الفصل الحادى العشر : العلاقات اليمنية السعودية فى عهد الامام يحيى
٢٣٥	الفصل الثانى عشر : جوانب من حياة الامام يحيى
٣٠٩	الفصل الثالث عشر : صور من حاضر اليمن
٣٢٧	الخاتمة :





٢٠١٥ / ٤١٠٦	رقم الإيداع
ISBN 978 - 977 - 02 - 8178 - 9	الترقيم الدولي

٢ / ٢٠١٤ / ١٦٣

طبع بمطابع دار المعارف

